المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الحضارية

ديوان الجند
نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون

رسالة مقدمة لإكمال متطلبات درجة الماجستير
في الحضارة والنظم الإسلامية

إعداد الطالب
عبد العزيز عبد الله السلومي

إشراف الأستاذ الدكتور
حسام الدين السامرائي

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



بسم الله الرحمن الرحيم
ربنا
عليك
توكلنا وإليك
أنبنا وإليك
المصير

قال الله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

الأنفال ، آية ٦٠

وقال تعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

التوبة ، آية ٤١

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق »

رواه مسلم ٥٦/١٣

محتويات البحث

اسم الموضوع	رقم الصفحة

كلمة شكر وتقدير

شكـــر وتقديـــر

احمد الله تبارك وتعالى واشكره فهو القائل (لئن شكرتم لازيدنكم)(1) اشكره اولا وآخرا وظاهرا وباطنا على انعامه على بان جعلني من طلاب العلم ووفقني لاتمام هذا البحث ويسر لي سبله .

واصلي واسلم على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم القائل (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)(2) .

وعملا بذلك واعترافا بالجميل فاني اقدم خالص شكري وتقديري لسعادة الدكتور/حسام الدين السامرائي المشرف على هذه الرسالة ، الذي لم يأل في عوني جهدا ، ولم يبخل على بوقت ، فقد نذر وقته وجهده ، وفتح بيته ومكتبه ، واعارني سمعه وبصره ، رغم كثرة مهامه وارتباطاته العلمية فقد بذل لي جهدا كبيرا وفتح امامي مجالات علمية كنت غافلا عنها وحل لي مشكلات استعصت على ، فقد كان له الفضل بعد الله في اخراج هذه الرسالة ، فالى هذا الاستاذ الفاضل اقدم جزيل الشكر ، والذي لا يريد منا الا الدعاء له ، فاسأل الله العلي القدير ان يجزيه خير الجزاء وان يبارك له في علمه وصحته ووقته وان يعينه على كل خير انه سميع مجيب .

كما اقدم شكري الى جامعة ام القرى ممثلة بمديرها معالي الدكتور/ راشد الراجح الشريف والى سعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية السابق الدكتور/علي عباس الحكمي ووكيل العميد سابقا للدراسات العليا والعميد حاليا سعادة الدكتور/صالح عبدالله بن حميد والى مدير مركز البحث العلمي والى كل من عمل على تهيئة اسباب فرص البحث والاطلاع من توفير لكثير من المصادر والمراجع في الجامعة ، وحتى خارج البلاد وذلك بتحقيق رحلة علمية استفدت من خلالها الكثير في المجالات العلمية .

ولا يفوتني ان اشكر جميع الاخوة والزملاء وكل من كان له دور في تقديم يد العون والمساعدة وساعد في اخراج هذا البحث . واسأل الله ان يجزي الجميع خير الجزاء .

---

(1) سورة ابراهيم : 7

(2) الحديث رواه احمد ـ المسند (2 : 95) ، ابو داود ، السنن (4 : 350)

المقدّمة

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)(١)

(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا)(٢) .

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)(٣) .

اما بعد :

فانه من نعم الله على ان وفقنى الله لتحقيق رغبة طالما كنت انتظرها واتطلع اليها تلك هى الاستمرار فى ميدان العلم وطلبه، فبعد أن تخرجت من قسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة، يسر الله لى فرصة الالتحاق بالدراسات العليا للتاريخ والحضارة الاسلامية فى مجال كنت اهواه وارغب التخصص فيه فمنذ ان كنت فى السنة المنهجية كنت ابحث عن موضوع مناسب يجمع بين الجدة والاهمية، وفى ذلك الأثناء وقع بين يدى مخطوطة مهمة تناقش جانبا مهما من جوانب النظم الاسلامية الا وهو الجانب المالى بكل مصادره وابعاده

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الاحزاب : ٧٠- ٧١

والمخطوطة هي كتاب "الاموال" ومؤلفها الداودي وهو من اعلام القرن الرابع الهجري . وقد مضيت قدما في قراءتها وتتبع موضوعاتها وعمل دراسات اولية عن مؤلفها ولكن ارادة الله شاءت دون تحقيق تلك المخطوطة ولهذا فقد شرعت ابحث عن موضوع في النظم الاسلامية تحريت ان يكون من بين مالم يسبق لاحد طرقه بشكل متكامل وموسع، خاصة وان هناك مواضيع في النظم الاسلامية لا زالت بكرا تنتظر الباحثين ، ووجدت ان من بين تلك المواضيع المهمة التي تحتاج الى بحث ودراسة وتدقيق هو موضوع (ديوان الجند في الدولة الاسلامية - نشأته وتطوره حتى عصر المأمون) . فاستشرت الاستاذ المشرف في ذلك فابدى موافقة اولية ، وطلب مني ان اباشر في عمل دراسات عامة عن الموضوع في المصادر المعتمدة ، والمراجع لتتضح لي الصورة بشكل اوسع ولكي اتصور ابعاد الموضوع وجوانبه المختلفة ومدى ماكتب فيه ومدى توفر المادة العلمية عن هذا المرفق المهم من مرافق الدولة الاسلامية ، وبعد الاطلاع والتقصي لاحظت ندرة المعلومات التي تقدمها المصادر عن هذا الموضوع المقترح . كما اتضح لي مدى ماكتب عنه في البحوث الحديثة من ملاحظات او اشارات عابرة . ومع ذلك فان اهمية الموضوع وماتكون لدى من قناعة تامة بجدوى دراسته كانت من اهم العوامل الاساسية التي دفعتني الى قبول تحدى ندرة المعلومات وكان لتشجيع الاستاذ المشرف وتوجيهاته اثر كبير في استقراري على اختيار الموضوع والتقدم الى مجلس الدراسات العليا حيث لقي الموضوع الموافقة ، وهكذا بدأت الخطوات الاولى في مراحل جمع المعلومات مما يسر الاستمرار في المشروع .

لعل من المناسب ان اشير هنا الى ابرز الدوافع التي اسهمت في اختياري للموضوع هو انه رغم ارتباط نشأة ديوان الجند وتنظيماته بتاريخ صدر الاسلام الاول فان المؤلفين والمصنفين من علمائنا الاوائل لم يولوه العناية الكبيرة التي اولوها لغيره من المؤسسات، وذلك ما اشار اليه

الشيخ المقريزى رحمه الله حينما تحدث عن اقسام الكتابة عندما قال (وقد افرد العلماء فى كتابة الخراج وكتابة الانشاءات عدة مصنفات ولم ار احدا جمع شيئا فى كتابة الجيوش والعساكر)[1] .

اما المراجع المتأخرة والبحوث المعاصرة فلا اعلم احدا قد حاول بحث نشأة الديوان وتطوره بصورة متكاملة وموسعة فيما عزز من عزمى وزاد من تصميمى على انجاز هذا البحث .

ولعل من المناسب ان اشير هنا الى جملة من المصادر الاساسية التى قام عليها البحث واسهمت بما قدمته من معلومات فى بناء هيكله العام وانجاز الكثير من جوانبه بشىء من الايجاز .

والحق فان اغلب مصادرنا المعتمدة مثل مؤلفات ابو يوسف (ت١٨٢هـ) وابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى (ت٢٣٠هـ) وابو سعيد الهرثمى (ت بعد ٢٣٤هـ) وابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) وابو جعفر احمد بن يحيى البلاذرى (ت٢٧٩هـ) واحمد بن اسحاق (ت٢٨٤هـ) والامام محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ) وقدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت٣٣٤هـ) وعلى بن الحسين المسعودى (ت٣٤٦) وعز الدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ) وابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى (ت ٧٧٤هـ) وغيرهم من فقهاء المذاهب الاسلامية الاربعة قد تناولوا موضوع نشأة الديوان فى عهد الخليفة الراشد الثانى عمر بن الخطاب ورضى الله عنه ، وفصلوا فى الاسباب التى دعت الى ذلك كما وضحوا بدرجة كبيرة الاسلوب الذى تم به انجاز ذلك غير انهم اقتصروا على مرحلة التأسيس وامتنعوا عن متابعة التطور الحاصل فى الديوان سواء فى ماتبقى من عصر الراشدين رضى الله عنهم ، او عن ملاحقة التطورات الواقعة

---

(١) المقريزى ـ الخطط (١ : ١٤٧) طبع بمطبعة النيل سنة ١٣٢٤هـ .

خلال العصرين الاموى والعباسى باستثناء اشارات عابرة موزعة فى عدد كبير من المؤلفات تحتاج الى الكثير من الاناة والجهد فى جمعها وترتيبها وتنسيقها وتحليلها وربطها ببعضها لنكتشف بعد كل ذلك بانها لاتقدم صورة واضحة ومترابطة عن واقع التطور الذى اصاب الديوان خلال مراحل تطوره المختلفة . اضف الى ذلك ان بعض المصادر تحدثت عن احوال ديوان الجيش وافردت له بابا مستقلا ، غير ان المعلومات الواردة تحدثت عن جانب معين من جوانب تاريخ الجند وهو الجانب الادارى بالاضافة الى انه كان خاصا بعصر معين وهو العصر العباسى والمعلومات لا تتعرض الى الاصول التاريخية لذلك الجانب الادارى ، ومن هؤلاء مؤلف كتاب الخراج وصنعة الكتابة ـ قدامة بن جعفر البغدادى .

ومثل ما قيل فى المصادر يقال عنه فى المراجع الحديثة التى هى موجودة بين ايدينا الان مثل المؤلفات التى تحدثت عن النظم الاسلامية بصورة عامة فاشارت الى النظام العسكرى بشكل موجز، فيجىء الحديث حينئذ بشكل عرضى عن ديوان الجند دون اعطاء تفصيلات عن جميع مهامه وارتباطاته .

او ان تكون الابحاث مركزة لدراسة الدواوين الاسلامية خلال فترة من الفترات مثل كتاب المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية للدكتور حسام الدين السامرائى .

ومن الاسباب ايضا لاختيار الموضوع هى الرغبة الشديدة فى التعرف على مدى كفاءة المسلمين فى تنظيم شئونهم، ذلك ان الجيش هو احد ركائز قيام الدولة ، وان الجهاد ذروة سنام الاسلام، فكان لزاما على المسلمين ان ينظموا شئون جيشهم ـ خاصة بعد ان زاد عددهم وتعددت مهام جيشهم ـ تنظيما يتناسب مع تعاليم الدين الاسلامى ويكفل للدولة الاسلامية

نشر الاسلام واعلاء كلمة الله وفق نظم وتعاليم سماوية ربانية وسنة نبوية كريمة كلها رحمة بالبشرية ، بعيدا عن كل مارمى به اعداء هذا الدين من المستشرقين ومن نحى نحوهم وانتهج مناهجهم . من ان الاسلام ليس لديه نظم وان المسلمين كانوا عالة على غيرهم فى هذه التنظيمات ، وعليه فانه بالامكان القول بان هذا البحث يتضمن مناقشة هادفة وهادئة لتلك التهم المغرضة والحاقدة على الاسلام واهله .

ويمكن ان نضيف بان اختيار هذا الموضوع يتضمن بشكل مقصود الرغبة فى تزويد المكتبة الاسلامية بكتاب متخصص فى النظم والادارة الاسلامية التى نحن بحاجة اليها ، لندرك الادوار الريادية التى نفذها المسلمون الاوائل والتى كان لهم دور بارز فى تنشئتها وتطويرها بما يتناسب واحتياجات الدولة والامة مع تقدير الظروف الملائمة الجغرافية منها والتاريخية .

اما الصعوبات والمشاكل العلمية التى واجهتنى فانها تتمثل فى قلة النصوص والمعلومات الكافية لتغطية جميع جوانب الموضوع وبشكل متصل زمانيا ومكانيا ، بالاضافة الى عدم وجود مصادر متخصصة فى هذا المجال ، مما جعل من الصعب الحديث عن كل مايتعلق بالجند ودیوانهم طوال فترة البحث وفى مختلف مناطق الدولة الاسلامية ، وهكذا فان عملية جمع المعلومات وتوفرها من المصادر هو اصعب ما واجه البحث ، ذلك ان كثيرا من المصادر تتحدث احيانا عن عهد خليفة من الخلفاء بشكل واسع وتتفق اغلب المصادر على ذلك بينما لاتتحدث عن ديوان الجند فى كثير من عصور الخلافة وربما تقدم بعض الاشارات الموجزة التى قد لاتفى بمتطلبات البحث ، مما اوجب على الباحث تكرار النظر فى المصادر مرات عديدة سعيا وراء الحصول على بعض النصوص ، مما جعل موضوع ترابط المعلومات واتساقها امرا صعبا .

ومن الصعوبات التى جابهت الباحث ، عدم الالمام باللغات الاجنبية

المهمة في بعض الاحيان خاصة فيما كتب من بحوث ودراسات قدمها كثير من المؤلفين الاجانب بلغات متعددة فقد يجد الباحث احيانا اهمية في الرجوع اليها .

اما موضوع البحث فهو (ديوان الجند : نشأته وتطوره في الدولة الاسلامية حتى عصر المأمون) وقد اخترت هذه الفترة الطويلة التي تربو على قرنين من الزمان وذلك لتقديم هذا الموضوع باكمل صورة طوال تلك الفترة وللتعرف على اهم التطورات التي حصلت على ديوان الجند منذ نشأته وحتى عصر المأمون .

ويتألف البحث من مقدمة ودراسة نقدية لاهم المصادر التي اعتمد عليها البحث مرتبة حسب اقدمية المؤلفين وتمهيد بمثابة المدخل الى موضوع البحث ، واربعة فصول .

ففي التمهيد حصل التركيز على الدعوة الاسلامية ، نشأتها والصعوبات التي واجهتها في طريقها وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قائد الامة من ذلك ، ثم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وما تلى ذلك من مؤاخات بين المهاجرين والانصار. أما الفصل الاول : وهو (نشأة ديوان الجند وتطوره) فهو يتكون من اربعة مباحث رئيسية : المبحث الاول : وفيه تحدثت عن اصول التنظيم في الدولة الاسلامية في العهد النبوي حيث كان الكلام عن المجتمع المدني فقد اولى البحث موضوع اقامة التنظيمات الاساسية لدولة الاسلام الناشئة عناية خاصة بين تلك التنظيمات ما يتعلق بالنواحي العسكرية اضافة الى النواحي الاخرى الادارية والمالية وتنظيم العلاقات مع غير المسلمين .

وقد تعرض البحث بعد ذلك لموضوع الجهاد ومراحل تشريعه ودوره في اقامة شرع الله واعلاء كلمته مبينا في ذلك بعض الادلة من القرآن والسنة عن حكم الجهاد والترغيب فيه وضرورة اقامته في كل وقت ما دام للباطل صولة وجولة ، فقد قامت دولة الاسلام بسبب الدعوة والجهاد في سبيل الله ولهذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم جند للاسلام ، فقد رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله وبا لها من تربية قوية وعميقة ومؤثرة في نفوس من نال شرف تلك التربية

كما بينت خطط الرسول صلى الله عليه وسلم الحربية والنظم التى وضعهـا ليكفل سلامة المدينة وسلامة اهلها ويحقق بجانب ذلك فكرة الاسلام فى نشر الدعوة الى الله وتوحيده وافراده بالعبودية ، واخيرا تعرض البحث لتنظيم الجند فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، معتمدا فى ذلك على الادلة الصحيحة .

اما المبحث الثانى فقد اختص بفترة صدر الاسلام حيث نشأ الديوان ، فقد تعرض البحث لاسباب نشأة الديوان ، وتاريخ ذلك واسلوب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى التوزيع والذى استقر فى الديوان على هيئة قوائم تضم فئات مرتبة حسب القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومفضلة حسب السابقة فى الاسلام والبلاء فيه ، وقد حاول البحث ان يغطى جميع الروايات والاخبار التى تتعلق بالديوان وتطوره الى نهاية عصر الخلافة الراشدة .

اما المبحث الثالث من الفصل الاول فقد اختص بدراسة الاوضاع التى طرأت على ديوان الجند من تغير او زيادة او نقص على السياسة والقواعد التى وضعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، من مختلف النواحى الادارية او المالية اوالتنظيمية خلال فترة الخلافة الاموية .

اما المبحث الرابع من الفصل الاول فقد اختص بمتابعة التطورات التى طرأت على الديوان خلال العصر العباسى الاول حتى عصر المأمون ملتزما بقدر الامكان بمتابعة ذلك وفق تسلسل الخلفاء . وقد شمل ذلك دراسة الاوضاع المالية للديوان اثناء فترات الاضطرابات الداخلية التى تعرضت لها الدولة الاسلامية عدة مرات خلال فترة البحث ووفق التسلسل التاريخى .

وقد افرد الفصل الثاني لدراسة (الهيكل التنظيمي لديوان الجند) وهو يتألف من ٣ مباحث اختص اولهما بدراسة التطور الوظيفي لديوان الجند وطريقة التسجيل فيه والكتاب الذين يتولون امور تسيير الديوان والشروط الواجب توفرها فيهم .

اما المبحث الثاني فقد افرد بتقديم دراسة مفصلة عن المجالس التي يتألف منها ديوان الجيش ، والتي تعتبر بمثابة ادارات يتولى كل واحد منها مهام معينة في نفس الوقت الذي كان لكل منها علاقة مباشرة ببعضها وتبعية مشتركة لمتولي الديوان .

وفي المبحث الثالث تعرض البحث الى توضيح بعض الاحكام الشرعية التي كانت تراعى في الديوان وكذلك بعض الانحرافات التي كانت تحصل (مما يجرى على غير سبيل العدل) .

اما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة موضوع (علاقات ديوان الجند وأهميته) وقد تعرض البحث الى دراسة اهمية الديوان في الدولة الاسلامية وفي تنظيم الجيش . كما تناول البحث علاقة الديوان بالخليفة ، وكذلك بالوزارة ، وبالولايات الاسلامية ، وكذلك علاقته بالدواوين الاخرى ، مثل ديوان النفقات ، وديوان الخراج ، وديوان بيت المال ، وديوان البريد ، وديوان الزمام .

اما الفصل الرابع فقد اهتم بدراسة مايتصل بقيادة الجيش الاسلامي وتموينه . وهذا الفصل يتألف من أربعة مباحث اختص اولها بدراسة القيادة وتسلسل المراتب وقد تناول البحث التركيز على اهم صفات الرسول صلى الله عليه وسلم القيادية ، وكذلك الشروط الواجب توفرها فيمن يتولى القيادة في الجيش الاسلامي ، كما تناول موضوع الرتب العسكرية وتطورها طوال فترة البحث ، بعد ذلك تناولت بشيء من التفصيل الالوية والرايات التي كانت مستعملة في الجيش الاسلامي خلال فترة البحث.

وفى المبحث الثانى من هذا الفصل كان الحديث عن المقرات التى انشئت للجند فى مختلف اقاليم الدولة الاسلامية سواء كان منها الامصار او الاجناد او الثغور والعواصم وحاول توضيح ادوار تلك المراكز ومهامها حيث كانت تمثل الدروع الواقية لجسم دولة الاسلام من اعدائها المحيطين بها .

كما اشار البحث الى الاصناف التى يتكون منها الجيش الاسلامى من (مرتزقة) وهم اصحاب الديوان ، و(اتباع ومطوعة) وهم الذين لا ديوان لهم . ودخلت بعد ذلك الى الحديث عن الفرق التى كان يتألف منها الجيش الاسلامى واختصاصات ومهام كل منها .

اما المبحث الثالث فقد اختص بدراسة (التعبئة والخطط الحربية) حيث تعرضت الدراسة الى اهم النظم الحربية المعمول بها خلال فترة البحث .

اما المبحث الرابع فقد افرد للحديث عن (تموين الجند وتسليحهم) وقد حاولت الدراسة ان توضح فيه دور كل من الفرد والدولة فى مسئولية الاستعداد بالقوة كما تناولت بعض النماذج العملية لهذا الاعداد فى جميع العهود التى تغطيها فترة البحث .

وقد تضمن البحث كذلك على خاتمة اوجز فيها اهم وابرز النتائج التى توصل اليها البحث ثم قدمت قائمة تضمنت المصطلحات التى وردت فى ثنايا البحث مرتبة حسب حروف المعجم ، وفى آخر الرسالة الحقت قائمة تفصيلية بالمصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع والابحاث التى اعتمد عليها البحث وقام على اساس المعلومات الموثقة التى وردت فيها .

اما منهجى فى اعداد هذا البحث فقد عملت كل جهدى على اقامته وفق الاسلوب العلمى المتبع فى كتابة البحوث الاكاديمية ، حيث عملت على تحديد الموضوع بمدة زمنية معينة ، وبطبيعة الحال ركزت على الديوان المركزى

الذى يوجد فى العاصمة للدولة الاسلامية من الناحية المكانية، فمن هذا المنطلق بدأت بجمع النصوص المتعلقة بالموضوع من جميع جوانبه المختلفة ثم عرضتها للنقد السلبى والايجابى الظاهرى والباطنى وبعد الوصول الى ما استقرت حقيقته منها قمت بتحليله والوصول الى الاستنتاجات التى تشكل منها البحث فى شكله الذى قدمته . ولقد حاولت جهدى ان اعتمد النصوص الموثقة وان تكون هذه الدراسة معتمدة على النصوص بشكل اساسى ، ولابد هنا ان اشير الى اننى قد عملت جهدى لتحليل التناقض والتعارض، اما بنقد الروايات او دراسة اسنادها .

وقد تكون هناك نصوص متعارضة فى مفهومها الظاهر لكنها فى حقيقة الامر/ تفضى الى مدلول واحد، واحيانا يكون عامل التعارض هذا بين النصوص ناجم عن اختلاف الزمان او المكان احيانا مما يسهل امر التوفيق والترجيح فيما بينها ، والملاحظ ان هناك بعض النصوص الشاذة الغريبة او المخالفة لوجهة النظر الاسلامية كان من الضرورى نقدها بالادلة والبراهين وتبيان وجهة نظر القائلين فيها والدوافع التى دفعتهم الى ذلك .

وقد حرصت على ان اعتمد بشكل رئيسى فى بناء اساسيات هذا البحث على المصادر المعتمدة والموثقة ، ففيما يختص بالعصر النبوى مثلا حرصت على الاستدلال بكتب السنة الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالنواحى الحكمية ، اما النواحى التاريخية لهذا العصر فان اغلبه مستقى من كتب السيرة النبوية المطهرة ،اما بقية العهود التى تناولها البحث، فانها مستقاة من المصادر الاساسية بعد تمحيص رواياتها قدر الامكان . وبالجملة وللامانة العلمية ، فانى قمت بشكل عام باعداد هذا البحث وفق الدراسة النصية ، وذلك بايراد النصوص بعد تحديدها كما جاءت فى مصادرها وقد حاولت ان احافظ على النص مما يتضمن من معنى ، بعيدا عن تحميله مالا يتحمل من معان ، قبل ان اسوق وجهة نظرى فى موضوعه .

وبعد فهذا جهدى ووجهة نظرى وانا لاادعى [illegible] الكمـــال فتلك من صفات الله عز وجل ، ولكن امل كل انسان ان يصل الى الاقل منـــه فان كان ذلك كذلك فهذه نعمة وتوفيق كبير من الخالق جل وعلا ، وان كــان هناك تقصير او خطأ فهو من نفسى وليس لى الا ان استغفر الله العظيم مــن ذلك ، واسأل الله العلى القدير ان يكون عملى هذا خالصا لوجهه تعالـــى وان ينفعنا بما علمنا ويرزقنا العمل به انه سميع مجيب وهو حسبنا ونعـــــم الوكيل .

الباحث

عبد العزيز عبد الله السلومـــى

مكة المكرمة: غرة جمادى الثانية/ ١٤٠٥هـ

دراسة نقدية لأهم المصادر

كتاب الخراج لابى يوسف[1]. عاش بين سنتى (١١٣- ١٨٢هـ) وهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن نفيس بن سعد بن لبتة الانصارى الكوفى ميلادا ونشأة، وكانت الكوفة ذات مكانة عالية من الناحية العلمية فى شتى العلوم والمعارف ولاسيما العلوم الدينية واللغة العربية، وفى هذه البيئة العلمية نشأ ابو يوسف فكان يغشى مجالس العلماء فى مختلف الفنون، وهو وان عرف واشتهر فى الفقه فانه بجانب ذلك كان "يحفظ التفسير والمغازى وايام العرب وكان اقل علومه الفقه"[2]. لازم المؤلف ابا حنيفة فى مجالسه وتعلم عليه فاصبح احد تلاميذه بل من ابرزهم حتى ان ابا حنيفة نفسه توسم فيه النبوغ فقد حدث ان مرض ابويوسف فعاده ابو حنيفة فلما خرج قال : " ان يمت هذا الفتى فهو اعلم من عليها"[3]. وكان ابو يوسف ذا حافظة قوية وعقلية منظمة، سريع البديهة، وهذه صفات العالم المتبحر بالعلم، قال عنه طلحة بن محمد بن جعفر: "لم يتقدمه احد فى زمانه وكان النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر وهو اول من وضع الكتب فى اصول الفقه على مذهب ابى حنيفة"[4]. وبالاضافة الى مكانة ابى يوسف وعلمه فى الفقه الحنفى كان له دور فى علم الحديث، قال عنه ابو حاتم "يكتب حديثه"[5] وقال عنه الامام احمد بن حنبل "صدوق"[6] وقال عنه ابن قتيبة :" كان صاحب حديث حافظا

---

(١) قام بتحقيقه والتعليق عليه د. محمد ابراهيم البنا - طبعة دار الاصلاح بالقاهرة عام ١٩٨١م .
(٢) الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٠) .
(٣) الذهبى - سير اعلام النبلاء (٨ : ٥٣٦) .
(٤) البغدادى - تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٦) .
(٥) ابن ابى حاتم - الجرح والتعديل (٦ : ٢٠٢) .
(٦) م . س . ن . (٦ : ٢٠١) .

ثم لزم ابا حنيفة فغلب عليه الرأى[١] .

ان شهرة ابو يوسف فى المجال الوظيفى لدى الخلفاء اثرت فى حياته العلمية حيث تولى منصب القضاء لثلاثة من الخلفاء العباسيين على التوالى : المهدى ، والهادى ، وهارون الرشيد ، وكان هارون الرشيد يكن له كل تقدير واحترام وكان ابو يوسف عنده حظيا مكينا ، ولاهميته فى القضاء ومكانته لدى الخلفاء لقب بقاضى القضاة وهو اول من دعى بذلك ، ولابى يوسف مصنفات عديدة طبع منها ، كتاب الاثار ، وكتاب الرد على سير الاوزاعى واختلاف ابى حنيفة وابى ليلى ، وكتاب الخراج وهو موضوع دراستنا[٢] .

ان كتاب الخراج لابى يوسف لايعتبر اول كتاب صنف فى موضوعه اذ سبقه عدد من المؤلفات فى اطار الدراسات المالية فى الدولة الاسلامية[٣] الا انه اشهر واقدم ماوصلنا حتى الان ، وقد ظهرت بعد ذلك كتب عديدة فى مجال تخصصه تضمنت الكثير من الموضوعات التى طرقها ابو يوسف سواء كانت مالية بحتة تناقش الامور من جوانب فقهية ، اوغلب عليها التنظيم والاعمال الادارية .

---

(١) انظر ابن سعد ـ الطبقات الكبرى (٧ : ٣٣٠) .

(٢) انظر ترجمته فى الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٢ - ٢٦٢) ، ابن النديم ـ الفهرست (١ : ٢٠٣) ، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٢ : ٤٠٠ - ٤٠٦) ، وكيع ـ اخبار القضاة (٣ : ٢٥٤) ، ابن الاثير ـ الكامل (٦ : ٥٣) ، ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٢ : ١٠٧ - ١٠٩) ، الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (١ : ٢٦٩ ، ٢٧٠) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٠ : ١٨٠) ، الزركلى ـ الاعلام (٩ : ٢٥٢) .

(٣) كتب الاستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى مقالا ممتعا عن مصادر دراسة النظم تعرض فيه الى كتب الاموال وكتب الخراج التى تنتمى الى موروثنا الثقافى الاسلامى ، وقد تضمن دراسة شاملة للكتب التى ظهرت قبل كتاب الخراج لابى يوسف ، اطلعت عليه وهو تحت الطبع فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

اما عن سبب تأليف ابى يوسف لكتاب الخراج فانه كان استنادا الى ماجاء فى مقدمته - بناء على طلب من الخليفة هارون الرشيد فقد ذكر ابو يوسف ان الخليفة قد سأله ان يضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به ، وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لامرهم(١) . وكان هدف الخليفة الرشيد ان يضع اجابات قاضية امام عماله على الولايات حتى يرتسموها فى معاملة الرعية .

اما منهج ابى يوسف فى كتابه الخراج فان الكتاب يشتمل على مقدمة مهمة واربعة وثلاثين فصلا ، وقد جعل كتابه على صورة السؤال والجواب، لكنه لم يقتصر على اجابة الاسئلة وانما استطرد فى الاجابة استطرادات مفيدة ووضع مقترحات وخطة عمل ، اقترح على الخليفة الاخذ بها ، وقدم له نصائح قيمة فى ادارة الدولة ومحاسبة العمال والموظفين فى كثير من مرافق الدولة ، كما انه وضح الى جانب الخراج موارد الدولة المالية الاخرى وواجبات الدولة فى اصلاح اداراتها ومحاسبة عمالها ، واقامة الحدود ونشر العدل وقتال اهل الشرك والبغى مع الاشارة والاستدلال بالايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وعمل الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم .

كما تناول دراسة فقهية عن الفتوح ، وبذلك يكون ابو يوسف قدم للنظم الاسلامية الاسس التى تنطلق منها ، كل ذلك باسلوب علمى رصين مترابط ناقش فيه آراء الفقهاء الذين سبقوه اوعاصروه ، كما رجح ماراه دون التقيد المطلق بآراء شيخه ابى حنيفة .

---

(١) انظر مقدمة كتاب الخراج لابى يوسف (ص ٣١) .

اما طريقة روايته لكل ماسبق فكان على اساس الالتزام بالاسانيد سواء كانت روايته متصلة او منقطعة او مرسلة .

وجملة القول فان كتاب الخراج يعتبر فى الحقيقة اقدم دراسة تصلنا عن النظم الاسلامية المالية وقد جمع فيه مؤلفه بين الدراسة الفقهية الشرعية والوقائع التاريخية ، ونقد فيه بعض الاوضاع والانحرافات الواقعة فى الدولة والمخالفة للشريعة ، وطلب من الخليفة اصلاح ذلك على مقتضى العدل الربانى الذى جاءت به الشريعة .

وقد استفاد البحث منه خاصة فى الفصل الاول حيث اعطى معلومات غزيرة غاية فى الاهمية عن مقادير العطاء فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بالاضافة الى بعض النصوص المتناثرة فى الكتاب عن مواضيع شتى خصوصا فى الفصول الاخيرة من الكتاب والخاصة بمن مر بمسالح المسلمين من اهل الحرب، وكذلك فصل فى قتال اهل الشرك واهل البغى استعنت بها فى كل من الفصلين الاول والرابع .

كتاب الاموال للامام الحافظ المجتهد ابى عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الذى " عاش بين سنتى ١٥٧ - ٢٢٤هـ) ولد بهراة من اعمال خراسان وتعلم القرآن هناك ، ولما شب دخل فى طلب العلم فرحل الى البصرة والكوفة وهناك التقى بكبار العلماء واخذ عنهم قراءة القرآن واللغة العربية ، ثم رجع الى خراسان وعمل مؤدبا لاولاد هرثمة بن اعين احد قادة هارون الرشيد ، ثم تحول عنها الى مرو واخذ يواصل عمله فى التأديب والتعليم ، حيث اصطحبه طاهر بن الحسين - احد وزراء وقادة المأمون- الى خراسان ، فلما عاد طاهر الى سرّمن رأى عاد معه ، وفى تلك الفترة صنف ابو عبيد كتابه غريب المصنف ، وشاء الله ان يتعرف عليه ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى - الذى كان يتولى امارة الثغور فى تلك الفترة اى فترة الرشيد والامين والمأمون - فاخذه معه الى طرسوس مؤدبا لاولاده ، ثم بعد ذلك

ولاه القضاء فيها وبقى بها ثمانية عشر عاما رحل بعدها الى مصر، ثم عاد الى بغداد واستقر بها واخذ يصنف التصانيف ،ثم رحل الى مكة حاجا وبقى بها الى ان توفى رحمه الله سنة ٢٢٤هـ .

وقد اثنى عليه العلماء كثيرا سواء بالنسبة لورعه وتقواه اولعلمه وسعة اطلاعه[1]، وله مؤلفات كثيرة فى اختصاصات منوعة كاللغة العربية والفقه والحديث والذى يعنينا هنا هو كتابه الاموال[2]. فهو كتاب عظيم يشمل مجموعة من المباحث الفقهية المتعلقة بالاموال وجباية موارد الدولةالاسلامية والوجوه الشرعية لنفقاتها ، فقد قسمه المؤلف الى ثمانية "كتب" وكل منها ينقسم الى مجموعة من الابواب وجعل لكل كتاب تمهيدا اشبه مايكون بالمدخل او المقدمة الى موضوع الكتاب .

وموضوعات الكتاب الرئيسية تبحث الفىء ووجوهه وسبله ، وسنن الفىء والخمس والصدقة ، وفتوح الارضين صلحا وسننها ، وافتتاح الارضين صلحا واحكامها ، ومخارج الفىء ومواضعه التى يصرف اليها ويجعل فيها ، واحكام الارضين فى اقطاعها واحياءها وحماها ومياهها ، والخمس واحكامه وسننه والصدقة واحكامها وسننها .

اما منهج ابى عبيد فى هذا الكتاب فهو تقديم الايات والاحاديث والاثار عن الصحابة والخلفاء الراشدين باسانيدها عن كل جزء من الكتاب ثم يعقب على الاخبار بايضاح مدلولها ويشرح مافيها من الغريب، ويورد

---

(١) فى ترجمة وافية عنه انظر :ابن خلكان ، وفيات الاعيان (١ : ٥٢٩) ، الحموى ، معجم الادباء (٦ : ١٦٢) ،السبكى - طبقات (١ : ٢٧٠) ، الذهبى - تذكرة الحفاظ (٢ : ٥) ، ابن ابى عبد الشهيد - طبقات الحنابلة (١ : ٢٥٩) ، الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد الزركلى - الاعلام (٦ : ١٠) ،كحالة - معجم المؤلفين (٨ : ١٠١) .

(٢) اعتمدت على الطبعة التى قام بتحقيقها محمد خليل هراس . الطبعة الثالثة لعام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكتبة الكليات الازهرية بالقاهرة .

احيانا آراء الفقهاء فى القضية التى هى موضوع البحث .

وموقف ابى عبيد من سرد تلك الادلة انه يقوم بنقدها والاستدلال عليها والقطع فيها برأى محدد ، واحيانا يقوم بنقد الاسانيد وتبيين عللها كما انه يورد النصوص كما جاءت فاذا كان عنده شك فيها او فى كلمة منها فانه يشير الى ذلك كأن يقول " شك ابو عبيد "[1]، واذا كان الشك من غيره فانه يسميه ، واذا لم يذكر النص بعينه اشار اليه بقوله "كلام هذا معناه"[2] وهذا يدل على مدى الامانة العلمية التى ينهجها ابو عبيد فى تأليفه وحرصه على التثبت من النصوص .

وجملة القول فكتاب ابى عبيد قد ركز كثيرا على بيان الاحكام الشرعية المتعلقة بجميع النظم المالية من واردات ومصروفات فى الدولة الاسلامية الا انه لم يتعرض الى ذكر انحرافات معينة حصلت على النظم المالية فى عصره فى الوقت الذى كان فيه ابو يوسف فى كتاب الخراج يركز على تلك الامور ، ويبين للخليفة فى امور الجباية ووجوه الصرف ، فابو يوسف مع بيانه للموارد المالية للدولة الاسلامية يلفت نظر الخليفة على ضرورة اقامة الوسائل التى تساعد على استقرار النظام المالى وتمشيه على العدل والحق بصورة شاملة ومستمرة ، الا ان ابا عبيد اكتفى بتوضيح تلك الاحكام واشباعها بالادلة الشرعية دون الاشارة الى المشاكل الواقعية .

ونظرا لما يمثله ديوان الجند من باب رئيسى من ابواب صرف اموال الدولة الاسلامية ، فان هذا البحث افاد كثيرا من الرجوع الى هذا المصدر خاصة فى الفصل الاول عند بحث تأسيس امير المؤمنين عمر بن الخطاب

---

(١) انظر مثلا الصفحات التالية ١١٤، ٢١٧، ٣٢٢، ٣٣٨، ٣٦٢، ٤٠٠

(٢) انظر مثلا (ص ٢٧٦) .

رضى الله عنه للديوان ، ومقادير توزيع العطاء ووجوه صرفها ، والاصناف التى حرمهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العطاء ، كما كان مصدرا ثانويا عند ماتحدثت عن عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى كثيرا مايشير اليه ابو عبيد ويستشهد بآراءه وافعاله ، بالاضافة الى بعض الموضوعات المتناثرة فى ثنايا البحث والمتعلقة بشكل رئيسى فى وجوه الاموال التى تصرف للجند ومصالحهم .

كتاب الطبقات الكبرى لمؤلفها ابن سعد" عاش بين سنتى ١٦٨ هـ - ٢٣٠ هـ) هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمى- ولاءا - ابو عبد الله البصرى ، المعروف بابن سعد ، وبكاتب الواقدى ، ولد بالبصرة ونشأ بها وتعلم على علمائها ، ثم رحل منها الى بغداد كغيره من كثير من العلماء لما تمتاز به تلك المدينة من كثرة العلماء وتضلعهم بالعلم فسكن فيها ولازم الواقدى الذى اصبح شيخا له ملازما لدروسه حتى انه كان كاتبا له فاصبح يلقب بكاتب الواقدى ، كما رحل الى كل من الكوفة والمدينة ومكة سعيا وراء طلب العلم فى وقت كانت فيه جميع المدن الاسلامية المهمة تزخر بالعلماء فى شتى التخصصات ، حيث كانت الحركة العلمية قائمة على اشدها ، فكان لذلك اثره الكبير والواضح على شخصية ابن سعد العلمية فكثر اشياخه حتى اوصلهم البعض الى مايقارب الخمسين شيخا فى مختلف المدن والامصار الاسلامية .

وهكذا فان دراسة ابن سعد شملت القرآن والحديث والفقه والانساب والتاريخ وعلم الرجال واللغة والنحو ، ثم بعد ذلك تصدر للتدريس عندما نال حظا وافرا من العلم فتعلم على يديه الكثير الذين نبغوا فيما بعد امثال احمد بن يحيى البلاذرى مؤلف كتابى فتوح البلدان وانساب الاشراف ، وكذلك ابو بكر بن ابى الدنيا صاحب المصنفات الكثيرة فى الزهد

والرقائق ، والحارث بن محمد بن ابى اسامة البغدادى الذى روى عنه الطبقات الكبرى ، وغيرهم كثير .

الف ابن سعد عددا من الكتب اهمها واشهرها كتاب " الطبقات الكبرى" بالاضافة الى كتاب الطبقات الصغير الذى يكاد يكون المختصر له والذى لم يزل مخطوطا ، وكتاب الزخرف القصرى فى ترجمة ابى الحسن البصرى ، وكتاب التاريخ والقصيدة الحلوانية وغيرها من المؤلفات (١) .

والذى يهمنا هنا هو كتاب الطبقات الكبرى (٢) .

ان طريقة ابن سعد فى كتابه الطبقات كان تراجم على هيئة طبقات ابتدأ فى اوله بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه حيث تقع فى مجلدين ، ثم بدأ بذكر الطبقات حسب اهميتها فابتدأ بذكر الصحابة الذين شهدوا بدرا وهكذا حتى انتهى من الصحابة الذين ترجم لهم، وكان ترتيبه لهم على الانساب ثم جاء بعد ذلك بطبقة التابعين الا انه لم يتقيد فى ترتيبهم على الانساب وانما رتبهم على المدن التى سكنوها واستقروا بها كما اعاد ذكر الصحابة الذين سكنوا هذه المدن ماعدا اهل المدينة

---

(١) لمزيد من المعلومات عن ترجمة ابن سعد انظر الخطيب البغدادى تاريخ بغداد (٥ : ٣٢١) ،ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٤ : ٣٥١) المزى ـ تهذيب الكمال (٦ : ٦٠٠) ،الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (٢ : ٤٢٥) ، الصفدى ـ الوافي بالوفيات (٣ : ٨٨) ،ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (٢ : ٢٥٨) ، ابن النديم ـ الفهرست (ص ١٤٥) ، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب (٩ : ١٨٢) ، كحالة معجم المؤلفين (١٠ : ٢١) .

(٢) طبع هذا الكتاب عدة طبعات اولها طبعة ليدن الاوربية فى ثمان مجلدات واضيفت اليها فهارس فى مجلد تاسع، ثم طبع فى بيروت على ضوء طبعة ليدن ، ثم طبع فى القاهرة سنة ١٣٨٨هـ طبعة دار التحرير ويقع فى ثمان مجلدات وهذه الطبعة هى التى اعتمدت عليها فى دراستى لهذا البحث، وهى طبعة تعتمد على الطبعة الاولى أيضا .

وبعد التابعين خصص في القسم الاخير من كتابه للحديث عن تراجم النساء حيث بدأ ببنات النبي صلى الله عليه وسلم وعماته ثم زوجاته ثم المهاجرات ثم نساء الانصار، ثم النساء اللواتي روين عن ازواج النبي عليه الصلاة والسلام وغيرهن من التابعيات .

ومنهج ابن سعد في الطبقات في قسم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه انه جمع الاسانيد فاعتمد على اسانيد استاذه الواقدي وابن اسحق وغيرهم، وطريقته انه يسوق الخبر الرئيسي عن الغزوة مرويا عن مجموعة من الرواة من مصادر متعددة يسوقها باسانيدها لاول مرة، وقد سار ابن سعد في روايته للسيرة في قصة مترابطة يسهل على الكل دراستها واستذكارها .

اما قسم الطبقات فانه ايضا يذكر الاسانيد مجموعة عند ذكره لاول الطبقة، اما في الاجزاء الاخيرة فانه يقل استعماله للاسانيد خاصة في التراجم القصيرة .

ويمتاز ابن سعد احيانا بنقد الروايات بصورة مختصرة جدا فنجده يقول مثلا " وهذا الثبت انه يوم الجمعة"(١) وكذلك قوله :" الاول اثبت"(٢) .

كما ان ابن سعد يشير احيانا الى الوظائف الادارية التي كان يشغلها الرجل من ولاية او قضاء، ومن خلال التفصيلات التي يذكرها ابن سعد في تراجمه للرجال تتضح مادته الغزيرة بالاخبار والتي كانت موضع اهتمام المؤرخين فيما بعد والتي اوقفتنا على معالم الحياة العلمية والاجتماعية والانشطة العامة وخصوصا العسكرية منها كالغزوات والفتوح وماله

---

(١) انظر مثلا الطبقات الكبرى (٢ : ٣٧٥، ٥٧٧، ٥٨٤، ٦١٤) .
(٢) انظر مثلا الطبقات الكبرى (٢ : ٩٤) .

علاقة بالجند وتدوين الديوان والعطاء وغير ذلك .

وبالجملة فان كتاب الطبقات هذا له اهميته الخاصة فهو اقدم ماوصلنا من كتب الطبقات والتراجم ، ولاحتوائه على سيرة مفصلة للنبي صلى الله عليه وسلم اعتمد عليها المؤلفون الذين كتبوا تاريخ السيرة فيما بعد ، كما تلقى المعلومات التي قدمها ابن سعد اضواء على الحياة الثقافية والحضارية في القرنين الاول والثاني الهجريين مما يجعل لكتابه اهمية كبيرة من الناحية التاريخية .

اما عن مدى استفادتي من هذا المصدر فهو لاشك مصدر عظيم من مصادر تراثنا الاسلامي حيث قام بتغطية اخبار من كان لهم دور بارز وفضل كبير في تاريخ الامة الاسلامية منذ ظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية العصر الذى هو عاش فيه ، ونظرا لان هذه الفترة هي في الحقيقة فترة الدراسة التي يقوم بها البحث لذا فانه من المصادر الاساسية في بناء البحث وخاصة في الفصل الاول منه والذى يقوم بمتابعة التطور التاريخي لديوان الجند ، فلقد اسعفنا ابن سعد بمعلومات غزيرة عن ذلك وخاصة في عهدى كل من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، بالاضافة الى بعض النقاط المتعلقة بموضوع البحث فيما يتصل بالنواحي العسكرية من تموين وتسليح ومدى اسهام الرجال في صدر الاسلام بالانشطة العسكرية .

مختصر سياسة الحروب : لابى سعيد الشعرانى الهرثمى المتوفى بعد سنة ٢٣٤هـ .(١)

---

(١) انظر كوركيس عواد ـ مصادر التراث العسكرى عند العرب (٢ : ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

لم تذكر لنا المصادر شيئا عن الهرثمي او عن نسبه وولادته ، غير ان الذى يمكن قوله هنا ان لعل نسبته الهرثمي انما هو نسب بالولاء الى هرثمة بن اعين الذى كان من ابرز قادة الخليفة الرشيد حيث استعان به على اخضاع الثائرين ببلاد المغرب فلما ظهر نجاحه بها ولاه عليها ، ثم ولاه بعدها على خراسان فاقام بها حتى كانت الفتنة بين الاخوين الامين والمأمون فكان احد قادة المأمون المشهورين . وكانت عادة هؤلاء من كبار القادة انهم يتخذون لهم غلمانا من غير العرب ينشئونهم على الفروسية واعمال القتال ، فيحملون لهم اللواء في معاركهم ويقومون فيها على خدمتهم ومن الجائز ان يكون الهرثمي هو احد هؤلاء .

وعلى كل حال فان من المؤكد ان الهرثمي عاش في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجرى وبرز نجمه في عهد المأمون حتى انه كان يطلق عليه " صاحب المأمون" ، والكتاب الذى الفه الهرثمي تحدث عن الاعمال الحربية بشكل عام وبطريقة مبسطة وواضحة تخص ماكان معمولا به آنذاك ، وكتاب الهرثمي "مختصر سياسة الحروب" انما هو مختصر لكتاب كبير اسمه "الحيل في الحروب" الا ان الكتاب الاصل لم يعثر عليه حتى الان وانما اشار الى ذلك ابن النديم عند تعرضه للكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحرب والتدبير .(١)

وكتاب " مختصر سياسة الحروب"(٢) هو كتاب عظيم القدر بحكم مايحمل بين طياته من معلومات لها اهميتها في مجال تخصصه .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب المحقق . وانظر م . س . ن .

(٢) الكتاب قام بتحقيقه د . عبد الرؤوف عون ، وراجعه د . مصطفى زيادة طبعة المؤسسة المصرية العامة للطباعة والترجمة والتأليف ـ القاهرة .

ولقد رتب المختصر على اربعين بابا تحدث فيه عن الانضباط في الحرب وان مدار ذلك كله تقوى الله والعمل بطاعته ، كما تحدث عن سياسة الخليفة وقائد الحرب ومهامه ، واسهب في مسألة الاستعداد للحرب والالتزام بالحذر والاناة والرفق وترك الاستبداد بالرأى ، وحفظ السر والاستماع الى نصح الناصحين كما تحدث عن التعبئة وانواعها واقسامها سواء عند المسير او عند النزول او عند وقوع الخوف او اثناء القتال ، كما تحدث عن وضع الفرسان في اجزاء التعبئة ومواقعهم منها وكيفية العمل عند التقاء الزحفين ، ولم يهمل المؤلف الكلام عن تشكيلات الجيش فيما بعد المعركة سواء عند انهزام العدو او انتصاره ، كما تحدث عن الكمناء والطلائع واهميتهم وادوارهم في الجيش ، وقد ختم المؤلف كتابه بما ينبغي لقائد الجيش ان يعرفه عن اصحابه وممن ابلى منهم البلاء الحسن وعن بعض امور الحرب كاختلاف مذاهب الناس فيها .

اما منهج الهرثمي في كتابه هذا الذى قدم فيه معلومات لها اهمية كبيرة في المجالات العسكرية التدريبية والتعبوية ، فيتلخص في انه كان تواقا الى ان يتناول الامور العسكرية من جميع جوانبها ، مع اثباته لبعض الفرضيات والاحتمالات المتوقعة ، والتى ترد بشكل رئيسى في ظروف كظروف الحرب .

ويمتاز اسلوبه بالبساطة واتساق المعانى حتى يخيل للقارئ انه امام صور مرسومة تعبر عن واقع مشاهد ، وخاصة فيما يتصل بالتدريب والتعبئة واساليب التصرف اثناء نشوب الحرب ، غير ان تلك المعلومات التى اوردها الهرثمي لم تكن ذات صبغة تاريخية ، كما انها لم تكن سردا لروايات معينة وانما هى وجهة نظر خاصة فى السياسة الحربية نقلها عمن سبقه وهى ينبغى ان يعمل بها حسب مقتضيات الظروف ، ولهذا نجده كثيرا يستعمل عبارة "قالوا" في بداية كل باب من الابواب ، في حين اننا نجد الكتاب خال من

اية رواية متصلة ، ذلك انه لايتحدث عن الجانب التاريخي ، وانما يتحدث عن الجانب التنظيمي البحث .

وهكذا فان للكتاب اهمية خاصة في شئون التعبئة والتدريبات العسكرية ، لهذا استفاد البحث منه كثيرا في الفصل الرابع خاصة عند الكلام عن تشكيلات الجيش الاسلامي ، ومايدخل ضمن ذلك من الطلائع والكمناء ونحوهم ، بالاضافة الى مايقدم من معلومات خدمت دراسة طرق التعبئة عند المسلمين ، بالاضافة الى بعض المواضيع المتفرقة والتي تعرض لها مما له علاقة باعمال التدريبات العسكرية ودور ديوان الجند فيها .

كتاب فتوح مصر واخبارها لابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث المصري المتوفى سنة ٢٥٧هـ .

نشأ المؤلف في بيت علم فقد كان والده فقيها كبيرا انتهت اليه رياسة المذهب المالكي في مصر ، كما ان لوالده مؤلفات عديدة في الفقه وكتاب في سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ولابن عبدالحكم اخوه ثلاثة كلهم اشتهروا بالعلم في الفقه والحديث ، فكان لهذا الجو العلمي اثره الكبير في حياة ابن عبدالحكم العلمية ، فقد روى عن ابيه وعن شعيب بن الليث ، وشعيب بن يحيى ، واشهب واسد بن موسى وغيرهم كثير ، كما روى عنه النسائي وابو حاتم الرازي وغيرهم (1) .

---

(١) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر: ابن حجر - تهذيب التهذيب (٦ : ٢٠٨) ، السيوطي - حسن المحاضرة (١ : ٢٥٤) حاجي خليفة - كشف الظنون (ص ١٢٤) ، البغدادي - هدية العارفين (١ : ٥١٢) ، الزركلي - الاعلام (٤ : ٨٥) ، كحالة - معجم المؤلفين (٥ : ١٥٠) .

قال عنه ابن ابى حاتم انه "صدوق"[١]، وقال عنه النسائى "لا بأس بـه"[٢] وقال ابن حجر ذكره ابن حبان فى الثقات[٣]، وقال عنه القضاعى "كان من اهل الحديث عالما بالتواريخ"[٤].

ومن اهم مصنفاته التى وصلتنا هو كتاب "فتوح مصر واخبارها"[٥] وهو من اقدم ماألف عن تاريخ مصر الاسلامية وفتوحها فقد اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين والمؤلفين الذين تحدثوا عن تاريخ مصر والفتح الاسلامى لها ودورها فى فتح بلاد افريقية .

والقسم المطبوع من الكتاب يتألف من خمسة اقسام : تحدث فى القسم الاول عن فضائل مصر وموجز تاريخها القديم حتى دخول الاسلام فيها فى حين خصص القسم الثانى للحديث عن اخبار الفتح الاسلامى لبلاد مصر على يد الصحابى القائد عمرو بن العاص رضى الله عنه ، اما القسم الثالث فقد تحدث فيه عن جملة امور منها خطط الفسطاط وغيرها مما انشأه المسلمون فى البلاد المصرية ، والخراج ومقداره وكيفية جبايته والنيل واحواله ، وغير ذلك . اما القسم الرابع فقد تحدث فيه عن احوال مصر تحت ادارة ولاتها الذين تعاقبوا عليها وجهودهم فى تثبيت الفتح الاسلامى والتوسع فيه ، وفى مقاومة الروم . اما فى القسم الخامس فقد افرده لاخبار فتح افريقية والاندلس ومن تولى ذلك من المسلمين .

---

(١) ابن ابى حاتم - الجرح والتعديل (٥ : ١٥٧) .
(٢) ابن حجر - تهذيب التهذيب (٦ : ٢٠٨) .
(٣) م . س . ن .
(٤) م . س . ن .
(٥) اعتمدت على الكتاب المطبوع بمدينة لايدن مطبعة بريل طبعة عام ١٩٣٠م .

اعتمد ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر على الاسانيد اعتمادا قويا فقد نسق ورتب كتابه ترتيبا تاريخيا مرويا بالاسانيد ، فان تعددت الروايات قدم الاقوى عنده منها ثم يذكر الروايات الاخرى بحسب نظرته لها .

ولم يهمل شيئا فقد ذكر جميع ماوصله من روايات، حتى انه ذكر الروايات المعارضة لما كان يبدأ بتقديمه من روايات موثقة ، وهو فى الغالب لا يميل الى اسلوب الترجيح الواضح للروايات، لهذا فانه لم يعارض بين الروايات، وكان نقده قليل جدا ، غير انه يعلق احيانا على بعض الروايات، خاصة تلك التى نقلها عن مؤلفات بعض الذين لم يعاصرهم ولكنه رجع الى كتبهم .

وبالجملة فان كتاب فتوح مصر واخبارها يعتبر اول دراسة عمرانية واقتصادية لبلاد مصر فى العهد الاسلامى ، استطاع مؤلفه ان يقوم بتغطية احداث الفتح الاسلامى لمصر وما انشأه المسلمون فيها ، وذلك امر لم يسبقه فيه احد بل ظل هو المرجع الاساسى لكل من جاء بعده من المؤرخين وخاصة فى القرون المتأخرة امثال السيوطى والمقريزى وغيرهما فقد اعتمدوا كثيرا على المعلومات التى قدمها ابن عبد الحكم .

وقد استفاد البحث مما كتبه ابن عبد الحكم عند التعرض لديوان الجند فى مصر وما حصل عليه من تطورات، واسلوب تسجيل الناس فيه على اختلاف عصور الخلفاء والولاة ، وكذلك فى الاشارة الى الموارد الرئيسية التى كان الديوان يستعين عليها فى تغطية مستحقات الجند ، وعن مدينة الفسطاط التى انشأها عمرو بن العاص كمركز عسكرى لتكون مقرا للجيش الاسلامى ، فقد كان كتاب فتوح مصر مصدرا اساسيا لكل مايتعلق بفتوح مصر وافريقية وما افادته الدراسة من ذلك ، خاصة فى الفصل الرابع من هذا البحث.

كتاب فتوح البلدان لابى جعفر احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ .

نشأ فى بغداد ثم رحل عنها الى مدن كثيرة لطلب العلم وزار كثيرا من البلدان الاسلامية ، كما يظهر من شيوخه الذين روى عنهم ، وقد تجول فى بلاد الشام كثيرا واخذ عن علمائها فزار دمشق وانطاكية وحلب ومنبج وثغور الروم والجزيرة والرقة وغيرها ، وكان له علم بالفارسية حتى قيل ان اصله فارسي، وكان فى حياته قريبا من الخلفاء والامراء فكان فى بلاط الخلفاء مربيا لبعض ابنائهم وجليسا ومنادما لهم فى منتدياتهم (١) .

له عدد من المؤلفات من بينها كتاب " فتوح البلدان (٢) " والذى نحن بصدد الحديث عنه .

فمنهج المؤلف فى كتابه انه رتب مادة الكتاب ترتيبا زمنيا بالاضافة الى ملاحظته للموقع الجغرافى للبلد المفتوح مع ذكر كل ماتعلق به من اخبار ، واول مابدأ به البلاذرى فى الفتوح هو فتوح النبى صلى الله عليه وسلم والتى كانت كلها بالجزيرة العربية ، ثم تعرض بعد ذلك الى اخبار الردة قبل ان يبدأ بفتوح الشام التى الحق بها فتوح ارمينية ومصر وطرابلس وافريقية وطنجة والاندلس وجزائر البحر ثم ختم ذلك بامرالقراطيس .

اما القسم الثانى فقد تحدث فيه عن فتوح السواد بالعراق وكذلك

---

(١) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر ابن النديم - الفهرست (١ : ١١٣ ، ١٦٦) ، الحموى - معجم الادباء (٥ : ٨٩ - ١٠٢) ، الذهبى - تذكرة الحفاظ (٣ : ١٠١ - ١٠٢) ، ابن عساكر - تاريخ (٢ : ١٠٩) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (٣ : ٨٣) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١١ : ٦٥ - ٦٦) ، ابن حجر - لسان الميزان (١ : ٣٢٢ - ٣٢٣) ، حاجى خليفة - كشف الظنون (ص ١٧٩ ، ١٤٠٢) ، الزركلى - الاعلام (١ : ٢٥٢) .

(٢) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د . صلاح الدين المنجد ، مطبعة النهضة المصرية - القاهرة .

فتوح فارس جميعها مع التعرض لكل اخبار تلك البلاد وما كان فيها من احداث مثل تمصير الكوفة والبصرة وانشاء واسط ومدينة السلام "بغداد" كما تناول بعض الاعمال الادارية فى هذا القسم، من تعريب لبعض الدواوين من الفارسية الى العربية .

اما القسم الثالث فقد تحدث فيه عن فتح خراسان وفتوح بلاد السند واحكام اراضى الخراج ، ثم تحدث عن العطاء فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعن امر الخاتم ومتى نشأ واسباب نشأته ، وعن امر النقود فى الدولة الاسلامية ، كما انه لم يهمل امر الخط، وهو آخر موضوع تحدث عنه فى كتابه .

والبلاذرى يستعمل الرواية فى الاحداث والاخبار كما يهتم بالاسانيد ولكن ذلك لم يكن بصفة ثابتة ومستقرة فقد نجده فى بعض الاحيان يروى الخبر عن مجاهيل ، فقد يروى عن جماعة لم يذكر اسماءهم فنجده يقول مثلا "حدثنى فلان عن اشياخ من اهل الطائف"[1] وكذلك قوله :"سمعت مشايخ من البصريين يقولون"[2] او قوله :" عن مشايخ من اهل الشام"[3]، وقوله : " عن مشايخ من اهل الشام، حدثنى اشياخنا .. عن مشايخ ادركهم..."[4] وقد تكرر هذا فى كثير من المواضع عند حديثه عن سائر الاقاليم التى ذكرها وهو من جهة ثانية قد يذكر الروايات بدون ترجيح[5] واحيانا اخرى يرجح[6]

---

(١) انظر مثلا فتوح البلدان (ص٦٦) .
(٢) انظر م . س (ص ١١٩) .
(٣) انظر م . س. (ص ١٣٠) .
(٤) انظر م . س. (ص ١٤٠) .
(٥) انظر مثلا الصفحات : ١٣٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٩٤، ١٩٥، ٤١٨ .
(٦) انظر مثلا الصفحات : ١٢٨، ١٤١، ١٤٦، ٢٤٢، ٣١٧، ٣٥٣ .

او يضعف ، وعباراته فى نقد الروايات مختصرة كأن يقول فى عبارات الترجيح "والاول اثبت" ، او "وتلك اثبت" او "والاول اصح واثبت" او "ورواية الواقدى اثبت"(١) .

والكتاب بشكل عام له اهمية كبيرة فى التعرف على احوال البلدان التى فتحها المسلمون ، مما جعل البحث يعتمد على نصوصه فى كثير مما اورده وله صلة بموضوع البحث ، ويظهر ذلك بشكل كبير فى الفصل الاول خاصة فى مرحلة تأسيس ديوان الجند فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعن توزيع العطاء ومقاديره .

كما حصلت الاستفادة منه فى الفصل الرابع من البحث عند الكلام عن تمصير الامصار ، وتجنيد الاجناد ، والعناية بالثغور والعواصم .

والكتاب يعتبر من المصادر الاساسية فى اخبار الاقاليم المفتوحة والتنظيمات الاسلامية فيها كالاجناد والامصار والثغور والعواصم ، ومايتبع ذلك من الاهتمام بها من النواحى الادارية والمالية وعناية الخلفاء والولاة بامرها .

كتاب التاريخ لاحمد بن ابى يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهيب بن واضح اليعقوبى مولى بنى هاشم المتوفى سنة ٢٨٤هـ والذى كان قريبا من البلاط العباسى فقد كان يعمل كاتبا فى الدواوين العباسية حتى لقب بالكاتب العباسى .

واليعقوبى رحالة جغرافى جاب البلدان الاسلامية وكتب عنها ، وقد ساعدته خبرته العلمية التى اكتسبها من الرحلات والسفر واشتغاله فى الكتابة فى دواوين الدولة من جمع معلوماته وتنظيمها . ولعل اهم مؤلفاته

---

(١) انظر مثلا الصفحات : ١٣٣، ١٤١، ١٦٦، ١٦٩، ٣١٧، ٣٥٣ .

كتابه " التاريخ " وكتاب "البلدان" وهو اقدم مؤلف له ، وكتاب " اخبار الامم السالفة" ورسالة صغيرة بعنوان "مشاكلة الناس لزمانهم"[1] والذى يعنينا في هذا المجال هو كتابه " التاريخ "[2]، فقد قسمه الى قسمين :

القسم الاول : فى التاريخ القديم حيث تحدث فيه عن بدء الخلق من آدم عليه السلام واولاده مرورا بالانبياء والرسل عليهم السلام، بصورة مختصرة جدا الى ماقبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومصادر معلوماته في هذا القسم كان على القصص الشعبي والاسرائيليات والمصادر النصرانية وقد نقل احيانا من بعض نسخ التوراة والانجيل المتيسرة له مباشرة .

اما القسم الثاني : فهو يبدأ من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ويشمل بعثته ورسالته ،ثم يمر سريعا بعصر الخلفاء الراشدين حتى خلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب حيث فصل فيها ، ثم يستعرض ايام بنى امية على وجه الايجاز، ثم تحدث عن " الخلافة المباركة" ـ كما قال ـ خلفاء بني العباس حتى ايام الخليفة احمد المعتمد على الله الى سنة ٢٥٩هـ .

ومنهج اليعقوبي فى كتابه التاريخ يتمثل فى انه سرد التاريخ الاسلامى وفق تسلسل الخلفاء وهو يقتصر على ذكر الحوادث المهمة فى حياة كل خليفة ويتضح لنا منهجه العلمى من قوله فى مقدمة القسم الثانى :" ... الفنا هذا الكتاب على مارواه الاشياخ المتقدمون من العلماء والرواة واصحاب السير والاخبار والتأريخات، ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفه ونتكلف منه

---

(١) لمعلومات اوفى عنه انظر الحموى ـ معجم الادباء (٥ : ١٥٣، ١٥٤) ، البغدادى ـ ايضاح المكنون (١ : ٢١٩) ، سركيس ـ معجم المؤلفين (ص ١٩٤٨) ، العاملى ـ اعيان الشيعة (١٠ : ٣٣٠ - ٣٣٦) الزركلى الاعلام (١ : ٩) ، بروكلمان ـ تاريخ الادب العربى (١ : ٢٢٦ - ٢٢٧) .

(٢) يقع الكتاب فى مجلدين ، وقد اعتمدت على طبعة دار صادر ـ بيروت لبنان .

ماقد سبقنا اليه غيرنا ، لكنا ذهبنا الى جمع المقالات والروايات لاناس قـد وجدناهم قد اختلفوا فى احاديثهم واخبارهم وفى السنين والاعمـال وزاد بعضهم ونقص بعض...[1] . فهو بهذا يبين لنا انه انتقى الروايـات التاريخية ، مع ملاحظة انه اغفل الالتزام بالسند واستقراره فى هذه الحقيقـة كما انه لم يكلف نفسه التدقيق والتمحيص ومحاولة الترجيح . وقداعتمد فـى تأريخه على مجموعة من المصادر تعكس هواه وميله فى التشيع لآل على فقـد اعتمد على المعلومات التى قدمتها مصادر الشيعة العلوية ، اما فى ضبـط التواريخ فقد اعتمد على المنجم محمد بن موسى الخوارزمى ، وماشاء اللـه الحاسب فى طوالع السنين والاوقات[2] فظهر التأثير واضحا فى تأريخه وتكهنـه عند تولى خليفة او وفاته او ولادة شخص عظيم وهكذا ، كما فعل عنـد ولادة الحسين بن على وعند مقتله وكذلك بقية الائمة الاثنى عشر عند الشيعـة الامامية .

ان تركيز اليعقوبى على عرض كتابه من وجهة نظر معينة هى الـتى يعتقدها ويدين بها تبين عقيدته فى التشيع وتعصبه له ، وبالمقابل تعكـس نظرته الخاصة بازاء آراء السلف من اهل السنة فنجده مثلا يشير الى ايـام ابى بكر وعمر وعثمان دون تسميتها بالخلافة اوامرة المؤمنين ، فى حـين يبادر الى الاشارة بخلافة الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه ويعتـبره امير المؤمنين ، مما يعكس وجهة نظر شيعية علوية متطرفة ، وقد فعل نفـس الشيء حين تعرض لذكر الامويين ، الا انه حينما انتقل الى العصر العباسـى لجأ الى "التقية" التى هى اساس عقيدته ، فقد حاول ان يظهر تسامحـا

---

(١) انظر ذلك فى مقدمة كتابه (٢ : ٥) .
(٢) انظر التاريخ (٢ : ٦) .

ومجاملة، غير انه في نفس الوقت انتقى احداثا معينة ركز عليها وهي تعكس وجهته المذهبية المتشددة . كما انه لم يتورع احيانا عن اختلاق الخبر او الزيادة فيه اوعرضه في غير سياقه وذلك لاثبات فكرة معينة، وقد نبهت على ذلك في مواضع من البحث من خلال استشهادي ببعض النصوص التي اوردها ، غير ان ذلك لم يمنع من افادة البحث من المعلومات التي يقدمها في بعض الاحيان وخاصة تلك المعلومات المتصلة بتوزيع العطاء وبعض التطورات التي حصلت في ديوان ومرتبات الجند ، غير ان عنصر الشك كان هو المرجح عند انفراد اليعقوبي برواية من الروايات ويزداد الامر الحاحا حينما تكون الرواية تخص عصور الخلافة الراشدة اذ لا يعتمد عليه، وفي بعض الحالات كان لابد من الاشارة الى روايات ينفرد اليعقوبي بذكرها ، غير ان البحث نبه الى خطورة الاعتماد على ذلك ،او اعتباره حقيقة مستقرة الى ان يظهر في كتب التراث مايدعم الموضوع، ذلك ان تغليب سوء الظن عصمة من الخطأ في هذا المجال .

<u>تاريخ الرسل والملوك</u> لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، عاش بين سنتي "٢٢٤-٣١٠هـ" اشتهر منذ نعومة اظفاره بذكائه الحاد ومقدرته القوية على الحفظ والتلقي ، فكان ذلك عاملا رئيسيا في انصرافه الى العلم منذ طفولته كما كان لابيه الدور الكبير في توجيه ابنه هذه الوجهة العلمية البحتة ، حيث ربطه بالدروس وحلق العلم حينما رأى فيه ذكائه ورجاحة عقله في وقت كانت الدولة الاسلامية تعيش اوج عظمتها من الناحية العلمية فبغداد كانت تحوي اعدادا كبيرة من العلماء في شتى العلوم والمعارف ومثل ذلك كانت اقاليم الدولة الاسلامية المختلفة ، لذلك فقد كانت الرحلات في طلب العلم قائمة على اشدها لراغبي العلم، ومن هؤلاء الذين نهجوا هذا المنهج وبذلوا جهدهم ووقتهم للاشتغال في طلب العلم هو العلامة

محمد بن جرير الطبرى ، حيث رحل الى الرى وما جاورها من البلاد ، كما رحل الى بغداد والكوفة والبصرة ، كما رحل الى مصر وعاد بعدها الى بغداد مارا ببلاد الشام حيث درس هناك الفقه الشافعى ، وبوصوله الى بغداد بعد تلقيه العلم من فحول العلماء فى مختلف اقاليم الدولة الاسلامية وبشتى العلوم والمعارف حرص على ان يستقر فيها ويتفرغ للدرس والتأليف كل ذلك بجهوده الخاصة وحرص والده على ان يقوم بكفايته من الناحية المالية ليبعده عن الحاجة الى المال حتى ينقطع ويتفرغ للعلم ، وقد وصف بانه كان ذو نفس شريفة عالية وعفة متناهية ، وكان شديد الميل الى العلم والحفظ فيذكر ابن جرير ذلك بقوله :"حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصليت بالناس وانا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وانا ابن تسع"(١) .

ان الرحلات الدائبة التى قام بها الطبرى والتقاءه بالعلماء اتاحت له الفرصة الكبيرة فى ان يجول فى مختلف المعارف فلقد قال عنه عبدالعزيز الطبرى :"كان كالقارئ الذى لا يعرف الا القرآن ، وكالمحدث الذى لا يعرف الا الحديث وكالفقيه الذى لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف الا النحو وكالحاسب الذى لا يعرف الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم ، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها"(٢) .

وكان له مصنفات عديدة(٣) ولست هنا بصدد تتبع مؤلفاته ومنهجه فيها

---

(١) انظر مقدمة تاريخ الرسل والملوك (١ : ٦) .

(٢) انظر مقدمة المحقق لتاريخ الرسل والملوك (١ : ١٠ ، ١١) .

(٣) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر : الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد (٢ : ١٦٢ - ١٦٩) ، ابن خلكان - وفيات الاعيان (١ : ٥٧٧ - ٥٧٨) النووى - تهذيب الاسماء واللغات (١ : ٧٨ - ٧٩) ، ابن النديم الفهرست (١ : ٢٣٤) ، ابن الجوزى - المنتظم (٦ : ١٧٠ - ١٧٢) ، الحموى - معجم الادباء (٦ : ٤٢٣) ، ابن الاثير - اللباب (٢ : ٨١) ، السبكى - طبقات الشافعية الكبرى (٢ : ١٣٥) ، الخوانسارى - روضات =

فالذى يهمنا فى هذا المجال هو كتابه المسمى بـ :"تاريخ الرسل والملوك"[(١)]، الذى يعتبر قمة فى التأليف التاريخى عند المسلمين فى القرون الثلاثة الاولى وذلك من حيث الشمول الزمانى والمكانى للاحداث التى ارخ لها وتحدث عنها .

لقد بدأ تأريخه بمقدمة عن الكون وحدوث الزمان وان اول ما خلق بعد ذلك القلم، ثم تحدث عن ابليس وماكان به من نعمة ثم كفر بها ، كما تحدث عن آدم عليه السلام والاسباب التى اهبطه الله الى الارض بعد ماكان فى الجنة ، ثم تحدث عن تاريخ الانبياء والرسل ،فيذكرهم ويذكر من يعاصرهم من الامم والملوك حيث تحدث عن بنى اسرائيل وعن ملوك الفرس خاصة واسهب فى التفصيل عنهم،اما ملوك الروم فانه اكتفى باشارات طفيفة لها علاقة مباشرة بالاحداث التى كانت فى بلادهم، كما تحدث عن العرب وكيف كانت حالهم قبل الاسلام .

= الجنات (٤ : ١٦٣) ،ابن كثير ـ البداية والنهاية (١١ : ١٤٥-١٤٧) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (٣ : ٢٠٥) ،الذهبى ـ ميزان الاعتدال (٣ : ٣٥) ، ابن الجزرى ـ طبقات القراء (٢ : ١٠٦- ١٠٨) ابن حجر ـ لسان الميزان (٥ : ١٠٠- ١٠٣) ،الصفدى ـ الوافى بالوفيات (٢ : ٢٨٤- ٢٨٧) ،السيوطى ـ طبقات المفسرين (ص ٣٠- ٣١) ،ابن العماد ـ شذرات الذهب (٢ : ٢٦٠) ، حاجى خليفة كشف الظنون، (ص ٣٣، ٤٢، ٢٩٧، ٤٣٧، ٥١٤، ١٠٤٦، ١٤٢٩، ١٤٤٩) ،البغدادى ـ ايضاح المكنون (٢ : ٣١٨، ٣٥٢) ،الزركلى الاعلام (٦ : ٢٩٤) ،كحالة ـ معجم المؤلفين (٩ : ١٤٧- ١٤٨).

(١) يطلق احيانا عليه تاريخ الامم والملوك واحيانا تاريخ الرسل والملوك وقد طبع عدة طبعات والطبعة التى اعتمدت عليها فى هذا البحث تقع فى عشرة اجزاء، وهى الطبعة الرابعة، مطبعة دار المعارف قام بتحقيق الكتاب د. محمد ابو الفضل ابراهيم .

اما القسم الاسلامي فقد جمع فيه كل شتات الاخبار مرتبا على حسب الحوادث من عام الهجرة حتى سنة ثلاثمائة واثنتين من الهجرة على شكل حوليات، وفي نهاية كل عام يذكر بايجاز بعض الاحداث الموجزة وخاصة فيما يتعلق بالولاة والقضاة والامراء من تولية وعزل ، ومن يتولى الحج بالناس في تلك السنة سواء الخليفة اومن ينيبه ونحو ذلك ، وقد ركز الطبري بشكل رئيسي في كتابه تاريخ الرسل والملوك على احداث المشرق الاسلامي وبلاد فارس والشام والعراق ومصر، الا ان هذا الاهتمام لا يظهر بوضوح ازاء المعلومات القليلة التي يقدمها عن بلاد المغرب والاندلس بشكل متتابع وغزير .

اما مصادر الطبري في تاريخه فهي متنوعة وغزيرة اهمها القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة والتفسير والفقه والشعر العربي .

اما الطريقة التي سار عليها في كتابة تاريخه فهي طريقة المحدثين ذلك انه يذكر الحوادث مروية حسب مايتوفر عنده من الطرق ويذكر الاسانيد حتى يتصل بصاحب الخبر الذي ذكره ، ولا يرجح بين الروايات غير انه احيانا يقدم الرواية الاقوى سندا قبل غيرها ، وهذا لا يعني انه لم يقم بتقويم رواياته وترجيحها ذلك ان اسلوبه - كما وضح ذلك في مقدمته - يتضمن تقديم الرواية الراجحة لديه والتي استقاها عادة من مصادر معاصرة للحدث يتحرى ان تكون على تماس مباشر به ، ثم يستطرد في ايراد الروايات الاخرى المعززة للرواية الاولى التي تمثل مايعتقده هو ثم يكمل الصورة بالروايات التكميلية المتسقة ضمنا مع معلوماته ، غير انه لا يتوانى عن ايراد جميع الروايات الاخرى المناقضة وحتى غير المعقولة ، ويترك القارىء ليواجه جميع الروايات ويتحرى بنفسه حقائق الامور .

اما عن مدى استفادة البحث من كتاب التاريخ للطبري ، فان الكتاب

يعتبر من المصادر الاساسية ولاغنى لكل كاتب يكتب فى التاريخ او فى الادارة الاسلامية ، فلقد استفاد البحث كثيرا من النصوص الكثيرة التى ضمنها فى حولياته وذلك من خلال متابعة التطور المالى والادارى لديوان الجند ويتضح ذلك بشكل خاص فى الفصل الاول من البحث حيث كانت المعلومات المستقاة منه اساسية فى بناء هيكل البحث، كما افاد البحث من هذا المصدر المهم ايضا فى الفصل الرابع، حيث يقدم الطبرى معلومات جيدة عن ديوان الجند ومهامه وبعض النواحى العسكرية فيما يتعلق بالقيادة وتسلسل المراتب وكذلك الخطط الحربية التى كان المسلمون يعملون بها فى حروبهم مع اعدائهم، بالاضافة الى بعض النصوص المتفرقة فيما يتعلق بكل من الفصلين الثانى والثالث .

كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابى الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة ابن زياد الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٤هـ، اما عن حياة المؤلف فيكتنفها شىء من الغموض ولاتكاد المصادر تقدم شيئا عنه وعن حياته ، قال عنه ابن النديم انه كان نصرانيا ثم اسلم على يد المكتفى بالله ووصفه بانه كان احد البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ممن يشار اليه فى علم المنطق جالس ابن قتيبة والمبرد وثعلبا ، كما تذكر بعض المصادر بانه تولى الكتابة لابن الفرات فى ديوان الزمام، ولقد لمع نجم قدامة فيما بعد من ناحيتين الناحية العلمية والناحية العملية .

فمكانته العلمية تكمن بما قام به قدامة من تأليف لمجموعة كتب فى كثير من العلوم والمعارف تزيد على خمسة عشر كتابا اغلبها لايزال مخطوطا يحتاج الى التحقيق والنشر، وبمجرد استعراضها فانها توحى بما لقدامة بن جعفر من سعة اطلاع فى الشعر والبلاغة والنحو واهم من ذلك كله ما اختص به مما له علاقة بتاريخ تطور النظم الادارية ، واحوال الدولة

الاسلامية[1] ، ويبرز ذلك واضحا فى كتابه الخراج وصنعة الكتابة ، ولعل غزارة المادة العلمية التى يقدمها قدامة فى كتابه هذا توحى بعمق تجاربه وطبيعة عمله فهو يتحدث عن حقيقة ثابتة وعن واقع يعايشه هو بنفسه ويراه واحيانا يعمل به ولعل هذا مما يزيد الكتاب اهمية وواقعية فهو لا يتحدث عن امور نظرية بحتة ، وانما يتحدث عن اعمال قائمة وادارات لها اهميتها وترابطها واهميتها فى المجتمع والدولة الاسلامية على السواء ، فلقد عمل فى بعض الدواوين الادارية والمالية مما اكسبه خبرة كبيرة وسعة علم واطلاع على ماتقوم عليه تلك الدواوين ، ومايجرى فيها وماتؤديه من اعمال وكتاب الخراج وصنعة الكتابة الذى يمثل حصيلة هذا النتاج العلمى والعملى يقع فى ثمان منازل رتبها ترتيبا منطقيا غيران المنازل الاربع الاول لا زالت مفقودة ، علما بانها تعتبر مهمة للغاية ، نظرا لما تشكله من بداية وتأسيس للكتاب خاصة وان قدامة حينما يتعرض للحديث عن موضع من المواضيع فى المنازل الاخيرة نجده يحيل القارئ الى مايماثله مما سبق ان كتبه فى المنازل الاولى ، مما يعزز الترابط بين المنازل الاخيرة والمنازل الاربع الاولى .

ان المتبقى من كتاب الخراج وصنعة الكتابة يتمثل فى المنازل الخامسة الى الثامنة ، وقد تم تحقيق كلا من المنزلة الخامسة والسابعة كرسائل علمية

---

(١) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر : المسعودى - مروج الذهب (١ : ١٦) ابن حوقل - صورة الارض (ص ٢٨٤) ، ابن النديم - الفهرست (ص ١٨٨) ابن الجوزى - المنتظم (٦ : ٣٦٣) ، الطرزى - الايضاح ورقة ٦٢ب - ٦٣أ ، الحموى - معجم الادباء (١٧ : ١٢) ، الصفدى - الوافى بالوفيات (٧ : ورقة ٤١أ) ، ابو حيان التوحيدى - الامتاع والمؤانسة (١ : ١٠٨) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (٣ : ٢٩٧) المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠ ، ٢١٢ ، ٣٤٠) ، الزركلى - الاعلام (٦ : ٣١) .

فالمنزلة الخامسة قام بتحقيقها الزميل طلال رفاعى المحاضر بقسم الحضارة والنظم الاسلامية فى كلية الشريعة بمكة المكرمة، اما المنزلة السابعة فكانت فى الازهر الشريف، كما قام احد المستشرقين بطبع ونشر قسم من الكتاب تحت عنوان "نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر" ونشره ملحقا بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، واخيرا طبع الكتاب طبعة متعجلة تضمنت عددا كبيرا من الاخطاء فى القراءات والاخطاء المطبعية خال من التحقيق العلمى تقريبا، وكان هذا الاخراج حاويا لجميع المنازل الاربع الاخيرة قام بذلك د. محمد حسين الزبيدى (١).

اما عن محتويات كتاب الخراج وصنعة الكتابة، فالذى يظهر من خلال النصوص المتوفرة فى ثنايا المنازل الموجودة لدينا ان هناك منزلة من المنازل تتعلق بالخراج وادارته واراضيه وطريقة جبايته وتقسيمه ونحو ذلك وكذلك فان هناك منزلة اخرى تختص بوظيفة بيت المال واقسامه واختصاصاته وهناك منزلة خاصة بديوان الضياع ومجالسه واختصاصات كل منها، اما المنزلة الاخيرة فالراجح انها فى اساليب الترسل والانشاء والبلاغة ومايتصل بذلك مما يستعمله الكتاب فى الدواوين المختلفة.

هذا بالنسبة للمنازل الضائعة، اما عن المنازل الاخيرة فانه فى المنزلة الخامسة تحدث عن بعض الدواوين الادارية والمالية فى الدولة العباسية، والذى يجدر ذكره هنا ان قدامة كان يتحدث عن تلك الدواوين

---

(١) اعتمد البحث فى كتاب الخراج وصنعة الكتابة على كل من مخطوطة كوبرللى تحت رقم (١٠٧٢) وكذلك "المنزلة الخامسة" التى قام بتحقيقها الزميل طلال رفاعى وكذلك "نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة" التى نشرها دى غويه ملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، طبعة لايدن، بالاضافة الى ما اخرجه د. محمد الزبيدى.

فى عصر فقط وماهى عليه ولم يعط معلومات واسعة عن اصلها ووضعها فى السابق ووقت نشأتها وتطورها ،غير انه قدم تفصيلات رائعة قل ان توجد فى غير كتابه من المصادر المتقدمة عن واقع تلك الدواوين وادارتها والمجالس التى تتألف منها وعلاقة بعضها ببعض، وقد تحدث فى هذه المنزلة ايضا عن امر النقود ودور الضرب والاوزان والمكاييل .

اما المنزلة السادسة فقد تحدث فيها عن الارض وهيئتها ومافيها من العمران والبحار والجبال والانهار والعيون ، كما تحدث عن مملكة الاسلام واعمالها وارتفاعها وعن ثغور الدولة الاسلامية .

اما المنزلة السابعة فقد خصصها للحديث عن وجوه الاموال مثل ارض الصلح والعنوة والاقطاع والجزية والغنائم والزكاة ومال الصدقةوختمها بفتوح النواحى والامصار .

اما المنزلة الثامنة والاخيرة فهى اشبه ماتكون بالتاريخ الاجتماعى فهو يتحدث عن حاجة الناس الى الغذاء واللباس والتناسل وانشاء المدن والتعامل بالذهب والفضة ، كما تحدث عن طبيعة سياسة الملك مع الرعية والعكس، وعن استيزار الوزراء ومايلزمهم .

اما استفادة البحث من هذا الكتاب فانها تكمن بشكل واضح فى المنزلة الخامسة حين تحدث المؤلف عن الدواوين ومن ضمنها "ديوان الجيش" والحق فانه يكاد يكون المرجع الرئيسى للمعلومات التى قدمها البحث فى الفصل الثانى من هذه الرسالة وخصوصا مايتعلق بالهيكل التنظيمى لديوان الجند فقد قدم قدامة معلومات غاية فى الاهمية والدقة فى هذا المجال ، كذلك حصلت الافادة من معلوماته فى الفصل الثالث من هذا البحث حين التعرض لعلاقة ديوان الجند فى الدواوين الاخرى فكان بمثابة المرجع الاساسى فى هذا المجال وذلك لندرة المعلومات التى تقدمها

المصادر الاخرى ، وما انفرد به قدامة عن غيره من الكتاب فى تقديم معلومات مفصلة ، ولانها تمثل واقعا حيا كان يتحدث عنه فى عصره الذى لاشك فى انه امتدادا لما قبله ، ومما لاشك فيه انه على جانب كبير من الاهمية خاصة فيما يتعلق بالنظم والمؤسسات الادارية فى الدولةالاسلامية وقد شمل حديثه على جملة من المصطلحات والصفات والحلى والشيات التى كانت تستعمل فى ديوان الجيش، مما كشف عن معلومات غاية فى الاهمية عن اختصاصاته وعلاقاته واجراءاته ، وبالجملة فقد حصلت افادة كبيرة منه فى مختلف جوانب البحث، اضافة الى ماخصصنا ذكره آنفا .

كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ومؤلفه هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت ٣٤٦هـ، قيل انه من ذرية عبدالله بن مسعود . اشتهر الى جانب علمه بكثرة رحلاته وجولاته ، وكانت نشأته الاولى فى العراق فهى موطنه وعده البعض من البغداديين وقد صرح هو بذلك كان كثير الترحال وعنده رغبة شديدة فى ذلك فقد جاب اغلب الاقطار آنذاك حيث زار بلاد فارس والسند والهند حتى وصل الى جزيرة سيلان ومن هناك ركب البحر الى شرق افريقيا حتى وصل مدغشقر، كما قام بجولات فى ماليزيا وبحر الصين حتى بلغ مشارف الصين . كما جاب الساحل الشرقى لبحر القلزم وارض الحجاز مدين . كما قضى بعض الزمن فى فلسطين وانطاكية ببلاد الشام، كما قضى بقية عمره فى مصر، ان تلك الرغبة القوية عند المسعودى فى الرحلات وحب الاستطلاع اعطته صورة جغرافية عن العالم من حوله وعن طبائع الاقاليم المناخية والسكانية فقد استفاد من رحلاته تلك بما قرأه وبما سمعه وبما رآه الشىء الكثير . فبعد ان قضى سني شبابه فى التجوال انصرف فيما بعد الى تسجيل تجربته كلها وتسجيل معارفه التى ارتسخت بذهنه فجمعها على شكل تواريخ من جهة او كتب تتحدث عن

الملل وذخائر العلوم عند الناس من جهة اخرى ، او كتب تتحدث من جهة ثالثة عن الطرائف وطرائف الاثار والخبرات الحياتية التى شاهدها ولا يهمنا هنا تتبع آثاره ومؤلفاته العديدة فى كثير من الفنون والمعارف التى قد تزيد على الثلاثين كتابا[1]، بقدر مايهمنا دراسة كتابه الذى كان من ضمن مصادرنا فى هذا البحث وهو كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر"[2].

ان كتابه هذا يمثل المسعودى اكبر تمثيل حيث تبرز شخصيته فيه بوضوح سواء من الناحية التاريخية او العقدية او الجغرافية او الاجتماعية فالكتاب يقع فى اربعة اجزاء يحطى بين دفتيه ١٣٢ بابا ، وقد سار فى تأليفه على الحوليات . وقد بدأ فى الكتاب بذكر المبدأ والخليقة وآدم وابراهيم واستعرض تاريخ الانبياء والرسل كما تحدث عن جمل من اخبار الهند وملوكها وعباداتها ثم الارض والبحار والاقاليم ثم اخبار الصين وامم اللاب والخزر والترك والبلغار والسريان والفرس واليونان والروم ومصر والسودان والصقالبة والفرنجة واليمن وملوكها والحيرة وغسان وبوادى العرب ودياناتها واساطيرها

---

(١) لمزيد من المعلومات انظر : ابن النديم - الفهرست (١ : ١٥٤) ، الحموى - معجم الادباء (١٣ : ٩٠ - ٩٤) ، الخوانسارى - روضات الجنات (ص ٣٧٩) ، السبكى - طبقات الشافعية (٢ : ٣٠٧) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (٣ : ٣١٥ - ٣١٦) ، الذهبى - تذكرة الحفاظ (٣ : ٧٠) ، ابن حجر - لسان الميزان (٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥) ، حاجى خليفة - كشف الظنون (ص ٢٦ ، ٧٨ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢٦٤ ، ٤٩٣ ، ٦٣٢ ، ٧٠٤ ، ٨٢٢ ، ١١٢٦ ، ١٦٥٨ ، ١٦٦٤ ، ١٧٢٣ ، ١٧٨٢) ، العاملى - اعيان الشيعة (٤١ : ١٩٨ - ٢١٣) ، البغدادى ايضاح المكنون (١ : ١٨٣) ، البغدادى - هدية العارفين (١ : ٦٧٩ - ٦٨٠) ، بروكلمان - تاريخ الادب العربى (١ : ١٤٣ - ١٤٥) الملحق (١ : ٢٢٠ - ٢٢١) ، الزركلى - الاعلام (٥ : ٨٧) .

(٢) وقد حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ويقع فى اربعة اجزاء والمطبوع بدار الفكر فى بيروت - الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ .

وعاداتها ، وعن تقاويم الامم فى التاريخ وسنيها وشهورها والبيوت المعظمة لدى الامم المختلفة ، حتى وصل بعد ذلك كله الى السيرة النبوية ثم استعرض الخلفاء الراشدين فالامويين ثم العباسيين حتى خلافة المطيع لله سنة ٣٣٥هـ ، وكان ذلك كله بصورة موجزة بعيدا عن تعدد الروايات او تتبع الاسانيد معتمدا فى ذلك كما ذكر هو فى مقدمة الكتاب على اكثر من مائة مصدر تمثل ابرز ما انتجه الفكر الاسلامى حتى عهده ، الا ان الذى يتضح بصورة اكبر فى كتابه هو تجربته الشخصية فى رحلاته الطويلة والتى يعطى فيها صورة حقيقة قل ان توجد فى غير كتابه هذا ، وتلك ميزة صاحب مروج الذهب الاساسية التى اختلف فيها عمن سبقه من المؤرخين والفلكية واخبار الكتب واجناس البشر ، ولعل هذا خاضع لتأثير رحلاته وميوله الشخصية واختلاطه بالعديد من اجناس البشر .

كما انه ميز كتابه ايضا بذكر العديد من الطرائف والغرائب والخوارق حيث انه يذكرها الى جانب الكثير من المعلومات الدقيقة المهمة ، وقد يناقشها احيانا فيرفضها او يقبلها لكنه فى الغالب يدعها دون تعليق او نقد ، ومما يلاحظ على كتابه عدم التنقيح والتنظيم للمعلومات التى يوردها فى بعض الاحيان ، وعلى اية حال فالكتاب يعتبر موسوعة تاريخية وجغرافية واجتماعية سجل فيها المسعودى نتاج جهوده فى تلك المجالات جميعا .

وقد استفاد الباحث من كتاب مروج الذهب فى كثير من الجوانب التاريخية خاصة فيما يتصل بالفصل الاول عند استعراض التطورات المالية على رواتب الجند فى الدولة الاسلامية كذلك فى الفصل الرابع فى مواضع متفرقة منه خاصة فيما يتعلق بالرتب العسكرية وطرق التعبئة .

اما كتاب التنبيه والاشراف[1] وهو يعتبر فى الحقيقة مختصر شديد الى حد ما للكتاب السابق فهو تحدث فيه من الناحية الجغرافية عن الافلاك والرياح والاقاليم والبحار، كما تحدث من الناحية التاريخية عن الامم السابقة كالفرس وطبقاتهم والروم وطبقاتهم ثم تاريخ الانبياء والملوك وجامع تاريخ العالم ثم عن السيرة النبوية حيث تحدث عنها حسب سنوات الهجرة والطريف فى ذلك انه سمى كل سنة بما يناسبها حسب الاحداث التى وقعت فيها وهكذا قد اطلق على السنة الثانية من الهجرة سنة (الامر)، والثالثة سنة (التمحيص)، والرابعة سنة (الترفيه)، والخامسة سنة (الاحزاب) والسادسة سنة (الاستئناس) وهكذا الى ان انتهى من عصر الرسالة ثم تحدث بصورة مختصرة عن عهد الخلفاء الراشدين وبشكل اشد اختصارا عن ايام بنى امية ولعل ذلك مايعكس وجهة نظره نحوهم وكأنه لم يعترف بالخلافة لاحد منهم سوى عمر بن عبد العزيز، ثم استعرض بصورة موجزة خلفاء بنى العباس حتى خلافة المطيع لله كل ذلك حسب تسلسل الخلفاء والسنوات .

ورغم ما اتصف به كتاب التنبيه والاشراف من ايجاز فانه قدم معلومات طيبة خدمت رغم قلتها فى استكمال البحث لبعض الجوانب وخصوصا فى استعراض علاقة ولى الامر بالجند فى الدولة الاسلامية .

الكامل فى التاريخ الذى الفه عز الدين ابو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى[2] . ولد سنة ٥٥٥ وتوفى سنة ٦٣٠هـ . وهو من

---

(١) طبع فى دار صادر بيروت، والكتاب يقع فى مجلد واحد .

(٢) عن ترجمة وافية ينظر : ابن خلكان - وفيات الاعيان (١ : ٤٣٨)، ابن كثير - البداية والنهاية (١٣ : ١٣٩)، السبكى - طبقات الشافعية (٥ : ١٢٧)، الذهبى - تذكرة الحفاظ (٤ : ١٨٥-١٨٦)، ابن العماد - شذرات الذهب (٥ : ١٣٧)، طاش كرى زاده - مفتاح =

اسرة غنية عاش بعيدا عن قصور الخلفاء ، قضى حياته للعلم والرحلات في طلبه ، كان بالموصل ورحل الى بغداد مرارا في طلب العلم كما رحل الى الشام والقدس وحلب ، ثم عاد الى الموصل وظل هناك الى ان توفى ودفن فيها .

كان عز الدين بالاضافة الى علمه الكبير في التاريخ القديم منها والمتأخر ، له باع ايضا في حفظ الحديث ومعرفته ومايتعلق به ، خبيرا بانساب العرب وايامهم ووقائعهم له مؤلفات كثيرة اهمها : كتاب الكامل في التاريخ وهو موضوع حديثنا ، كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة الجامع الكبير في علم البيان ، اللباب في تهذيب الانساب ، وكتاب الجهاد وكتاب الباهر في الدولة الاتابكية .

وكتاب الكامل في التاريخ[1] وهو من كتب التاريخ العام بدأه من بداية الزمان وحتى سنة ٦٢٨هـ اى قبل وفاته بسنتين ، وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب ولعه وحبه لمطالعة التاريخ ونظرا لوجود التواريخ المطولة بسردها للاحداث ، ولتعدد وكثر رواياتها حرص على ان يؤلف كتاب جامع شامل مختصرا اختصارا لايخل بطبيعة الخبر او الحدث ، ونظرا الى ان بعض المؤرخين ارخ لزمان معين او لمكان معين فانه قام هو بجمع شتات الاخبار وتمحيصها وترتيبها دونما تركيز على جانب معين او جهة معينة دون اهمال لبعض النواحي او الاقاليم او الخلفاء بل احدث توازنا الى حد ما في سرده

= السعادة (١ : ٢٠٦) ، اليافعي ـ مرآة الجنان (٤ : ٧٠) ، حاجي خليفة ـ كشف الظنون (ص٨٢ ، ٩ ، ١٧٩ ، ٥٧١ ، ١٣٨٠) ، البغدادي هدية العارفين (١ : ٧٠٦) ، الزركلي ـ الاعلام (٥ : ١٥٣) .

(١) الكتاب يقع في اثنى عشر مجلدا وقد اعتمد البحث على طبعة دار صادر ببيروت سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

للاحداث في المشرق او المغرب، وطريقته في سرد الاحداث على طريقة الحوليات فهو يذكر السنة ويستعرض كل ما دار فيها وما حدث، ثم يأتي في آخر السنة بسرد بعض الوقائع التاريخية المختصرة من عزل لوالي او تنصيب لآخر او وفاة علم من الاعلام ونحو ذلك وطريقته في ذلك هي طريقة ابن جرير الطبري، بل ان كتابه يعتبر بمثابة المختصر لتاريخ الطبري الى نهاية عصر الطبري والدور الذي قام به في ذلك اشبه مايكون بمثابة التمحيص للروايات التي اوردها الطبري، فينقل منها ماصح عنده ويضيف عليها مما لم يذكره الطبري في بعض الاحيان، وكان يعرض عن نقل مايراه غير موافق للعقل، ولم يعتمد ابن الاثير في كتابه الكامل على الطبري فقط وان كان قد تابعه في اخباره الى درجة كبيرة الا انه استفاد من ابن الكلبي والمبرد والبلاذري وغيرهم من المؤلفين في التقاط مالم يذكره الطبري من الاخبار في تاريخه، ومما يمتاز به ابن الاثير في كتابه الكامل هو التثبت مما ينقله من اخبار بل انه في بعض الاحيان اذا شك في بعض الروايات او لم يترجح عنده الاصح منها فانه يوردها جميعا ويترك الحكم بين الروايتين او الروايات على القارئ ولكن ذلك قليلا محدودا . كما يمتاز ابن الاثير بانه يقوم احيانا بنقد بعض المصادر وماتحتويه من روايات، وله استدلالات على الطبري والشهرستاني . كما يمتاز انه اعطى تفصيلات مهمة في تاريخ الحملات الصليبية على بلاد الشام والتي شاهد بعضا منها وعليه فهو يعتبر مرجع اساسي خاصة في تلك الفترة فهو شاهد عيان عاش هو فيها وعايش معها الاحداث في الدولة الاسلامية .

اما عن مدى استفادة الباحث من هذا المصدر فانه كان المصدر الثاني في الاهمية بعد الطبري في اطار النصوص التاريخية التي اعتمد عليها البحث في ملاحقة التطور . فكل رواية اثبتها هو عن الطبري تعطي توثيقا

اكثر لصحة الخبر وثبوته ، فكثيرا مايلاحظ القارئ لهذا البحث الاحالة الى الطبرى وابن الاثير فى مواضع شتى من البحث لخبر واحد مما يزيد فى توثيق المعلومات، وتكثر الاستفادة منه بشكل رئيسى فيما يتصل بمتابعة التطور الحاصل فى اطار المراحل التاريخية المختلفة للوضع المالى للدولة وانعكاساته على الجيش واعطيات الجند ونفقاتهم .

اما كتاب " اسد الغابة فى معرفة الصحابة "[١] لابن الاثير فيعكس سعة اطلاع المؤلف وغزارة معلوماته عن عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الاخيار ولعل سبب ذلك ماذكره عن نفسه حينما قال :"ان السنن التى عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام الى غير ذلك من امور الدين انما ثبتت بعد معرفة رجال اسانيدها ورواتها ، واولهم والمقدم عليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا جهلهم كان بغيرهم اشد جهلا ... فينبغى ان يعرفوا ... لان سيرهم هى سنن الهداية والقدوة للمسلمين"[٢] .

وقد ابتدأ فى كتابه بخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تحدث عن الصحابة مبتدئا فيهم بحروف المعجم، وقد اعتمد فيما نقله عنهم على كتب الحديث ومن سبقه ممن كتب عن الصحابة كابن مندة، وابى نعيم الاصفهانى وابن عبد البر القرطبى وابى على الغسانى وابى موسى الذى ذيل

---

(١) يقع الكتاب فى سبع مجلدات، قام بتحقيقه والتعليق عليه كلا من محمد ابراهيم البنا ، محمد احمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد ، وقد اعتمد البحث على طبعة دار الشعب.

(٢) انظر مقدمة ابن الاثير فى كتابه اسد الغابة فى معرفة الصحابة (ص ٩ - ١٠) .

على ابن مندة ، وقد استعمل طريقة فريدة من نوعها[1] فيما يتصل باسلوب التوثيق والكشف عن مصادر المعلومات ذلك،وقد استفاد البحث من كتاب اسد الغابة لابن الاثير فى المواضع الخاصة بدراسة اوضاع الجيش الاسلامى فى مراحل نشأته وتطوره المبكر فى صدر الاسلام الاول ومدى اسهام صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في احداث ذلك التطوير وعند الترجمة لبعض الصحابة الذين يرد ذكرهم فى البحث .

مؤلفات ابن كثير : هو ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي الشافعى ، ولد بدمشق سنة ٧٠٠ هـ وقيل ٧٠١هـ وتوفى ٧٧٤هـ . وكان والده خطيبا واخوه عالما فتعلم على اخيه ، ثم اخذ العلم عن علماء دمشق ومشايخها وتتلمذ على كثير من العلماء فى دمشق وبغداد ومصر، ومن بين هؤلاء كان شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية يقول عنه ابن العماد :" كانت له خصوصية بابن تيمية ومفاضلة عنه واتباع له فى كثير من آرائه ، وكان يفتى برأيه فى مسألة الطلاق وامتحن بسبب ذلك واوذى" وقال عنه ابن حجر :" اخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه" كما قرأ ايضا على الشيخ الحافظ الذهبى ، حتى انه حينما توفى تولى ابن كثير مهامه فى المشيخة .

عاش ابن كثير فى القرن الثامن الهجرى فى ظل دولة المماليك التى كانت تبسط سلطانها على مصر والشام فى فترة كانت الناحية العلمية قائمة

---

(١) ذلك انه قبل ان يترجم للصحابى يرمز الى المراجع التى استقى منها معلوماته بحروف اصطلحها لمن يأخذ منه تلك المعلومات فمثلا ابن مندة رمز له بحرف "د" وابى نعيم بحرف "ع" وابن عبد البر بحرف "ب" وابى موسى بحرف "س" وهكذا مما يلاحظ بشكل مستمر الا ما ندر مما يثبت ان للمسلمين جهودا بارزة فى طريقة الفهرسة والاحالة .

على اشدها بحكم ماكان يسود تلك الفترة من نشاط علمى تمثل فى كثرة المدارس واتساع نطاق التعليم وكثرة التأليف، فكان للحافظ ابن كثير المجال الواسع والحظ الوافر من ذلك فى كثير من ميادين العلوم والمعرفة، فقد اشتهر فى علوم الفقه والحديث والتفسير بالاضافة الى شهرته فى علم التاريخ والسير[1]. وقد خلف ابن كثير الكثير من المؤلفات فى تلك الميادين ولسنا هنا بصدد تتبع مؤلفاته، وانما دراسة ما اعتمدنا عليه من مؤلفاته فى هذا البحث، من ذلك كتابه "السيرة النبوية"[2] فهو يتألف من اربعة مجلدات رتبها ترتيبا تاريخيا فابتدأ بحالة العرب والحجاز قبل البعثة ثم بالبعثة النبوية فى العهد المكى وكل ماحصل فيه من احداث الى ان هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وماتلى ذلك من سرايا وغزوات وعهود ومواثيق حتى انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى. ومما امتازت به كتابات ابن كثير بشكل عام والسيرة النبوية بشكل خاص هو اهتمامه البالغ برواية الاسانيد تمشيا مع طريقة المحدثين، واكثر مروياته عن الامام احمد والبيهقى وابى نعيم والبخارى ومسلم. وهكذا فان

---

(١) للوصول الى معلومات اوفى فى ترجمته ينظر : ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (١١ : ١٢٣ - ١٢٤)، ابن حجر ـ الدرر الكامنة (١ : ٣٧٣ - ٣٧٤)، طاش كبرى زادة ـ مفتاح السعادة (١ : ٢٠٤ - ٢٠٥) ، الشوكانى ـ البدر الطالع (١ : ١٥٣)، ابن العماد ـ شذرات الذهب (٦ : ٢٣١ - ٢٣٢)، حاجى خليفة ـ كشف الظنون (١٠، ١٩، ٢٣٨، ٢٨٠، ٤٣٩، ٤٧١، ٥٥٠، ٥٧٣، ١٠٠٢، ١١٠٥، ١١٦٢، ١٥٢١، ١٨٤٠)، الزركلى ـ الاعلام (١ : ٣١٨)، ابن ناصر الدين ـ الرد الوافر (ص ٤٨ - ٥٠)، كحالة ـ معجم المؤلفين (٢ : ٢٨٣ - ٢٨٤)، بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ـ الملحق (٢ : ٤٨، ٤٩)، البغدادى ايضاح المكنون (٢ : ١٩٤).

(٢) قام بتحقيق كتاب السيرة النبوية لابن كثير الدكتور مصطفى عبد الواحد وطبع بدار المعرفة ببيروت سنة ١٣٩٦هـ.

ابن كثير لم يكتف بنقل ماكتبه اهل السير امثال ابن اسحاق وابن هشام وغيرهم، ولكنه جمع مارواه اهل الحديث وبذلك اكتسب مزية يتفرد بها بين من كتبوا فى السيرة، كما انه لم يهمل جانب النقد بل نقد بعض الاسانيد عندما يكون المتن غريبا كما انه يحكم على بعض الاحاديث، واحيانا يبين درجة الحديث دون ان ينقد السند، كما انه اعتمد على كتب كثير ممن سبقه ولكنه امتاز بجمع الروايات وتمحيصها واثبات ماصح عنده، كل ذلك بطريقة منتظمة فالاخبار يضعها فى موضعها والاحاديث كذلك فلا يدمج بعضها فى بعض، ومما امتازت به كتابة ابن كثير ايضا انه كان ينفر من الخرافات ويميل الى الرجوع الى السنة ويعتمد على التحقيق والتدقيق بوسيلته التى يملكها وهى نقد الاسانيد وتمحيص الاخبار ولعله فى ذلك كان متأثرا من منهج استاذه ابن تيمية، غير ان كتاباته لاتخلوا احيانا من ذكر بعض الروايات الواهية والاخبار الموضوعة والاسرائيليات ولعل عذره فى ذلك هو العصر الذى عاش فيه وكثرة رواج تلك الاشياء، غير ان ابن كثير قد اخلى تبعته باسناد كل خبر الى راويه واهتم بالتخريج والنقد .

ومهما يكن من امر فان المطالع للسيرة النبوية لابن كثير يحمد لهذا الرجل جهده الذى قام به حيث مزج اخبار السيرة واحداثها برواية الاحاديث فسن بذلك نهجا جديدا لم يسبقه احد قبله . وقد استعان البحث بالسيرة النبوية لابن كثير فى مواضع متعددة من البحث وخاصة فى كل ماله صلة بتاريخ وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك فى التمهيد فى الفصل الاول، وكذلك مايتعلق بالامور الحربية ومنهج الرسول فيها والذى يقع فى الفصل الرابع من هذه الرسالة .

ومن مؤلفات ابن كثير التى اعتمد البحث عليها هى كتابه "البداية والنهاية"(١)

---

(١) والمطبوع بدار المعارف ببيروت . الطبعة الثالثة عام ١٩٧٩م .

وهذا الكتاب مصدر تاريخي هام وموسوعة ضخمة ابتدأ فيه بذكر بدء الخليقة ولمعا من تواريخ الامم السابقة مسلسلة حسب الوقائع والاحداث حتى العصر النبوي معتمدا في ذلك في هذا القسم على القرآن الكريم والسنة النبوية ، ومن تقدم من المؤرخين كالطبري والواقدي وغيرهم من اصحاب السير اما القسم الثاني فقد ارخ فيه عن عهد الراشدين فالدولة الاموية والعباسية وماتفرع عن ذلك من قيام دويلات حتى وفاته سنة ٧٧٤هـ، اما القسم الثالث فقد تحدث فيه عن الاخرة ومظاهر قروب الساعة وعلاماتها ووعظ دينى بمخافة الله ورجاء رحمته . وطريقته في سرد التاريخ على الحوليات .

وقد عمل ابن كثير على ايراد الروايات الصحيحة فيه والتثبت من الاخبار بطريقة نقد الاسانيد والرواة ، ويعتمد في روايته للاخبار على الاسانيد بشكل رئيسي ، وكل ماذكرناه في منهجه بكتابة السيرة يمكن ذكره هنا وبالاضافة الى ذلك فان "البداية والنهاية" يعتبر تاريخ عام ينتهي بعصر المؤلف وقد تحدث عن عصره والاحداث التي كانت فيه حديث الخبير المتفهم المدرك لواقع الامة الاسلامية حيث يعتبر عمدة واساس في تأريخ ذلك العصر فهو شاهد عيان خبير ،فأحصى لاحداث عصره ، ومما يمتاز به ايضا انه جاء في فترة متأخرة كانت كتب التاريخ كلها مدونة فقد اعانه ذلك على الاحاطة بالاحاديث واجادته للروايات والاخبار ، حيث جمع كل مايمكن جمعه من مادة تاريخية ، فوضع امام القارىء كتابا في التاريخ يحتوى على مادة غزيرة تمكنه من الدراسة والاحاطة والاستفادة .

وقد استفاد البحث منه طوال الفترة التاريخية التي اختص بها خاصة فيما يتعلق بتاريخ الديوان والتطورات التي حصلت على رواتب الجند في (الفصل الاول من البحث) بالاضافة الى بعض النصوص المقتبسة منه والتي استعين بها في الفصل الرابع من الرسالة .

التمهيد

الدعوة الإسلامية في العهد المكي

الدعوةالاسلامية في العهد المكي

تمهيـــد :

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم اول مابعث بمكة المكرمة وكان اهـل مكة من قريش وغيرهم يعيشون في جاهلية جهلاء وكذلك الحال في الجزيـرة العربية فكانت بعثته انما هي تغييرا شاملا لاوضاع غير سليمة وتسير فـي خطوط منحرفة سواء في مجالات العقيدة حيث يعبدون مع الله آلهة اخـرى او يعبدونها لتقربهم الى الله ، او في المجالات الاجتماعية فالعصبية قائمة على اشدها او في المجالات التجارية فالربا متأصل في نفوسهم وبـه اساس معاملاتهم ، او في المجالات العسكرية فالحروب تقوم بينهم لاتفـه الاسباب وقد تطول لتستهلك سنينا طويلة من اعمار البشر واعداد هائلـة منهم ، والكثير من اموالهم .

ولا يهمنا في هذا البحث الاستطراد في امر الجاهلية ومـدى انحرافها في شتى شئون الحياة ومدى بعدها عن الفطرة التي فطر اللـه الناس عليها ، بقدر مايهمنا بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام وما نتج عنهـا من تغيير جذري وتصحيح لتلك الاوضاع والحياة الجاهلية ، فالرسول صلـى الله عليه وسلم حينما بعث في قومه قام بتبليغ ما امر به وكانت دعوته في بداية الامر سرية مقتصرة على من يطمع في ايمانهم ، فاتبعته فئة قليلة لا تستطيـع ان تفعل شيئا من تغيير لواقع اهل مكة ، ثم نزل الامر الالهي للرسول عليـه الصلاة والسلام بالجهرفي الدعوة " فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين "[1] وقوله

---

(١) سورة (١٥) : آية ٩٤ .

"وانذر عشيرتك الاقربين"[1] فقام الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته جهرا واخذ يدعو الى الله لكن قريش التى تعبد الاصنام وتصر على ذلك ناصبته العداء، فلم تسمع لقوله بل انهم اخذوا يساومونه على ذلك عن طريق عمه ابو طالب، فتارة يطلبون منه ان يسكت عنهم وان لا يمس اصنامهم بشيء، وتارة يطلبون من ابى طالب ان يأخذوه ويعطونه عمه بديلا عنه من فتيان قريش فيكون رجلا برجلى فيقتلونه لكن ابو طالب رفض ذلك بقوله "اتعطوننى ابنكم اغذوه لكم، واعطيكم ابنى تقتلونه . هذا والله مالا يكون ابدا"[2]. فكان ذلك بداية الصراع بين الحق والباطل .

واخذت قريش بعد ذلك تنال من المسلمين الذين هم تحت سيطرتها وتناوىء الدعوة الجديدة ومن ينتمى اليها فبالغت بالتنكيل والتعذيب والصد عن سبيل الله مستخدمة بذلك اساليب مختلفة منها السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب، وكان قصدهم من ذلك تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبى صلى الله عليه وسلم بتهم هازلة وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالجنون تارة، ويتهمونه بالسحر والكذب تارة اخرى، وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ناقمة وعواطف هائجة، ويستهزئون بمن يجلسون معه ويسمعون قوله من الضعفاء .

كما عمدوا الى تشويه تعاليمه واثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة ونشر الاكاذيب والاباطيل حول تعاليم الاسلام وحول شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، والاكثار من ذلك بحيث لا يبقى للناس مجال فى تدبر دعوته فكانوا يقولون " ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون"[3]، وكانوا

---

(١) سورة الشعراء : آية ٢١٤ .
(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٢٦٦، ٢٦٧) ،ابن سيد الناس ـ عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير (١ : ١٠٠) ،ابن كثير ـ السيرة النبوية (١ : ٤٧٥) .
(٣) سورة (٢٥) : آية ٤ .

يقولون "انما يعلمه بشر"[1] كما وصفوا القرآن الكريم بانه "اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا"[2] .

ولما ادركوا عدم جدوى ذلك باشروا بطرح مساومات حاولوا بها ان يلتقي الاسلام والجاهلية في منتصف الطريق بان يترك المشركون بعض ماهم عليه ، ويترك النبي صلى الله عليه وسلم بعض ماهو عليه "ودوا لو تدهن فيدهنون"[3] فتروى المصادر ان مجموعة من سادات قريش جاءوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فقالوا :"يامحمد هلم فلنعبد ماتعبد وتعبد مانعبد ، فنشترك نحن وانت في الامر ، فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد اخذنا بحظنا منه ، وان كان مانعبد خيرا مما تعبد كنت قد اخذت بحظك منه"[4] فانزل الله تعالى سورة الكافرون[5] في الرد عليهم وقطع دابر مساوماتهم بكل حزم ووضوح .

وهكذا فانه لم يبق امام قريش الا محاولة اغراء الرسول صلى الله عليه وسلم ظنا منهم بانه سيركن اليها ويتخلى عما يدعوا اليه فعرضوا عليه ان كان يريد ملكا بان يجعلوه عليهم ملكا ، وان كان يريد مالا ان يجمعوا له من الاموال مايشاء حتى يكون اغناهم ، ويزوجوه من اجمل النساء ، وان كان الذي به مرض التمسوا له الاطباء من اي مكان كان ليعالجوه على ان يخلي بينهم وبين آلهتهم ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى شيء من ذلك ولم يركن الى الدنيا وسؤددها بل مضى في طريقه في الدعوة الى

---

(١) سورة (١٦) : آية ١٠٣

(٢) سورة (٢٥) : آية ٥

(٣) سورة القلم : آية ٩

(٤) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٣٦٢) .

(٥) قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ... الخ السورة

الله رغم مايلاقيه هو واصحابه من الاذى الشديد ، وكان جوابه ان قال لهم : " مابي ماتقولون ، ماجئت بماجئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة ، وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " [١] .

وهكذا ظلت المفاصلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش فالحق والباطل لا يلتقيان ابدا، مما كان سببا في تعنت المشركين والمبالغة في ايذاء المسلمين الامر الذي دفع بالمسلمين ان يفروا بدينهم الى الحبشة فكانت الهجرة الاولى في سنة خمس للبعثة ثم اخذ المسلمون يتتابعون في الهجرة الى الحبشة حتى اجتمع فيها من المسلمين من غير ابنائهم الصغار ثلاثة وثمانون [٢] . وذلك بعد ان واصلت قريش اذاها للمسلمين ، ولما يئس الرسول من قريش اخذ يفكر في الدعوة خارج مكة ، فذهب الى الطائف يدعو هناك لكن لم يستجب لدعوته احد بل اغروا به سفهائهم وعبيدهم ورموه بالحجارة حتى ادموا عقبيه عليه الصلاة والسلام ورجع الى مكة .

وفي السنة الحادية عشر للبعثة قيض الله لرسوله الكريم مجموعة من اهل يثرب من الخزرج فدعاهم الى الاسلام واخبرهم بنبوته فاجابوه الى ذلك على ان يعودوا الى المدينة ويخبروا قومهم بذلك فلما كان من العام

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٢٩٥ ، ٢٩٦) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (١ : ٤٧٩) ، عبد السلام هارون ـ تهذيب سيرة ابن هشام (١ : ٦٦ ، ٦٧) .

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٣٣٠) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٢ : ٩) وانظر محمد بن عبد الوهاب ـ مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ٦١ - ٦٣) .

التالى ، وفي موسم الحج قدم اثنا عشر رجلا اثنان من الاوس وعشرة من الخزرج فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الاولى والتى تسمى ببيعة النساء .

روى البخارى في صحيحه بسنده :" ان عبادة بن الصامت - من الذين شهدوا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه ليلة العقبة - اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من اصحابه : تعالوا بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا اولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فاجره على الله ، ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فامره الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه قال : فبايعناه على ذلك"(١).

تلك هي بنود بيعة العقبة الاولى التى ما ان تمت وانتهى الموسم حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم مع المبايعين اول مندوب عنه الى يثرب وهو مصعب بن عمير رضى الله عنه(٢)، ليعلم المسلمين شرائع الاسلام ويفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ، وقام مصعب بهذه المهمة خير قيام فانتشر الاسلام في المدينة حتى انه لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ماكان من دار بني امية بن زيد وخطمة ووائل

---

(١) العسقلانى - فتح البارى (٧ : ٢١٩) ، وانظر ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٣٣) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ١٧٩) .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٣٤) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ١٨٠) ، المباركفورى - صفى الرحمن - الرحيق المختوم البحث الفائز بالجائزة الاولى لمسابقة السيرة النبوية التى نظمتها رابطة العالم الاسلامى (ص١٦٢) .

فانهم لم يسلموا الا فى عام الخندق فى السنة الخامسة للهجرة .

وقبل حلول موسم الحج التالى - سنة ثلاث عشرة للبعثة - عاد مصعب الى مكة يحمل للرسول عليه الصلاة والسلام بشائر الخير ويقص عليه خبر قبائل يثرب ومافيها من مواهب الخير، ومالها من قوة ومنعة،(١) وخرج بعض اهل المدينة يريدون الحج منهم المسلمون ومنهم المشركون ، وكان المسلمون منهم يقولون حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف،(٢) فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالات ادت الى اتفاق الطرفين على ان يجتمعوا فى اواسط ايام التشريق فى الشعب الذى عند جمرة العقبة وان يتم هذا الاجتماع فى سرية تامة فى ظلام الليل ، ولنترك احد قادة الانصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخى الهام . يقول كعب بن مالك :

"خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من اواسط ايام التشريق قال : فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر، سيد من ساداتنا ، وشريف من اشرافنا ، اخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا ، وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ، ثم دعوناه الى الاسلام ، واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايانا العقبة . قال : فاسلم وشهد معنا العقبة

---

(١) انظر ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٣٥ - ٤٣٨) ، ابن القيم زاد المعاد (٢ : ١٣٣) ، المباركفورى - الرحيق المختوم (ص ١٦٤) .

(٢) ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ١٣٣) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ١٩٥) .

وكان نقيبا . قال : فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب ، ام عمارة واسماء بنت عمرو بن عدى .. قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له .."[1] ثم تحدث العباس اليهم مخبرا ان محمدا لا زال محمي من قومه من قبل العباس وغيره فان كنتم قادرون على حمايته ومانعوه ممن خالفه فانتم وماتحملتم من ذلك فاجابوه بالقبول ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم عن شروط البيعة التي يبايعون عليها فبايعوه على ذلك ، وكان عليهم اثنى عشر نقيبا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للنقباء :"انتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، قالوا : نعم".[2]

اما عن بنود البيعة فانها تتلخص بالنقاط التالية ، كما اوردها الامام احمد رحمه الله في رواية جابر :" قلنا : يارسول الله على مانبايعك ؟ قال على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى ان تقولوا في الله ، لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني اذا قدمت اليكم ، وتمنعوني مما تمنعون

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٤٤٠ ، ٤٤١) ، وانظر العسقلاني فتح الباري ـ الشرح (٧ : ٢٢١ ، ٢٢٢) ، ابن القيم ـ زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ : ١٣٣ ، ١٣٤) ، ابن سيد الناس ـ عيون الاثر (١ : ١٦٢ ، ١٦٣) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٢ : ١٩٤) ، محمد بن عبد الوهاب ـ مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص٨٨ ، ٨٩)

(٢) العسقلاني ـ فتح الباري ـ الشرح (٧ : ٢٢١) ، وانظر ابن كثير السيرة النبوية (٢ : ١٩٨) .

منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة"[١] وزاد ابن هشام بندا آخروهو : "ان لا ننازع الامر اهله"[٢].

وتذكر بعض الروايات بانه بينما هم يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم "قام ابو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله، ان بيننا وبين الرجال حبالا، وانا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم، انا منكم وانتم مني، احارب من حاربتم واسالم من سالمتم"[٣].

وتعد هذه البيعة ايذانا بقيام الحرب بين الحق والباطل حتى ان بعض الانصار ابدى استعدادا فوريا لذلك حيث قال احدهم :" والله الذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على اهل منى غدا باسيافنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكم"[٤].

وهكذا فان دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام في العهد المكي جاءت على مراحل ثلاث كانت اولها : الدعوة الى الله سرا، ثم الدعوة جهرا بين مكة واهلها، ثم الدعوة خارج مكة، والتي كان لها اثر كبير

---

(١) الامام احمد - المسند (٥ : ٣١٦) ، العسقلاني - فتح الباري/الشرح (٧ : ٢٢٢، ٢٢٣) ، وانظر ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٥٤) ، ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ١٣٣) ، ابن كثير السيرة النبوية (٢ : ١٩٥) ، السهيلي - الروض الانف (٤ : ١٣٥) .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٥٤) ، السهيلي - الروض الانف (٤ : ١٣٥) .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٤٢) ، ابن سيد الناس - عيون الاثر (١ : ١٦٤) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ١٩٨) ، محمد بن عبد الوهاب - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ٨٩) .

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٤٤٨) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ٢٠٤) .

ومؤشر اكيد على انتصار المسلمين وقيام دولة الاسلام، حيث ان الرسول عليه الصلاة والسلام وقد تيقن من توفر المأمن المناسب للمسلمين خارج مكة وان هناك من يحمس المسلمين ويناصرهم، وحيث ان هناك من المسلمين من يلاقي اشد العذاب من كفار قريش بل يصل الامر الى حد القتل او التهديد به فقد اذن للمسلمين بالهجرة الى المدينة، وهنا وجد مسلموا مكة متنفسا يأوون اليه، واخذوا في الهجرة الى المدينة فكان اول من هاجر ابو سلمة ابن عبد الاسد وامرأته ام سلمة ولكنها احتبست دونه ومنعت من اللحاق به سنة . ثم خرج الناس ارسالا يتبع بعضهم بعضا، ولم يبق بمكة من المسلمين الا رسول الله وابو بكر وعلي - اقاما بامره لهما - والا من احتبسه المشركون كرها[1]، كان ذلك كله بعد شهرين وبضعة ايام من بيعة العقبة[2] روى البخاري في صحيحه من حديث طويل لعائشة رضي الله عنها قالت : "... قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر : وهل ترجوا ذلك بابي انت ؟ قال : نعم . فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر"[3] .

---

(١) ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ١٣٦) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ٢١٥) ، محمد بن عبد الوهاب - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ٩٦) ، المباركفوري - الرحيق المختوم (ص ١٧٥) .

(٢) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٧ : ٢٢٧) ، المباركفوري - الرحيق المختوم (ص ١٧٥) .

(٣) البخاري - ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه المولود عام ١٩٤ هـ والمتوفى عام ٢٥٦ هـ - صحيح البخاري طبعة المكتبة الاسلامية في استنبول - تركيا (٤ : ٢٥٥) ، ابن سعد الطبقات الكبرى (١ : ١٥٦) .

وحينما رأى المشركون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا وخرجوا وحطوا وساقوا الذرارى والاطفال والاموال الى المدينة وعرفوا ان الدار دار منعة، وان القوم اهل حلقة وشوكة وبأس خافوا ان يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ويلحق بهم فيشتد عليهم امره، وشعروا بتفاقم الخطر الذى كان يهدد كيانهم، فصاروا يبحثون عن انجع الوسائل لدفع الخطر الذى مبعثه الوحيد حامل لواء دعوة الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى يوم ٢٦ صفر من السنة الرابعة عشرة بعد البعثة اتفق زعماء قريش على عقد اجتماع مهم مع زعماء القبائل فى مكة ليتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء السريع على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حيث تم الاتفاق على قتله وتوزيع دمه على القبائل . وهكذا فقد اذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة حيث خرج من مكة متحملا جميع الصعاب والمشاق والمخاطر فى سبيل اظهار دين الله واعلاء كلمته، ولسنا هنا بصدد تتبع احداث الهجرة وماحصل فيها من المعجزات الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقدر مايعنينا ماتعنيه تلك الهجرة من بداية لانتشار الاسلام واقامة دولته مما اتاح فرصة تطبيق تعاليمه بكل حرية ونشاط بعيدا عن اية مضايقات او تهديدات .

وكان اول ماقام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وصوله المدينة هو بناء المسجد لما يمثله ذلك من اهمية فى نفوس المسلمين وكمركز عام للدولة الناشئة تنطلق منه الحلول المناسبة، فالهجرة اذن لم يقتصر معناها على التخلص من الفتنة والعذاب فقط بل كانت الهجرة ايذانا باقامة مجتمع جديد فى بلد آمن . ولذلك اصبح فرضا على كل مسلم قادر ان يسهم فى بناء هذا الوطن الجديد وان يبذل جهده فى تحصينه ورفعة شأنه

ولعل ماسنتطرق اليه فى فترة العهد المدنى اكبر دليل على ان الصحابة رضوان الله عليهم من مهاجرين وانصار قاموا بذلك خير قيام ولسنا فى هذا البحث بصدد دراسة او استقصاء غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام والمعانى المستفادة منها ولكن مايعنينا هنا ادراك ابعاد التنظيمات التى استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة مما كان لها الاثر الكبير والسريع فى قيام دولة الاسلام وتطورها .

وتشير المصادر المعتمدة الى :" ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار ،آخى بينهم على الحق والمساواة ، ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الارحام وكانوا تسعين رجلا خمسة واربعون من المهاجرين ، وخمسة واربعون من الانصار ويقال كانوا مائة خمسون من المهاجرين ، وخمسون من الانصار وكان ذلك قبل بدر . فلما كانت وقعة بدر وانزل الله تعالى :"واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله"[1] فنسخت هذه الاية ماكان قبلها وانقطعت المؤاخاة فى الميراث"[2] .

اما عن طبيعة تلك المؤاخاة فان من المناسب ان نذكر نموذجا لتلك الاخوة . فيروى البخارى بسنده قال :" لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن الربيع قال لعبد الرحمن انى اكثر الانصار مالا فاقسم مالى نصفين ولى امرأتان فانظر اعجبهما اليك فسمها لى اطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها قال

---

(١) سورة (٨) : آية ٧٥

(٢) ابن سعد - الطبقات (١ - القسم الثانى ص١) ، ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ١٢٦) ، ابن سيد الناس - عيون الاثر (١ : ٢٠٠) ، محمد ابن عبد الوهاب - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص١٠٢) .

بارك الله لك في اهلك ومالك ... الحديث"[١] .

ان هذه البادرة القوية من الصحابة رضوان الله عليهم فيما بينهم كانت تعكس عمق روابط المحبة والاخاء والمساواة وهي مظهر من مظاهر عدالة الاسلام ، ففي مثل هذا الاخاء تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية الا للاسلام وتسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم احد او يتأخر الا بمروءته وتقواه ... وكانت عواطف الايثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الاخوة وتملأ المجتمع الجديد باروع الامثال[٢] .

حتى اننا نجد بعض الصحابة رضوان الله عليهم بقي محافظا على تلك الاخوة التي عقدها له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صدر الاسلام فتروي كتب السيرة انه : " ... لما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام كان بلال قد خرج الى الشام فاقام بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : الى من تجعل ديوانك يابلال ؟ قال : مع ابي رويحة ، لا افارقه ابدا للاخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني ، فضُم اليه ، وضُم ديوان الحبشة الى خثعم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم الى هذا اليوم بالشام"[٣] .

---

(١) البخاري ـ صحيح البخاري (٤ : ٢٢٢) .

(٢) السباعي ـ د . مصطفى السباعي ـ السيرة النبوية دروس وعبر ، دار الكتب العربية ـ الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ (ص ٩٢) ، الغزالي الشيخ محمد ـ فقه السيرة ـ دار الكتاب العربي بمصر ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ (ص ١٤٠ ، ١٤١) .

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٥٠٧) ، ابن سيد الناس ـ عيون الاثر (١ : ٢٠٢) .

الفصل الأول

نشأة ديوان الجند في الدولة الإسلامية

الفصل الاول

نشأة ديوان الجند وتطوره

(١) اصول التنظيم للدولة الاسلامية

ان الحاجة الى ايجاد تنظيم يكفل للمهاجرين معيشة كريمة في دار الهجرة قد كانت بتشريع نظام المؤاخاة الذى وقع فى السنة الاولى من الهجرة[(١)]. وتتفق المصادر على ان المؤاخاة جرت بالمدينة بين المهاجرين والانصار، ولكن ابن سعد يذكر ان ثمة مؤاخاة بين المهاجرين انفسهم وقعت فى المدينة الى جانب المؤاخاة بينهم وبين الانصار[(٢)]، وقد ترتب على تشريع نظام المؤاخاة حقوق خاصة لم يقدر لها ان تستمر كثيرا فقد ابطل التوارث بين المتآخين بنص القرآن الكريم[(٣)].

وقد ذكر ابن عباس مايفيد بان ما الغى من نظام المؤاخاة هو التوارث

---

(١) حصل اختلاف بين المصادر فى تاريخ تطبيق المؤاخاة فيحدد ابن عبد البر تاريخ ذلك بعد الهجرة بخمسة اشهر، انظر الدرر (ص٩٦) اما ابن سعد فقد ذكر ان المؤاخاة حصلت بعد الهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى، دون تحديد دقيق لتاريخها . انظر الطبقات (٢ : ٩) ، وانظر ابن سيد الناس - عيون الاثر (١ : ٢٠٠) ، ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ٧٩) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ٣٢٤)

(٢) ابن سعد - الطبقات (١ : ق٢ : ٩) . ولم يذكر اية تفصيلات توضح هدف المؤاخاة فى هذه ومن الجدير بالاشارة ان بعض المصادر كانت قد اشارت الى مؤاخاة حصلت فى مكة بين عدد من المسلمين آخى بينهم الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة على الحق والمواساة عن ذلك انظر البلاذرى - انساب الاشراف (١ : ٢٧٠) ، ابن عبد البر الدرر (ص١٠٠) ، ابن سيد الناس - عيون الاثر (١ : ١٩٩) ، ابن حجر - فتح البارى (٧ : ٢٧١) .

(٣) سورة الانفال : آية ٧٥. وانظر تفسير ذلك فى الشوكانى - فتح القدير (٢ : ٣٣٠ - ٣٣١) .

اما "النصر والرفاده والنصيحة" فقد بقيت على حالها[١]. والراجح ان النبى صلى الله عليه وسلم قد استمر يؤاخى بين اصحابه مؤاخاة مواساة وتعاون وتناصح دون ان يترتب على ذلك حق التوارث بين المتآخين[٢].

ولقد جعل الاسلام رابطة العقيدة الاساس الاول فى ارتباط الناس وتآلفهم وان اقر ببعض الاواصر الاخرى اذا انضوت تحت هذا الاصل وهكذا فقد بين القرآن الكريم "انما المؤمنون اخوة"[٣]، وقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين[٤]، كما وضع الاسلام مصالح المسلمين وعلاقاتهم الدنيوية كلها فى كفة ووضع حب الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله فى كفة اخرى كما حذر المؤمنين وتوعدهم ان هم غلبوا مصالحهم وعلاقاتهم الاجتماعية على مصلحة العقيدة[٥].

وخلاصة القول فان المجتمع المدنى الذى اقامه الاسلام كان مجتمعا عقديا لا يعرف الموالاة الا لله ولرسوله وللمؤمنين وهذا يعكس وحدة العقيدة والفكر[٦].

---

(١) البخارى - الصحيح (٣ : ١١٩)، (٦ : ٥٥، ٥٦)، (٨ : ١٩٠، ١٩١).
(٢) م. س. ن (٥ : ٨٣).
(٣) سورة الحجرات : آية ١٠.
(٤) انظر سورة التوبة آية ٢٣
(٥) انظر سورة التوبة آية ٢٤
(٦) اكرم العمرى - المجتمع المدنى فى عهد النبوة (ص ٨٤).

وثيقة الرسول صلى الله عليه وسلم لتنظيم المدينة :

اوردت المصادر التاريخية[١] ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نظم العلاقات بين سكان المدينة وكتب في ذلك كتابا - وربما سمي صحيفة- تضمن توضيحا للالتزامات التي تترتب على جميع الاطراف داخل المدينة ويحدد الحقوق والواجبات المتعلقة بكل الاطراف ، وقد اعتمد الباحثون المعاصرون على هذه الوثيقة كأساس في دراسة تنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة[٢] وان كان البعض منهم قد شكك في صحتها[٣] .

ان نصوص الوثيقة وردت في كتب الاحاديث باسانيد متصلة وبعضها اوردها الامام البخاري ومسلم في الصحيحين وعليه فانها من الاحاديث

---

(١) ان اقدم نص للوثيقة هو ما اورده محمد بن اسحق (ت ١٥١ هـ) انظر ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٥٠١- ٥٠٤) ، وقد صرح بنقلها عنه كل من ابن سيد الناس في عيون الاثر (١ : ١٩٧، ١٩٨) ، وابن كثير - البداية والنهاية (٣ : ٢٢٤، ٢٢٦) ، كما وردت في كتاب السنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٠٦) . واوردها كذلك ابن سلام في كتاب الاموال عن طريق الزهري رقم (٥١٧) ، كما وردت في كتاب الاموال لابن زنجويه بتحقيق د. شاكر فياض رقم (٧٥٠) .

(٢) انظر محمد حميد الله الحيدر آبادي - مجموعة الوثائق السياسية (ص ٣٩ ، ٤١) وقد كانت الوثيقة مجالا خصبا للتحليل والتعليق في عدد كبير من الكتب والابحاث منها كتاب النظم الاسلامية لـ د. عبد العزيز الدوري وكتاب المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الاولى لـ د. اكرم العمري ، كما الف الدكتور هاشم الملاح كتابه حكومة الرسول في المدينة معتمدا على تحقيق وتحليل هذه الوثيقة في بحث قدمه الى جامعة سانت اندرسن في المملكة المتحدة حصل به على درجة الدكتوراه ، وهناك عدد كبير من المقالات التي كتبت عن الوثيقة نشير منها الى مقالة الاستاذ د. صالح احمد العلي تنظيمات الرسول الادارية في المدينة .

(٣) انظر ولهازون بترجمة يوسف العش - الدولة العربية وسقوطها (ص ٢٠) وانظر حاشية رقم (٩) .

الصحيحة مما احتج به الفقهاء وبنوا عليه احكامهم، كما ان بعضها ورد في مسند الامام احمد وسنن ابى داود والترمذى، وهذه النصوص من طرق مستقلة عن الطرق التى وردت منها الوثيقة بشكلها الكامل، وقد ذهب الدكتور اكرم ضياء العمرى الى القول بانه "اذا كانت الوثيقة بمجموعها لاتصلح للاحتجاج بها في الاحكام الشرعية سوى ماورد منها في كتب الحديث الصحيح فانها تصلح اساسا للدراسات التاريخية درجة الصحة التى تقتضيها الاحكام الشرعية، خاصة وان الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في اكسابها القوة، كما وان الزهرى علم كبير من الرواد الاوائل في كتابة السيرة النبوية . ثم ان اهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادعة النبى صلى الله عليه وسلم وكتابته بينه وبينهم كتابا، كما ذكرت كتابته كتاب بين المهاجرين والانصار ايضا"(١) .

اما اسلوب الوثيقة فالملاحظ في نصوصها انها مؤلفة من جمل قصيرة بسيطة غير معقدة التركيب ويكثر فيها التكرار المعين على التوضيح وهو ماتقتضيه العقود وترد في ثناياها كلمات وتعابير ومصطلحات شائعة ومألوفة في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام قل استعمالها فيما بعد حتى اعجمت على غير المتخصصين في دراسة عصر صدر الاسلام ، وهذا يشير الى اصالتها . وليس في الوثيقة نصوص تمدح او تقدح مما يدفع احتمال الوضع كما ان التشابه الكبير بين اسلوبها واساليب كتب النبى صلى الله عليه وسلم الاخرى يدعم من اصالتها ويزيد من توثيقها، ويرجح الدكتور اكرم العمرى ان الوثيقة في الاصل وثيقتان احداهما موادعة الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) اكرم العمرى - المجتمع المدني في عهد النبوة (ص١١١) ، وانظر البلاذرى - انساب الاشراف (١ : ٢٨٦) ، ٣٠٨ ، الطبرى - تاريخ الرسل (٢ : ٤٧٩) ، المقدسى - كتاب البدء والتاريخ (٤ : ١٧٩) .

لليهود والثانية التزامات المسلمين وحقوقهم وواجباتهم كما يرجح ان الاولى كتبت قبل موقعة بدر الكبرى وان الثانية قد كتبت بعد ذلك (١) .

اما نص تلك الوثيقة التي كانت بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين واليهود ، فيجدر بنا هنا ان نشير الى اهم بنودها التي من ضمنها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس ، المهاجر من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وكل قبيلة من الانصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وان المؤمنين لا يتركون مفرجا بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وان لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة ظلم او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم ، وان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم . . وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . . . . . وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وانه من

---

(١) اكرم العمري - المجتمع المدني - خصائصه وتنظيماته الاولى - (ص١١٢) .

اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، الا ان يرضى ولى المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه . . . وانه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يأويه ، وانه من نصره او آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم . وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم واثم ، فانه لا يوقع الا نفسه واهل بيته ، وكذلك لغير بني عوف من اليهود . . . وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه لا ينحجز على ثار جرح . . . وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها ، وانه ماكان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الامن حارب فى الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم . . . وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم او آثم . . . وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم او اثم ، وان الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم [(1)] .

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٥٠١ ـ ٥٠٤) ؛ ابن سيد الناس =

وليس المقصود من ايراد هذه النقولات من الوثيقة تقويمها أو تقديم دراسة تحليلية عن بنودها ، ولكن الذى يعنينا هنا هو التعرف من خلالها على الاصول الاولى للتنظيم العسكرى فى الدولة الاسلامية ، وهنا يمكن ان نقول ان الوثيقة تضمنت تعاقدا بين مجموعة اطراف ورد ذكرهم فيها غير ان الوثيقة ابرزت مفهوم الامة بشكل واضح ومتميز .

وقد اشارت الوثيقة كذلك الى القيادة ومسئوليتها فى حل المشاكل وفى التوجيه العام ، اضافة الى تعرض الوثيقة لمواضيع لها اتصال مباشر بقضايا الامن والدفاع كتحريم المدينة وموضوع الديات ، والاستفادة من الكيانات العشائرية واقرار احكام الديات السائدة ، والمسئولية المشتركة فى نفقات الدفاع ، وتوضيح منطلقات وابعاد التحالفات المعقودة بين المسلمين وبين مختلف الاطراف ، كما تضمنت منع اجارة قريش ونصرها بالاضافة الى ماتضمنته من منع اليهود من القيام باى نشاط عسكرى فى حروب القبائل خارج المدينة مما له اثر فى امن المدينة واقتصادها . كما ان الوثيقة شملت حلفاء المسلمين وحلفاء اليهود اذ شرطت على كل طرف مصالحة حلفاء الطرف الاخر باستثناء من حارب فى الدين .

ومما له علاقة غير مباشرة بالتنظيم العسكرى هو مسألة مراعاة الامن الداخلى فى المدينة حيث نصت الوثيقة على القود ، والعفو ، ومنع مناصرة المحدثين او ايوائهم ، كما ركزت على المسئولية التضامنية بين المؤمنين فى تحمل الديون والعناية بصلة الولاء ، ومايترتب عليها من عون ومساعدة ، كما

= عيون الاثر (١ : ١٩٧ - ١٩٨) ، البيهقى - السنن الكبرى (٨ : ١٠٦) ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ٣٢٠ - ٣٢٣) ، المباركفورى - الرحيق المختوم (ص ٢٠٨ - ٢١٤) ، اكرم العمرى - المجتمع المدنى فى عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الاولى (ص ١١٩ - ١٢٢) .

ابرزت الوثيقة استعلاء المؤمنين على الكافرين "لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن" كما قررت ان سلم المؤمنين واحدة .

وهكذا فان مسئولية اعلان الحرب والسلم لا يقرره الافراد بل القيادة متمثلة بالنبى صلى الله عليه وسلم فاذا اعلن الحرب فان سائر المؤمنين يصبحون فى حالة حرب مع الخصم ولا يمكن لاى منهم مهادنته لانه مرتبط بالسياسة العامة للمؤمنين ، اما اعباء الحرب فيتحملها الجميع ذلك ان الجهاد فرض على جميع المؤمنين وهم يتناوبون الخروج فى السرايا والغزوات ، كما اقرت الوثيقة مبدأ الجوار الذى كان معروفا قبل الاسلام وجعلته من حق كل مسلم ، وان لا يخفر جواره غير انها حصرت الموالاة بين المؤمنين .

وتكرر الوثيقة فكرة اساسية ذات مغزى مهم جدا فى الناحية العسكرية تتمثل فى التأكيد على مركزية القيادة وان النبى صلى الله عليه وسلم هو المرجع الوحيد فى كل مايقع فى المدينة .

وهكذا نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم ارسى دعائم الاخوة واقوى الروابط بين المسلمين الذين هم الصفوة التى اختارها الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وحدد لهم معنى تلك الاخوة ليكونوا اهلا لقيادة الدولة الناشئة التى تقوم على الحق والعدل وتنشره بين جميع الناس ، مما كان له ابعد الاثر فى ترابط المسلمين فيما بينهم وتكاتفهم على من سواهم وبذلك اوجد الرسول عليه الصلاة والسلام امة متحدة مترابطة تجمعها رابطة العقيدة وتوحد اهدافها اعلاء كلمة الله لتكون هى العليا المهيمنة على الكون والحياة .

ان ابرام الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك المعاهدة لها اهميتها الكبيرة وخاصة من الناحية الامنية ، حيث صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية آمنة من داخلها ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للرسول

صلى الله عليه وسلم والهيمنة للمسلمين الذين قوى نفوذهم وتكاثر عددهم فكان هذا ايذانا بتصموم الرسول صلى الله عليه وسلم على المضى قدما فى سياسة التعرض لقريش والتى تمثلت فى بداية الامر بسرايا من المهاجرين يرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف تحقيق جملة امور ابرزها :

اولا : تهديد طريق تجارة قريش المتواصلة بين الحجاز والشام وهى تهديد خطير لمركز مكة التجارى .

وثانيا : لقد كان الهدف من وراء عقد المحالفات المذكورة ضمان امرين رئيسيين فى حياة التنظيم الجديد ، اولهما : تحقيق الامن الداخلى للمدينة وهيمنة المسلمين عليها وخضوعها لاحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وثانيهما : ضمان مواقف الحلفاء فى اسناد قوات المسلمين ضد اعدائهم والمشاركة فى تحمل اعباء نفقات الدفاع عن المدينة ، او على الاقل ضمان حيادهم اثناء الصراع المسلح المتوقع ضد قريش، ثم ان هذه القبائل لها مصالح وثيقة مع قريش سادنة البيت الحرام حيث يحج العرب جميعا الى مكة [illegible] ، هذا فضلا عن وحدة المعتقد الجاهلى ، فلاشك اذا فى ان تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من موادعة هذه القبائل وتحييدها خلال الصراع يعتبر نجاحا كبيرا للدولة الناشئة فى تلك المرحلة المبكرة .

وثالثا : ابراز قوة المسلمين فى المدينة وتنظيم مجتمعها الذى لم يكن قاصرا على المسلمين والمؤمنين وانما شمل جميع اطراف التعاقد من اليهود وبقايا المشركين من ابناء القبائل القاطنة فى المدينة او المحيطة بها والتى اصبح المسلمون يؤثرون فى مصالحها وعلاقاتها (١) .

---

(١) انظر ابن تيمية ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد طبعة دار الفكر بيروت (ص٩٩) ، د . اكرم العمرى ـ المجتمع المدنى فى عهد النبوة (ص٢٧) ، المباركفورى ـ الرحيق المختوم (ص ٢١٨) .

وهكذا فان الجماعة المسلمة لم تكتف بفرض هيمنتها ونظمها على يثرب التي اصبحت تعرف باسم المدينة ، وانما ارادوا ضمان نجاح هذا التنظيم واستقراره وامنه وذلك ببسط النفوذ خارج حدود حرم المدينة الذى اشار اليه كتاب التنظيم ، وتنظيم علاقاتهم بالقبائل الاخرى التي لم يشملها التنظيم .

الجهاد وتشريعه .

لم يكن المسلمون قد كلفوا بقتال المشركين منذ بدء الدعوة ، ولم يشرع الجهاد دفعة واحدة ولكنه مر بمراحل ادخلت فى الاعتبار طبيعة الظروف التى احاطت بالمسلمين ، ومدى استعدادهم وطاقتهم وامكانياتهم ونظرا لاهمية هذه المسألة فى فهم اصول التنظيم العسكرى للامة ومالذلك من اثر فى توجهات هذا البحث ، فان من المناسب التعرف على ذلك بشكل موجز .

المرحلة الاولى :

مرحلة الكف عن المشركين والاعراض عنهم والصبر على اذاهم مع الاستمرار فى دعوتهم الى دين الله . روى ابن عباس رضى الله عنهما "ان عبد الرحمن ابن عوف واصحابا له اتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يارسول الله انا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اذلة . فقال : انى امرت بالعفو فلا تقاتلوا"[1] .

---

(١) النسائى ـ السنن بشرح الحافظ السيوطي ط/دار الفكر لعام ١٣٤٨ (٦ : ٣) ، البيهقى ـ السنن الكبرى ط/دار الفكر (٩ : ١١) .

كما ان بعض الانصار استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيعة العقبة الثانية في "ان يميلوا على اهل منى باسيافهم فيقتلوهم فقال : انى لم اومر بهذا"[١].

وقد استمرت هذه المرحلة طيلة العهد المكي فيذكر القرطبي بانه "لم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال مدة اقامته بمكة"[٢].

المرحلة الثانية :

الاذن بالقتال من غير فرض، ومن ادلة ذلك قول الله تعالى "اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير.."[٣] فكان الاذن هنا دفاعا عن النفس بلا امر بالقتال فهناك من يرى بان هذه الاية نزلت في مكة وهناك من قال بانها نزلت بالمدينة وهو مارجحه كثير من العلماء منهم ابن القيم حيث دلل على ذلك باستشهادات متعددة[٤].

المرحلة الثالثة :

فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط. ومن ادلة ذلك قول الله تعالى :"وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين"[٥]. ويدل على ذلك ايضا ماعمله الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) احمد بن حنبل ـ المسند ط/المكتب الاسلامي ودار صادر ـ بيروت (٣ : ٤٦٢) ، وانظر ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٤٤٨) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٢ : ٢٠٤) .

(٢) القرطبي ـ التفسير (٣ : ٣٨) .

(٣) سورة الحج : آية ٣٩ .

(٤) انظر ابن القيم ـ زاد المعاد (٢ : ١٥١ ، ١٥٢) ، ويقول ابن حجر العسقلاني "اول ماشرع الجهاد بعد الهجرة النبوية الى المدينة اتفاقا" فتح الباري (٦ : ٣٧) ، وانظر ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ (٣ : ٢٢٥) .

(٥) سورة البقرة : آية ١٩٠

في المدينة من عدم محاربته لاعداء المسلمين هناك من المشركين واليهود حيث انهم كانوا مسالمين تجاه المسلمين حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم ربط معهم بالعهود والمواثيق وقد مر ذلك آنفا[1] .

المرحلة الرابعة :

قتال الكفار جميعا على اختلاف اديانهم واجناسهم ابتداء وان لم يبدأوا بقتال حتى يسلموا او يدفعوا الجزية ، وهذه المرحلة بدأت بتاريخ حددته المصادر بانه بعد انقضاء اربعة اشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة ، ومن بعد انقضاء العهود المؤقتة ، وقد توفى الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل سار على هذه المرحلة الاخيرة . وعليها استقر الحكم في الجهاد في سبيل الله ومن ادلة هذه المرحلة قول الله تعالى :"فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم"[2] ، وقوله تعالى :"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"[3] ، وقوله تعالى :" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[4] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

---

(١) انظر المبحث السابق لهذا المبحث وانظر ايضا ابن تيمية ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مطابع المجد التجارية (١ : ٧٣) ، وكذلك الصارم المسلول (ص ٩٩) .

(٢) سورة التوبة : آية ٥

(٣) سورة الانفال : آية ٣٩

(٤) سورة التوبة : آية ٢٩

فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله"[١].

وهكذا وبعد ان اذن الله تعالى للمسلمين بالقتال وحثهم عليه استعدوا بكامل قدرتهم على مجاهدة المشركين واعداء الدين كل بحسبه حسب مراحل القتال التي سبق ذكرها ، وكانت دوافع المسلمين في هذا هي تجاوبا مع نداء الله والتزاما بامره لهم .

وقد بين الله تعالى في محكم الكتاب العزيز مكانة المجاهدين وفضلهم وما اعده لهم من النعيم المقيم والمنزلة العالية ، ومن ذلك قول الله تعالى :"ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون"[٢] ، وقوله تعالى :"ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم"[٣] . وقوله تعالى :"فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما"[٤] ، وقوله تعالى :"لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما"[٥] وقوله تعالى :"اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في

---

(١) البخاري ـ الصحيح (٤ : ٥ ، ٦) ، الامام مسلم ـ ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، الصحيح بشرح النووي ، المطبعة المصرية (١ : ٢١٠) وقد ورد الحديث بعدة روايات انظرها من (١ : ٢١٠ ـ ٢١٢) ، النسائي ـ السنن (٦ : ٤ ، ٥) .

(٢) سورة البقرة : آية ١٥٤

(٣) سورة البقرة : آية ٢١٨

(٤) سورة النساء : آية ٧٤

(٥) سورة النساء : آية ٩٥ ، ٩٦

سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم"[١] . وقوله تعالى "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون"[٢]. وقوله تعالى :" ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم"[٣]. وقال تعالى :"يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين"[٥] .

هذه بعض الايات الدالة على فضل الجهاد والمجاهدين وغيرها كثير فى القرآن الكريم . واما احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الميدان فكثيرة جدا وقد صنف كتاب الاحاديث النبوية منها كتابا خاصا

---

(١) سورة التوبة : آية ١٩ - ٢٢
(٢) سورة التوبة : آية ٤١
(٣) سورة التوبة : آية ١١١
(٤) سورة الفتح : آية ٢٩
(٥) سورة الصف : آية ١٠ - ١٣

سموه كتاب الجهاد يندرج تحته ابواب كثيرة تتعلق فى الجهاد والمجاهدين يطول باستقصائها البحث ويخرج بنا عن اطاره، وانما يجمل بنا ان نورد البعض منها للتمثيل . فمن ذلك مارواه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :"قيل يارسول الله اى الناس افضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله . . . الحديث"(١) .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المجاهد فى سبيل الله - والله اعلم بمن يجاهد فى سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بان يتوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه سالما مع اجر او غنيمة"(٢) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض . . . الحديث"(٣) .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :"لغدوة فى سبيل الله او روحه خير من الدنيا ومافيها"(٤) .

---

(١) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠١) ، وانظر مسلم - الصحيح (١٣ : ٣٣ ، ٣٤) ، النسائى - السنن (٦ : ١١) .

(٢) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠١) ، وانظر النسائى - السنن (٦ : ١٧) .

(٣) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠٢) ، مسلم - الصحيح بشرح النووى (١٣ : ٢٨) .

(٤) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠٣) ، مسلم - الصحيح بشرح النووى (١٣ : ٢٧) ، النسائى - السنن (٦ : ١٥) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال :"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لاتطيب انفسهم بان يتخلفوا عني ولااجد ما احملهم عليه ماتخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذى نفسى بيده لوددت انى اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل"[(١)].

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "والذى نفسى بيده لايكلم احد في سبيل الله، والله اعلم بمن يكلم في سبيله - الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك"[(٢)].

وعن ابى عيسى عبدالرحمن بن جبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار"[(٣)].

وبجانب ذلك هناك آيات واحاديث كثيرة تحذر من ترك الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمة الحق او التخلف عن ذلك، او الفرار يوم الزحف مثل قوله تعالى :"فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء ماكانوا يكسبون"[(٤)].

---

(١) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠٣) ، مسلم - الصحيح (١٣ : ٢٠) ، النسائى - السنن (٦ : ٣٢، ٣٣) .

(٢) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠٤) ، مسلم - الصحيح (١٣ : ٢٠) ، النسائى - السنن (٦ : ٢٨، ٢٩) .

(٣) البخارى - صحيحه (٣ : ٢٠٧) ، وانظر النسائى - السنن مع اختلاف فى اللفظ والسند (٦ : ١٤) .

(٤) سورة التوبة : آية ٨١، ٨٢

وقال تعالى :"الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير"[١].

وقال تعالى :"ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم"[٢].

واما الاحاديث فكثيرة نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ماروراه ابو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق"[٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم :"اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يارسول الله وماهن قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[٤] فذكر من السبع الموبقات " التولي يوم الزحف".

الرسول القائد يربي اصحابه .

وتتحدث المصادر المعتمدة عن نماذج فريدة من المسلمين الاولين في الاندفاع نحو الاستشهاد في سبيل الله وسنتحدث عن شيء من ذلك في الفصل الرابع من هذه الرسالة، غير ان الذي يمكن قوله هنا هو ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوبا مع اوامر الله واومر رسوله صلى الله عليه وسلم انطلقوا للجهاد في سبيل الله واندفعوا لتحقيق ذلك بكل

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٩

(٢) سورة الانفال من آية:١٦

(٣) مسلم - صحيح (١٣ : ٥٦) ، النسائي - السنن (٦ : ٨) ، ابو داود السنن (١ : ٣٩٢) .

(٤) البخاري - صحيحه (٣ : ١٩٥) .

جهدهم وطاقاتهم، فكانوا يتسابقون الى الجهاد صغارا وكبارا هدفهم الوحيد هو اعلاء كلمة الله وتوحيده، وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته تربية سليمة نقية من الشوائب، رباهم على حب الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله، وكانت بيعة العقبة الثانية بينه وبين الانصار تسمى بيعة الحرب، فالجهاد اصبح يمثل فريضة من ابرز الفرائض الاسلامية وهو يوضح الهدف الكبير الذى يسعى المسلمون الى تحقيقه وهو حرية اعتناق الناس للاسلام فى سائر ارجاء الارض وتكوين القوة العسكرية والسياسية اللازمة لدعم هذه الحرية وحماية المسلمين الجدد، كما قال " ربعى بن عامر" احد رسل المسلمين الى ملك الفرس حينما سأله ما الذى جاء بكم فقال : جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ..

وهكذا فان كل من اسلم وحسن اسلامه صار جنديا فى الجيش الاسلامى، فكان صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام كلهم جندا فى سبيل الله، مستعدين باستمرار للتضحية والفداء، وكدليل ذلك ماحدث فى غزوة تبوك عندما سار الجيش الاسلامى بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان تعداده على اغلب الروايات ثلاثين الفا[(١)]، فقد تخلف عنه ثلاثة من الصحابة رضوان الله عليهم فما كان من الرسول القائد عليه السلام ، الا ان عاقبهم على تخلفهم عند عودته الى المدينة بان منع الجميع من التحدث اليهم كما ونهى زوجاتهم من الاقتراب منهم، والتعامل معهم . وقد صور القرآن ذلك فى قوله تعالى :" وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله

---

(١) انظر العسقلانى ـ فتح البارى ـ الشرح (٨ : ١١٧، ١١٨) ، د. اكرم ضياء العمرى ـ المجتمع المدنى فى عهد النبوة "الجهاد ضد المشركين" (ص ٢٣٧) .

الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم"[١][٢] . وهذا يدل على ان جميع المسلمين كانوا جندا يجب عليهم ان يشاركوا فى القتال ، الا من كان له عذر شرعى او يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم او يطلب منه صلى الله عليه وسلم ان يتأخر فى المدينة كما حدث فى جميع غزواته صلى الله عليه وسلم حين كان يخلف واحدا من اصحابه ليتولى ادارة شئون المدينة ورعايتها .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا مما له صلة وثيقة بموضوع البحث وهو : هل كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ديوان للجيش ؟

ان الاجابة العلمية على هذا التساؤل تقتضى متابعة النصوص الواردة عن تنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم وما وردتنا من معلومات تخص الفترة المدنية بالتحديد حيث بدأ التطبيق لتنظيماته عليه الصلاة والسلام . وتطالعنا فى هذا المجال جملة نصوص على جانب كبير من الاهمية فى جلاء الابهام وتوضيح الحقائق المفضية الى الاجابة الدقيقة والسليمة على مثل هذا التساؤل ، اولها ما اورده البخارى فى صحيحه من طريق حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :"اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفا وخمسمائة رجل . فقلنا تخاف ونحن الف وخمسمائة . فلقد رأيتنا ابتلينا حتى ان الرجل ليصلى وحده وهو خائف"[٣].

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٨

(٢) انظر العسقلانى ـ فتح البارى (٨ : ١١٢ - ١١٦) .

(٣) البخارى ـ صحيحه (٤ : ٣٤) واورد ابن حجر عن مسلم قال :"احصوا" بدل اكتبوا . فتح البارى الشرح (٦ : ١٧٨) .

وثانيها ما اورده البخاري ايضا في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :"لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة الا ومعها محرم فقام رجل فقال يارسول الله : اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة قال اذهب فحج مع امرأتك".[1]

اما الثالث فقد ورد في صحيح البخاري ايضا في حديث طويل رواه كعب بن مالك وهو يحكي قصة تخلفه في غزوة تبوك ورد فيه قوله ".... ولم يكن رسول الله يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلّى للمسلمين امرهم ليتأهبوا اهبة غزوهم فاخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد الديوان ، قال كعب : فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفى له مالم ينزل فيه وحي الله ....".[2]

فالحديث الاول يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم طلب ان يكتب له " كل من تلفظ بالاسلام" غير اننا لا نعلم متى كان ذلك؟ وهل كان الاحصاء شاملا على الاطلاق لكل المسلمين في تلك الفترة التي طلب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ام انه كان خاصا بالمقاتلين فقط دون النساء وبقية الذراري؟ فيذكر كلا من العسقلاني ، والعيني الذين شرحا صحيح البخاري عدة روايات في الوقت الذي حدث فيه طلب الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة الناس، " وكأن ذلك وقع عند ترقب مايخاف منه ، ولعله كان عند

---

(١) البخاري - صحيحه (٤ : ١٨ ، ٣٤) .

(٢) م . س . ن . (٥ : ١٣٠) .

خروجهم الى احد اوغيرها ، ويذكر ابن القيم ان ذلك كان عند حفر الخندق ، وحكى الداودى احتمال ان ذلك وقع لما كانوا بالحديبية....."(١)

وقد روى مسلم فى صحيحه عن عدد الصحابة فى غزوة الحديبية روايتين احداهما انهم كانوا الفا واربعمائة والاخرى انهم الفا وخمسمائة (٢).

ومن الملاحظ ان رواية الحديث فى صحيح مسلم لا يجعل عدد المسلمين الفا وخمسمائة كما ورد فى البخارى ، وانما تراوح عددهم بين الستمائة الى السبعمائة . يقول حذيفة رضى الله عنه :" كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احصوا لى كم يلفظ الاسلام قال : فقلنا يارسول الله : اتخاف علينا ونحن مابين الستمائة الى السبعمائة قال انكم لا تدرون لعلكم ان تبتلوا.... الحديث"(٣).

يقول الامام النووى فى الجمع بين روايتى البخارى ومسلم مانصه ".. قد يقال وجه الجمع بين هذه الالفاظ ان يكون قولهم الف وخمسمائة المراد به النساء و الصبيان والرجال ، ويكون قولهم ستمائة الى سبعمائة الرجال خاصة ويكون خمسمائة المراد به المقاتلون ، ولكن هذا الجواب باطل برواية البخارى فى باب كتابة الامام الناس قال فيها "فكتبنا له الفا وخمسمائة رجل" والجواب الصحيح ان شاء الله تعالى ان يقال لعلهم ارادوا بقولهم مابين الستمائة الى السبعمائة رجال المدينة خاصة وبقولهم فكتبنا له الفا وخمسمائة هم مع المسلمين حولهم"(٤).

---

(١) انظر العسقلانى - فتح البارى ، الشرح (٦ : ١٧٨) ، العينى - بدر الدين محمود بن احمد المتوفى سنة ٨٥٥هـ - عمدة القارى - شرح صحيح البخارى (١٤ : ٣٠٦) .

(٢) مسلم - الصحيح بشرح النووى (١٣ : ٢ - ٤) .

(٣) م . س . ن (٢ : ١٧٨، ١٧٩) .

(٤) النووى - شرح صحيح مسلم (٢ : ١٧٩) .

وهكذا يلغى التصادم الظاهر بين النصين الصحيحين ويتبين ان هذا العدد ، اى الالف وخمسمائة رجل تمثل عدد المقاتلة فى احدى الغزوات، ولا شك ان تلك الغزوة كانت من الغزوات المبكرة قبل ان يكثر عدد المسلمين ولعلها فى غزوة الخندق .

اما الحديث الثانى الذى رواه ابن عباس عن رجل قال :" انى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا . . ." فهذا يدل على كتابة الامام الناس وجواز ذلك كما فسره بعض العلماء[1].

اما لفظة الاكتتاب فان معناها الكتابة او التدوين ، ومنه قوله تعالى "اكتتبها فهى تملى عليه" وقد يقال : اكتتب الرجل ،"اذا كتب نفسه فى ديوان السلطان"[2]. وهذا يدل على ان الاكتتاب كان معروفا وموجودا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه ليس على الدوام حيث ان الثابت عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا هم بالغزو واستعد له امر الناس بالاستعداد فاستعد الجميع الا من كان له عذر وخلفه الرسول - صلى الله عليه وسلم فى المدينة للقيام بامورها وامور اهلها ، ولم اجد من خلال تتبعى لغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتب الحديث اوالسيرة النبوية شيئا يدل على استمرارية الاكتتاب فى الغزو او تسجيل جميع الجند والحديث المذكور يدل على انه قد حصل الاكتتاب فى احدى الغزوات ولا نعلم اى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم مقصودة بذلك ،اذ لم

---

(١) انظر العسقلانى - فتح البارى - الشرح (٦ : ١٤٣، ١٧٩) ،العينى عمدة القارى - الشرح (١٤ : ٣٠٥) .

(٢) الجوهرى - اسماعيل بن حماد - تحقيق احمد عبد الغفور عطار الصحاح ط/الثانية (١ : ٢٠٩) .

تشر المصادر التي رشرحت احاديث البخارى شيئا عن هذه الغزوةولا كيف كان يحدث الاكتتاب، لكن الشيء الذى يمكن قوله هوانه وان كان حدث ان اكتتب الناس في احد الغزوات، فان ذلك لايعنى تسجيل كامل للجند في الجيش الاسلامى ، وبصورة مستمرة ، انما كان فى اوقات محدودة ، وربمـا تكون ايضا لظروف طارئة كما في الحديث الاول ، اوان تقتصر الكتابة على من اختير منهم في بعث من البعوث كما في الحديث الثانى[١] .

لكن ذلك الاكتتاب يشير الى اجراءات محددة ينبغى ان نأخذها في الاعتبار عند البحث عن الاصول التاريخية لنشأة ديوان الجند وتشكيلاته كما تبين ذلك فيما بعد عند تأسيس الديوان .

ولعل في النص الثالث مايقطع بعدم وجود ديوان للجيش في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فقد ورد فيه بشكل صريح قوله :" .... والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان....." .

وقد ورد ان عدد المقاتلين حوالى ثلاثين الفا[٢] في تلك الغزوة فاذا كانت هذه الغزوة تعتبر من حيث العدد هى من اكثر الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك تسجيل للجند فيها فكيف بالغزوات التي هى اقل منها والتي جاءت قبلها حيث ان تلك الغزوة كانت في السنة التاسعة للهجرة[٣] .

---

(١) انظر الخزاعى التلمسانى - تخريج الدلالات السمعية (ص٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) العسقلانى - فتح البارى - الشرح (٨ : ١١٧- ١١٨) ، اكرم العمرى المجتمع المدنى في عهد النبوة (ص ٢٣٧) .

(٣) م . س . ن . (٨ : ١١١) .

ومن ذلك يمكن التأكيد بانه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ديوان للجيش، ولعل حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الجهاد في سبيل الله في كل وقت، وكذلك مبايعتهم للرسول سواء المهاجرين او الانصار على الحرب وان لا يولوا الادبار (١)، وعددهم المحدود نسبيا ومعرفتهم لبعضهم وترابطهم فيما بينهم خير مايعكس عدم وجود مثل هذه الضرورة الى التسجيل للجند خاصة وان جميع الصحابة رضوان الله عليهم كانوا كلهم جندا في سبيل الله، وذلك مما يعزز القول بان الديوان قد انشيء فيما بعد حينما دعت الحاجة اليه سواء لضبط الجند ومستحقاتهم من العطاء، ويؤيد ذلك ايضا ماذكره الجويني حيث يقول :" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمنه لا يدون ديوانا ولا يجرد للجهاد اعوانا اذ كان المهاجرون والانصار يخِفّون الى ارتسام اوامره من غير اناة واستئخار وانقرض على ذلك زمن خلافة الصديق رضى الله عنه ... (٢).

ثم انه كان هناك للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب كثيرون وصل عددهم الى ثمان واربعين كاتبا لم تشر المصادر الى ان ايا منهم كان يكتب له

---

(١) انظر مثلا مسلم ـ الصحيح بشرح النووي (١٣ : ٤، ٥، ٧، ٨)، ابن القيم ـ زاد المعاد (٢ : ١٣٣، ١٦٦) .

(٢) الجويني ـ امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله المتوفى سنة ٤٧٨ هـ، غياث الامم في التياث الظلم، حققه د. عبد العظيم الديب (ص ٢٤١)، الطبعة الاولى عام ١٤٠٠ هـ مطابع الدوحة الحديثة بقطر، وانظر ابن القيم ـ زاد المعاد في هدى خير العباد (٣ : ٣٧) حيث يذكر انه لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ديوان للجيش وانما كان في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وانظر ابن تيميه ـ مجموع الفتاوى (٢٨ : ٢٧٧) .

الجنـد[1] . وكان اكثرهم يتولى كتابة الوحي الذى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم يكتب له الرسائل الى الملوك ، وبعضهم كان يكتب له اموال الغنائم ، كما كان بعضهم يكتب له اموال الصدقات وآخرون يكتبون له العهود والمواثيق والمعاملات والمداينات الى غير ذلك[2] .

ومعنى ذلك ان مثل هذه الاعمال اعنى مهنة الكتابة والكتاب تعتبر في حقيقتها نواة للدواوين ، الا ان ذلك لم يطلق عليها .

اما عن مستحقات جند الدولة الاسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فانها كانت من الفيء والجزية والاعشار والغنائم التى يغنمها المسلمون من الحرب وكانت توزع عليهم في وقتها ، ولم يكن هناك وقت معين من اوقات السنة يصرف لهم فيها ، كذلك لم يكن لها مقدار معين[3] .

اما الغنائم فقد كانت تقسم بحسب ما قرره الاسلام - بعد اخذ الخمس منها - وذلك بان فرض للفارس ثلاثة اسهم سهمين للفرس وسهم لصاحبه ، امّا الراجل فله سهم واحد ، روى البخارى " عن ابن عمر رضى

---

(١) لمزيد من المعلومات عن كتّاب النبى صلى الله عليه وسلم انظر الاعظمى - د . محمد مصطفى ، كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ط / المكتب الاسلامى سوى حذيفة بن اليمان الذى كتب له الاحصاء الذى طلبه الرسول فى الحديث السابق .

(٢) انظر المسعودى - ابى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت سنة ٣٤٦ هـ ، التنبيه والاشراف - طبعة دار صعب - بيروت (ص ٢٤٥ ٢٤٦) ، وانظر الخزاعى التلمسانى - على بن محمد المتوفى سنة ٧٨٩ هـ ، كتاب تخريج الدلالات السمعية على ماكان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ط/ القاهرة (ص ١٥٧ - ١٧٩) .

(٣) الخزاعى التلمسانى - تخريج الدلالات السمعية (ص ٢٣٨) ، وانظر العسقلانى - فتح البارى - الشرح (٦ : ٥١٩ - ٥٢٣) .

الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما[١] كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرر ان من قتل قتيلا فله سلبه من غير ان يخمس لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :" من قتل قتيلا فله سلبه"[٢] .

اما الفيء فانه اذا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فانه يقسمه في يومه على المسلمين "فيعطي الآهل حظين والعازب حظا"[٣] .

ولابد من الاشارة هنا الى تطبيقات القيادة الحكيمة التي باشرها الرسول عليه الصلاة والسلام في تحمله اعباء ومسئوليات القائد العام وفي الاعداد والتعبئة والتدريب والعرض ووضع الخطط وكذلك في اعلان الحرب وعقد المحالفات والاكتتاب او الاختيار عند الحاجة لمن يقوم ببعض المهمات العسكرية. اضافة الى العبر المستخلصة من المعارك كدروس ومن نتائج تلك المعارك والغزوات وتوجيهها فيمايخدم مصلحة الامة . اضافة الى الاحكام الخاصة بالاسرى ومعاملتهم وغير ذلك من الامور المتصلة بالجيش واعداده وتدريبه ومصالحه .

---

(١) البخاري - صحيحه (٣ : ٢١٨) ، وانظر العسقلاني - فتح الباري الشرح (٦ : ٦٧، ٦٨) ،ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ٣٤٤) .

(٢) انظر البخاري - صحيحه (٤ : ٥٧) ، العسقلاني - فتح الباري الشرح (٦ : ٢٤٧، ٢٤٨) وقد تحدث ابن القيم كثيرا عن هذا الموضوع انظر زاد المعاد (٢ : ٤٦٠، ٤٦١) .

(٣) ابن سلام ،ابوعبيد القاسم ت ٢٢٤هـ، الاموال - تحقيق محمد خليل هراس، ط/دار الفكر بالقاهرة عام ١٤٠١هـ، الطبعة الثالثة (ص ٢٢٧) ،ابو داود - سليمان بن الاشعث ت ٢٧٥هـ، سنن ابي داود ط/الاولى لعام ١٣٩١هـ (٣ : ٣٥٩) .

وحيث ان البحث قد افرد لكل من هذه النواحى بحثا خاصـــــا تتبع فيه نشأتها وتطورها فان التعرض لذلك ومتابعته سيكون فى الفصـــل الرابع من هذا البحث بعون الله وتوفيقـــه .

(٢) نشأة الديوان وتطوره في عصر الخلفاء الراشدين :

تعريف الديوان :

الديوان لغة : بكسر الدال واصله دوّان ، فعوض عن احدى الواوين ياء ، لانه يجمع على دواوين ، ولو كانت الياء اصلية لقالوا دياوين [1] .

وذكر الكسائي بالفتح انها لغة مولده ، وحكاها سيبويه وقال :"انما صحت الواو في ديوان وان كانت بعد الياء ولم تعتل كما اعتلت في سيد لان الياء في ديوان غير لازمة وانما هو (فعّال) من دونت والدليل على ذلك قولهم عند التصغير : دويوين فدل ذلك على انه فعّال ثم ابدلت الواو بعد ذلك" [2] .

ومن العرب من يقول في جمعه دياوين بالياء ومن ذلك قول الشاعر :

عذاني ان ازورك ام عمرو ... دياوين تشقق بالمداد [3]

اما في الاصطلاح :

" فهو موضع لحفظ مايتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال ، والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال" [4] .

وذكر الزبيدي ان للديوان خمسة معاني ذكرها مفردة كالتالي :

"الكتبة ، ومحلهم ، والدفتر ، وكل كتاب ، ومجموع الشعر" [5] .

---

(١) الجوهري - الصحاح (٥ : ٢١١٥) .
(٢) ابن منظور - لسان العرب (١ : ١٠٣٩) ، الزبيدي - تاج العروس (٩ : ٢٠٤) .
(٣) الصولي - ادب الكتاب (ص ١٨٨) ، البطليوسي - الاقتضاب (ص ٩٩)
(٤) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص ١٩٩) ، ابو يعلى الفراء الاحكام السلطانية (ص ٢٣٦) ، الشعبي - محمد بن عبد الله - رونق التحبير في السياسة "مخطوط" ورقة ٢١ أ .
(٥) الزبيدي - تاج العروس (٩ : ٢٠٤) .

اما عن اصل الكلمة فيذكر الجوهرى انها فارسية ثم عربت[(١)] .

وكان الفرس يستعملونها للدلالة على الكتبة ومحلهم ، وتذكر بعض المصادر ان سبب التسمية هو "ان كسرى امر الكتاب ان يجتمعوا في دار ويعملوا له حساب السواد في ثلاثة ايام واعجلهم فيه فاخذوا في ذلك واطلع عليهم لينظر مايصنعون فنظر اليهم يحسبون باسرع مايمكن ويحسنون ذلك ، فعجب من كثرة حركتهم وقال (اى ديوانه) ومعناه هؤلاء مجانين وقيل معناه شياطين فسمى موضعهم ديوانا"[(٢)] .

اما العرب فانهم استخدموها للدلالة على الدفتر ، او الكتاب او مجموع الشعر ، يدل على ذلك ماروته عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :"الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ، ديوان لايعبأ الله به ، وديوان لايترك الله منه شيئا وديوان لايغفره الله ، فاما الديوان الذى لايغفره الله فالشرك بالله ، قال الله عز وجل :"ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" واما الديوان الذى لايعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه او صلاة تركها فان الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء ، واما الديوان الذى لايترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لامحالة"[(٣)] .

وكذلك ماروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما انه قال :"اذا قرأتم شيئا من القرآن ولم تعرفوا عربيته فاطلبوه من شعر العرب فانه ديوانهم"[(٤)] .

---

(١) الجوهرى - الصحاح (٥ : ٢١١٥) .
(٢) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص ١٩٩) ، البطليوسى - الاقتضاب في شرح ادب الكتاب (ص١٠٠) .
(٣) احمد بن حنبل - المسند (٦ : ٢٤٠) .
(٤) البطليوسى - الاقتضاب (ص١٠٠) ، القلقشندى - صبح الاعشى (١ : ٨٩ ، ٩٠) .

ولا شك فى ان الدواوين الادارية والمالية كانت معروفة فى اجهزة الحكم للدولتين العظميين المتصارعتين فى المشرق قبيل ظهور الاسلام[(١)] .

(١) انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص٢ ، ٣) ، ابن خرداذبه المسالك والممالك (ص ١١١- ١١٢) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٦) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، المقريزى الخطط (١: ١٤٨) .

(أ) خلافة ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) :

بعد ان انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى تشاور المسلمون فيمن يتولى امرهم فاتفقوا على تولية ابى بكر رضى الله عنه للخلافة وحدث بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ان انتقضت بعض القبائل وارتدت عن الاسلام كلية وبعضها الاخر امتنع عن دفع الزكاة، وكان على ابى بكر ان يتصدى لتلك الفتنة التى حصلت والانشقاق والردة الضاربة، ولكنه قبل ذلك قرر ان يبعث جيش اسامة . ذلك الجيش الذى عقد لواءه الرسول عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته وامر عليه اسامة بن زيد الذى كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما وامره بالتوجه الى تخوم البلقاء من الشام، ولكن مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وفاته عليه الصلاة والسلام حالت دون انفاذ ذلك الجيش، فلما تولى ابو بكر الخلافة حرص على انفاذه رغم معارضة بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث اشاروا عليه التريث فى ذلك وتوجيه الجيش الى المرتدين . لكن ابو بكر رضى الله عنه اصر على ان ينفذ جيش اسامة وقال :"والله لااحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ان الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة .. جرت بارجل امهات المؤمنين لاجهزن جيش اسامة"[1] . غير انه عمل فى الوقت نفسه على تهيئة الجيوش لمحاربة اهل الردة دون تفريق بينهم فلم يفرق بين من ارتد عن الاسلام، ومن منع الزكاة وقال فى ذلك قولته المشهورة :"... والله لومنعونى عناقا - وفى رواية عقالا - كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن كثير - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر المتوفى سنة ٧٧٤هـ البداية والنهاية ط/الثالثة، مكتبة المعارف بيروت عام ١٩٧٩م (٦ : ٣٠٤)، وانظر السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر المتوفى سنة ٩١١هـ - تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة بمصر (ص ٧٤) .

لا قاتلنهم على منعها ، ان الزكاة حق المال ، والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"[1] . وقد تمكنت قوات المسلمين بتوجيه ابى بكر الصديق رضى الله عنه لها ان تقضى على تلك الفتنة وتنجح فى القضاء عليها .

اما عن التنظيمات الادارية والمالية لمقاتلة الدولة فلم تذكر المصادر حصول تطور جديد له ذكر، بل كانت الامور تسير كما كان عليه الحال فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، الا ان واردات الدولة الاسلامية قد ازدادت اكثر خاصة بعد الانتهاء من حروب الردة ، غير ان المصادر لم تذكر فى هذه المرحلة الى عمل قوائم ، ومايشبه ذلك من سجلات ونحوها باسماء من يستحق العطاء[2] ، وكان ابو بكر رضى الله عنه يدفع العطاء للناس كافة ، فكان كما ورد فى رواية مالك بن انس "اذا اعطى الناس اعطياتهم سأل الرجل هل عندك من مال وجبت عليك فيه الزكاة ؟ فان قال نعم اخذ من عطاءه زكاة ذلك المال ، وان قال لا : اسلم اليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئا"[3] .

وكان منهج ابى بكر رضى الله عنه فى توزيع العطاء على المستحقين هو منحهم العطاء بالسوية[4] حتى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ناظر

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية (٦ : ٣١١) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص٧٤ ، ٧٥) .

(٢) انظر الجوينى - غياث الامم (ص ٢٤١) ، ابن تيمية - الفتاوى (٢٨ : ٢٧٧) .

(٣) موطأ مالك (١ : ٢٤٥) .

(٤) ابو يوسف - يعقوب بن ابراهيم بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢هـ الخراج بتحقيق د . محمد ابراهيم البنا ، ط/ دار الصلاح (ص٩٩) ، الصولى ابو بكر محمد بن يحيى ، ادب الكتاب ، بتعليق محمد بهجت الاثرى المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ (ص١٨٩) ، الطرطوشى - ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى ت ٥٢٠ ، سراج الملوك ، المطبعة الازهرية المصرية ، الطبعة الاولى ١٣١٩هـ (ص١١٦) .

ابا بكر في ذلك فقال :" اتسوى بين من هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين ، ومن اسلم عام الفتح خوف السيف ؟ فقال ابو بكر انما عملوا لله واجورهم على الله وانما الدنيا دار بلاغ"[١] . وقال ايضا :" انما هذا المال عرض حاضر يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم"[٢] .

وهكذا اخذ ابو بكر رضى الله عنه يسير في تلك السياسة طيلة عهده .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذه الفترة انه لم يكن هناك راتب محدد للجند كما ان الاعطيات لم تكن معينة في مقاديرها او محددة في مواعيد دفعها[٣]، فقد كانت الاموال توزع حال حصولها على اساس المساواة بين المسلمين من اهل المدينة[٤] .

---

(١) الماوردى - ابى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى ت ٤٥٠ هـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ص٢٠١) ، ابى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى ت٤٥٨هـ، الاحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م (ص٢٣٨) ، الطرطوشى - سراج الملوك (ص١١٦) ، ويذكر كلاً من العسكرى ابى هلال بن عبد الله بن سهل العسكرى ت ٣٩٥ ، في كتابه الاوائل (ص١٣٣) ، الصولى فى ادب الكتاب (ص١٨٩) "ان الانصار غضبوا حينما لم يفضلهم عن غيرهم فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه ان اردتم ان افضلكم فقد صار ماعملتموه للدنيا وان شئتم كان ذلك لله وللدين فقالوا : ماعملناه الا لله وانصرفوا ." .

(٢) الطرطوشى - سراج الملوك (ص١١٦) .

(٣) ورد فى الاثار مايفيد بشكل عام ان موعد صرف العطاء لاهل المدينة كان يجرى فى المحرم من كل عام غير ان النصوص لم تحدد بشكل دقيق مبدأ ذلك . انظر في هذا ما اورده الشيرازى فى كتابه طبقات الفقهاء ، وقد نقله الخزاعى التلمسانى فى كتاب تخريج الدلالات السمعية (ص٢٤٢-٢٤٣) .

(٤) العسقلانى - فتح البارى وانظر الشرح (٨ : ٩٥) .

(ب) خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

تكاد المصادر تجمع على ان اول من دون الدواوين فى الاسلام هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه[1]. اما عن سبب التدوين فهناك عدة روايات اوردتها المصادر نجد انه من المناسب ذكرها فى محاولة الوصول من خلالها الى السبب الكامن وراء هذا الاجراء .

والرواية الاولى التى تطالعنا فى هذا المجال هى رواية ابى هريرة رضى الله عنه حيث يقول :"قدمت على عمر بن الخطاب من عند ابى موسى الاشعرى بثمانمائة الف درهم، فقال لى : بماذا قدمت ؟ قلت : بثمانمائة الف، قال انما قدمت بثمانين الف درهم . قلت : انما قدمت بثمانمائة الف درهم . قال الم اقل لك انك يمان احمق، انما قدمت بثمانين الف درهم، فكم ثمانمائة الف درهم ؟ فعددت مائة الف ومائة الف حتى عددت ثمانمائة الف ، فقال اطيب ويلك ؟ قلت نعم . فبات عمر ليلته ارقا حتى اذا نودى لصلاة الفجر قالت له امرأته : يا امير المؤمنين ما نمت الليلة قال كيف ينام عمر وقد جاء الناس مالم يكن جاءهم مثله منذ كان الاسلام فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده لم يضعه فى حقه . فلما صلى الصبح

---

(١) ابو يوسف - الخراج (ص٤٠١) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٦٠) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٦) ، الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٢٠٩) ، العسكرى - الاوائل (ص١٣٤) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابى يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٢) ، ابن طباطبا - الفخرى فى الآداب السلطانية (ص٨٣) ، الطرطوشى - سراج الملوك (ص١١٥) السيوطى تاريخ الخلفاء (ص١٤٣) ، المقريزى - الخطط (١ : ١٤٨) ، ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٣١) ، البسنوى - محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر (ص٨) .

اجتمع اليه نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انه قد جاء الناس الليلة مالم يأتهم منذ كان الاسلام وقد رأيت رأيا فاشيروا على ان اكيل للناس بالمكيال . فقالوا : لا تفعل يا امير المؤمنين ان الناس يدخلون فى الاسلام ويكثر المال ولكن اعطهم " على كتاب" ، فكلما كثر الاسلام وكثر المال اعطيتهم ، قال : فاشيروا على بمن ابدأ منهم . قالوا : بك يا امير المؤمنين انك ولى ذلك ، ومنهم من قال : امير المؤمنين اعلم. قال لا . ولكن ابدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب اليه فوضع الديوان على ذلك"(١).

وهناك بعض المصادر تشير الى ان المال الذى قدم به ابو هريرة من البحرين كان "خمسمائة الف درهم"(٢).

اما ابو يوسف فيرى ان مجموع المال الذى قدم به ابو هريرة قدره "عشرة آلاف الف"(٣)، بينما يرى اليعقوبى ان المبلغ كان "سبعمائة الف درهم"(٤) وجميع المصادر التى اوردت تلك الروايات على اختلافها تشير الى ان المال قد قدم به ابو هريرة من البحرين الى المدينة، وانه كان سببا فى تفكير الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تأسيس الديوان .

اما الرواية الثانية التى تساق لتبيان ظروف نشأة الديوان فهى التى تقول بان "عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان قد بعث بعثا وكان عنده

---

(١) ابن الجوزى - مناقب عمر بن الخطاب (ص١٠٠-١٠١) ، العسكرى الاوائل (ص١٣٤) ،

(٢) البيهقى - السنن الكبرى (٦ : ٣٥٠) ، الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٦) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٤) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، العسكرى - الاوائل (ص١٣٤) ، الهندى كنز العمال (٤ : ٥٥٩، ٥٦٠) .

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٥) .

(٤) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٥٣) .

الهرمزان . فقال له هذا البعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل داخل بمكانه فما يدرى صاحبك؟ واشار عليه بالديوان وفسره له وشرحه فوضع عمر الديوان"(١) .

وهذه الرواية تقدم تفسيرا مباشرا لعملية انشاء ديوان الجند اذانها خاصة بالبعوث التى ترسل للجهاد وضرورة حصرهم وتسجيلهم ضمانا لضبطهم وعدم تخلف احد منهم ، وتوثيقا لعملية توزيع المستحقات المالية للجند مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستمع الى شرح الهرمزان له عن الديوان واقتناعه بجدوى الفكرة والمبادرة الى تنفيذها .

اما الرواية الثالثة فتقول ان الفتوحات لما كثرت فى عهد عمر بن الخطاب وكثرت معها واردات الدولة من الاموال من خراج وجزية ونحوها(٢) جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الصحابة رضوان الله عليهم واستشارهم فى امر الديوان . وهنا ينبغى ان نشير الى ماذكره محمد بن سعد عن الواقدى عن عائذ بن يحيى عن ابى الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيذ "ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الديوان فقال له على بن ابى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا ، وقال عثمان : ارى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم يأخذ خشيت ان يشتبه الامر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة(٣) قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا

---

(١) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٧) ، الصولى - ادب الكتاب (ص١٩٠) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابو يعلى (ص٢٣٧) ، العسكرى - الاوائل (ص١٣٤) ، ابن طباطبا - الفخرى فى الاداب السلطانية (ص٨٣) ، ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٣١) .

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٤٨٥) ، محمد بن طلحة الوزير العقد الفريد للملك السعيد (ص١٥٥) .

(٣) يذكر كلا من الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، وابى يعلى الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ومحمد بن طلحة الوزير - العقد الفريد (ص١٥٥) ، ان الذى اشار عليه بالتدوين انما هو خالد بن الوليد رضى الله عنه .

جندا فدون ديوانا وجند جندا . فاخذ بقوله فدعا عقيل بن ابى طالب (١) ومخرمة بن نوفل (٢) وجبير بن مطعم (٣)

---

(١) هو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم والاخ الاكبر لكل من على بن ابى طالب واخيه جعفر، تأخر اسلامه الى عام الفتح ، وقيل بل اسلم بعد الحديبية وهاجر فى اول السنة الثامنة للهجرة ، واشترك مع المشركين فى غزوة بدر. وقيل انه خرج مكرها ، وقد اسر فيها ففداه عمه العباس وبعد ان اسلم شهد مع المسلمين غزوة مؤتة وقيل انه كان ممن ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وكان عقيل عالما بانساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة وكان اسرع الناس جوابا واحضرهم مراجعة فى القول ، قدم البصرة ثم الكوفة ثم اتى الشام وتوفى فى خلافة معاوية وقيل بخلافة يزيد قبل موقعة الحرة ، انظر ابن عبد البر ـ الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ملحق ضمن كتاب الاصابة (٨ : ١٠٨ ـ ١١١) ، ابن الاثير ـ اسد الغابة (٤ : ٦٣ - ٦٦) ، ابن حجر ـ الاصابة فى تمييز الصحابة (٧ : ٣١) .

(٢) كان من مسلمة الفتح ، وكانت له سن عالية ، وعلم بالنسب ، فكان يؤخذ عنه النسب ، وكان احد الاربعة من قريش الذين يؤخذ عنهم علم النسب . وكان عالما بانصاب الحرم ، فبعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتحديدها ، شهد حنينا ، وهو احد المؤلفة قلوبهم وممن حسن اسلامه ، مات بالمدينة زمن معاوية رضى الله عنه وكان عمره مائة وخمس عشرة سنة وكانت وفاته سنة اربع وخمسين وقيل خمس وخمسين . انظر ابن عبد البر ـ الاستيعاب (١٠ : ٥٣ - ٥٤) ، ابن الاثير ـ اسد الغابة (٥ : ١٢٥ - ١٢٦) ، ابن حجر ـ الاصابة (٩ : ١٤٦ - ١٤٨) .

(٣) كان من اكابر قريش وعلماء النسب ، وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد اسارى بدر فسمعه يقرأ سورة الطور. قال : فكان ذلك اول ما دخل الايمان فى قلبى ، اسلم بين عام الحديبية وفتح مكة ، وقيل عام خيبر ، وكان انسب قريش لقريش والعرب قاطبة ، وقد اخذ النسب عن ابى بكر الصديق وروى عنه ذلك سعيد بن المسيب ، مات جبير بالمدينة فى خلافة معاوية سنة سبع وخمسين وقيل تسع وخمسين وقيل بينهما . انظر ابن عبد البر ـ الاستيعاب (٢ : ١٣١ - ١٣٤) ، ابن الاثير ـ اسد الغابة (١ : ٣٢٣ - ٣٢٤) ، ابن حجر ـ الاصابة (٢ : ٦٥ - ٦٦) .

وكانوا من لسان قريش[1] وامرهم بكتابة الناس على منازلهم[2] .

وقد يبدو في ماسقناه من الروايات شيئا من التعارض، غير ان شيئا من ذلك لا يبدو ذو اثر كبير اذا مالجأنا الى الاعتماد على ما اكدته كل منها فتواتر فيها ، ذلك ان كل من هذه النصوص قد اكدت على ان العامل الاساسي الذى تسبب في انشاء الديوان والتفكير في مثل هذا التنظيم هو كثرة الاموال التي اصبحت ترد الى العاصمة "المدينة" من الاقاليم الاخرى .

فالرواية الاولى تشير الى ان ابا هريرة قدم بمال من البحرين الى المدينة فاستكثره عمر رضى الله عنه واخذ يستشير الصحابة في كيفية التصرف بهذا المال الكثير، هل يحثوا لهم حثوا ، ام يكيل لهم كيلا ،ام يعد لهم عدا ،لكن مشورة بعض الصحابة هي ان يعطى الناس " على كتاب" ليكون اشمل واحصى لهم فاستقر الرأى على ذلك لما رأى من جدوى تلك الفكرة ولما فيها من الدقة في التوزيع والشمولية في العطاء واستيعاب كل من يستجد ممن له حق العطاء في الديوان .

اما الرواية الثانية فانها تشير الى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث بعثا وكان عنده الهرمزان ، فاستنكر الهرمزان ذلك حيث ان هذا البعث قد اعطى له المال ولم يكن محصورا بكتاب ولا بسجل فيه

---

(١) ويذكر الطبرى - تاريخ (٤ : ٢٠٩ - ٢١٠) ،السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص١٤٣) ،ان هؤلاء الثلاثة "كانوا من نساب قريش" .

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٤٤٩) ،الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، الطبرى تاريخ الرسل (٤ : ٢٠٩ - ٢١٠) ، محمد بن طلحة الوزير - العقد الفريد (ص١٠٥) ، السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص١٤٣) .

اسمائهم ، حيث قال كيف تعلم اذا تخلف احد او اخل بمكانه وكيف يعلم قائدك ذلك ، واشار عليه بان يضع ديوانا يسجل فيه اسماء الجند وشرح له طبيعة واهمية الديوان مما جعل الفكرة تختمر في ذهن عمر ويستحسنها وتأتي بعد ذلك استشارة عمر لاصحابه ، وهذه الاستشارة تظهر واضحة في الرواية الثالثة ، حيث ان الرواية تشير الى تحديد عمر للشيء الذي يطلب آراء اصحابه فيه وهو الديوان وذلك بعد ان عرف عمر امر الديوان واهميته والنص واضح في ذلك وهو "ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان . . . " مما يعزز القول بان في الامكان احلال الانسجام في الروايات السابقة ذلك ان كل رواية متممة للاخرى ومساندة لها ومرتبطة معها ولعل الرواية الاخيرة هي التي كانت عاملا حاسما في تأسيس الديوان والعمل به وذلك بعد ان جاء المال وكثر ، وبعد ادراك عمر لاهمية الديوان وضرورته في ضبط الامور والتدقيق في عملية الاحصاء والتوزيع .

تاريخ ديوان الجند

ترتبط بداية تاريخ الديوان ارتباطا وثيقا باسباب نشأته ، وقد تحدثنا عن اسباب نشأة الديوان والعوامل التى جعلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفكر فى هذا الامر ويستشير اصحابه فى وضعه . فالطبرى يذكر انه "فى سنة ١٥ للهجرة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين واعطى العطايا على السابقة ... ولما اراد عمر وضع الديوان قال له على وعبدالرحمن بن عوف ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل ابدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ."[1] . ويقدم الطبرى فى سياق ذلك رواية اخرى فقد ذكر بان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد "فرض العطاء حين فرض لاهل الفئ الذين افاء الله عليهم ، وهم اهل المدائن فانتقلوا عن المدائن الى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والاردن وفلسطين ومصر ، وقال الفئ لاهل هؤلاء الامصار ولمن لحق بهم واعانهم ، واقام معهم ولم يفرض لغيرهم الا فبهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصالح ، واليهم ادى الجزاء وبهم سدت الفروج ودوخ العدو ثم كتب فى اعطاء اهل العطاء اعطياتهم اعطاء واحدا سنة خمس عشرة"[2] .

فمن خلال ماذكره الطبرى فى روايته الثانية من ان عمر فرض الفئ والاعطيات لمن انتقلوا الى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والاردن وفلسطين ومصر ، نرى ان من المستبعد ان يكون ذلك قد تم فى سنة ١٥هـ ، ذلك ان تمصير الكوفة وفتح مصر لم يتم الا بعد سنة ١٥هـ[3] . كما ان الطبرى نفسه

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك (٣ : ٦١٣ ، ٦١٤) .
(٢) م . س . ن (٣ : ٦١٥) .
(٣) م . س . ن . حيث يذكر ان تمصير الكوفة كان فى سنة ١٧هـ (٤ : ٤٠) اما مصر فانه تم فتحها فى سنة عشرين للهجرة . انظر نفس المصدر (٤ : ١٠٤) .

يعود مرة اخرى فيذكر فى نهاية مروياته لسنة عشرين للهجرة قوله عن الواقدى " وفى هذه السنة ـ اعنى سنة عشرين ـ دون عمر رضى الله عنه الدواوين"(١) .

ومما يلغى التناقض فى رواياته فى هذا الشأن ان تكون الاعمال التحضيرية للديوان قد بدأت مبكرة وان اكتمال الصورة قد جرى تدريجيا وامتد الى مرحلة متأخرة .

وينقل ابن كثير رواية سيف بن عمر حيث يذكر فيها بانه " فى سنة عشرين دون عمر الدواوين وزعم غيره انه دونها قبل ذلك والله اعلم"(٢) .

ومما يعزز ذلك ايضا مارواه الامام ابن شهاب الزهرى عن سعيد بن المسيب قال :"دون عمر الديوان فى المحرم سنة عشرين للهجرة"(٣) .

اما المقريزى(٤) فانه اشار الى اختلاف المؤرخين فى السنة التى فرض فيها عمر الاعطية ودون الدواوين فنقل رواية واحدة عن الكلبى ذكر فيها بان ذلك قد جرى فى سنة خمس عشرة للهجرة بينما نقل روايتين اخريين اتفقتا على ان ذلك قد تم فى سنة عشرين ،اولاهما رواها ابن محمد بن سعد عن شيخه عمر الواقدى ، اما الثانية فهى ماسبق ان اشرنا اليه فى رواية الامام الزهرى تلك التى ورد فيها ان ذلك قد حصل فى المحرم سنة عشرين .

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ١١٢) ، البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص ٥٥٠ ، ٥٦٠) ، اليعقوبى ـ تاريخه (٢ : ١٥٣) حيث يذكر ان الواردات المالية كثرت وزادت فى هذه السنة .

(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية (٧ : ١٠١) .

(٣) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص ٢٠٠) ، ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٣٢) ،السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ١٤٤) .

(٤) المقريزى ـ الخطط (١ : ١٤٨ ، ١٤٩) .

غير ان المقريزى لم يوازن بين هذه الروايات ولم يراجع بعضها على البعض الاخر، والحق ان تعدد الروايات واتصالها بالحدث تمنع التعجل فى اعطاءرأى قاطع فى تاريخ حصول وضع الديوان موضع التنفيذ وتجعل من المتعذر الركون الى احداها فى مقابل الروايات الاخرى .

ان مجموع هذه الروايات تعطى تأكيدا ثابتا بان وضع الديوان قد جرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وخلال الفترة المحصورة بين سنتى ١٥ - ٢٠ للهجرة، ولكن ينبغى ملاحظة التداخل الواقع فى عملية وضع الديوان اذ ان تلك يشمل جملة عمليات متداخلة ومترابطة، منها مايتصل بكتابة قوائم باسماء المقاتلة، ومنها مايتصل بتحديد معدلات اعطياتهم وارزاقهم، ولعل سعة الاطار العام لمثل هذا الاجراء والرغبة فى التدقيق وعدم الوقوع فى الخطأ قد استلزم فترة طويلة، ولعل عملية التسجيل بدأت مبكرة وانتهت فى التاريخ الثانى ، غير ان الباحث اكثر ميلا الى قبول التحديد التاريخى الاخير اى اعتبار سنة عشرين للهجرة تاريخا للانتهاء من تدوين الدواوين وذلك لجملة اسباب متداخلة ..

اهمها ان بداية خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ارتبطت بالفتوحات الاسلامية، فقد كان الاشتغال بالجهاد على اشده فى كل من ارض العراق وفارس والشام مما ادى الى انشغال اجهزة الدولة بهذه الاعمال الجليلة، وهذا يمنع احتمال حصول الاحصاءات الدقيقة خلال هذه الفترة خاصة وان عملية الفتح فى تلك الساحات لم تكتمل بعد (١) .

اما فى سنة عشرين للهجرة فقد استقرت الاوضاع واتضحت ابعاد الفتح المبين وانشئت المعسكرات الجديدة كالكوفة والبصرة، وتم تجنيد

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٨٨) .

الاجناد، كجند الشام وجند حمص وجند قنسرين وغيرها ،كما اتضح حجم موارد الدولة المالية ، واتيحت لاجهزة الادارة الاسلامية فرصة طيبة لاجراء عملية الاحصاء والتدقيق .

واذا كنا قد قبلنا ماسبق وسقناه من اسباب تدوين عمر الديوان ومشورة من الهرمزان عليه بذلك حين قال له "هذا البعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل واخل بمكانه فما يدرى صاحبك واشار عليه بالديوان وفسره له وشرحه فوضع عمر الديوان"[1] ،فان هذا يدل على ان ذلك قد حصل قطعا بعد سنة ١٧هـ حيث جرى اعادة فتح تسترثانية وتم فيها اسر الهرمزان[2] .

فالواقعة تنص على ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد قبل مشورة الهرمزان وذلك يدل على انه قد اسلم وحسن اسلامه واصبح مقيما بالعاصمة، وهذا لم يحصل الا بعد السنة السابعة عشر للهجرة .

ومما يعزز القول بان الديوان قد تم انشاؤه فى سنة عشرين ايضا ما اورده ابن كثير رحمه الله فى مروياته عن سنة عشرين للهجرة حيث قال "وفيها دون عمر الدواوين وزعم غيره انه دونها قبل ذلك فالله اعلم"[3] .

ويقوى هذا ماعرف عن ابن كثير رحمه الله من التزام الدقة التى اكتسبها من قواعد الرواية فى الحديث، وفى رواياته وحرصه على التثبت بشكل

---

(١) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٧) ، العسكرى - الاوائل (ص١٣٤) الصولى - ادب الكتاب (ص١٩٠) ،ابن طباطبا - الفخرى فى الاداب السلطانية (ص٨٣) ،النويرى - نهاية الارب (٨ : ١٩٧) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك (٤ : ٨٣) ،ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ٨٥) .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ١٠١) .

عام وبخاصة ماله صلة بتاريخ القرن الاول ، فان ذلك يعزز القول ان تدوين الدواوين قد حصل في سنة عشرين للهجرة ، اضف الى ذلك الضعف البادى في العبارة الثانية مما يشكك في صحة وقوع الامر قبل ذلك .

كما ان بعض الثقاة من التابعين كالامام الزهرى مثلا كان قد اشار الى ان الديوان كان في سنة عشرين للهجرة وحدد تاريخ ذلك بشكل دقيق حيث قالوا "وكان ذلك في المحرم سنة عشرين"(١) . مما يدعو الى زيادة الثقة في الروايات الاخرى التى تقترح تاريخا متأخرا على اعتبار ان سنة عشرين للهجرة هى سنة تأسيس الديوان ، ولعل التواريخ التالية لذلك تمثل مراحل استتمامه وانتظام عقد العمل فيه .

يضاف الى ذلك ماورد من ذكر ولاية ابى هريرة رضى الله عنه على البحرين ، وقدومه بمال من هناك اذ يُرجع كثير من المؤرخين انه كان السبب المباشر في انشاء الديوان ، لان ولاية ابى هريرة على البحرين انما كانت في سنة عشرين للهجرة النبوية(٢) . وهذا مما يحسم الامر في ذلك التاريخ .

ان الملاحظات التى ابداها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه والتى تعكس ميله الى العودة الى صرف العطاء بالمساواة بين جميع المسلمين والرجوع عن التفضيل بينهم وهو ما نفذه في السنوات الاولى من

---

(١) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٠) ، ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٣٢) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص١٤٤) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٢٣١) ، ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ١٠١) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٩٩) .

تأسيس الديوان تدعم الاتجاه في ان ارساء قواعد الديوان قد تمت في سنة ٢٠هـ فقد اوردت المصادر قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لالحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا في العطاء سواء"(١) حيث ان المصادر تجمع على انه لم يمكنه تحقيق ذلك اذ توفي في آخر سنة ٢٣ للهجرة ودفن في اول المحرم من سنة ٢٤ للهجرة(٢) .

ومما يمكن اضافته في سياق تضعيف فكرة حصول تأسيس الديوان سنة خمس عشرة للهجرة ما ذكرته المصادر من مشورة تقدم بها خالد بن الوليد لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في هذا الاطار فقد ذكرت بعض المصادر بانه قد اشار على عمر بقوله " قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدون انت ديوانا وجند جندا ....."(٣) وحيث ان خالد ابن الوليد رضي الله عنه كان منشغلا طوال سنة ١٥ للهجرة(٤) والسنة التي تليها في احداث الفتح في العراق والشام قائدا كان ام جنديا فان خبرته قد تأتت له عن ذلك ، والمعقول ان تكون مشورته قد تمت بعد هذا التاريخ .

ومما يؤكد تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان في سنة

---

(١) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٧) ، الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ١٦٣) ، البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٥٢) ، اليعقوبي - تاريخه (٢ : ١٥٤) .

(٢) ابن الجوزي - مناقب امير المؤمنين عمر (ص٢٣١) ، ابن كثير البداية والنهاية (٧ : ١٣٨) .

(٣) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابي يعلى - الاحكام السلطانية ، السيد البطليوسي - العقد الفريد (ص١٥٥) .

(٤) انظر حوادث سنة ١٥هـ للطبري (٣ : ٥٩٨ ، ٦٠١) .

عشرين للهجرة ما اوردته المصادر عن ام المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها[١] من انه لما ارسل اليها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصيبها من العطاء استغربت كثرته واعتبرته فتنة لها وقامت بتوزيعه على اقاربها من حولها ومن طلب منها ، ثم دعت الله سبحانه وتعالى ان لا يدركها عطاء عمر بعد هذا فماتت تلك السنة وهى سنة ٢٠هـ وصلى عليها عمر رضى الله عنه[٢] . وهذا يشير الى ان صرف العطاء لها قد جرى لدفعة واحدة فقط ولم يتكرر .

كما ان المصادر التى سبقت الاشارة اليها فى اسباب نشأة الديوان[٣]

---

(١) هى ام المؤمنين زينب بنت جحش الاسدية ، وامها امينة عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، تزوجها النبى عليه السلام سنة ثلاث وقيل سنة خمس للهجرة ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، وفيها نزل قول الله تعالى" فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها" الاحزاب (٣٧) . وكانت تفخر على نساء النبى عليه السلام بانها بنت عمته وبان الله زوجها له ، وهن زوجهن اولياؤهن ، وقد روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام عنها "اسرعكن لحاقا بى اطولكن يدا" قالت عائشة رضى الله عنها : فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا ، قالت : وكانت اطولنا يدا زينب لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ، وكان عطاء زينب بنت جحش اثنى عشر الفا لم تأخذه الاعاما واحدا ، فجعلت تقول :"اللهم لا يدركنى هذا المال من قابل ، فانه فتنة ، ثم تسحبه فى اهل رحمها وفى اهل الحاجة وتوفيت رضى الله عنها سنة عشرين للهجرة ، وهى بنت خمسين وقد تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وهى بنت خمس وثلاثين سنة . انظر ابن حجر ـ الاصابة فى تمييز الصحابة (١٢ : ٢٧٥ - ٢٧٨) ، وانظر ابن كثير ـ البداية والنهاية (٧ : ١٠٣) .

(٢) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٥٥) ، ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٥) ابن كثير ـ البداية والنهاية (٧ : ١٠٤) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٦ ، ٢١٧) ، الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ١١٣) .

(٣) انظر مثلا ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٢) ، وابن سعد الذى ذكر ان خراج =

اجمعت على القول بان وفرة الاموال التى وردت الى العاصمة فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت عاملا حاسما فى اسباب التفكير فى تأسيس الديوان ، اضافة الى العوامل الاخرى كالحرص على استمرار موارد كافية للانفاق على حركة الجهاد الاسلامى وتأمين احتياجات المقاتلين اضافة الى تزايد اعداد المسلمين واتساع رقعة ديار الاسلام ، وحيث ان عملية الفتح لكل من السواد وبلاد الشام ومصر قد نجم عنها هذا الفيض الكبير من الواردات ، لذا فالمعقول ان يكون تأسيس الديوان قد حصل فى فترة تالية لفتح هذه البلاد . ثم ان من الثابت تاريخيا انه قد اكتمل فتح السواد بعد سنة ١٥هـ فقتح المدائن مثلا كان فى سنة ١٦هـ .(١)

وكذلك الحال بالنسبة لبلاد الشام اذ تم فتح مدنه العظام وقدم عمر بن الخطاب اليه بعد الفتح سنة ١٧هـ .(٢) اما فتح مصر فقد تم فى سنة عشرين للهجرة .(٣)

كما ان من المعقول ان تكون عملية التنظيم التى جرت فى اعقاب الفتح قد اقتضت فترة انتقال واعادة مسح ، واعادة تقويم للضريبة على ضوء مفاهيم واتجاهات ومبادىء الشريعة الاسلامية .

فاذا ادخلنا فى الاعتبار الصعوبات الفنية فى عملية المسح للاراضى

= السواد والجبل على عهد عمر رضى الله عنه بلغ مائة الف الف وعشرين الف الف واف ـ والواف درهم ودانقان ونصف. الطبقات الكبرى (٣ : ٢٠٢) .

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ١٠) ، ابن كثير (٧ : ٦٦) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ٦٣) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٧ : ٥٧) .

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٤ : ١٠٤) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٧ : ٩٧) المقريزى ـ الخطط (٢ : ٦٣) .

والتدقيق فى الضرائب والتأكد من عدالة الجباية فان ذلك يعزز آراءالقائلين بان تدوين الديوان قد تأخر الى سنة ٢٠ للهجرة .

ان اقدام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تأسيس الدواوين - كتنظيم ادارى مالى وحربى - لغرض ضبط عملية توزيع العطاء وعدالته بشكل اساسى ، ورعاية لحركة الفتوحات الاسلامية وشئون المجاهدين واسرهم وذراريهم من جهة اخرى استلزم اشرافا مباشرا من جانب الخليفة - سواء بنفسه اوعن طريق من يثق بهم - من اجل التدقيق والمتابعة الواعية والدقيقة ، ضمانا للعدالة ، وحرصا على انتظام الاداء .

ان من الخصائص الاساسية فى تنظيمات الدولة الاسلامية ومؤسساتها انها تنشأ فى البداية بعد ان تظهر الحاجة اليها فى المجتمع كما انها تظهر انعكاسا لتلك الحاجة فتبدو بسيطة متسقة مع ظروف المجتمع ومطالبه وكلما تعقدت الحياة انعكس ذلك التعقيد على المجتمع ومؤسساته وبالتالى يحصل التطور او حركة النمو الذى تعيشه النظم الاسلامية ، غير انها وباستمرار تحافظ على اصالة انتمائها وشرعية موردها حيث تبقى على الدوام مرتبطة باصولها الشرعية ملائمة لمرحلة التطور التى يصل اليها المجتمع .

وهذه الملاحظات تصدق على الدواوين فلقد نشأ الديوان بسيطا دون اى تعقيد اذ لم يكن يزيد على كونه مجموعة صحائف او قيود نظمت فيها قوائم باسماء من يشملهم العطاء بجانب اسماء عوائلهم وذراريهم .

وعند مقارنة هذه البداية المتواضعة بالتطور الكبير الذى اصاب المؤسسات الادارية والمالية والعسكرية فى الدولة الاسلامية خلال القرنين التاليين لمرحلة البحثالتى اختصت بها هذه الرسالة نجد البون شاسعا

اذ حصل تطور هائل فى طبيعة الاعمال وتشعبها الكبير، غير ان الهدف الرئيسى لكل تلك المؤسسات بقى واحدا وهو الهدف نفسه الذى استهدفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو تحقيقه للعدالة وتدقيق الامور وضبطها .

ذكر البلاذرى فى فتوحه انه :"لما وضع عمر الديوان قال ابو سفيان ابن حرب : اديوان مثل ديوان بنى الاصفر؟انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة . فقال عمر : لابد من هذا فقد كثر فى المسلمين"[١] .

وقد سبق ان ذكرنا مانقله الجهشيارى من ان الفيرزان[٢] قال لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وكان قد بعث بعثا واعطى اهله الاموال :"هذا البعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل واخل بمكانه فما يدرى صاحبك؟ واشار عليه بالديوان وفسره له وشرحه . فوضع عمر الديوان"[٣] .

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٥٦٠) .

(٢) وتطلق عليه بعض المصادر ب"الهرمزان" وهو احد قادة يزدجرد ، وقد اسره المسلمون فى معركة تستر الثانية التى تم فيها الفتح وذلك سنة ١٧هـ، حيث قدم به المسلمون الى المدينة فاسلم وحسن اسلامه واصبح يجالس الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويخبره عن اوضاع بلاد فارس، ثم لما قتل ابو لؤلؤة عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتهمه بعض الناس بممالأة ابى لؤلؤة ، فقام عبد الله بن عمر بقتله انظر الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٨٨- ٨٩) ، ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ٨٨) .

(٣) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٧) وانظر الصولى - ادب الكتاب (٢ : ١٩٠) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابن خلدون - المقدمة (١ : ٢٣١- ٢٣٢) .

غير ان الكثير من المصادر يذهب الى ان السبب في نشأة الديوان يعود الى وصول اموال البحرين الى المدينة . فقد ذكر البلاذري ان ابا هريرة "قدم على عمر من البحرين ، قال : فلقيته في صلاة العشاء الاخرة فسلمت عليه فسألني عن الناس، ثم قال لي : ماجئت به ؟ قلت : جئت بخمسمائة الف درهم" قال : ماذا تقول ؟ قلت : مائة الف ومائة الف ومائة الف فعدده خمسا ، فقال انك ناعس فارجع الى اهلك فنم فاذا اصبحت فاتني . قال ابو هريرة فغدوت اليه فقال ماجئت به ؟ قلت خمسمائة الف قال :اطيب ؟ قلت نعم لا اعلم الا ذاك ، فقال للناس انه قدم علينا مال كثير فان شئتم ان نعده لكم عدا وان شئتم ان نكيله لكم كيلا ، فقال له رجل يا امير المؤمنين انى رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه ، قال : فدون الديوان . . ."[1] وفي رواية انهم قالوا :"لا تفعل يا امير المؤمنين ان الناس يدخلون في الاسلام ويكثر المال ولكن اعطهم على كتاب فكلما كثر الناس وكثر المال اعطيتهم عليه"[2].

غير ان بعض المصادر تجعل احداث فتح العراق ووصول الغنائم الى المدينة السبب الداعي الى اقامة الديوان ذلك انه " لما اتى عمر بكنوز كسرى قال له عبدالله بن الارقم الزهري : الا تجعلها في بيت المال

---

(١) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٤) ، البلاذري - فتوح البلدان (ص٤٣٩) البيهقي - السنن في احدى رواياته (٦ : ٣٥٠) .

(٢) البيهقي - السنن (٦ : ٣٦٤) ، ابن ابي شيبة - المصنف (٢ : ٣٠٩) الهندي - كنز العمال (٤ : ٥٥٩) ، رقم الحديث ١١٦٤٨، ١١٦٥٣ اليعقوبي - تاريخ (٢ : ١٥٣) وقد ذكر بان المبلغ سبعمائة الف درهم ، اما العسكري فقد جعله ثمانمائة الف درهم في احدى روايتين انظر الاوائل (ص١٣٤) ، وكذلك البيهقي في السنن (٦ : ٣٦٤) . ولمعلومات اوفى انظر ابو يوسف - الخراج (ص١٠٥) حيث ذكر بان المبلغ عشرة آلاف الف ومع ابي موسى على الرواية ٢ ، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) مع اختلاف في الرواية ، ابن الجوزي - تاريخ عمر بن الخطاب (ص١٠٠، ١٠١) .

حتى تقسمها ؟ قال : لا يظلها سقف حتى امضيها . فامر بها فوضعت في صرح المسجد فباتوا يحرسونها ، فلما اصبح امر بها فكشف عنها فرأى فيها من الحمراء والبيضاء مايكاد يتلألأ منه البصر ، قال : فبكى عمر ، فقال له عبد الرحمن بن عوف ما يبكيك يا امير المؤمنين ؟ ان كان هذا اليوم يوم شكر ويوم سرور ويوم فرح . فقال عمر : كلا ان هذا لم يعطه قوم الا القى بينهم العداوة والبغضاء . ثم قال : نكيل لهم بالصاع ام نحثو ؟ فقال على بل احثوا لهم . فدعا حسن بن على فحثا له ثم دعا حسينا ثم اعطى الناس ودون الدواوين (١) .

ولعل وفرة خراج المناطق المفتوحة وتدفق الاموال الواردة الى المدينة وكثرتها اظهر الحاجة الى التنظيم . فيذكر ابن سعد فى طبقاته في حديثه عن استخلاف عمر رضى الله عنه قال :"فبلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر رحمه الله مائة الف الف وعشرين الف الف واف ـ والوافى درهم ودانقان ونصف . . . (٢) .

ويذكر طلحة الوزير فى كتابه العقد الفريد للملك السعيد ان :" اول من دون الديوان فى الاسلام وضبط الامور عن الانتشار وحاط الاموال بيد الاستظهار وانزل ارباب الارزاق على مراتب الاقدار وجعل ماقرره من العطاء والقرار متصفا بمقدار امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك انه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت اقطاره وكثرت انصاره وصارت ترد على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمول الاموال من جهات الولاة والعمال ، شاور فيما يعتمده رعاياه لما هو الاحوط . . . . . ثم قدر وضع

---

(١) الصنعانى ـ مصنف عبد الرزاق (١١ : ١٠٠) .
(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى (٣ : ٣٠٢) .

الديـــوان [١].

ويورد البلاذري في هذا المجال رواية ينسب فيها الى الوليد بن هشام بن المغيرة مايفيد حصول اقتباس الديوان من التنظيمات التي كانت سائدة في الدولة البيزنطية في بلاد الشام، فقد ذكر بان :" عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا . وقال عثمان ارى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم يأخذ خشيت ان ينتشر الامر . فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا فاخذ بقوله...." [٢].

في حين اورد الماوردي رواية مشابهة غير انه ذكر ان الاقتراح الاخير قد قدمه خالد بن الوليد وليس الوليد بن هشام بن المغيرة كما ورد في الرواية السابقة التي اوردها البلاذري [٣]. وقد تابع هذه الرواية جملة من المؤرخين [٤] ومثل هذا التضارب امر وارد في مثل هذه الروايات . ويبدو ان فكرة انشاء الديوان قد لاقت بعض المعارضة التي تعكس اختلاف المنطلقات واساليب التفكير، فقد نقل البلاذري رواية مرت بنا آنفا تفيد استهجان ابو سفيان لفكرة انشاء الديوان وتوضح اسباب معارضته [٥].

---

(١) طلحة - العقد الفريد (ص١٥٥) ، وانظر البسنوي - محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر (ص٨٠) .
(٢) البلاذري - فتوح (ص٥٤٩) ، الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ٢٠٩) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) .
(٣) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) .
(٤) انظر مثلا محمد بن طلحة الوزير - العقد الفريد (ص١٥٥) .
(٥) البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٦٠) .

ان النصوص التى مر ذكرها آنفا تؤكد ان انشاء الديوان قد حصل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو ماتؤكده نصوص اخرى كثيرة خصوصا تلك التى ارخت للفترة وكذلك التى ترجمت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه . والمرجح ان ذلك قد حصل فى سنة عشرين من الهجرة النبوية الشريفة مع اختلاف فى الاصول التى تنتمى اليها الفكرة بين مرجح لانتمائها الفارسي ومؤكد لاصولها البيزنطية ومدافع عن اشتقاقها العربي[١] .

وتكاد المصادر المعتمدة تجمع على ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استدعى بعضا من كتاب قريش وابلغهم رغبته فى كتابة الديوان وطلب اليهم ان يكتبوا الناس على منازلهم[٢]، وينقل ابو يعلى الفراء فى الاحكام السلطانية اسماء الكتاب الذين عهد اليهم بكتابة الديوان وهم عقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ويصفهم بانهم "كانوا من نبهاء قريش واعلمهم بانسابها فقال : اكتبوا الناس على منازلهم"[٣]، وفى حين يصفهم الطبرى بقوله : "وكانوا من نساب قريش"[٤] ، نجد ان البلاذرى يصفهم بانهم كانوا من لسان قريش"[٥] .

وهكذا يستقر لدى الباحث بان اللجنة المشكلة لغرض كتابة الديوان مؤلفة من ثلاث كتاب متخصصين بالكتابة والنسب وهم من ذكرنا آنفا : عقيل بن ابى طلب، مخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم الذين

---

(١) سبق ان تعرض البحث فى مقدمة هذا الفصل لموضوع اصل اشتقاق الديوان (ص ٩٤- ٩٥) .
(٢) انظر البلاذرى - فتوح (ص٥٤٩) .
(٣) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ،ابن سعد - الطبقات (٣: ٢١٢)
(٤) الطبرى - تاريخ (٤ : ٢١٠) ،ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) .
(٥) البلاذرى - فتوح (ص ٥٤٩) .

تجمع المصادر على ايراد اسمائهم[1] .

ومع ان توجيهات امير المؤمنين رضى الله عنه كانت واضحة في ان يكتبوا الناس على منازلهم بعد ان استقر رأيه في اعقاب تشاوره مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ان يبدأ الديوان بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ، فانهم كتبوا وفق تنظيم اجتهدوا جدواه فقد "كتبوا بني هاشم ، ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ، وعمر وقومه ، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ، ثم دفعوه الى عمر ، فلما نظر فيه قال : لا ، وددت انه كان هكذا ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب ثم الاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى"[3] .

والحقيقة فان مسألة التفضيل في ترتيب الناس في الديوان وفي العطاء كانت مستقرة في ذهن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى قبل ان يصل الى الخلافة فقد كان ابو بكر رضى الله عنه يسوى بين المسلمين في العطاء

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٥٣) ، الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٢٠٩ ، ٢١٠) ، البلاذرى فتوح البلدان (ص٥٤٩) في حين اورد بعد ذلك رواية ثانية اقتصر فيها على ذكر اثنين منهم حيث اسقط اسم عقيل بن ابى طالب انظر فتوح (ص٥٦٠) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) ، الماوردى الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، البطليوسى - العقد الفريد (ص١٠٥) ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٣١ - ٤٣٢) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص١٤٣) .

(٢) ابو عبيد - الاموال (ص٢٢٤) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٦٢) .

(٣) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، الطبرى - تاريخ (٤ : ٢١٠) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٤٩ ، ٥٦٠) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) ، السيوطى - تاريخ (ص١٤٣) .

ولا يرى التفضيل بالسابقة[(١)] .

ويظهر ان اجراءات الخليفة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الاطار قد لاقت استحسانا وقبولا من اهل الحل والعقد وعموم المسلمين . فقد شكره العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه على ذلك وقال وصلتك رحم[(٢)] . ومع ذلك فان هذا الاجراء قد اثار حفيظة البعض من بنى عدى الذين حاولوا ان يثنوا عمر عن رأيه ويدفعوه الى اقرار رأى اللجنة السابق فقد جاءوا الى عمر وقالوا :" انت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم او خليفة ابى بكر وابو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم (الذين كتبوا) فقال : بخ بخ بنى عدى . اردتم الاكل على ظهرى وان اهب حسناتى لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة وان اطبق عليكم الدفتر (يعنى ولو ان تكتبوا آخر الناس) ان لى صاحبين سلكا طريقا فان خالفتهما خولف بى ، والله ما ادركنا الفضل فى الدنيا ولا مانرجوا من الاخره من ثواب الله على ماعملنا الا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شرفنا، وقومه اشرف العرب ثم الاقرب فالاقرب . ان العرب شرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ان بعضنا يلقاه الى آباء كثيرة ومابيننا وبين ان نلقاه الى نسبه ثم لانفارقه الى آدم الا آباء يسيرة مع ذلك والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة ، فلاينظر رجل الى القرابة ويعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لا يسرع به نسبه"[(٣)] .

---

(١) كان ذلك مبعث خلاف فى الرأى بينهما اذ اعترض عمر على التسوية ودافع ابو بكر عن وجهة نظره . ولمزيد من المعلومات عن ذلك انظر ماسبق (ص٩٨- ٩٩) .

(٢) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٦٠) .

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى (٣ : ٢١٢- ٢١٣) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٤٩ ، ٥٥٠) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٠) .

والراجح فان العطاء لم يوضع الا بعد ان تم افتتاح الامصار واستقرت جباية الخراج[(١)] .

وحيث قد استقر الرأى على التفضيل فقد تساءل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن تحديد البداية فتذكر المصادر انه سأل كثيرا من اصحاب رسول الله قائلا :"بمن ابدأ"[(٢)] .

ويذهب البعض من المؤرخين الى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه[(٣)] قد اشار عليه بان يبدأ بنفسه فى حين تذكر مصادر اخرى اشتراك عدد من الصحابة فى هذه المشورة وربما وردت الروايات وهى تتحدث عن مجاهيل بصيغة قالوا او "قيل له"[(٤)] وفى بعض الاحيان يرد ذكر على بن ابى طالب مع عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما[(٥)] . ومع اختلاف طفيف فى الروايات فان المصادر تكاد تجمع على القول بان الديوان " كان موضوعا على دعوة العرب ، وترتيب الناس فيه معتبرا بالنسب ، وتفضيل العطاء معتبر بالسابقة فى الاسلام وحسن الاثر فى الدين . ثم روعى فى التفضيل عند انقراض اهل السوابق التقدم فى الشجاعة والبلاء فى الجهاد"[(٦)] .

---

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٨٥) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ (٤ : ١٦٢ ، ١٦٣) ، البلاذرى ـ فتوح (ص٥٤٨) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، ونقله ابن الاثير فى الكامل (٢ : ٥٠٢) وانظر ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١١) ، والعسكرى الاوائل (ص١٣٤) ، ابن قدامة ـ المغنى (٦ : ٤١٦ - ٤١٧) .

(٣) ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) .

(٤) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٤٨) ، ابن سلام ـ الاموال (ص٢١١) العسكرى ـ الاوائل (ص١٣٤) ، ابن قدامة ـ المغنى (٦ : ٤١٦) .

(٥) الطبرى ـ تاريخ (٤ : ١٦٢) ، ونقله ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٥٠٢) .

(٦) انظر مثلا ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠٢) وانظر تفصيل ذلك فى ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٣ - ٢١٤) ، الطبرى ـ تاريخ (٤ : ١٦٢ - ١٦٣) .

وقد قدم لنا العديد من المؤرخين تفصيلات دقيقة عن اجراءات عمر في هذا الاطار وهو ماوصفه ابو يعلى بقوله :" فهذا حكم ديوان الجيش في ابتداء وضعه على الدعوة العربية والترتيب الشرعي"(١).

ويقدم لنا ابن سعد صورة دقيقة عن هذا الترتيب حيث يقول بعد ان يقدم اسانيده : قالوا :"لما اجمع عمر بن الخطاب على تدوين الدواوين وذلك في المحرم سنة عشرين بدأ ببني هاشم في الدعوة، ثم الاقرب فالاقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان القوم اذا استووا في القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اهل السابقة حتى انتهى الى الانصار فقالوا : بمن نبدأ فقال عمر : ابدأوا برهط سعد بن معاذ الاشهلي ثم الاقرب فالاقرب بسعد بن معاذ . وفرض عمر لاهل الديوان ففضل اهل السوابق والمشاهد في الفرائض ... فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرين والانصار ..."(٢).

ان هذه الروايات المهمة تعكس حقيقة بداية تاريخ تنظيم الديوان والغرض من انشاءه والاساليب المعتبرة في تنظيمه . ولعل من نافلة القول ان نذكر بان هذه النصوص ترتبط بشكل خاص بعملية انشاء الديوان في عاصمة الدولة الاسلامية، ذلك ان تنظيم الدواوين الاقليمية في الامصار قد تم في تاريخ لاحق وعلى نفس الاسس التي مر ذكرها .

روى عامر الشعبي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اراد وضع الديوان، وسأل بمن يبدأ فاجابه عبدالرحمن بن عوف ان يبدأ بنفسه، لكن الخليفة قد تذكر حادثة سابقة اذ قال :"اذكرتني . حضرت

---

(١) ابويعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠٢) .

(٢) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني المطلب فبدأ بهم عمر ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى جميع قريش ثم انتهى الى الانصار، فقال عمر ابدأوا برهط سعد بن معاذ من الاوس، ثم الاقرب فالاقرب لسعد"(١) .

ويضيف ابن سعد :"وفرض عمر لاهل الديوان ففضل اهل السوابق والمشاهد في الفرائض، وكان ابو بكر الصديق قد سوى بين الناس في القسم فقيل لعمر في ذلك فقال :لااجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرين والانصار ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة، حليفهم ومولاهم معهم بالسواء ، وفرض لمن كان له اسلام كاسلام اهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد احدا اربعة آلاف درهم لكل رجل منهم، وفرض لابناء البدريين الفين الفين الاحسنا وحسينا فانه الحقهما بفريضة ابيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم ، وفرض للعباس بن عبد المطلب خمسة آلاف درهم لقرابته لرسول الله ، وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم الفين وفرض لغلمان احداث من ابناء المهاجرين والانصار كفرائض مسلمة الفتح ... ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم، ثم جعل من بقي من الناس بابا واحدا فالحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين دينارا لكل رجل ، وفرض للمحررين معهم . وفرض لاهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل الفين الى الف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة لم ينقص احدا من ثلاثمائة .... وفرض لنساء مهاجرات ....

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠٠) .

ثلاثة آلاف درهم لكل واحدة ، وامر عمر فكتب له عيال اهل العوالى فكان يجرى عليهم القوت . . . وكان عمر يفرض للمنفوس مئه درهم فاذا ترعرع بلغ به مائتى درهم فاذا بلغ زاده. . . ."(١)

اما الماوردى والقاضى الفراء فقد اوضحا بان ترتيب الجند في "الديوان" اذا اثبتوا فيه معتبر من وجهين احدهما عام والاخر خاص فاما العام فهو ترتيب القبائل والاجناس حتى تتميز كل قبيلة عن غيرها وكل جنس عمن يخالفه ، فلا يجمع فيه بين المختلفين ولا يفرق بين المؤتلفين لتكون دعوة الديوان على نسق معروف يزول معه التنازع والتجاذب . واذا كان هكذا لم يخل حالهم من ان يكونوا عربا او عجما .

فان كانوا عربا تجمعهم انسابا وتفرق بينهم انساب ترتبت قبائلها بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عمر حين دونهم. . . وان كانوا عجما لا يجتمعون على نسب فالذى يجمعهم عند فقد النسب احد امرين : اما اجناس واما بلاد . فالمتميزون بالاجناس كالترك والهند ، ثم يتميز الترك اجناسا والهند اجناسا . والمتميزون بالبلاد كالديلم ، والجبل ثم يتميز الديلم بلدانا والجبل بلدانا ، فاذا تميزوا بالاجناس او البلدان ، فان كانت لهم سابقة قدم في الاسلام ترتبوا عليها في الديوان ، وان لم يكن لهم سابقة ترتبوا بالقرب من ولى الامر وان تساووا فبالسبق الى طاعته . واما الترتيب الخاص فهو ترتيب الواحد بعد الواحد يرتب بالسابقة في الاسلام فان تكافأوا في السابقة ترتبوا بالدين ، فان تقاربوا فيه ترتبوا بالسن فان تقاربوا فيها ترتبوا بالشجاعة ، فان تقاربوا فيها فولى الامر بالخيار بين

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣ ، ٢١٤) ، وانظر البلاذرى - فتوح (ص ٥٥٠ - ٥٥٢) .

ان يرتبهم بالقرعة او يرتبهم عن رأيه واجتهاده[1] .

وهكذا فان بالامكان القول بان ديوان المدينة الذى وضع فى بادىء الامر لم يكن يحتوى على قوائم باسماء من شملهم العطاء فقط وانما تضمن ايضا معدلات العطاء السنوى الذى يصرف لكل منهم .

على ان معدلات الصرف هذه ليست بالبساطة التى يتصورها الباحث لاول وهلة ، كما ان تقدم الاسماء لا يعنى بالضرورة زيادة نصيب الافراد فى العطاء ، ذلك ان الديوان قد جرى تنظيمه ابتداء من بنى هاشم ثم الاقرب فالاقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، اما الفرض فى العطاء فالتفضيل فيه لاهل السوابق والمشاهد . ومن النصوص الكثيرة التى تقدمها لنا المصادر يمكن ان نقول بان قوائم الاسماء التى وردت فى الديوان لم تقتصر على الجند او المقاتلة وانما شملت عددا كبيرا من الافراد رجالا ونساء واطفالا اجتهد عمر رضى الله عنه انهم اصحاب حق فيما يرد الى بيت المال من واردات[2] . وان كانت نسبة الجند او المقاتلة فيه كانت عالية ، وعلينا ان نتذكر ان جميع الرجال المسلمين القادرين على القتال كانوا كلهم جندا غير ان هؤلاء ايضا صنفوا الى عدد من الفئات تسير وفق التطور الزمانى لتاريخ الدعوة الاسلامية من جهة وتاريخ ارتباط كل منهم بهذه الدعوة .

والملاحظ ايضا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تنظيمه للديوان قد اولى عناية خاصة لعيال المقاتلة وذراريهم ومايولد لهم ، ذلك انه فرض لهم الفروض النقدية من جهة كما امر بتوزيع الارزاق عليهم شهريا من جهة

---

(١) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٤- ٢٠٥) ، ابو يعلى الاحكام السلطانية (ص٢٤١- ٢٤٢) .

(٢) انظر شيخ الاسلام ابن تيمية - مجموع الفتاوى (٢٨ : ٢٧٧) .

اخرى . وقبل ان نتعرض بالتفصيل لمقادير العطاء ، فلعل من المناسب ان نحاول التعرف على الدوافع التي اسهمت في توجه امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نحو التفضيل في العطاء ، وذلك بالتعرف على معالم ذلك التفضيل وهي :

السابقة في الاسلام [١] :

حيث ان السابقين الاولين لقوا من عنت المشركين وشدتهم مالم يلقه غيرهم ، كما ان الاسلام قام في بداية الامر على جهودهم وصبرهم ثم هجرتهم الى المدينة لهذا نجد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم المهاجرين الاولين على غيرهم يتضح ذلك من قوله رضي الله عنه :" .. فمن اسرع الى الهجرة اسرع به العطاء ومن ابطأ عن الهجرة ابطأ عنه العطاء فلا يلومن الرجل الا مناخ راحلته"[٢] .

كما انه رضي الله عنه اشار عند بداية التقسيم والتفضيل الى تفضيل المهاجرين عن غيرهم بقوله :" ... انى بادىء بازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعطيهن ، ثم المهاجرين الاولين انا واصحابي اخرجنا من ديارنا واموالنا ، ثم الانصار الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ..."[٣] .

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠٢) .
(٢) ابن سلام - الاموال (ص٢١١) ، ابن الجوزي - مناقب عمر (ص١٠٠) ، الهندي - كنز العمال (٤ : ٥٥٦) .
(٣) ابن سلام - الاموال (ص٢١١) ، ابن الجوزي - مناقب عمر (ص١٠٠) .

البلاء في الجهاد :

فقد زادعمر بن الخطاب رضى الله عنه اناس لمواقفهم المؤثرة في الذود عن الاسلام واهله ، وهو ماعبر عنه ابو يعلى والماوردى بـ "... حسن الاثر في الدين"[1]. لهذا نجد امير المؤمنين عمر رضى الله عنه ينظر الى اصحاب تلك المواقف ويكرمهم على ذلك بزيادة العطاء لهم ، فمن ذلك ما اوردته المصادر من ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد "... فرض لعبدالله بن حنظلة الفي درهم فاتاه طلحة بابن اخ له ففرض له دون ذلك . فقال يا امير المؤمنين فضلت هذا الانصارى على ابن اخى ، فقال نعم : لانني رأيت اباه يستتر بسيفه يوم احد كما يستتر الجمل"[2].

كما انه رضى الله عنه "قسم مروطا[3] بين نساء اهل المدينة فبقى منها مرط جيد فقال له بعض من عنده : يا امير المؤمنين اعط هذه ابنة رسول الله التى عندك ، يريد ام كلثوم بنت على بن ابى طالب ، فقال عمر : ام سليط احق به فانها كانت تزفر لنا القرب يوم احد"[4].

وحيث ان من اسس التفضيل عند عمر رضى الله عنه القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض الصحابة وابناءهم في مقادير اعطياتهم وذلك لمكانتهم وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمل عمر ذلك اخلاصا منه لتلك الفئة الذين

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٢) .
(٢) الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٧٧- ٥٧٨) .
(٣) تعريف المرط هو كساء من صوف او خز او كتان وقال ابن الاعرابى هو الازار . انظر الخزاعى - تخريج الدلالات (ص٣٠٦) .
(٤) ابو عبيد - الاموال (ص٢٢٧) .

كانت لهم مكانة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا نجده قد فضل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام[١].

كما انه فضل الحسن والحسين[٢] ابني علي بن ابي طالب رضي الله عنهم لمكانتهما من رسول الله عليه السلام.

كما فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسامة بن زيد على بقية ابناء المهاجرين والانصار وهناك قصة طريفة تحكي سبب تفضيل عمر رضي الله عنه لاسامة عن غيره، فاورد ابو يوسف وابن سلام وغيرهم ان "... بعض الصحابة لم يزالوا يكلموا عبد الله بن عمر بن الخطاب في ان يكلم اباه في سبب ذلك فقال عبد الله بن عمر لابيه عمر بن الخطاب : اتفضل على من ليس بافضل مني ولم يسبقني الى شيء ؟ فقال عمر : ذلك لان زيد بن حارثة كان احب الى رسول الله من عمر، وان اسامة كان احب الى رسول الله من عبد الله بن عمر"[٣].

وتشير المصادر كذلك الى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد زاد في عطاء عمر بن ابي سلمة "فان محمد بن عبد الله بن جحش قال لعمر بن الخطاب لم تفضل عمر علينا فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدرا، فقال عمر :افضله لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم، فليأت الذي يستغيث بام مثل ام سلمة

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٨)، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠١)، البلاذري - فتوح (ص٥٥١).

(٢) ابو يوسف - الخراج (ص١٠١)، البلاذري - فتوح (ص٥٥٠)، ابويعلى الاحكام السلطانية (ص٢٣٨)، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠١)

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٠، ١٠١) وانظر البلاذري - فتوح (ص٥٥١، ٥٥٩)، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠١)، ابن سعد الطبقات (٣ : ٢١٤)، البيهقي - السنن (٦ : ٣٥٠)، ابن سلام الاموال (ص٢١٤)، فقد ذكر المحقق أنه ورد في الصحيح انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احب الناس اليك قال : زيد، قيل ثم من ؟ قال :ابنه اسامة، ولهذا كان يقال لاسامة الحب بن الحب.

اغنـــــه[1] .

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر فى التفضيل والعطاء الـــى مسألة الحاجة وهو ما اشار اليه بقوله عند التفضيل إنا " . . . على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالرجل وبلاؤه فـــى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغنائه فى الاسلام ، والرجـــل وحاجته"[2] .

كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يغفل اهل النجدات والشجاعة فى تفضيلهم عن غيرهم بالعطاء . فيروى ابن سلام باسانيده : " ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص : ان افرض لمن بايع تحت الشجرة فـــى مائتين من العطاء - يعنى مائتى دينار - وابلغ ذلك لنفسك بامارتك . وافرض لخارجة بن حذافة فى الشرف لشجاعته . . ."[3] .

كما انه فرض لـ"بسر بن ارطأة فى مائتين لانه صاحب سيف . وقـــال ربفتح قد فتحه الله على يديه"[4] .

كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يفرض لامراء الجيوش اكثر من غيرهم فيذكر ابو يوسف انه "كان يفرض لامراء الجيوش والقرى فى العطـــــاء مابين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر مايصلحهم من الطعـــام ومايقومون به من الامور"[5] .

---

(١) ابو يوسف - الخراج (ص١٠١) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٥١) وانظـــر ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤) .
(٢) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٦ ، ١٠٧) ، ابن سعد - الطبقـــــات (٣ : ٢١٥ ، ٢١٦) ، ابن الجوزى - تاريخ عمر (ص٩٩ ، ١٠٠) .
(٣) ابو عبيد - الاموال (ص٢١٣) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٨) انظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) .
(٤) ابو عبيد - الاموال (ص٢١٣) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٨) .
(٥) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٧) .

مصادر العطاء :-

وتقدم المصادر معلومات مفصلة عن التطبيقات التي حصلت في توزيع العطاء بعد ان استقر ترتيب الناس في الديوان ، وتكاد المصادر تجمع على مايلي :

لما كان ترتيب الناس في الديوان قد اتخذ من النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم نقطة البدء في التدوين ، فقد بدأ العطاء بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول الطبري " قال : بل ابدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ففرض للعباس وبدأ به . . . "(١). في الوقت الذي يذكر فيه اليعقوبي بان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بدأ "ببني عبد مناف فكتب اول الناس علي بن ابي طالب ، وقيل بدأ بالعباس بن عبد المطلب . . . "(٢). وقد نقل ابن الاثير في الكامل رواية الطبري في تاريخه(٣). غير ان الروايات لا تتفق على مبلغ العطاء الذي جرى تخصيصه سنويا للعباس بن عبد المطلب اذ تراوح العطاء باختلاف الروايات في حدود مابين خمسة آلاف الى خمسة وعشرين الف درهم . فقد ذكر ابن سعد في طبقاته بان عمر قد :" فرض للعباس بن عبد المطلب خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد روى بعضهم(٤) انه فرض له سبعة آلاف درهم ، وقال سائرهم(٥) : لم

---

(١) الطبري - تاريخ (٤ : ١٦٢ ، ١٦٣) ، وانظر ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٤) الهندي - كنز العمال (٤ : ٥٦٢) .

(٢) اليعقوبي - تاريخه (٢ : ١٥٣) ، ولعل ذلك من اختلاقات اليعقوبي نفسه ، حيث لم يرد في المصادر المعتمدة مايثبت ذلك ، والدوافع عند اليعقوبي معروفة وذلك نظرا لتشيعه .

(٣) ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٢) .

(٤) انظر البلاذري في احدى روايتين - فتوح (ص ٥٥١) .

(٥) البلاذري - في احدى الروايتين - فتوح (ص ٥٥١) ، ابو يعلى الاحكام السلطانية (ص ٢٣٨) ، الماوردي - الاحكام (ص ٢٠١) .

يفضل احدا على اهل بدر الا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم"[١] .

اما ابو يوسف فقد ذكر بان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد "فرض للعباس بن عبدالمطلب فى اثنى عشر الفا"[٢] . وينفرد الطبرى فى ذكر رواية ورد فيها ان عطاء العباس هو خمسة وعشرين الف درهم حيث قال :" وكان فرض للعباس خمسة وعشرين الفا ، وقيل اثنى عشر الفا ....."[٣] . ومن خلال النصوص السابقة يتضح لنا ان العباس بن عبد المطلب قد اصبح نقطة البداية فى العطاء وربماكان عطاؤه فى حدود خمسة آلاف درهم سنويا .

وتكاد المصادر تجمع على ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد جعل عطاء امهات المؤمنين اعلى معدل عطاء يصرف فى الديوان فقد جعل لكل واحدة منهن عشرة آلاف درهم[٤] . وتشير بعض المصادر الى استثناءات اذ يبدوا انه اضاف الى عطاء ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها الفى درهم لمكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] . كما جعل عطاء امهات المؤمنين جويرية وصفية رضى الله عنهما ستة آلاف درهم[٦] . وينقل

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣) ، البلاذرى - فتوح (ص ٥٥١) .

(٢) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠٠ ، ١٠٢) ، وانظر الطبرى - تاريخ (٤ : ١٦٢) فى ثانى روايتين عن الموضوع .

(٣) الطبرى - تاريخ (٤ : ١٦٢ ، ١٦٣) .

(٤) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠٣) ، ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٤ - ٢٢٥) الطبرى - تاريخ (٤ : ١٦٢) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص ٢٣٨) .

(٥) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠٣) ، ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٤) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) .

(٦) ابو يوسف - الخراج فى احدى ثلاث روايات (ص ١٠٠) ، البلاذرى فتوح (ص ٥٥٦ ، ٥٥٧) ، ابو عبيد - الاموال (ص ٢١٣) ، ابو يعلى الاحكام (ص ٢٣٨) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص ٢٠١) .

الطبرى رواية مفادها ان هذا التفضيل لم يلق هوى فى نفوس امهات المؤمنين حيث واجهنه بقولهن :"ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة فسو بيننا ، ففعل وفضل عائشة بالفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ"[(١)].

وينفرد البلاذرى بقوله :"الا ازواج النبى فانه فرض لهن اثنى عشر الفا اثني عشر الفا والحق بهن جويريه بنت الحارث وصفية بنت حيى بن اخطب"[(٢)].

والراجح فان عطاء ازواج النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرة آلاف درهم فى السنة لكل واحدة منهن[(٣)].

اما المقاتلة او الجند الذين كان لهم شرف العطاء وقد جرى تصنيفهم على اساس السابقة فى الاسلام[(٤)]، وهكذا فانهم قد قسموا الى طبقات وهى كما يلى :

(١) المهاجرين من البدريين وقد تراوح مقدار عطائهم فى حدود خمسة آلاف الى ستة آلاف درهم سنويا[(٥)]، وقد الحق بهم كل من الحسن

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، وانظر البيهقى - السنن الكبرى (٦ : ٣٥٠) .

(٢) البلاذرى - فتوح (ص ٤٣٦) .

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٣) ، ابو عبيد - الاموال (ص٢٢٤، ٢٢٥) الطبرى - تاريخ (٤ : ١٦٢) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص ٢٣٨) .

(٤) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٠) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣) .

(٥) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٣) ، الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٥٧) ، ابوعبيد - الاموال (ص٢١٢) البيهقى السنن (٦ : ٣٥١) .

والحسين لمكانتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]. وقد اشارت بعض المصادر الى ان ابا ذر وسلمان الفارسي رضى الله عنهما كانا من بين الذين شملهما العطاء من هذه الفئة[٢].

(٢) الانصار الذين اشتركوا فى معركة بدر فقد فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل واحد منهم مابين اربعة آلاف[٣] الى خمسة آلاف[٤].

كما ان هناك بعض المصادر تشير الى ان مقدار اعطيات هذه الفئة والتى قبلها وصلت الى ستة آلاف[٥] درهم فى السنة، وقد الحق عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع هؤلاء الموالى الذين شاركوا المسلمين فى معركة بدر، وفى ذلك يقول البلاذرى :"... وعم بفريضته كل صريح وحليف ومولى شهد بدرا فلم يفضل احدا على احد"[٦].

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص٣٠١) ، البلاذرى ـ فتوح (ص٥٥٠) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، الماوردى (ص٢٠١) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٦١٤) ، انظر ابن الجوزى ـ مناقب عمر (ص١٠٩) البيجالى ـ اشعة الانوار (١ : ٢٣٧) .

(٣) البلاذرى فى احدى رواياته ـ فتوح (ص٥٥٧) ، ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١٢) ، ابن سعد ـ فى احدى رواياته ـ الطبقات (٣ : ٢١٩) ، العسكرى ـ الاوائل (ص١٣٤) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، البيهقى ـ السنن (٦ : ٣٥١) ، ابن قدامة ـ المغنى (٦ : ٤١٦) .

(٤) ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٠) ، ابن سعد فى احدى رواياته الطبقات (٣ : ٢١٣) ، البلاذرى ـ فى احدى رواياته ـ فتوح (ص٥٥٠ ٥٥٦) ، الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٦١٤) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٥٠٢)

(٥) البلاذرى ـ فى احدى رواياته ـ فتوح (ص٥٥٧) ، ابن سعد فى احدى رواياته ـ الطبقات (٣ : ٢١٩) .

(٦) البلاذرى ـ فتوح (ص٥٥٧) ، وانظر ابو عبيد ـ الاموال (ص ٢١٢) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٣)، ٢١٩) .

غير ان بعض المصادر اشارت الى انه فرض لكل من المهاجرين والانصار من اهل بدر خمسة آلاف يؤيد ذلك مارواه الطبرى عن عمر حينما طلب منه تسوية اهل الايام باهل القادسية قال مستنكرا عليه :"... فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار، فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم ، وهاجر اليهم المهاجرون من بعد"[1].

(٣) المهاجرين الذين كان لهم اسلام كاسلام اهل بدر، ومهاجرة الحبشة ممن شهد احدا ، وقد فرض لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه اربعة آلاف درهم لكل واحد منهم[2].

(٤) الانصار الذين لم يشتركوا فى بدر واشتركوا فيما تلاها من الغزوات اضافة الى الذين هاجروا قبل الفتح[3]، فقد فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل واحد منهم ثلاثة آلاف درهم[4].

(٥) ابناء المهاجرين والانصار وقد فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل واحد منهم الفين الفين[5]، الا انه فضل بعضهم حيث فضل

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) .

(٢) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠٠) ، الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، البلاذرى فتوح (ص ٥٥٠) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٥٠ ، ٣٥١) ، ابن الجوزى - مناقب عمر (ص ١٠٨) .

(٣) البلاذرى - فتوح (ص ٥٥١) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣) ، ابو يعلى - الاحكام (ص ٢٣٨) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص ٢٠١)

(٤) البيهقى - السنن (٦ : ٣٥٠) .

(٥) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠١) ، البلاذرى - فتوح (ص ٥٥٠ ، ٥٥٩) ، ابو يعلى - الاحكام (ص ٢٣٨) ، الماوردى - الاحكام (ص ٢٠١) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٥٠) .

اسامة بن زيد[١] ، وكذلك عمر بن ابى سلمة[٢] ، ولهذا احدث استغراب من بعض الصحابة لذلك فلم يزل الناس يكلموا عبد الله بن عمر بن الخطاب فى ان يكلم اباه فى سبب ذلك ، فقال له :"... يا ابه لم زدته على الفا ؟ ماكان لابيه من الفضل مالم يكن لابى ، وماكان له مالم يكن لى ، فقال : ان ابا اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك ، وكان اسامة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك"[٣] .

كما انه زاد فى الفريضة ايضا عمر بن ابى سلمة رضى الله عنه فقال محمد بن عبد الله بن جحش :"... ماكان لابيه ابى سلمة مالم يكن لآبائنا وماكان له مالم يكن لنا . فقال : انى قد فرضت له بابيه ابى سلمة الفين ، وزدته بامه ام سلمة الفا فان كانت لك ام مثل

---

(١) هو ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه وقد وهبته خديجة رضى الله عنها للرسول عليه السلام وهو ابن ثمان سنين فاعتقه وتبناه وكان يقال له زيد بن محمد حتى انزل الله "ادعوهم لآبائهم . " وهو من المسلمين الاوائل وشهد بدرا وقتل فى مؤتة سنة ثمان من الهجرة ، ولما اتى رسول الله خبر وفاته مع جعفر قال اخواى ومؤنساى ومحدثاى ، ولم يسم الله احدا من الصحابة ولا من اصحاب الانبياء فى القرآن الا زيدا . انظر اسد الغابة (٢ : ٢٨١- ٢٨٤) .

(٢) هو ابو سلمة بن عبد الاسد القرشي المخزومى ، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قديم الاسلام ، شهد بدرا واحدا حيث جرح فى احد جرحا اندمل ثم انتقض فمات منه سنة ثلاث من الهجرة انظر اسد الغابة (٦ : ١٥٢) ، اما ام سلمة فهى زوجته وهى بنت ابى امية بن المغيرة القرشية وكانت من المهاجرات الى الحبشة والى المدينة وقد تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها عنها وتوفيت سنة ٥٩ هـ بعد عائشة رضى الله عنها بستة ايام انظر اسد الغابة (٧ : ٣٤٠- ٣٤٧) .

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص٥٠ ، ١٠١) ، وانظر البلاذرى - فتوح (ص٥٥١ ، ٥٥٩) ، الماوردى - الاحكام (ص٢٠١) ، ابن سعد الطبقات (٣ : ٢١٤) ، ابو عبيد - الاموال (ص٢١٤) .

ام سلمة زدتك الفا[١].

(٦) الصحابة الذين هاجروا قبل الفتح فقد فرض لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العطاء لكل واحد منهم ثلاثة آلاف درهم[٢]. واضاف الطبري وابن قدامة ان منهم الذين شهدوا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

(٧) اما مسلمة الفتح فان اغلب المصادر تذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لكل واحد منهم الفين الفين[٤]، في حين يذكر الطبرى وابن الجوزى بان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لهم على ثلاثة آلاف درهم في السنة حيث يقول الطبرى :"... ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان اقلع ابو بكر عن اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن ابى بكر، ومن ولى الايام قبل القادسية ، كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ..."[٥].

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠١) ، وانظر البلاذرى ـ فتوح (ص٥٥١) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٤) .

(٢) البلاذرى ـ فتوح (ص٥٥١) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٢، ٢١٤) ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) .

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٦١٤) ، ابن قدامة ـ المغني (٦ : ٤١٧) ، ابن الجوزى ـ مناقب عمر (ص١٠٩) .

(٤) البلاذرى ـ فتوح (ص٥٥١) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٤) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، ابن قدامة ـ المغني (٦ : ٤١٧) .

(٥) الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٦١٤) ، وانظر ابن الجوزى ـ مناقب عمر (ص١٠٩) ، وانظر ايضا البيجانى ـ اشعة الانوار (١ : ٢٢٧) .

(٨) ثم تلى هؤلاء من المسلمين اولئك المجاهدين الذين شاركوا فى فتح القادسية والشام حيث فرض لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل واحد منهم الفين ولاهل البلاء البارع منهم الفين وخمسمائة[١]. غير ان هناك بعض المصادر تشير الى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لهم الف وخمسمائة ولاهل البلاء الفين وفى ذلك يقول البلاذرى باسانيده قال :"قدم خالد بن عرفطه العذرى على عمر فسأله عن ماوراءه فقال : تركتهم يسألون الله لك ان يزيد فى عمرك من اعمارهم ماوطىء احد القادسية الا وعطاؤه الفان او خمس عشرة مائة"[٢].

(٩) فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن جاء بعد القادسية واليرموك لكل واحد منهم الفا الفا[٣].

(١٠) كما فرض للروادف الذين جاءوا بعد هؤلاء، فقد فرض :"للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الثليث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين ..."[٤].

(١١) كما "فرض لاهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل مابين الفين الى الف الى تسع مائة الى خمس مائة الى ثلاث مائة، ولم ينقص احدا عن

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٣) ، ابن الجوزى - مناقب عمر (ص١٠٩) ، وانظر البيجانى - اشعة الانوار (١ : ٢٣٧) .

(٢) البلاذرى - فتوح (ص٥٥٣) ، وانظر الهندى - كنز العمال (٤: ٥٦٧) .

(٣) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، ابن الجوزى - مناقب عمر (ص١٠٩) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، وانظر ابن الجوزى - مناقب عمر (ص١٠٩) .

ثلاث مائة..[١].

(١٢) وكان آخر من فرض لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الديوان اهل هجر[٢] وقد فرض عمر لكل واحد منهم مائتين[٣]، الا ان ابن الجوزى يذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرض لاهل هجر على مائة حيث يقول :" وكان آخر من فرض له عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهل هجر على مائة، ومات عمر على ذلك ..."[٤].

وبالاضافة الى هذه القوائم فقد كانت هناك اعطيات اخرى رأى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يفرضها لمن يستحقها وكانت هذه العطاءات تشمل عدة فئات اهمها :

(١) النساء المهاجرات حيث فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتلك النساء اللواتي هاجرن الى كل من الحبشة او المدينة وذلك بقدم اسلامهن ولفضل هجرتهن فقد :"فرض لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم، ولاسماء بنت عميس الف درهم، ولام كلثوم بنت عقبة

---

(١) البلاذرى - فتوح (ص٥٥٢)، وانظر ابن سعد - الطبقات (٣ :٢١٤) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩)، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠١).

(٢) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة : القرية فمنها هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن، وقيل هجر قرية قرب المدينة وقيل هجر : مدينة وهى قاعدة البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب. انظر الحموى - معجم البلدان (٥ :٣٩٣).

(٣) الطبرى - تاريخ (٣ :٦١٤).

(٤) ابن الجوزى - مناقب عمر (ص١٠٩).

الف درهم، ولام عبدالله بن مسعود الف درهم[١] .

وذكر البلاذري ، وابن سعد في رواية اخرى انه فرض ايضا "لاسماء بنت ابي بكر الفا"[٢] .

ويزيد اليعقوبي على هؤلاء المهاجرات ايضا اسم خولة بنت حكيم ابن الاوقص زوجة عثمان بن مظعون وقد فرض لها عمر الفين ، كما يورد تفاوتا في مقدار الاعطيات التي اعطاها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتلك النساء المهاجرات حيث يقول :" وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن ، وكانت فريضة لهن في الفين الف وخمسمائة والف ، وفرض لاسماء بنت عميس وام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ، وخولة بنت حكيم بن الاوقص امرأة عثمان بن مظعون في الفين ، وفرض لام عبد في الف وخمسمائة"[٣] ... وذكر البلاذري قال ان "الواقدي روى انه فرض للنساء المهاجرات ثلاثة آلاف درهم لكل واحدة"[٤] .

(٢) كما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض اعطيات اخرى لزوجات المقاتلة وذراريهم ، وذلك بدافع منه رضي الله عنه على اعالة اهل الجندي المقاتل في سبيل الله حتى يذهب المقاتل الى ساحة الجهاد وهو مطمئن على رزق اهله وذريته ، وكان هذا العطاء

---

(١) البلاذري - فتوح (ص٥٥٢) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤) ، ابو عبيد - الاموال (ص٢١٣) .

(٢) البلاذري - فتوح (ص ٥٥٨) ، ابو سعد - الطبقات (٣ : ٢١٩) ، ابو عبيد - الاموال (ص٢١٣) .

(٣) اليعقوبي - تاريخ (٢ : ١٥٣) .

(٤) البلاذري - فتوح (ص٥٥٢) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤) .

المقرر لزوجات المسلمين متفاوتا بحسب ازواجهن حيث " جعل نساء اهل بدر في خمسمائة خمسمائة ، ونساء من بعدهم الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة ، ونساء من بعد ذلك الى الايام ثلثمائة ثلثمائة ، ونساء اهل القادسية مائتين مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك"[(١)] .

اما ابو يوسف فيرى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه :"فرض لنساء المهاجرين والانصار ستمائة ستمائة ، واربعمائة اربعمائة ، وثلاثمائة ثلاثمائة ومائتين مائتين"[(٢)] .

كما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعيال المقاتلة وذريتهم العشرات[(٣)] .

وبالاضافة الى عطاء الزوجات كانت هناك اعطيات لاولاد المقاتلة فكان عمر يفرض للمولود اذا طرحته امه مائة ، فاذا ترعرع بلغ مائتي درهم فاذا بلغ زاده[(٤)] .

وكان عمر رضي الله عنه لا يفرض لمولود حتى يفطم ، فبينما هو يطوف ذات ليلة بالمصلى ، بكى صبي فقال لامه : ارضعيه ، فقالت : ان امير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى يفطم ، واني قد فطمته ، فقال عمر : ان كدت لان اقتله ، ارضعيه فان امير المؤمنين سوف يفرض له . ثم فرض بعد ذلك

---

(١) الطبري ـ تاريخ (٣ : ٦١٤ ، ٦١٥) ، ابن الجوزي ـ مناقب عمر (ص١٠٩ ، ١١٠) .
(٢) ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٣) .
(٣) البلاذري ـ فتوح (ص٥٦١) ، ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٢٦) .
(٤) ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٧) ، البلاذري ـ فتوح (ص٥٥٢) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٤) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص ٢٣٩) .

لكل مولود حين يولد[١] . " ثم امر مناديا ينادى لا تعجلوا اولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام"[٢] .. قال ابو عبيد :"وكتب بذلك فى الآفاق بالفرض لكل مولود فى الاسلام"[٣] . ففرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل مولود يولد فى الاسلام مائة درهم فى العام[٤] .

كما يذكر ابن سعد والبلاذرى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه "كان اذا أُتي باللقيط فرض له مائة درهم ، وفرض له رزق يأخذه وليه كل شهر بقدر مايصلحه ثم ينقله من سنة الى سنة ، وكان يوصى بهم خيرا .."[٥] .

وكان عطاء هؤلاء الذرية واهلهم مثبت ضمن سجلات الجند فيذكر الصولى باسانيده قال : "وكان بالبصرة والكوفة ديوانان لاعطاء الجند والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية...."[٦] .

(٣) كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لاناس من العجم ممن كانت لهم اهمية فى الادارة الاقتصادية ، واسهموا فى تسيير اعمال المقاتلة وادلالهم على الاماكن والطرق المناسبة ، وكان عمر فرض لهم ذلك ايضا ليتألف بهم غيرهم بحكم انهم اشراف فى قومهم[٧] ، ومن هؤلاء

---

(١) عبد الرزاق - المصنف (٥ : ٣١١) ، (٣ : ٥٣٣) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٤٧) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص ٢٣٩) ، الهندى كنز العمال (٤ : ٥٦٨) .

(٢) ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٣) ، البلاذرى - فتوح (ص ٥٦٢) .

(٣) ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٣) .

(٤) الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٦٧) ، وانظر الطبرى- تاريخ (٣ : ٦١٥) .

(٥) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤) ، البلاذرى - فتوح (ص ٥٥٢) .

(٦) الصولى - ادب الكتاب (ص ١٩٢) ، وانظر الجهشيارى - الوزراء (ص ٣٨) .

(٧) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٥٤) .

"... دهقان نهر الملك، ولابن النخيرخان، ولخالد وجميل ابني بصبهرى دهقان الفلاليج، ولبسطام بن قرس دهقان بابل وخطرنيه وللرفيل دهقان العال، ولجفينة العبادى فى الف، ويقال انه فضل الهرمزان ففرض له الفين[1]. اما اليعقوبى فيشير فى تاريخه الى انه فرض لكل واحد من هؤلاء فى الفين الفين، ولم يشر الى ان عمر فرض للرفيل شيئا[2]. فى حين ينفرد ابو يوسف بالاشارة فقط الى ان عمر رضى الله عنه :"فرض للرفيل حين اسلم الفين، وقال له دع ارضى فى يدى اعمرها واودى عنها الخراج ماكانت تؤدى ففعل[3]".

وبالاضافة الى هؤلاء فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه "امر ان يكتب او يدون له عمال اهل العوالى[4] فكان يجرى عليهم القوت[5]".

من ذلك نلاحظ مدى شمولية تدوين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجميع فئات المسلمين وحرصه على ان لا يبخس اى مسلم كان له دور فى الفتوحات الاسلامية على اختلاف فتراتها ان لا يبخسه حقه رضى الله عنه وارضاه.

---

(١) البلاذرى - فتوح (ص٥٠٦)، وانظر ابو عبيد - الاموال (ص٢٢١، ٢٢٢).

(٢) اليعقوبى - تاريخ (٢: ١٥٣، ١٥٤).

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٤).

(٤) وهو جمع العالى ضد السافل وهو ضيعة بينها وبين المدينة اربعة اميال وقيل ثلاثة وذلك ادناها وابعدها ثمانية. انظر الحموى معجم البلدان (٤: ١٦٦).

(٥) البلاذرى - فتوح (ص٥٥٢)، ابن سعد - الطبقات (٣: ٢١٤)، ابو يعلى - الاحكام (ص٢٣٩).

اعطيات ومساعدات عينية .

فبالاضافة الى الاعطيات التي صرفها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المقاتلة وذراريهم، كان عمر يعطي كل مستحقي الرواتب سواء من المقاتلة او نساءهم او ذراريهم بعض المواد التموينية التي تكفيهم ومايعيلونه من عبيد واماء وخيل .. روى الهندي عن عياض الاشعري قال " ان عمر كان يرزق العبيد والاماء والخيل وكان يوزع الارزاق كل شهر" [١].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي كل شخص"... على قدر مايصلحهم من الطعام ومايقومون به من الامور" [٢]. وحتى يكون توزيع عمر للارزاق بشكل سليم ودقيق وبمقادير تكفي كل انسان، فتروى بعض المصادر " ان عمربن الخطاب رضي الله عنه امر بجريب من طعام فعجن، ثم خبز ثم ثرد بزيت ثم دعا بثلاثين رجلا فاكلوا منه غداءهمحتى اصدرهم . ثم فعل بالعشاء مثل ذلك . فقال : يكفي الرجل جريبان كل شهر . فكان يرزق الناس الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر" [٣]. وتروى بعض المصادر " ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ،ثم قال : انا اجرينا عليكم اعطياتكم،وارزاقكم في كل شهر، وفي يديه المدى والقسط ، قال فحركهما وقال : فمن انتقصها فعل الله به كذا وكذا ودعا عليه" [٤]. وفي رواية

---

(١) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٣١) ، الهندي ـ كنز العمال (٤ : ٥٥٧) ، الصولي ـ ادب الكتاب (ص١٩٠) .
(٢) ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٧) .
(٣) البلاذري ـ فتوح (ص٥٦٤) ، وانظر ابو يوسف ـ الخراج (ص١٠٨) ، ابن سعد ـ الطبقات(٣ : ٢١٩ ، ٢٢٠) ،ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٣١) ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ،البيهقي ـ السنن (٦ : ٣٤٦) الطبري ـ تاريخ (٣ : ٦١٥) .
(٤) البلاذري ـ فتوح (ص٥٦٤ ، ٥٦٥) ،ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٣١) ، البيهقي ـ السنن (٦ : ٣٤٦) .

اخرى "عن سفيان بن وهب يقول : قال عمر ، واخذ المدى بيد والقسط بيد انى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل ، فقال رجل : والعبيد ؟ قال : نعم والعبيد" (١) .

ولهذا نجد ان "الرجل اذا اراد ان يدعوا على صاحبه قال له رفع الله عنك جريبك" (٢) .

من خلال هذه النصوص يتبين لنا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرض لكل شخص من المسلمين صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم حرهم وعبدهم فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت، وهى تساوى الجريبين (٣) .

ومما يدل على ان هذه الارزاق التى قررها امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت عامة لجميع المسلمين وكانت تصل الى كل واحد منهم بمكانه ، ما اوردته بعض المصادر من ان خالد بن عرفطة العذرى قدم على عمر بن الخطاب " فسأله عمر عما وراءه ، فقال : يا امير المؤمنين تركت من ورائى يسألون الله ان يزيدك فى عمرك من اعمارهم ماوطئ احد القادسية الاعطاؤه الفان او خمس عشرة مائة ، ومامن مولود يولد الا الحق على مائة وجريبين كل شهر ذكرا كان او انثى ، ومابلغ لنا ذكر ، الا الحق على خمسمائة او ستمائة ، فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لايأكل الطعام ، فما ظنك به ؟ فانه لينفقه فيما ينبغى

---

(١) البلاذرى ـ فتوح (ص٥٦٤) ، ابوعبيد ـ الاموال (ص٢٣١) ، الهندى كنز العمال (٤ : ٥٧٥) .

(٢) البلاذرى ـ فتوح (ص٥٦٤) ، ابويعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠٢) .

(٣) الجريب مكيال قدره اربعة قفزان ، والقفيز ثمانية مكاييل ، والمكيال يسع صاعا ونصف صاع . انظر ابوعبيد ـ الاموال (ص٢٣١) .

وفيما لا ينبغي ، قال عمر : فالله المستعان ، انما هو حقهم اعطوه ، وانا اسعد بادائه اليهم منهم بأخذه"[١].

وهكذا فان تنظيم توزيع الاعطيات والارزاق في العاصمة قد جرى تحت اشراف مباشر من الخليفة الذي كان يتولى بنفسه مهمة توزيع الاعطيات كما ان الاجراءات الاجتهادية في مجال التوزيع، كان يستشير بشأنها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأخذ برأيهم ويلتزم بما يجمعون عليه[٢].

ولقد ذكرت المصادر المعتمدة بان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان "يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا[٣]... فلا تغيب عنه امرأة ولا بكر ولا ثيب فيعطيهن في ايديهن ، ثم يروح فينزل عسفان يفعل مثل ذلك حتى توفي"[٤].

ان صرف العطاء كان يجري على اساس السنة الهلالية فان الارزاق كانت تصرف على اساس الاشهر اذ "جعل الارزاق مشاهرة وكل ذلك برأي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع منهم"[٥].

---

(١) البلاذري ـ فتوح (ص٥٥٣) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٥) ، الهندي ـ كنز العمال (٤ : ٥٦٧) .
(٢) الصولي ـ ادب الكتاب (ص١٩٠) .
(٣) قديد : اسم موضع قرب مكة وسمي بذلك كما قيل ان تُبّع لما رجع من المدينة بعد حربه لاهلها نزل قديدا فهبت ريح قدت خيم اصحابه فسمي قديدا . انظر الحموي ـ معجم البلدان (٤ : ٣١٣) .
(٤) البلاذري ـ فتوح (ص٥٥٢) ، ابن سعد ـ الطبقات (٣ : ٢١٤) ، الهندي ـ كنز العمال (٤ : ٥٦٦) .
(٥) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٣١) ، الصولي ـ ادب الكتاب (ص١٩٠) .

اما اذا زادت واردات الدولة من الفيء عن تغطية الاعطيات والارزاق فان اجراءات توزيع الفائض لابد ان تجرى حسب تعليمات امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد كتب الى حذيفة بن اليمان" ان اعط الناس اعطياتهم وارزاقهم ، فكتب اليه انا قد فعلنا وبقى شيء كثير ، فكتب اليه عمر انه فيئهم الذى افاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر اقسمه بينهم"(١) .

والراجح ان الاقاليم الاسلامية التى مصرت قد افرد لكل منها ديوان خاص بها وقد ورد فى المصادر مايفيد بان ديوان حمير كان مفردا فقد نقل البلاذرى عن الواقدى عن ابى بكر بن ابى سبرة عن محمد بن زيد قال :"كان ديوان حمير على عهد عمر على حده"(٢) .

وقد سبقت الاشارة الى أن ديوان خزاعة كان معروفا وان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحمله معه ليتولى توزيع العطاء بنفسه .

وتشير المصادر الى انه :"كان بالبصرة والكوفة ديوانان لاعطاء الجند المقاتلة والذرية..."(٣) .

كما تشير الى وجود ديوان للعطاء فى الشام(٤) .

---

(١) البلاذرى - فتوح مصر (ص٥٥٣ ، ٥٥٤) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص١٤٤) .

(٢) البلاذرى - فتوح (ص٥٥٣) ، وانظر ابو يوسف - الخراج (ص١٠٧) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٥) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٦٦) .

(٣) الصولى - ادب الكتاب (ص١٩٢) ، وانظر الجهشيارى - الوزراء (ص٣٨) .

(٤) انظر ابن هشام - السيرة النبوية (١ : ٥٠٧) ، ابن سعد - الطبقات القسم المتمم لتابعى المدينة ، طبع الجامعة الاسلامية (ص١٦٠ ، ١٦١) ابن سيد الناس - عيون الاثر (١ : ٢٠٢) .

ولا بد من ان يكون هناك ديوان في مصر خاص بعطاء الجند اذ الثابت أن عمرو بن العاص رضى الله عنه كان يوجه باقي خراج مصر الى المدينة بعد صرف الاعطيات والارزاق [(١)] .

ويبدو ان الدواوين الخاصة بالعطاء والتى استحدثت خلال عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد كتبت باللغة العربية، وانها قد استمرت على ذلك طيلة عهود الدولة الاسلامية ، اما ماتتحدث عنه المصادر من قيام عبد الملك بن مروان باتخاذ اجراءات خاصة بتعريب الدواوين فان ذلك ليس له علاقة بديوان الجند فقد ذكرت المصادر بشكل واضح هذه الحقيقة يقول الجهشيارى بانه :"لم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان احدهما بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم، وهذا الذى كان عمر قد رسمه، والاخر لوجوه الاموال بالفارسية، وكان بالشام مثل ذلك، احدهما بالرومية والاخر بالعربية فجرى الامر على ذلك الى ايام عبد الملك بن مروان..." [(٢)] .

ومما يؤكد صحة القول بان دواوين الجند قد كتبت بالعربية ان عمر رضى الله عنه قد استكتب كلا من جبير بن مطعم وعقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل ، كما انه اختص "يزيد بن ثابت - رضى الله عنه - وقد كتب له معيقيب، وكاتبه على ديوان البصرة عبد الله بن خلف الخزاعى ، ابو طلحة الطلحات، وكاتبه على ديوان الكوفة ، ابو جبير بن الضحاك الانصارى [(٣)] .

وحيث ان هؤلاء هم من القبائل العربية وانهم لايعرفون الفارسية

---

(١) انظر البلاذرى - فتوح (ص٢٥٣) ، المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

(٢) الجهشيارى - الوزراء (ص٣٨) ، وانظر الصولى - ادب الكتاب (ص ١٩٢) .

(٣) خليفة بن خياط تاريخ (١ : ١٣٠) .

فمن الثابت ان استخدامه لهم كان من منطلق الثقة المبنية على اساس العقيدة ومعرفتهم بانساب القبائل العربية وبطونها . ومما يؤكد ذلك ايضا انه "ذكر لعمر بن الخطاب غلام كاتب حافظ من اهل الحيرة وكان نصرانيا فقيل له لو اتخذته كاتبا . فقال : لقد اتخذت اذا بطانة من دون المؤمنين"(١).

وهكذا فقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتحرى عقيدة الكاتب اضافة الى تخصصه فى فن الكتابة، وقد ورد مايفيد ذلك فيما جرى بينه وبين ابى موسى الاشعرى عامله على الكوفة الذى يبدو انه استخدم كاتبا نصرانيا حاذقا دون علم الخليفة وقد قدم معه الى المدينة فطلب منه عمر ان يدعوا كاتبه ليقرأ للخليفة "صحفا جاءت من الشام فقال ابو موسى انه لايدخل المسجد، قال عمر ابه جنابة؟ قال : لا ولكنه نصرانى. قال : فرفع يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها، ثم قال : مالك؟ قاتلك الله، اما سمعت قول الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء)(٢) الا اتخذت رجلا حنيفيا؟ فقال ابو موسى : له دينه، ولى كتابته فقال عمر : لااكرمهم اذ اهانهم الله ولااعزهم اذ اذلهم الله، ولاادنيهم اذ اقصاهم الله"(٣).

على ان الباحث ينبغى ان يؤكد مسألةشمولية العطاء ذلك ان العطاء قد "فرض حين فرض لاهل الفيء الذين افاء الله عليهم وهم اهل المدائن فصاروا بعد الى الكوفة انتقلوا عن المدائن الى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والاردن وفلسطين ومصر"(٤) غير ان ذلك ينبغى ان لا يقسر على اساس

---

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ٤٣) .

(٢) سورة المائدة : آية ٥١

(٣) ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ٤٣) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٣، ٦١٤) .

ان العطاء قد اقتصر على المشاركين فى فتح المدائن فقد ورد فى نص آخر مايشير الى ان "الفئ لاهل هؤلاء الامصار ولمن لحق بهم واعانهم واقام معهم"(١) .

وقد اورد ابن عبد الحكم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اصدر اوامره الى امراء الاجناد بان يعلنوا على الرعية "ان عطاءهم قائم وان رزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون"(٢) .

وتجمع المصادر بعد ذلك على القول بان عمر رضى الله عنه قد امر بان يلحق بالعطاء من اعتق من العبيد فتذكر نص كتاب ارسله عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد تضمن قوله :"ومن اعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ماعليهم ، وان احبوا ان يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم اسوتكم فى العطاء والمعروف..."(٣) . ومما يؤكد ذلك ماذكرته بعض المصادر من "ان قوما قدموا على ابى موسى فاعطى العرب وترك الموالى ، فكتب اليه عمر : الاسويت بينهم بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم"(٤) .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٣ ، ٦١٤) .

(٢) ابن عبد الحكم - فتوح مصر (ص ١٦٢) ، وانظر السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥٥) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٧١) ، ويضيف ابن عبد الحكم بان شريك بن سمنى الغطيفى استأذن عمرو بن العاص ان يزرع بسبب عدم كفاية العطاء فلم يأذن له غير ان شريك خالف توجيهات عمرو بن العاص الذى اخبر الخليفة فامر عمر بارساله اليه حيث استتابه فتاب .

(٣) ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢١) ، البلاذرى - فتوح (ص ٥٦٠) ، الهندى كنز العمال (٤ : ٥٧٦) .

(٤) ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢١) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٧٦) ، وهذا ينفى بعض الروايات التى تورد قول عمر "لا يلحق عبد فى ديوان" .

فئات محرومة من العطاء :-

ولقد اوردت المصادر المعتمدة بعض الروايات التى تفيد بان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد منع العطاء ان يصرف الى بعض الفئات وان ذلك مرتبط اما بتاريخ علاقتها بالدعوة الاسلامية مثل بعض اهل مكة، او بسبب تقاعسها عن الاسهام فى حركة الجهاد الاسلامى كما هو الحال مع بعض الاعراب من سكان البوادى ، وكذلك العبيد حيث انهم معفون اصلا من الجهاد .

اما بالنسبة للذين حرموا من اهل مكة، فقد روى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه :"كان لا يعطى اهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثا . . . ."(١) . وهكذا فان النص صريح فى ربط عملية الحرمان من العطاء بالامتناع عن فرض البعوث او تكليفهم بالمهمات القتالية جهادا فى سبيل الله . ويظهر ان لمواقف البعض من الدعوة الاسلامية فى مراحلها الاولى اثر فى تقرير ذلك(٢) . ولكن ينبغى ان لا نهمل دور عدد كبير من مقاتلى مكة الذين اسلموا عند الفتح والذين اسهموا فى الوقوف بوجه حركة الردة من جهة، كما اسهموا فى حركة الفتوحات الاسلامية اذ لابد ان يكون لهؤلاء نصيب فى العطاء بغض النظر عن انتمائهم الاقليمى والروايات صريحة فى تقرير عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحقوقهم بعد اشتراكهم فى الفتوحات الاسلامية فى السواد ثم استقرارهم فى المدائن قبل ان ينتقلوا "عن المدائن الى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والاردن وفلسطين ومصر، وقال

---

(١) ابو عبيد - الاموال (ص٢١٨) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٦١) .

(٢) لقد ورد فى آخر النص ان عمر رضى الله عنه كان "يقول هم كذا وكذا.. ويعقب ابو عبيد على الرواية بقوله "افلا تراه لم يجعل لهم عطاء دارا اذا كان لا يغزيهم.." . انظر الاموال (ص٢١٨) .

الفيء لاهل هؤلاء الامصار ولمن لحق بهم واعانهم، واقام معهم...[1].

اضف الى ذلك ماسبق ان تعرض له هذا البحث من ان توزيع العطاء قد شمل "مسلمة الفتح"[2] كفئة متميزة وهؤلاء فى الغالب كانوا من اهل مكة وعلى ذلك فلا ينبغى ان يفسر نص ابى عبيد والبلاذرى فى اهل مكة على اطلاقه وانما على التخصيص، فقد كان هناك بعض الاشخاص الذين اوغلوا فى العداوة وآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعيل الاول من الصحابة رضوان الله عليهم، وان هذه الذكريات التاريخية المريرة والمؤلمة قد دفعت الخليفة الى ان يقرر نوعا من التمييز فى مواقف الدولة استمرارا لسياسته فى عدم المساواة بين "من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قاتل معه"[3]. وبالاضافة الى ذلك، فقد ورد مايشير الى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد "فرض لاهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة"[4]. ولعل هذه الرواية التى قبلها ابو يوسف تدفع الباحث الى قبول رواية اليعقوبى على ضعفه وعدم دقته وانحرافه والتى ذكر فيها ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد وزع "فى اهل مكة الذين لم يهاجروا فى ستمائة وسبعمائة"[5].

وهكذا فان معارضة الروايات توضح ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرض لمن اسلم عند الفتح واسهم فى الفتوحات الاسلامية عطاء يتراوح مقداره بين الف وخمسمائة درهم والفين وخمسمائة درهم سنويا

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٥).
(٢) سبق وان تعرض البحث لهذا انظر (ص ١٣٧) من هذا الفصل.
(٣) اخرجه البخارى فى المغازى وورد فى كثير من المصادر، ابو يعلى الاحكام (ص٢٣٨)، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠١).
(٤) ابو يوسف - الخراج (ص١٠١).
(٥) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٥٣).

وذلك يتناسب مع مدى ما ابلاه المجاهد منهم فى معارك الفتح[(١)] . ولعل نصيب من اسلم من اهل مكة فى العطاء ولم يساهم فى الفتوح كان فى حدود ستمائة الى ثمانمائة درهم سنويا[(٢)] .

اما اهل البادية فقد اوردت المصادر ان رجالا " من اهل البادية سألوا عمر ان يرزقهم فقال : لا والله لا ارزقكم حتى ارزق اهل الحاضرة فمن اراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة فان يد الله مع الجماعة"[(٣)] . ولهذا فقد توصل ابو عبيد الى ان الاعراب لا حق لهم فى العطاء ، ذلك انه يقول :"فاما دور الاعطية على المقاتلة واجراء الارزاق على الذرية فلم يبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الائمة بعده انه فعل ذلك الا باهل الحاضرة الذين هم اهل الغناء عن الاسلام ، وقد روى عن عمر شيء كأنه مفسر لهذا القول"[(٤)] .

ومن الطبيعى ان يحرم الاعراب الذين "لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم"[(٥)] من العطاء ، غير ان هذا لا ينبغى كذلك ان يفهم على اطلاقه فالبدو الذين لا يشتركون فى القتال هم الذين يحرمون من العطاء ذلك ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يوصى امراء الجيوش والسرايا بقوله :"اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى الاسلام واخبرهم انهم ان فعلوا فان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان ابوا

---

(١) انظر (ص ١٣٧) .
(٢) ابويوسف ـ الخراج (ص١٠١) ، اليعقوبى ـ تاريخ (٢ : ١٥٣) .
(٣) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١٤) .
(٤) م . س . ن . (ص٢١٧ ، ٢١٨) .
(٥) ن . س (ص٢١٤ ، ٢١٥) .

ان يتحولوا فاخبرهم انهم يكونوا كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المسلمين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا ان يجاهدوا مع المسلمين"[١] . وهذه قاعدة ملزمة ورد فيها نص لا مجال للاجتهاد فيه ، كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول :"ما احد الا وله فى هذا المال حق . . ."[٢] . كما ان البحث قد تعرض فيما سبق الى الروايات التى ذكرت بان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا ثم يروح الى عسفان ، ويتولى توزيع العطاء بنفسه . . .[٣] مما يشير الى شمول قسم من اهل البادية بالعطاء ، ان هذه الروايات تنطوى على تناقض واضح ولكن بالامكان التوفيق بينها على اساس ان العطاء يشمل كل من ساهم فى الفتوحات سواء كانوا من اهل الحواضر ام البوادى ، وعندئذ يكون نصيب المجاهدين من اهل البادية فى العطاء لما يصيب اخوانهم من اهل المدينة ومكة الذين اشتركوا معهم فى الفتوحات .

وكما حصل خلاف بين المصادر فى مسألتى عطاء اهل مكة وعطاء اهل البادية فقد اختلفت الروايات المتصلة بعطاء العبيد او الارقاء فقد اورد البيهقى فى سننه ان عمر رضى الله عنه قد اعطى ثلاثة من مماليك بنى غفار عطاء متميزا بسبب اشتراكهم مع المسلمين فى معركة بدر فذكر عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن الحسن بن محمد بن مخلد الغفارى "ان ثلاثة مملوكين شهدوا بدرا ، فكان عمر رضى الله عنه يعطى كل رجل منهم كل

---

(١) مسلم - الصحيح بشرح النووى (١٢ : ٣٨) ، وانظر ابو عبيد - الاموال (ص٢٠١) .

(٢) ابو عبيد - الاموال (ص٢٠٢ ، ٢٢٨) ، ابن سعد - الطبقات (٣ق١ ٢١) البيهقى - السنن (٦ : ١٠١) ، ابن الجوزى - مناقب عمر (ص١٠٥) .

(٣) انظر ماسبق فى هذا الفصل (ص ١٤٦) .

سنة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، فهذا يحتمل ان يكون خصهم بذلك لشرفهم بشهودهم بدرا ...".[1]

في حين تذكر الروايات الخاصة بتدوين الديوان توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بان :"لا يلحق عبد في ديوان"[2]، ولعل مايعزز ذلك ماتذكره المصادر مما تواترت روايته من قول عمر رضي الله عنه الذي سبق ايراده حول حقوق جميع المسلمين في المال[3] باستثناء بعض العبيد في قوله رضي الله عنه :"... الا بعض من تملكون من ارقائكم"[4] ومن جهة اخرى فقد روى ان عمر رضي الله عنه قد اعطى احد العبيد مرة عشرة دراهم من العطاء دون ان يعلم انه مملوك، فلما علم قال :"ردوه ردوه ثم قال دعوه"[5].

ان التناقض والتضارب واضح في هذه النصوص غير ان القاعدة الشرعية الملزمة وهي مسئولية المالك لعبده وحيث أن العبد وماملك لسيده فان المتوقع ان لا تخرج التنظيمات في الدولة الاسلامية وخصوصا في صدر الاسلام الاول عن هذه القاعدة، مع ملاحظة الروايات الواضحة في هذا الخصوص ، اما الروايات الاخرى فالراجح انها استثناءات اذ ان المماليك الثلاثة لبني غفار كانوا ممن شهد بدرا وابلوا في القتال واخلصوا في الدفاع عن

---

(١) البيهقي - السنن (٦ : ٣٤٧) ، الصنعاني - مصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٢٧) ، ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٨) .
(٢) الصنعاني - مصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٢٧) .
(٣) انظر (ص ١٥٤) هامش رقم (٢)
(٤) ابو عبيد - الاموال (ص ٢٢٨) ، وانظر ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٥) وقد وردت عند الامام احمد في مسنده "... الا ماملكت ايمانكم" انظر احمد بن حنبل - المسند (١ : ٤٢) .
(٥) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٨) ، الهندي - كنز العمال (٤ : ٥٦٩) .

دين الله ، اما الرواية الاخرى الخاصة بالمملوك الذى منح عشرة دراهم فانها ترد ضمن رواية التقسيم بين اهل مكة ، والملاحظ ان فكرة عطاء اهل مكة لم يرد حولها روايات متناقضة كما اشرنا آنفا .

ويبقى بعد ذلك موضوع توريث العطاء فقد اوردت بعض المصادر رواية عن سليمان بن حبيب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد "فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات قال : فامضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك وجعلوها موروثة يرثها ورثة الميت منهم ممن ليس فى العطاء والعشرة"(١) .

والواقع ان هذا النص غامض اذلم يوضح فيه الشىء الذى وقع عليه التوريث ، كما انه على الارجح يتصل باضافات خاصة لا تدخل فى العطاء كما انه يمثل فترة تالية لخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومما يدعم هذا ماورد عن سماك بن حرب " ان رجلا مات فى الحى بعد ثمانية اشهر مضت من السنة فاعطاه عمر ثلثى عطاءه"(٢) . ممايؤكد توقف العطاء فى حال وفاة الجندى ، بعد اكمال تصفية مستحقاته وصرفها الى ورثته .

وقبل ان نختم حديثنا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينبغى علينا ان نشير الى السياسة التى فكر الخليفة فى انتهاجها فى آخر ايام خلافته والخاصة باعادة النظر فى سياسة التفضيل فى العطاء والعودة الى المساواة والراجح ان امير المؤمنين عمر رضى الله عنه قد عزم على ان يعيد النظر فى مقادير العطاء وربما فى الاسس التى التزم بها طيلة خلافته فى التفضيل وذلك تطور فى النظرة اقتضته المتغيرات فى الدولة والمجتمع الاسلامى فقد زادت مقادير الفىء وكثرت اعداد المسلمين واتسعت رقعة ديار الاسلام

---

(١) ابوعبيد ـ الاموال (ص٢٢٦) .
(٢) ابوعبيد ـ الاموال (ص٢٤٣) ، البلاذرى ـ فتوح (ص٥٦٥) .

اضافة الى التغير الحاصل فى معدلات الاسعار والخدمات، وهكذا فانه كان ينوى العودة الى سياسة المساواة فى العطاء من جهة والى شموليته من جهة اخرى بحيث يعطى لكل مقاتل اربعة آلاف درهم فى السنة وتذكر المصادر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قبيل وفاته "لئن كثر المال لافرضن لكل رجل اربعة آلاف درهم، الفا لسفره، والفا لسلاحه، والفا يخلفه لاهله، والفا لفرسه"[1]. الا انه "مات قبل ان يفعل"[2] غير ان عدم تنفيذه لما عزم عليه يجعل مسألة التعرض لهذه القضية اسهابا فى التصرف على سياسة الفاروق دون ان يكون لها اثر فى خط التطور الذى اصاب ديوان الجند وهو ماتهتم به هذه الرسالة .

---

(١) البلاذرى - فتوح (ص٥٥٢) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) الماوردى - الاحكام السلطانية (٢٠٢) وانظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٥) ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٤) ، ابن طباطبا - الفخرى فى الاداب (ص٨٤) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٤٧) ، المقريزى - الخطط (١ : ١٥٠، ١٥١) .

(٢) الزيادة من الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٥) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٤) ، وانظر ابن طباطبا - الفخرى (ص٨٤) ، المقريزى الخطط (١ : ١٥١) .

(جـ) خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان :

سار أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على سياسة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى التفضيل بالسابقة بالدين[١] كما اورد أبو يعلى فى نص آخر ان عثمان رضى الله عنه قد فضل حيث سار على نفس سياسة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واضاف "فلما كان عثمان مضى ست سنين على الامر ثم فضل قوما"[٢]، ويروى الطبرى خبرا عن سيف بن عمر عن عاصم بن سليمان عن الشعبى "ان اول خليفة زاد الناس فى اعطياتهم مائة عثمان فجرت. . . ."[٣]. وينقل المقريزى الصورة ذاتها حين يقول :". . . ولما استخلف عثمان رضى الله عنه . . . زاد الناس مائة وكان اول من زاد وفد اهل الامصار وهو اول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء فى الزيادة"[٤].

ويقدم اليعقوبى فى تاريخه نصا ينفرد به حين يتحدث عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث يذكر انه "كان جوادا وصولا بالاموال قدم اقاربه وذوى أرحامه فسوى بين الناس فى الاعطية"[٥]. ولا مندوحة للباحث ان يتذكر هنا نظرة المحدثين الى مرويات اليعقوبى واخباره

---

(١) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٨) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٠) ، ابن قدامة - المغني (٦ : ٤١٦) .
(٢) ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٤) .
(٣) الطبرى - تاريخ (٤ : ٢٤٥ ، ٢٤٦) ، وانظر العدوى - النظم الاسلامية (ص٢٣٣) .
(٤) المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) .
(٥) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٧٣) .

وخصوصا ماينفرد به من اخبار الصحابة[١] فعند تحليل هذا النص يتبين ان اليعقوبي قد حاول كعادته انعكاسا لمواقف العقيدة بتعصبه الى الشيعة العلوية التشكيك في اجراءات امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ذلك انه اراد ان يوحي باتهام الخليفة بانه قد تصرف في بيت مال المسلمين على هواه فانفق الاموال في وجوه الجود والكرم وتفضيل الاقارب وذوي الارحام.

اما اشارته الى تسوية الناس في الاعطية فعلى الرغم من انها تتعارض مع ماتواترت عليه النصوص التي وردت آنفا في التزامه بسياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التفضيل على السابقة، فانها تنسجم مع اهداف اليعقوبي ومحاولته الطعن على عثمان رضي الله عنه ، فهو لا يشير الى حدود المساواة بين الناس بشكل عام او ما اذا كان العطاء قد بلغ الحد الاعلى للجميع او فيما اذا جعله في مستوى معين وسطا لجميع الناس بل اراد بذلك ـ عند ذكره المساواة بعد ذكره لتقديم الاقارب وذوي الارحام ـ ان يؤكد ان عثمان قد مال الى اقاربه فسوى بينهم وبين اهل السابقة رغم ان كثيرا منهم كانوا من مسلمة الفتح، مما يوضح ان اليعقوبي كان هدفه اتهام عثمان ظلما في عدم الالتزام بسياسة التفضيل على السابقة وفي انه قد قرن تقديم الاقارب وذوي الارحام بتسوية الناس في العطاء .

والراجح ان امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه قد استمر ايام استخلافه في الالتزام بالتطبيقات التي جرى اعتمادها في خلافة عمر رضي الله عنه

---

(١) انظر السلمي ـ محمد صامل ـ منهج كتابة التاريخ الاسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي باشراف الاستاذ د. حسام الدين السامرائي ـ مخطوط عام ١٤٠٤هـ (ص٣٧٨، ٣٧٩) .

والخاصة باطعام ازواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اقر عثمان ذلك وانفذه وزاد عليه حين وضع" طعام رمضان" الذى قال بانه "للمتعبد الذى يختلف فى المسجد وابن السبيل والمعترين بالناس فى رمضان"(١).

اضف الى ذلك ان البلاذرى اورد مايفيد ان امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قد انفذ توجيهات سلفه امير المؤمنين عمر رضى الله عنه الى عماله على الموالي في ان يجرى عليهم القوت ذلك ان عثمان قد " وسع عليهم فى القوت والكسوة"(٢).

ويبدو ان سياسة عثمان فى رعاية الاطفال قد سارت هى الاخرى فى خطوط موحدة مع تلك التى اتبعها عمر رضى الله عنه فقد اورد ابن سلام رواية عن "سعيد بن ابى مريم قال حدثنى محمد بن هلال المدينى قال حدثنى ابى عن جدتى انها كانت تدخل على عثمان بن عفان ففقدها يوما فقال لاهله مالى لا ارى فلانة فقالت امرأته يا امير المؤمنين ولدت الليلة غلاما . فقالت فارسل الى خمسين درهما وشقيقة سنبلانية ثم قال : هذا عطاء ابنك وهذه كسوته فاذا مرت به سنة رفعناه الى مائة"(٣).

وهكذا فالراجح ان سياسة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى العطاء كانت متفقة مع الخطوط العامة لسياسة عمر رضى الله عنه فى اعتماد السابقة فى الدين اساسا فى التفضيل وفى رعاية ازواج النبى عليه الصلاة والسلام، واطعام المحتاجين من اهل المدينة ومن وفد عليها

---

(١) الطبرى - تاريخ (٤ : ٢٤٦) ، وانظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) حيث اضاف "فاقتدى به الخلفاء من بعده".

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٢) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤)

(٣) ابوعبيد - الاموال (ص٢٢٣) .

من فقراء المسلمين ولعله اجتهد في زيادة العطاء لبعض من اعتمد عليهم في بعض المناصب الادارية فقد كان مروان بن الحكم كاتبه الخاص" وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وابو جبيرة الانصاري على ديوان الكوفة ، وكان عبد الله بن الارقم يتقلد له بيت المال . وكان ابوغطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس وعيلان يكتب له ايضا وكان يكتب له اهيب مولاه ، وحمران بن ابان مولاه"[١]. غير ان هؤلاء كما يظهر من النص لم يكونوا كلهم من اقارب عثمان وذوي ارحامه وانما هم من عامة المسلمين ذلك انه لم يقم بانتقائهم حتى من بين قومه من بني امية او قريش او حتى العرب فان بعضهم كان من الموالي كما هو صريح في النص مما يعزز الشكوك في دقة النص الذي اورده اليعقوبي وفي اهدافه من ذلك.[٢]

---

(١) الجهشياري - الوزراء والكتاب (ص٢١) .

(٢) اليعقوبي - تاريخ (٢ : ١٧٣) ، وقد حاول بعض الكتاب المعاصرين ان يبني على المعلومات التي اوردها اليعقوبي على ضعفها وتجريح رواتها . فقد ذكر د . العدوي بان الخليفة عثمان اول من زاد في عطاء الجند ، اما د . العلي فقد اعتمد نص اليعقوبي دليلا على ان عثمان قد "سوى بين الناس في الاعطية" وبانه "يفسر ايضا بعض اسباب رضا اقارب عثمان عنه" ومع ذلك فانه يبدي تساؤلات يثيرها النص فيقول :"ان هذا النص لا يبين هل ان عثمان الغى القواعد التي وضعها عمر ام انه اوجد قواعد جديدة طبقها على من لم تشملهم قواعد عمر" مما يشير الى اعتماده وتوثيقه لنص اليعقوبي وهذا امر يدعو الى التساؤل عن اسباب ذلك ، فاليعقوبي كما هو معروف مجروح العدالة بين الهوى والميل متحامل في الغالب لا يؤتمن في رأي ولا رواية خاصة فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين الثلاثة الاول . انظر العدوي النظم الاسلامية (ص٣٥٣) ، وانظر د . العلي - العطاء في الحجاز مقال في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٠ السنة ١٣٩٠هـ ، (ص٥٣) .

(د) خلافة اميرالمؤمنين على بن ابى طالب :

وبعد مقتل عثمان رضى الله عنه انتقلت الخلافة الى على بن ابى طالب رضى الله عنه الا انه حصلت بعض الانقسامات بين المسلمين فيما بعد فقد حدث ان رفض معاوية رضى الله عنه البيعة لعلى وشكل من بلاد الشام الذى كان واليا عليه من قبل عثمان رضى الله عنه جيشا مناوئا لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه .

كما ان المدينة نفسها فيما بعد انتقضت على على بن ابى طالب ولا يعنينا هنا تتبع تلك الاحداث ونتائجها بقدر مايعنينا اوضاع الدولة والجند من الناحيتين الادارية والمالية ، فالاحداث التى وقعت فى اول خلافة على رضى الله عنه والانقسام الذى حصل على الدولة الاسلامية بسبب المعارضين له او المنشقين عليه ممن كانوا تبعا له ، كانت هى مبلغ اهتمام المؤرخين ، ولم يولوا اهتماما كبيرا للحوادث الاخرى من اوضاع الدولة والمجتمع لذا فقد كان من المتعذر الحصول على معلومات وافية ومتتابعة عن اوضاع ديوان الجند فى خلافة امير المؤمنين على رضى الله عنه ، حتى الكتب الحديثة والمتخصصة التى كتبت عن مدن كان لها صلة وثيقة وقوية فى نصرة الامام على والتفاف اهلها حوله فانها لم تذكر شيئا عن هذا الجانب.(1)

لقد انتقلت الخلافة من المدينة التى كانت هى عاصمة الخلافةالاسلامية ومنشأ دولة الاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وطيلة عصور

---

(١) انظر مثلا : د. الزبيدى - محمد حسين - الحياة الاجتماعيةوالاقتصادية فى الكوفة فى القرن الاول الهجرى - المطبعة العالميةط/عام ١٩٧٠م وانظر ايضا د. العلى - صالح احمد - التنظيمات الاجتماعيةوالاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول الهجرى - ط/دار الطليعة - الطبعة الاولى ١٩٥٣م .

الخلفاء الراشدين من قبل ـ الى الكوفة ، وكانت دواقع هذه النقلة كثيرة ومتداخلة كان من بينها : ماذكره الخليفة على من ان "الاموال والرجال في العراق ، ولاهل الشام وثبة احب ان اكون قريبا منها"(١) ، اضافة الى ان المدينة قد شكلت كما هو معلوم جبهة معارضة في مواجهة امير المؤمنين على رضى الله عنه ، ولا يعنينا هنا تتبع الاحداث التاريخية ونتائجها بقدر ماتنج عنها من تطور في اوضاع الجند وماطرأ على ديوان الجند من تغير .

ان ابرز ملامح التطور الذى حصل في خلافة امير المؤمنين على رضى الله عنه هو انه وزع الاعطيات بالتساوى وكان رأى على هو التسوية في العطاء(٢) بخلاف عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما الذين كانا يريان التفضيل في العطاء ، ومن المعلوم ان الخليفة قد قضى معظم ايام خلافته في الكوفة فمن المرجح ان يكون قد طبق هذا المبدأ فيها(٣) ، غير اننا لانعلم ما اذا كان ديوان الجند في الكوفة يتولى مهمة الاشراف على بقية الدواوين في المدن او الاقاليم الخاضعة لخلافة على رضى الله عنه ، او ما اذا كان مبدأ التسوية الذى استعاد العمل به على رضى الله عنه كان مطبقا على سائر الاقاليم ؟

---

(١) الدينورى ـ ابو حنيفة احمد بن داود ت ٢٨٣هـ ، ط/ليدن ١٨٨٨م الاخبار الطوال (ص١٥٢) .

(٢) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٤٥) ، انظر الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠١) ، اليعقوبى ـ تاريخ (٢ : ١٨٣) ، ابن جماعة ـ مختصر في فضل الجهاد (ص١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠) ، البيهقى ـ السنن (٦ : ٣٤٨) .

(٣) كما ان هذا المبدأ كان مطبقا في مدينة البصرة والتى كان واليها من قبل على رضى الله عنه يتولى الخراج والديوان . انظر الجهشيارى الوزراء (ص٢٣) .

ان المصادر المتيسرة لم تشر الى شيء من ذلك ، وان اغلب المعلومات التي توفرت عن العطاء في عهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت عن الديوان في الكوفة حيث العاصمة الرئيسية لجند الخلافة . ثم ان خراج السواد كان يأتي الى الكوفة حيث كان يوزع على الجند وعوائلهم .

اما المدينة فلم تشر المصادر الى ان علي كان يرسل اليها نصيبها من العطاء ، ولعل مبعث ذلك هو انتقال المقاتلة معه الى مقره الجديد من جهة وخروج بعض اهل المدينة عليه من جهة اخرى ، ولهذا نجد انه حينما استتب الامر لمعاوية فيما بعد طلب عبد الله بن صفوان منه ان يخرج العطاء ويفرض للمنقطعين من العطاء من قوم معاوية وكذلك ذراريهم الذين لا ديوان لهم وبعض الاحابيش الذين ناصروا معاوية[1] مما يدل على ان العطاء في تلك الفترة انقطع عن اهل الحجاز فاعاده معاوية اليهم بعد توليه الخلافة .

اما عن العطاء الذي صرفه امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في العراق فتشير المصادر الى انه قد اعطى الناس بالسوية فقد اعطى الخوارج الذين خرجوا عن الطاعة لآراء رأوها قبل ان تتأزم علاقاتهم به ويتصدى لحربهم ، فيروى ابو عبيد ان علي بن ابي طالب قال عنهم "... لا نمنعهم الفيء مادامت ايديهم مع ايدينا"[2]. كما انه كان يعطي الموالي مثل غيرهم فتذكر بعض المصادر انه "اعطى الموالي كما اعطى الصليبة ، وقيل له في ذلك فقال : قرأت مابين الدفتين ، فلم اجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضل ..."[3] ، ولم يكن يقتصر العطاء في عهد

---

(١) انظر الزبيري - نسب قريش (ص ٣٨٩) .
(٢) ابو عبيد - الاموال (ص ٢١٩) .
(٣) اليعقوبي - تاريخ (٢ : ١٨٣) ، وانظر البيهقي - السنن الكبرى (٦ : ٣٤٩) .

على رضى الله عنه على الدفعات السنوية ، فقد كان يعطى اكثر من عطاء في السنة ، ربما لكثرة مايرد اليه من الاموال ، وقلة مايصرف وخاصة بعد توقف العطاء عن اقليم الحجاز الذى كان يستهلك كثيرا من اموال الفيء فيذكر ابن سلام بسنده قال :"ان عليا أعطى العطاء فى سنة ثلاث مراتثم اتاه مال من اصفهان فقال : اغدوا الى عطاء رابع، انى لست لكم بخازن . . . "[١] . كما جاءته اموال وهدايا من بلاد الفرس كانوا يريدونها له ولاهل بيته لكن على رضى الله عنه لما رآها قال :"لقد اردت ان تدخل بيتى نارا عظيمة ثم جعل يزنها ويعطى كل عريف بحصته . . . "[٢] اما عن عطاء الاولاد فيروى ابن سلام بسنده عن سفيان عن ابى الجحاف عن رجل من خثعم قال :"ولد لى ولد ، فاتيت عليا فاثبته فى مائة"[٣] مما يؤكد ان عطاء الاولاد استمر على ماكان عليه ايام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما حيث كان عطاء الاولاد فى عهدهما يبلغ مائة درهم فى السنة للمولود .

---

(١) ابوعبيد - الاموال (ص٢٥١) ، وانظر البيهقى - السنن (٦ : ٣٤٨-٣٤٩) .

(٢) ابوعبيد - الاموال (ص٢٥١) .

(٣) م . س . ن (ص٢٢٤) .

(هـ) خلافة الحسن بن على :

وحينما استشهد امير المؤمنين على رضى الله عنه وتولى الامر من بعده ابنه الحسن بن على رضى الله عنهما فانه زاد فى الاعطيات مائة مائة عند توليه الخلافة[1]، الا ان فترة خلافة الحسن بن على لم تكن طويلة حيث انه لما رأى ان معاوية ينازعه الامر وان الخلافة تتطلب حربا واراقة لدماء المسلمين رأى ان يخلص المسلمين من تلك الفتنة فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه وذلك فى سنة احدى واربعين حيث عادت وحدة المسلمين، واجتمعت كلمتهم فكان ان عرفت تلك السنة بعام الجماعة[2].

---

(١) الاصفهانى - مقاتل الطالبين - طبعة النجف ١٣٥٣هـ (ص٣٦) ، الزبيدى - الحياة الاجتماعية فى الكوفة (ص٢٣٥) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٥ : ١٦٢، ١٦٣) .

تطور ديوان الجند خلال العصر الاموى :

بعد ان استتب الامر لمعاوية رضى الله عنه وتوحدت خلافة المسلمين تحت سلطته ، استقرت الاوضاع وتفرغ الى تدبير شئون الدولة وتنظيمها اداريا وماليا وعسكريا فكان لديوان الجند نصيبه من ذلك الاهتمام ، وحيث ان معاوية بن ابى سفيان اختار دمشق لتكون عاصمة له ، وكان من الطبيعى ان تقام فيها الدواوين المركزية ، ومن ضمنها ديوان الجند الذى كان يتولى الاشراف عليه عمرو بن سعيد بن العاص[1] وبالاضافة الى ذلك فقد نظمت دواوين فرعية فى مراكز الاقاليم الرئيسية من الدولة اذ جعل لكل من مصر والعراق والحجاز ديوان محلى خاص بها .

ان ديوان الجند فى العصر الاموى هو استمرار متطور لديوان الجند زمن الخلفاء الراشدين باستثناء حصول التطور الخاص بالتنظيمات وكذلك فى حصول بعض الاختلافات فى مقادير العطاء ، وهذا خاضع لظروف الدولة من الناحيتين المالية والعسكرية ومتأثر بتوجهاتها .

لقد اتبع المسلمون فى ادارة الدولة نظام اللامركزية ، وهو يتضمن استيفاء الانفاق من مبالغ الجباية والواردات ثم ارسال الرصيد الى المركز فى حالة زيادة الواردات على مبالغ الانفاق ، اما فى حالة قصورها عن ذلك فان المركز يتولى مسئولية تسديد الفروق ومقابلتها[2] .

وعلى كل حال فان رواتب الجند ونفقات الجيوش وديوان الجند تدخل ضمن قوائم النفقات وبالتالى فانها تقع على ضمن مسئولية الاقاليم

---

(١) الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب (ص٢٤) .
(٢) السامرائى ـ المؤسسات الادارية ـ مبحث ديوان بيت المال .

المحلية ، ويتضح ذلك مثلا مما يورده المقريزى وهو يتحدث عن الجند في مصر اذ يقول :"وكان بمصر في خلافة معاوية بن ابى سفيان اربعون الفا وكان منهم اربعة آلاف في مائتين مائتين ، وكان انما يحمل الى معاوية ستمائة الف دينار عن فضل اعطيات الجند ومايصرف الى الناس"(١) .

ولقد كان اول تدوين لديوان الجند في مصر على يد الصحابي الفاتح عمرو بن العاص(٢) رضى الله عنه الذى تولى مصر منذ فتحها في عهد عمر بن الخطاب واستمر على ولايتها ويظهر ان بعض التعديل واعادة النظر قد لحقه بسبب الكثرة المضطردة في اعداد من يلتحقون بالديوان والواقع فانه بعد التدوين الاول قد حصلت عدة تعديلات فيذكر المقريزى ان"اول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ، ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا ، ثم لم يكن بعد تدوين بشر شيء له ذكر الا ماكان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان"(٣) .

وهذا يشير الى حركة تطور مستمرة ودائبة في الديوان ، اذ ان الواضح من النص ان الديوان يواجه اعادة نظر شاملة في قوائم الاشخاص المدونين فيه وانه قد حصل مثل ذلك في ثلاث مناسبات خلال الفترة من خلافة معاوية الى خلافة هشام بن عبد الملك الذى اجرى تعديلا في الديوان حيث اضاف المقاتلة والذرية من القبائل القيسية . ويبدو ان عملية التعديل

---

(١) المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) .
(٢) المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) .
(٣) م . س . ن (١ : ١٥١) ، وانظر العدوى - النظم الاسلامية (ص ٢٣٣) .

واعادة النظر في ديوان مصر كانت قائمة منذ البداية ، فقد ذكر المقريزي في خططه بان "معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصيح كل يوم فيدور على المجالس، فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل ؟فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماءهم، ويقال نزل بهم رجل من اهلكذا بعياله ، فيسميه وعياله فاذا فرغ من القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك"(١).

اما في الحجاز فان معاوية بن ابي سفيان كان يبعث اشخاصا ليقوموا بعملية توزيع العطاء على مستحقيه وينقل لنا الزبيري صورة توضح كيفية توزيع العطاء في المدينة فقد كان يتم بواسطة العرفاء ،اذ كان لكل قبيلة عريف يأخذ استحقاقاتها من العطاء ويتولى توزيعه الى اربابه وفق القوائم التي يصدرها الديوان وهي تتفق الى حد بعيد مع ماكان عليه الحال في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢).

ولقد حصل تطور جديد في اسلوب صرف العطاء على اصحابه ذلك ان امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه قد وجه عاصم بن ابي هاشم بن عتبة بالعطاء الى المدينة "وكان العطاء يدفع الى العرفاء وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم ،فحبس عاصم اعطية الناس، وقال يأتيني اهلها فادفع الى كل رجل عطاءه في يده"(٣) وذلك لانه كما ينقل الزبيري " كانت العرفاء يأخذونها فلا يُغيبون غائبا ، ولا يُميتون ميتا ويصدقون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ،فاراد عاصم ان يصحح

---

(١) المقريزي - الخطط (١ : ١٥١) .
(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ٤٩) ، المقريزي- الخطط (١ : ١٥٠) .
(٣) الزبيري - نسب قريش (ص١٥٤) .

الديوان فلايعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم، فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب وامتنعوا من اتيانه ، فاقام على ذلك اياما ، ثم دخل المسجد ، فمر بحلقة فيها الحسين وعبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان ، فوقف عليهم فسلم فقال له بعض اهل الحلقة : مايمنعك ان تدفع هذا المال الى اهله ؟ قال امرني امير المؤمنين ان ادفعه الى الحاضر دون الغائب، والحى دون الميت ولا اعطى احدا الا فى يده"[1]. فمن هذه النصوص نلاحظ بعض التفصيلات والضبط التى ادخلت على طريقة توزيع العطاء ولعل السبب فى ذلك يكمن فى الرغبة فى الضبط والتثبت من ان كل شخص يستلم عطاءه ، وفى حرص الدولة على ترشيد الانفاق وايقاف العطاء عمن غاب او مات من اهله من جهة اخرى توفيرا لبيت مال المسلمين . ولعل فى هذا الاجراء مايسمح بالتشكيك فى جدوى اسلوب التوزيع عن طريق العرفاء من جهة ويكشف النقاب عن تجاوزات خطيرة كانت ترتكب فى حق بيت المال حين يجرى التصرف بالاموال العامة دون وجه حق فى انصبة الغائبين والموتى .

وهناك بعض النصوص التى تدل على ان العطاء قد توقف فى الحجاز خلال فترة الصراع والانقسام الذى شهدته الامة وماجرى بين امير المؤمنين على رضى الله عنه ، ومعاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه وماحصل خلالهما من منازعات واضطرابات فقد كان انعكاس ذلك على اقليم الحجاز كبيرا . وقد سبقت الاشارة الى ان عبد الله بن صفوان بن امية لما دخل على معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه قادما من الحجاز، سأله معاوية عن

---

(١) الزبيرى ـ نسب قريش (ص١٥٤) .

حوائجه فقال "تخرج العطاء وتفرض للمنقطعين ، فانه قد حدث في قومك نابتة لا ديوان لهم ، وقواعد قريش لا تغفل عنهن فانهن قد جلسن على ذيولهن ينتظرن مايأتيهن منك ، وحلفاؤك من الاحابيش قد عرفت نصرهم ومؤازرتهم فاخلطهم نفسك وقومك ، قال : افعل"(١) . وهذا النص يشير الى انه خلال الفترة المحصورة بين تنظيم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان وبين فترة استقرار معاوية رضى الله عنه في دمشق ، وهي فترة تقرب من عشرين سنة ، قد تكونت طبقة جديدة من الرجال الذين لم يلحقوا بالديوان ، كان من الضرورى الالتفات اليهم والحاقهم في الديوان التزاما بمسئولية الامام المسلم ازاء ابناء الامة وضمانا لحسن ولائهم وبلائهم دفاعا عن الامة وعقيدتها واراضيها ، ومن المرجح ان يكون المقصود بكلمة قوم التي وردت في الرواية :"قريش" وان هذه النابتة هي من الجيل الجديد ، وانها لم تكن في العطاء لانه استعمل كلمة "حدث" فيها اى استجد او نشأ ، وليس في النص مايكشف عن تفصيلات ، او ما اذا كان العطاء المنشود قد قصد به ان يمتد الى مكة ام انه كان قاصرا على من سكن المدينة ، ومن الملاحظ انه لا توجد اشارة او دليل على ان العطاء شمل مكة ، مع العلم بان مكة كانت لها موارد خاصة من التجارة والحج ، ولابد ان هذا الاتجاه تطلب اعادة النظر في الديوان وتوسيعه .

ومما تجدر ملاحظته في النص السابق استعداد الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه لتنفيذ النصيحة بالاهتمام بقواعد قريش - اى نساءها المسنات وحيث ان النص لا يشير صراحة الى انه طلب منه ادخالهن في

---

(١) الزبيرى - نسب قريش (ص٣٨٩) ، وانظر د. صالح العلى ، العطاء في الحجاز ضمن مقالة بمجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد ٢٠ ، (ص٥٤ ، ٥٥) .

العطاء فقد يكون المقصود من ذلك الاقتراح على الخليفة بان يعطيهن المنح .

ويستفاد من النص كذلك ان الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه قد وافق على ان يشمل الاحابيش بالعطاء وان يساويهم بقريش .

غير ان النص لا يوضح هل ان الخليفة قد وافق على ان يجعل لهم ديوانا خاصا بهم ام انه عمل على تنظيمهم فى ديوان المدينة فقط .

والارجح انه ضمهم الى ديوان المدينة اذ لم يتضمن النص مايشير الى انه قد افرد لهم سجلا خاصا بهم .

وهكذا فان الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه سار الى حد كبير على نفس الاسس التى وضعها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه للديوان ، فكان يدفع المنح والعطايا ، ويزيد فى عطاء من له حق فى شرف العطاء ، اما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم او لبلائه فى المعارك والجهاد ، او لسابقته فى الاسلام ، وقد ذهب د . صالح العلى الى القول "بان شرف العطاء كان موجودا فى زمن معاوية ، ولما كان عمر لم يقرر شرف العطاء فى الحجاز فلابد ان هذا قد ظهر فيما بعد غير ان المصادر لا تذكر تاريخ ظهوره بالضبط ولعله ظهر زمن معاوية"[1] . ولكن النصوص التى تقدمها المصادر المعتمدة تجمع على خلاف ذلك ، فقد سبق ان اشرنا الى "ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص ان افرض لمن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء - يعنى مائتى دينار - وابلغ ذلك لنفسك بامارتك ، وافرض لخارجة بن حذافة للشرف لشجاعته"[2]

---

(١) د . صالح العلى - العطاء فى الحجاز - مقالة فى مجلة المجمع العلمى م ٢٠ سنة ١٣٩٠هـ (ص٥٥) .

(٢) ابوعبيد - الاموال (ص٢١٣) ، وانظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٨) . الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥٠) .

واضافت بعض المصادر " ويسر بن ارطأة في مائتين لانه صاحب سيف وقال : رب فتح قد فتحه الله على يديه "(١) .

ان هذه النصوص التي تواترت لدى مؤرخي صدر الاسلام لا تدع مجالا للشك في ان شرف العطاء كان معروفا ومطبقا منذ زمن امير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه خلال فترة انشاء ديوان الجند في المدينة . كما ان توجيهات عمر الى الاقاليم الاسلامية كانت واضحة تماما بشأن توزيع العطاء وبشأن اولئك الذين يستحقون شرف العطاء .

وهكذا فان اقرار الخليفة معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه لشرف العطاء لم يكن ذلك ابتداعا ولا ابتكارا لظاهرة جديدة في ديوان الجند كما اشار الدكتور العلي ، ذلك ان شرف العطاء اصبح امرا معروفا ومطبقا في الديوان منذ فترة تأسيسه ، ومع ان بعض الخلفاء الامويين قد اجتهدوا في امر الغاءه فان امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو الذى اراد ان يسير على منهج جده عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ادارة شئون الدولة قد "اثبت شرف العطاء في ديوان الجيش ولم يزد فيه ولم ينقصه"(٢) وهذا مايؤكد ان شرف العطاء كان امرا معلوما ومعروفا . وقد اجمعت المصادر على ان شرف العطاء يبلغ مائتى دينار(٣) في السنة وهو مايساوى الفي درهم ، وقد اورد ابن سعد عند حديثه عن عمر بن عبد العزيز " انه فرض لرجال الفين الفين شرف العطاء"(٤) .

اما ماورد عن امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه في

---

(١) الزيادة من ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١٣) .
(٢) اليعقوبي ـ تاريخ (٢ : ٣٠٦) .
(٣) انظر مصادر هامش رقم (٢) الصفحة السابقة .
(٤) ابن سعد ـ الطبقات (٥ : ٢٥٥) .

هذا الخصوص فيمكن ان يعكسه ما اورده البلاذرى من ان عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب كان قد "اعترض على معاوية لخلاف معه على ارض فحكم القاضى لعبدالرحمن فكتب معاوية الى وكيله بانفاذ قرار القاضى ، وقضى دينه والحقه بشرف العطاء ، وقال انت مستحق لذلك يا ابن اخى الفاروق والشهيد واعطاه مالا"(١). مما يؤكد ماسبقت الاشارة اليه من ان شرف العطاء كان معروفا وساريا فى الديوان قبل فترة حكم امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه .

اما بالنسبة لفرض الاطفال فالثابت ان معاوية رضى الله عنه قد فرض للمواليد بعد الفطام عطاء(٢).

والحق فان هذه الفكرة هى مارآه عمر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلال فترة خلافته وقد سبقت الاشارة الى انه رضى الله عنه قد عدل عنها بعد ان لاحظ الكثير من الامهات تعجيل اولادهن على الفطام ضمانا للالتحاق بالعطاء(٣). الا انه فرض هو ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين لكل مولود يولد فى الاسلام دون اعتبار لمسألة بلوغه سن الفطام(٤).

وقد اورد ابن سعد فى طبقاته انه فى خلافة عبدالملك بن مروان حصلت فرائض جديدة فنقل الواقدى ذلك عن معاوية بن عبدالله بن عبيد

---

(١) البلاذرى - انساب الاشراف (٤ : ٧٤٩) ، وانظر العلى - مقالة "العطاء فى الحجاز" (٢٠ : ٥٥) .

(٢) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٦٢) ، ابن سلام - الاموال (ص٢٢٦) .

(٣) انظر ابوعبيد - الاموال (ص٢٢٣) ، عبدالرزاق - المصنف (٥ : ٣١١) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٤٧) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٦٨) .

(٤) انظر ابوعبيد - الاموال (ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

الله بن ابى رافع عن ابيه ان محمد بن الحنفية قد "وفد الى عبد الملك فكلمه فوعده عبد الملك ان يقضى دينه وان يصل رحمه وامره ان يرفع حوائجه فرفع محمد دينه وحوائجه وفرائض لولده ولغيرهم من خاصته ومواليه ، فاجابه عبد الملك الى ذلك كله ، وتعسر عليه فى الموالى ان يفرض لهم ، والح عليه محمد ففرض لهم فقصر بهم ، فكلمه . فرفع فى فرائضهم ، فلم يبق له حاجة الا قضاها واستأذنه فى الانصراف فاذن له"[١] . وهذا يدل على ان عبد الملك بن مروان قد وافق بعد تلكؤ على ان يفرض لخاصة موالى ابن الحنفية ولايعقل ان يقدم ابن الحنفية على طلب ذلك من الخليفة لو لم يدرك انه امر ممكن التطبيق . وهكذا فانه بالامكان القول بان الموالى خلال تلك الفترة لا يفرض لهم مايفرض للصلبية الا فى ظروف خاصة .

اما عن غير الموالى فقد نقل ابن عساكر ان انس قال لحفص بن عمر الانصارى "انطلق فى اربعين من الانصار حتى اتى بنا عبد الملك بن مروان ففرض لنا فلما رجع رجعنا"[٢] مما يدل على ان بعض الناس لم يكونوا مسجلين فى العطاء ، مما جعل الخليفة عبد الملك يأمر بتسجيلهم فور علمه بهم وهذا ينسجم مع السياسة التى سار عليها امير المؤمنين معاوية رضى الله عنه فى اقرار تسجيل النابتة الذين لم يكونوا قد سجلوا فى العطاء .

اما عن عطاء الاطفال فى عهد عبد الملك فانه قد قطعه كله الا عمن شاء منهم[٣] .

وان نحن نظرنا الى مقدار اعطيات المقاتلة فى الدولة الاموية

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات (٥ : ٨٣) .
(٢) ابن عساكر ـ تاريخ تهذيب دمشق (٤ : ٢٨٣) .
(٣) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص ٥٦٢) .

نجد انها مقاربة لما كانت عليه في عصر الراشدين الى حد بعيد ، اما مايلاحظه فيه من تفاوت بسيط احيانا فقد يكون بسبب تفاوت الاسعار او تطور نفقات الفرد ، كما ان بعض الخلفاء قد يسيرون على سياسة الترفيه عن الجند واحداث الزيادات في ارزاقهم واعطياتهم بتأثير طبيعة الظروف المحيطة بهم وبالاقاليم البعيدة او قد يكون ذلك جزءا من سياسة خاصة يلتزم بعضهم بها كما هو الحال بالنسبة لاجراءات الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

لقد بلغ متوسط عطاء المقاتل الواحد في العراق خلال فترة ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي مائة درهم في الشهر[1] وهذا يعني ان عطاء الفرد كان (١٢٠٠) درهم في السنة ، الا ان ذلك لم يكن هو الحال دائما فقد وردت نصوص تشير الى ان البعض كان يستلم عطاء يتراوح من ١٦٠٠ - ١٨٠٠ درهم في السنة[2] .

وفي حالات اخرى قليلة قد يزيد العطاء عن ذلك فقد " اجرى الوليد ابن عبد الملك الخيل وعنده حارثة بن بدر الغداني وهو حينئذ في الف وستمائة من العطاء فسبق الوليد . فقال حارثة هذه فرصة فقام فهنأه ودعا ثم قال :

الى الالفين مطلع قريب | زيادة اربع لي قد بقينا
فان اهلك فهن لكم والا | فهن من المتاع لكم سنينا

فقال له الوليد : نشاطرك ذلك ، لك مائتان ولنا مائتان فصير عطاءه الف وثمانمائة . ثم اجرى الوليد الخيل فسبق ايضا ، فقال حارثة هذه فرصة

---

(١) الطبري - تاريخ (٦ : ٣٩) .
(٢) البلاذري - انساب الاشراف (ص٢٧٣) ط/اهلور

فقام فهنأه ودعا له ثم قال :

وما احتجب الالفان الا بهن　　هما الان ادنى منهما قبل ذلكا

فجد بها تفديك نفسي فانني　　معلق آمالي ببعض حبالكا

فامر له الوليد بمائتين فانصرف وعطاؤه الفان"[١].

ولعل ذلك مايعكس اضافة الى ماسبق امكانية الزيادة في العطاء نتيجة البلاء او تقديم الخدمات .

ويظهر انه في عهد عبد الملك حصلت هناك اعادة نظر شاملة في مستحقي العطاء في ديوان الجند وذلك امر اقتضته ظروف الحياة العسكرية والاحداث المتلاحقة على الدولة كالثورات الداخلية او رجوع بعض الثائرين الى الطاعة او وفاة بعض الجند ، ونحو ذلك ، فتذكر المصادر ان الوليد بن عبد الملك "احصى اهل الديوان والغى منهم بشرا كثيرا بلغت عدتهم عشرين الفا"[٢]. غير ان المصادر لم تحدد لنا بدقة اسباب ذلك ومبرراته ، ومن الثابت ان الوليد بن عبد الملك قد ضرب البعث على اهل المدينة وكتب بذلك الى عمر بن عبد العزيز ، وكان واليا عليها ان "اخرج منهم الفي رجل"[٣].

وحيث ان البعوث لا يمكن ان تضرب الا على من كان اسمه مسجلا في ديوان الجند فان هذا يؤكد الحقيقة التي سبقت الاشارة اليها وهي انه كان للمدينة المنورة ديوانا خاصا بها .

وتذكر بعض المصادر ان سليمان بن عبد الملك قد فرض فرائض جديدة

---

(١) الاصفهاني - الاغاني (٢٣ : ٤٦٠ ، ٤٦١) .
(٢) اليعقوبي - تاريخ (٢ : ١٩١) .
(٣) م . س . ن (٢ : ٢٨٤) .

وذلك انه "حج سنة ٩٧هـ وقد عزم على ان يبايع لابنه ايوب بولاية العهد من بعده ، وكان قد كتب الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان يبنى له قصرا بالجرف ينزله ، فلما قدم لم يرض بناء القصر ، فنزله وقسم بين اهل المدينة قسما ، وفرض لقريش خاصة اربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها حليفا ولا مولى ، فاجمع رأى مشيخة قريش ان جعلوها لحلفائهم ومواليهم ، ثم دخلوا عليه فقالوا : انك قد فرضت لنا اربعة آلاف فريضة لا تدخل علينا فيها حليفا ولا مولى ، فرأينا ان نكافئك ونجعلها فى حلفائنا وموالينا ، فنحن اخف عليك مؤونة منهم ففرض لهم اربعة آلاف فريضة اخرى"(١).

وهذا يدل على ان عددا غير قليل من اهل المدينة لم يكن لهم عطاء ثابتا ، فاذا كانت قريش وحدها فيها اربعة آلاف ليس لهم فرائض فى الديوان فان من المحتمل ان تكون اعداد من ليس لهم عطاء من سكان المدينة اكثر من ذلك ، اضف الى ذلك ان النص يشير الى وجود عدد كبير من "الحلفاء" و "الموالى" وهؤلاء يقلون عددا عمن فرض لهم من قريش . وان هؤلاء الحلفاء والموالى لم يكونوا فى فرض العطاء ايضا ولذلك فان زعماء قريش رأوا ان يجعلوا عطاء الخليفة لحلفائهم ومواليهم وحاولوا اقناع الخليفة بجدوى ذلك ، وفى انهم اقدر من الموالى على تحمل انقطاع العطاء ، مما احرج الخليفة ودفعه الى ان يفرض عددا مماثلا من الفرائض خصصه لمواليهم.

اما عن عطاء الاولاد فى عهد سليمان بن عبدالملك فان بعض المصادر تشير الى سياسة معينة تجاه ذلك ، حيث انه لم يكن مقررا وخاصة للمواليد وصغار السن ، ذلك انه "عند عرض الفرض كان ابن حزم يأمر الغلمان ان يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم"(٢).

---

(١) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ٢٩٨) ، وانظر لمؤلف مجهول العيون والحدائق فى اخبار الحقائق (ص٣٤) .
(٢) الاصفهانى - الاغانى (١٣ : ١٠٠) .

مما يدل على ان العطاء كان خاصا بالكبار ، وقد يستفاد من النص امكانية حصول بعض التجاوزات لهذه القاعدة .

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تورد المصادر الكثير من المعلومات عن اصلاحات الخليفة المالية وعن دوره البارز باصلاح وضع ديوان الجند ، مما يوحي بان تلك الاصلاحات التي قام بها الخليفة هي جزء من محاولته اعادة تطبيق ماجرى العمل به في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخصوصا في ديوان الجند والتي تغيرت بعضها على اثر تعاقب الخلفاء ، كما ان سياسة هذا الخليفة الزاهد المالية كان لها اثرها الكبير في توفير الاموال في بيت مال المسلمين وفي اعادة توزيعها وفق المنظور الاسلامي فقد ذكر ابن سلام ان "عمر بن عبد العزيز كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن - وهو بالعراق - ان اخرج للناس اعطياتهم ، فكتب اليه عبد الحميد اني قد اخرجت للناس اعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مال فكتب اليه ان انظر كل من ادان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه . فكتب اليه اني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال . فكتب اليه ان انظر كل بكر ليس له مال فشاء ان تزوجه فزوجه واصدق عنه فكتب اليه اني قد زوجت كل من وجدت وقد بقي في بيت مال المسلمين مال . فكتب اليه بعد مخرج هذا ان انظر من كانت عليه جزية فضعف عن ارضه فاسلفه مايقوى به على عمل ارضه فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين"[١] وهذا يدل على وفرة الاموال لدرجة ان الخدمات العامة لم تكن قاصرة على المسلمين فحسب وانما تعدتهم الى اهل الذمة ، وبقدر مايتصل الامر بموضوع البحث فان توفر الاموال قد دفع

---

(١) ابو عبيد - الاموال (ص٢٣٤ ، ٢٣٥) .

الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى ان يزيد فى اعطيات الجند فقد ذكرت بعض المصادر بانه "زاد اهل الشام فى اعطياتهم عشرة دنانير"[١]. كما انه تم توزيع العطاء على بعض الاقاليم اكثر من دفعة فى السنة من ذلك مارواه الواقدى عن عمرو بن عثمان بن هانى قال "حضرت قسمتين قسمهما عمر بن عبد العزيز على جميع الناس كلهم سوى بينهم"[٢]. ويروى الواقدى ايضا عن عبد الحكيم بن عبد الله بن ابى فروة سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيدة يقول "جرى على يدى لقومى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ثلاثة اعطية وقسمان للناس عامان"[٣]. وهناك نص ثالث اورده ابن سعد برواية الواقدى عن غسان بن عبد الحميد عن ابيه قال :"اخرج عمر بن عبد العزيز ثلاثة اعطية لاهل المدينة فى سنتين وخمسة اشهر الا عشرة ليالى"[٤]. ويقينا ان هذه السياسة تابعة من احساس الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بان مافى بيتالمال هو ملك للمسلمين وان المقاتلة والمحتاجين هم احق الناس به وانه لاضرورة لجمع المال وخزنه وتحمل مسئولية ذلك امام الله سبحانه وتعالى .

وقد التزم عمر بن عبد العزيز رحمه الله ببعض الاجراءات فيما يتصل بالعطاء يمثل بعضها امتدادا لما قرره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند تأسيسه لديوان الجند ، من ذلك ما اورده ابن سلام حين ذكر ان عمر بن عبد العزيز قد كتب الى يزيد بن الحصين :"ان مر للجند بالفريضة

---

(١) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ٣٠٦)
(٢) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٤) .
(٣) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٥) .
(٤) م. س. ن (٥ : ٢٥٥) .

وعليك باهل الحاضرة واياك والاعراب فانهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم"[1] . اما ابن سعد فقد ذكر بان " عمر بن عبد العزيز كتب الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان افرض للناس الا لتاجر"[2].

ومن المؤكد ان العصاة والمخالفين كانوا محرومين من العطاء روى ابن سعد بسنده قال :"اخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبد الملك ابن محمد عن عبد الله بن العلاء بن زبر قال : قلت لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين عصيت سنوات انى كنت فى العصاه وحرمت عطائى قال : فرد على عطائى وامر ان يخج لى مامضى من السنين"[3].

فمن هذه النصوص يتبين ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله استثنى فئات معينة من الناس من اخذ العطاء وهى الفئات التى كانت مشغولة عن مشاركة المسلمين فى الجهاد ، ومن هؤلاء الاعراب، وهم سكان البوادى الذين لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم، لاحق لهم بما يفرض للمسلمين الذين هم باستمرار تحت الطلب عندما ينادى منادى الجهاد او يكونوا مع المسلمين فى جميع امورهم ويعينوهم على عدوهم بابدانهم او باموالهم او بتكثير سوادهم بانفسهم، واما اذا اشتركوا او شاركوا المسلمين فان لهم حقوقهم[4].

ومنهم التجار ذلك ان التاجر يكون مشغولا بتجارته عن الجهاد

---

(١) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١٤) ، وانظر البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٦١)
(٢) ابن سعد ـ الطبقات(٥ : ٢٥٤) .
(٣) م . س. ن (٥ : ٢٥٦).
(٤) لمزيد من المعلومات عن هذه النقطة انظر ابو عبيد ـ الاموال (ص٢١٤-٢٢٠) .

فهو لا يشارك المسلمين في الغزو والحرب لان عنده ما يأخذ كل وقته وهو التجارة .

وقد كان لهذا الاتجاه صدى طيبا لدى الفقهاء اذ اكدوا سلامة ما ذهب اليه الخليفة في ذلك ، فقد روى ابن سعد بسنده "عن ربيعة بن يسار فذكر له كتاب ابي بكر بن حزم الذي جاءه من عمر بن عبد العزيز ان لا يفرض لتاجر . فقال : اصاب عمر ، التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين"[١] ، كما ان التجار لهم موارد مالية تغنيهم عن مال الفريضة لهذا نجد ان رجلا جاء الى عمر بن عبد العزيز وقال له :"يا امير المؤمنين اغنني عن التجارة . قال بماذا ؟ قال :بفريضة ، قال : قد فرضت لك في ستين وامرنا لك بمسكن وخادم"[٢] .

والراجح ان استثناء التاجر من العطاء لم يكن معروفا من قبل فلم تقدم النصوص ما تشير الى ان احدا من الخلفاء قد منع العطاء عن التاجر مما يدل على ان هذا اجتهاد من عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، لانه قد حصل في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان اظهر بعض الصحابة اشفاقا وتخوفا من ان يؤدى توزيع العطاء الى ان تتعطل التجارة ، فقد ذكر البلاذرى انه "لما وضع عمر الديوان قال ابو سفيان بن حرب اديوان مثل ديوان بنى الاصفر ؟ انك ان فرضت للناس اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة . فقال عمر : لا بد من هذا فقد كثر فيء المسلمين"[٣] .

ومن الذين حرموا من العطاء العصاة المخالفين ، فالنص الذى

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٥) .

(٢) م . س . ن (٥ : ٢٥٧) .

(٣) البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٥٦٠) .

ورد عنهم يوحي بانهم كانوا محرومين من العطاء ، ولعل حرمانهم ذلك ناتج عن ان صاحب المعاصي بحكم ارتكابه لها غير مؤهل لان يشترك في الجهاد ، ولقد سبق ان مر معنا كيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان لايستعين باحد من المشركين او المنافقين او اليهود في حربه ضد اعدائه (١) لذلك لابد للمسلم ان يجاهد نفسه اولا بفعل الطاعات وترك المعاصي ثم بعدها يكون مستعدا لجهاد العدو ولهذا نجد ان عمر بن عبدالعزيز منع العصاة من اخذ العطاء لعدم اشتراكهم في الجهاد ، ثم عندما تاب من معاصيه رد عليه عطاءه وعوضه على مامضى من السنين التي كان محروما منها اثناء اقامته على معاصيه ، ولعل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله عوضه عن ذلك لانه ادرك منه انه صادق في رجوعه وتوبته من معاصيه حينما جاءه شاكيا له وضعه .

الا ان الملاحظ هو ان العامل المشترك في قطع العطاء عن الاصناف السابقة هو عدم اشتراكهم في الجهاد والغزو .

وهناك اشارات توردها المصادر عن اشخاص قطع عنهم امير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز العطاء ، ثم عاد فامر برده اليهم ، غير ان المصادر لاتوضح الاسباب التي ادت الى اتخاذ مثل هذا الاجراء ولا الدوافع التي بررت الغاءه وربما كان ذلك بسبب كون من قطع عنهم العطاء من بين الاصناف الثلاثة آنفة الذكر ، وربما كان ذلك لسبب آخر ، ولكن العدل الذي انتهجه هذا الخليفة الزاهد يقتضي دفع كل من يستحق العطاء له انتفاء سبب المنع ، فمن ذلك ما اورده ابن سعد بسنده "عن ابراهيم بن يحيى ان عمر بن عبدالعزيز كتب ان يعطى خارجة بن زيد ماقطع عنه من

---

(١) انظر قسم التمهيد في هذه الرسالة .

الديوان ، فمشى خارجة الى ابى بكر بن حزم فقال : انى اكره ان يلزم امير المؤمنين من هذا مقاله ، ولى نظراء ، فان امير المؤمنين عمهم بهذا فعلت ، وان هو خصنى به فانى اكره ذلك له"[١] .

ان هذا النص يشير الى ان هناك مجموعة من الناس كانوا محرومين من العطاء لسبب مشترك ، فخارجة بن زيد الذى صدر امر الخليفة برد عطائه اليه اعتذر عن قبول العطاء اذا لم يشمل نظرائه ، مبررا ذلك بالرغبة فى عدم احراج الخليفة ، فان هو عمهم بالعطاء - حتى لا تؤخذ على الخليفة - اخذ ، والا امتنع . ويظهر ان ظروف بيت المال لم تكن تسمح فى ذلك الوقت بتلبية مثل هذه الرغبة مما دفع الخليفة الى الاعتذار عن امكان تحقيق ذلك حيث قال انه "لا يسع المال ذلك ولو وسعه لفعلت"[٢] .

ومن الاجراءات المهمة التى حرص امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على الالتزام بها بقدر مايتصل الامر بديوان الجند ، اسلوب توزيع العطاء والتدقيق فيما اذا كان المستفيد من العطاء قد اشترك فى البعوث التى كلف بها ، وعن احقية الورثة بعطاء وريثهم اذا كان قد مات بعد ان خرج للجهاد وتجهز بماصرف له من عطاء ، مما يجعلنا ندرك مقدار ماكانت عليه امور الدولة الادارية والمالية فى ذلك الوقت من ضبط ومتابعة لجميع مصالح الجند وعوائلهم ، ويذكر ابن سلام بسنده "عن عبد الله بن صالح عن الهقل بن زياد عن الاوزاعى ان عمر بن عبد العزيز كتب ان انظر فى اهل الدواوين . فمن كان عمل على عطائه سنة كاملة وغرم ما نابه من الحمائل

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٦) .
(٢) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٧) .

ـ او قال الجعائل شك ابو عبيد ـ واجزأ بعوثه ثم يقبض بعد مايؤمر للناس باعطياتهم ، فمر لاهله بعطائه حقا واجبا ، وانظر من كان اكتتب فى شىء من البعوث فخرج له عطاؤه فتجهز به ثم ادركه اجله فلاتغرموا اهله شيئا انما اخذ حقه"(١).

وهذا يفيد ان على متولى الديوان ان يتولى التدقيق في امر اولئك الجنود الذين يدفع لهم العطاء على اساس السنة ان يقتطع من حسابه ماتحصل بذمته مما انفقه عليه مالم يكن من واجب بيت المال انفاقه عليه ، فان كان قد التزم باداء ما اوكل اليه من اعمال او مهمات ثم قضى نحبه بعد ان صدر امر صرف العطاء فان على المتولى ان يصرف كامل استحقاقاته الى اهله على اساس انها من الحقوق الواجبة الثابتة. وكذلك الحال مع اولئك الرجال الذين تطوعوا للقيام بالمهمات العسكرية وخرج لهم العطاء وتجهزوا به ثم توفى بعد ذلك فان الواجب يقتضى عدم اعتبار ماقبض دينا بذمته يستوفى من اهله ذلك لانه انما قبض وتصرف في استحقاقه.

ومن الامور التى كان ديوان الجند يحرص على التأكد منها عند صرف العطاء ، خلال عهد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه هو حضور صاحب الاستحقاق بنفسه كشرط لتمام الصرف ، اما ان كان صاحب العطاء غائبا غيبة قريبة فان العطاء يصرف لاهله بعد التدقيق والتأكد ، اما اذا كانت غيبة احدهم منقطعة فان عطاءه يحجز ويرفع الى حين قدومه او التثبت من وفاته او حضور وكيل عنه بوكالة موثقة ، وقد اورد ابن سعد بسنده عن ابى بكر بن حزم قال " كنا نخرج ديوان اهل السجون فيخرجون الى اعطيتهم

---

(١) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٤٢) .

بكتاب عمر بن عبد العزيز وكتب : من كان غائبا قريب الغيبة فاعط اهل ديوانه ، ومن كان منقطع الغيبة فاعزل عطاءه الى ان يقدم او يأتى نعيه او يوكل عندك بوكالة ببينة على حياته فادفعه الى وكيله"(١).

وهذا يدل على ان ابن حزم قد اعتبر فترة قضاء الجندى للسجن الذى قد يكون صدر بحقه "غيبة قريبة" يتحرى اخراجهم من السجن مؤقتا لغرض استلام العطاء مع نظرائه وقد يحتمل النص ان يسلم عطائه لاهله بعد التثبت من وجوده فى السجن . اما الاخرين فكما ذكرنا آنفا ينبغى ان يرفع عطاؤهم الى حين عودتهم من غيبتهم ، او وصول مايفيد وفاتهم ولعل ذلك مايدفع الى القول بانه اجراء احتياطى لحفظ حقوق بيت المال من الضياع فان عاد واثبت انه كان مستمرا فى عمله كان يكون قد اوغل فى ارض العدو وانقطع او جرى عليه الاسر صرف له مارفع من عطائه وبعكسه يعاد مارفع الى بيت مال المسلمين . ونفس الشىء يصدقه على من يرد ما يفيد وفاتهم اذ تصرف استحقاقاتهم الى اوليائهم اذا اعتبروا قد لقوا حتفهم وهم يؤدون واجبهم والا اعيد المرفوع من المال بسبب ذلك الى بيت المال . فان تعذر حضوره واثبت حياته ببينة وتوكيله لمن يريد بوكالة شرعية نافذة فان اوامر الخليفة عمر بن عبد العزيز صريحة فى صرف عطائه له.

كما ان هناك اجراءات صارمة بمن يأخذ اكثر من عطاء فى وقت واحد فقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على منع ذلك فيروى ابن سعد عن عبد الله بن جعفر عن ابن المبارك عن معمر قال: "كتب عمر بن عبد العزيز اما بعد : فلاتخرجن لاحد من العمال رزقا فى العامة والخاصة

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٧) .

فانه ليس لاحد ان يأخذ رزقا من مكانين فى الخاصة والعامة ، ومن كان اخذ من ذلك شيئا فاقبضه من ثم وارجعه الى مكانه الذى قبض منه والسلام"[١] .

وهذا يشير الى الرغبة الاكيدة فى تحقيق العدل ودفع اجرواحد على عمل واحد محدد منعا للاستغلال والتظالم .

ومن الاجراءات التى اهتم بها عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فيما يتعلق بالجند انه كان "يكتب الى ولاته حين اخرج العطاء ان لا يقبل من رجل له مائة دينار الا فرس عربي ودرع وسيف ورمح ونبل"[٢] مما يدل على ان امورا من الضبط والدقة والمتابعة عن وضع الجندى والتزامه بكل مايلزمه من ادوات ومعدات الحرب التى تلزم كل محارب، ولا يمكن ان يتم ضبط ذلك ومعرفة كل هذه الامور اللازمة الا بالتسجيل ، اى تسجيل الجندى وكل مايتبعه ومايتعلق به ، او بالاستعراض الذى يطلب الخليفة من كاتب الديوان ان يشرف عليه ، او يحضر له ليحضره الخليفة نفسه فى المكان المخصص لذلك، وكشف النص امرا غاية فى الاهمية وذلك ان المعدات الخاصة بالقتال من دروع وسيوف ورماح ونبال والتى يحتاج اليها الجند الذين يستلمون عطاء يزيد على ١٠٠ دينار انما هى مسئوليتهم الشخصية وانه لم يمكن شراؤها او حفظها او اعدادها او تهيئتها او خزنها وما الى ذلك من اختصاصات ديوان الجند حتى هذا التاريخ ، وعلى العكس فان الديوان كان المسئول عن تهيئة احتياجات من كان عطاؤه دون ذلك . على ان ذلك لا يمنع من تحمل الديوان كامل المسئولية فى ظروف معينة[٣] .

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٧٨) .

(٢) م . س . ن (٥ : ٢٥٨) .

(٣) انظر الطبرى - تاريخ (٦ : ٤٣٢) ، (٧ : ٨٠) .

لقد سار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفق المنهج القرآني وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانفاق على بعض من يتألف بهم الاسلام فذكر ابن سعد "ان عمر بن عبد العزيز أعطى بطريقا الف دينار استألفه على الاسلام"[١]. كما روى ابن سعد ايضا عن محمد بن عمر قال "حدثني سحبل بن محمد بن عيسى بن ابى عطاء - رجل من اهل الشام كان على ديوان اهل المدينة - عن عمر بن عبد العزيز انه ربما اعطى المال من يستألف على الاسلام"[٢]، غير اننا لا نعلم هل ان عمر بن عبد العزيز سجل هؤلاء فى الديوان فاصبح لهم عطاء ثابتا ام ان ذلك كان مجرد منح عينية او نقدية مؤقتة، وان كان النص الاخير يوحى بوجود مثل تلك العلاقة ذلك ان راوى الخبر كان المسئول عن ديوان المدينة فى خلال تلك الفترة.

ومن ناحية اخرى فقد ساوى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بين العرب والموالى فى العطاء كما كان الحال فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مسألة تسويته العرب بالموالى[٣]. فقد عمل على ارجاع هذا الحق للمسلمين من غير العرب بعد ان كان يفرض لهم خمسة عشر درهما فى عهد معاوية بن ابى سفيان واخذ الفرض لهم يزداد شيئا فشيئا على نفس معدل الزيادة التى اصابت العرب الى ان وصل الفرض فى عهد هشام بن عبد الملك الى ثلاثين درهما، اما فى عهد عمر بن عبد العزيز فان ابن سعد يقول "ان عمر جعل العرب والموالى فى الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء"[٤].

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٨).
(٢) م . س . ن (٥ : ٢٥٨).
(٣) انظر ابوعبيد - الاموال (ص ٢٢١) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٥٦) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٧٦).
(٤) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٧٧).

اما فيما يتعلق بمسألة الوراثة فيبد و ان عمر بن عبد العزيز رأى في بداية خلافته التوقف عنها واتخذ بعض الخطوات في هذا الاتجاه فقد حفظت لنا المصادر معلومات عن تعميم اصدره عمر ورد فيه :"ارفعوا كل منفوس نفرض له ، وارفعوا موتاكم فانما هو مالكم نرده عليكم"[١] ، وقال ايضا :"انه لا يحل لكم ان تأخذوا لموتاكم فارفعوهم الينا"[٢]. الا انه بعد التشاور عدل عن هذا الامر فيروى ابن سلام بسنده قال :"حدثني سليمان بن حبيب ان عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة ولذريتهم العشرات ، قال : فاعطى عثمان ومن بعده من الولاية ذلك ، وجعلوها موروثة يرثها الميت منهم بمن ليس في العطاء والعشرة ، حتى كان عمر بن عبد العزيز . قال سليمان فسألني عمر عن ذلك ، فاخبرته ، فانكر الوراثة وتركهم عموما من عيال من ليس في الديوان من المسلمين . وقال :اقطع الوراثة واعم الفريضة. قال سليمان فقلت : مهلا يا امير المؤمنين فاني اخاف ان يستن بك من بعدك في قطع الوراثة ولا يستن بك في عموم الفريضة قال : صدقت . اتركهم"[٣] .

اما عن عطاء الاولاد فان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اثبته لهم بعد ان كان قد قطع عن كثير منهم ، فقد قطع الخليفة عبد الملك بن مروان عطاء الاولاد الاعمن شاء[٤] مما سبق ان مر ذكره معنا ، فلما جاء عمر بن عبد العزيز اثبتهم في العطاء ، وتشير بعض المصادر الى انه "فرض للمولود حين يولد يقول ابن سعد ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله امر ان يكتب له كل

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٧٧) .
(٢) م . س . ن (٥ : ٢٥٥) .
(٣) ابو عبيد - الاموال (ص٢٢٦) ، وانظر البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٦١ ، ٥٦٢) .
(٤) البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٦٢) .

مولود بقوله "اكتبوا لنا كل منفوس نفرض له"[١] وقوله ايضا "ارفعوا كل منفوس نفرض له"[٢] ومانقله في رواية ثالثة قال : "اخبرنا محمد بن عمر قال :حدثني ابي قال : ذهبت بي حاضنتي الى ابي بكر بن حزم فوضع في يدى دينارا وانا منفوس، وولدت سنة المائة ، ثم كان قابل فاعطينا دينارا آخر فكانا دينارين"[٣] ، وبعض النصوص الاخرى تشير الى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لم يفرض الا للطفل حين يفطم ، اما مقدار الفرض لهؤلاء فتذكر اغلب الروايات انه عشرة دنانير، فقد نقل ابن سلام عن مروان بن شجاع الجزرى قال :"اثبتني عمر بن عبد العزيز وانا فطيم في عشرة دنانير"[٤] . اما الطبرى فيذكر بان عمر بن عبد العزيز قد الحق "ذرارى الرجال الذين في العطايا ، اقرع بينهم فمن اصابته القرعة جعله في المائة ومن لم تصبه القرعة جعله في الاربعين"[٥] ، ومهما يكن من امر فان هذه النصوص تؤكد وجود الفرض للاطفال خصوصا اولئك الذين يبلغون السنتين من العمر وان كانت هناك روايات اخرى تشير الى انه فرض لكل مولود يولد في الاسلام[٦]

والراجح ان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قد ميز في العطاء بين الصغير والكبير وجعل حدودا واضحة للفرض الكامل ، فيروى ابن

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات(٥ : ٢٥٥) .
(٢) م . س . ن (٥ : ٢٥٥) .
(٣) م . س . ن (٥ : ٢٥٥) .
(٤) ابو عبيد ـ الاموال (ص٢٢٤ ، ٢٢٥) ، البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٦٢) ، وانظر الطبرى ـ تاريخ (٦ : ٥٧٠) .
(٥) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٦ : ٥٦٩ ، ٥٧٠) .
(٦) ابن سعد ـ الطبقات(٥ : ٢٥٥) .

سعد بسنده قال :"كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة الى عماله في الآفاق ان لا يفرضوا لابن اربع عشرة سنة في العطاء ، ويفرضوا لابن خمس عشرة في المقاتلة"[١] ، والثابت ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله قد اعتمد في تقرير ذلك على رواية اوردها مسلم والبخاري وابو داود عن عبيد الله عن نافع عن عبد الله بن عمر قال :"عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد في القتال وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني ، قال نافع ، فقدمت على عمر بن عبد العزيز فحدثته هذا الحديث فقال ان هذا لحد بين الصغير والكبير ، فكتب الى عماله ان يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال"[٢] .

وهكذا فقد حدثت خلال هذه المرحلة تطورات عديدة في اطار اجراءات ديوان الجند واختصاصاته كان اغلبها عودة الى ماكان قد جرى العمل به في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مما توقف العمل به خلال الفترة المحصورة من عصريهما ، وكان لهذه الاجراءات اهمية كبيرة الاثر في ديوان الجند وتطوره ، لهذا فان المصادر لم تتحدث عن حالات تذمر بين الجند او قيامهم خلال هذه الفترة بالمطالبة بزيادة رواتبهم كما حصل في عهود كثير من الخلفاء الامويين ، ولعل هذا الموقف الذي ابداه الجند في عهده مايشير الى انهم لم يواجهوا مضايقات مالية فقد استطاع الخليفة ان يوفر لهم كثيرا من الخدمات الضرورية ، ولعل

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات (٥ : ٢٥٨) .

(٢) مسلم ـ صحيحه (١٣ : ١١ ، ١٢) ، وانظر العسقلاني ـ فتح الباري (٧ : ٣٩٢) ، ابو داود ـ السنن (٤ : ٥٦١ - ٥٦٢) ، ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز ـ طبعة دار الفكر (ص٩٥) .

الداعي الى ذلك هو وفرة المال الذى اجتمع عنده بعد ان رد المظالم وخفض كثيرا مما كان ينفق على افراد البيت الاموى ، حيث انه قضى على البذخ والترف والاسراف والاغراق فى البناء والتعمير خاصة فيما يتعلق بالقصور والمنتزهات للخلفاء والامراء .

واذا ما انتقلنا الى عصور الخلفاء الامويين الذين جاءوا بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فان المصادر تتحدث عن حصول عدد من التطورات فى ديوان الجند خلال فترات حكم البعض منهم ، فهى تتحدث عن احداث زيادات فى الاعطيات وترشيد فى بعض جوانب الانفاق كما تتحدث عن حصول بعض التغيرات فى القواعد المعمول بها وعن حصول تأخير فى صرف العطاء ، فقد ذكر الطبرى فى احدى مروياته عن الوليد بن يزيد انه "اخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة ، وزادهم على ماكان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعا فى العطاء عشرة عشرة ، ثمزاد اهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة"(١) . وهكذا فان كثيرا من خلفاء هذه الفترة كانوا يزيدون فى اعطيات الجند بعد توليهم الخلافة ، وربما يكون ذلك ناجم عن اعتبارات امنية غير ان الصورة لم تكن كذلك على الدوام فقد تولى الخلافة من خالف هذه القاعدة وعمل على انقاص عطاء الجند ، فقد اقدم الخليفة يزيد بن الوليد على انقاص الزيادات التى حصلت فى عهد الوليد ، وهكذا فقد عرف باسم "يزيد الناقص" حيث تذكر المصادر ان السبب فى هذه التسمية "لنقصه الناس الزيادة التى زادها الوليد بن يزيد فى اعطياتهم ، وذلك عشرة عشرة ، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة ، ورد اعطياتهم الى

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٧ : ٢١٧) ، وانظر السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٢٥٠) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (١ : ٢٩٩) .

ماكانت عليه ايام هشام بن عبد الملك"[١] .

اما عن عطاء الذرارى فقد اتبع الخلفاء الذين جاءوا بعد عمر بن عبد العزيز اسلوب عبد الملك بن مروان فى ربطها برغبة الخليفة ، اى انهم قطعوا ذلك عن الذرية الاعمن شاءوا ، فقد ذكر الطبرى ان اهل حمص اشترطوا ان لايدخلوا فى طاعة يزيد بن الوليد بن عبد الملك الا بعد ان يعطيهم عطاء للذرية[٢] . مما يدل على ان العطاء للذرارى كان مقطوعا والا لما اشترطوا على الخليفة ذلك .

اما فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية فقد حدث فى احدى سنوات حكمه ان تأخر صرف العطاء فى موعده عن جند مصر ، غير ان الخليفة سارع بالكتابة اليهم تعميما اعتذر فيه عن ذلك التأخير واعلن فيه انه امر بصرف عطائين ، عطاء السنة والتى قبلها وقد ورد فى تعميمه قوله :"انى انما حبست عنكم العطاء فى السنة الماضية لعدو حضرنى فاحتجت فيه الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوا هنيئا مريئا واعوذ بالله ان اكون انا الذى يجرى الله قطع العطاء على يديه"[٣] .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٧ : ٢٦١ ، ٢٦٢) ، وانظر اليعقوبى - تاريخ (٢ : ٣٣٥) ، المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٢٣٤) ، ابن طباطبا الفخرى (ص١٣٦) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص٢٥٥) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (١ : ٢٩٩) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٧ : ٢٦٣) .

(٣) الكندى - الولاة والقضاة (ص١٩٤) ، وانظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥١ ، ١٥٢) .

تطور واستقرار الديوان خلال العصر العباسي :

اعلن ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس الملقب ب"السفاح" فى الثالث من شهر ربيع الاول لعام اثنين وثلاثين ومائة بان العباسيين اهل الحق بالخلافة وذلك فى خطبة القاها فى جامع الكوفة حيث وعد الجند ومناهم وزادهم فى اعطياتهم حيث قال :"... وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبير"(١). ولعل تلك الزيادة التى قررها الخليفة العباسى الاول كانت جريا على عادة اغلب الخلفاء الذين سبقوه حين توليهم الخلافة وذلك حرصا منه على كسب رضا الجند وسائر الناس وخاصة فى تلك المرحلة الانتقالية .

وحينما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة فانه اهتم ببناء الدولة وتشييدها وهو الذى بنى مدينة بغداد وقسمها ارباعا ، ونقل اليها الخزائن والدواوين وبيوت الاموال فى سنة ست واربعين ومائة(٢)، فكانت الدواوين المركزية كلها فى بغداد ، وكان لديوان الجند فروع فى اقاليم الخلافة الاسلامية(٣)، وقد بلغ عدد افراد جيشه مائة وخمسة وعشرين الف جندى(٤) .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٧ : ٤٢٦) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٥ : ٤١٣) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٤١) ، ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (١ : ٣٢١) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص٢٥٧) ، مجهول العيون والحدائق (٣ : ٢٠٠) .

(٢) الجهشيارى - الوزراء (ص١٠٠) .

(٣) انظر الكندى - الولاة والقضاء (ص ٩٨، ٣٥٤) .

(٤) ابن الاثير - الكامل (٥ : ٦٧، ١٢٥) .

اما عن اعطيات المنصور فالمشهور عنه انه كان لا يصرف الاموال مثل غيره في الاعطيات حتى ان البعض رموه بالبخل[١] حيث انه قلل من عطاء الجند اذا ماقورن بما كان عليه الحال في ايام السفاح ، وينقل التنوخي عن احد الجند في جيش المنصور قوله :"... وانا والله راجل ورزقي من ابي جعفر المنصور عشرون درهما في الشهر"[٢] وهذا يعني ان راتب الجندي الراجل كان في حدود ٢٤٠ درهما في السنة اما الفارس فيأخذ ضعف ذلك .

ومما يلاحظ هنا ان معدلات هذه الرواتب هي اقل منها في عهد السفاح ، ولعل السبب في هذا يرتبط بسياسة جديدة سار عليها المنصور قصد منها منع الجند من ان يستغنوا برواتبهم عن الجندية من جهة وليضمن عدم عصيانهم من جهة اخرى ، وربما ايضا لاحتياج المنصور الى المال الكثير لقيامه بانشاء مدينة بغداد ، وغيرها من المنشآت العامة في ارجاء دولته ، حيث انه اهتم بالمناطق الساحلية المتاخمة لحدود البيزنطيين من جهة الشام فبنى الثغور وحاول اغراء الجند على السكن فيها والمرابطة ، كما قام بمنحهم الاراضي الزراعية هناك حتى يضمن استقرارهم واستمرار مرابطتهم فيها ليقوموا بصد غارات البيزنطيين المتكررة على تلك المناطق . وقد ذكر البلاذري بان المنصور قد "اسكن في ملطية اربعة آلاف مقاتل من اهل الجزيرة لانها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي يتجاعله القبائل بينها ووضع فيها شحنتها من السلاح واقطع الجند المزارع ، وبنى

---

(١) السيوطي- تاريخ الخلفاء (ص٢٦٤، ٢٦٧) .
(٢) التنوخي- الفرج بعد الشدة (٢ : ٣٧٢) ، وانظر جميل نخلة - حضارة الاسلام (ص ٢٩) .

حصن قلوذيه"[١]، ان هذه الخدمات المتوفرة لجند الثغور من رواتب مغرية وسكن ومزارع وغيرها لا ينبغي ان نحصرها في ملطية فان من المتوقع ان تشمل مد الثغور الاخرى وان تكون النفقات التي تتحملها الدولة من جراء ذلك كبيرة، ومما يدل على ذلك ايضا كثرة مابناه المنصور، وخاصة في المجالات العسكرية، فقد ذكر البلاذري ان بني امية" كانت تغزو الروم باهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة، وتقيم المراكب للغزو وترتب الحفظة في السواحل، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم والتيقظ فلما ولي ابو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور"[٢]، فهذه ولاشك تطلبت الكثير من الاموال وكونت عبئا كبيرا على بيت المال.

ان قلة العطاء وتأخير صرفه لم تترك الجند مسالمين على الدوام فقد شغبوا في بعض الاقاليم على الولاه، من ذلك ماحدث في اقليم ارمينية حيث كتب الوالي الى الخليفة ابي جعفر المنصور يقول "ان الجند قد شغبوا عليه وكسروا اقفال بيت المال واخذوا مافيه"[٣].

وبالمقابل فاننا نجد الخليفة المنصور قد اهتم باقليم الحجاز اهتماما كبيرا يختلف عن اهتمامه بغيره من اقاليم الدولة الاخرى حيث اعطى العطايا السخية فاهتم بالاشراف اكثر من غيرهم، ويذكر الزبير بن بكار ان المنصور لما حج "اعطى اشراف القرشيين الف دينار لكل واحد منهم، ولم يترك احدا من اهل المدينة الا اعطاه، الا انه لم يبلغ باحد مابلغ بالاشراف ... واعطى

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان (ص٢٢٣)، وانظر قدامة بن جعفر الخراج (ص٣١٩)، فتحي عثمان - الحدود الاسلامية (٢: ٢٤٧)، عليه الجنزوري - الثغور الاسلامية (ص١٥٣).

(٢) البلاذري - فتوح البلدان (ص١٩٣).

(٣) الطبري - تاريخ (٨: ٩٧).

قواعد قريش صحاف الذهب والفضة وكساهن ، واعطى بالمدينة عطايا لم يعطها احد كان قبله"[١]. ولعل مبعث هذا الاهتمام من الخليفة المنصور بالحجاز مايحتله الحرمين من مكانة كبيرة في نفوس المسلمين اضافة الى ان الحجاز هو موطن الآباء والاجداد من بني هاشم، وانه يمثل محورا رئيسيا في الدعاية لصالح العهد الجديد .

غير ان هناك نصوص تشير الى ان عطاء اهل المدينة بعد ذلك قد قطع عن البعض في حياة ابي جعفر المنصور ولعل ذلك راجع الى تحالفهم وبيعتهم لمحمد النفس الزكية، غير ان ذلك مالبث ان اعيد النظر فيه في عهد الخليفة محمد المهدي الذي اعاد الامور الى ماكانت عليه ، ذكر ذلك الزبير بن بكار قائلا :"واما المغيرة بن حبيب فكان لطيفا باميرالمؤمنين المهدي ، ولاه عطاء اهل المدينة، وكان يليه القسوم . واعطاه الف فريضة يضعها حيث شاء ففرضه مشهورة بالمدينة"[٢]، ويشير الزبيري الى اعطيات المهدي في المدينة فيقول :"كان عبدالله بن المصعب[٣] بن ثابت في صحابة المهدي ، صحبه سنتين حين قدم المهدي المدينة، وجلس للناس يعطيهم الاموال يعطي الرجل من قريش ثلاثمائة دينار ويكسوه سبعة اثواب"[٤].

وقد نقل الزبير بن بكار عن يونس بن عبد الله بن سالم الخياط قوله

---

(١) الزبير بن بكار- جمهرة نسب قريش(١ : ٣٠٣) رقم ٥٣١ .

(٢) ابن بكار - جمهرة نسب قريش (ص٩٠٠١، ٢١٤) ، وانظر الزبيري نسب قريش (ص٢٤٢) .

(٣) هو والد الزبير مؤلف كتاب نسب قريش .

(٤) الزبيري - نسب قريش (ص٢٤٢) .

بانه :"لما اعطى امير المؤمنين المهدى المغيرة بن حبيب الف فريضة يضعها حيث شاء جاءه ابو عبد الله بن سالم فقال له :

الف تدور على يد لممدح ... ماسوق ما وجه لديه بكاسد

الظن مني لو فرضت لواحد ... في الاعجمين خصصتني بالواحد

قال : فقال له مغيرة : ايهما احب اليك افرض لك او لابنك يونس قال انا شيخ كبير هامة اليوم او غد ، افرض لابني يونس، قال ففرض لي في خمسين دينارا . . ." [1]، يتضح لنا من خلال تلك النصوص ان المهدى اطلق العطاء لاهل المدينة ، وهذا يدل على ان بعض اهل المدينة لم يكونوا في العطاء عند تولى المهدى الخلافة ، وهذا امر متوقع مع نمو الاجيال الجديدة من الاحداث، والراجح ان المهدى قد فرض الف فريضة جديدة لاهل المدينة بعد ذلك، ولكن النصوص لم توضح فيما اذا كان ذلك قد استوعب كل من لم يشمله العطاء ام لا ، ومما يلاحظ ان البعض قد فضل ان يسجل ابنه في العطاء بدلا منه طمعا في طول مدة صرف العطاء وهذا يشير على كل حال الى حقيقة ان العطاء لا يورث، لذلك فضل ابو عبد الله بن سالم ان تعطى الفريضة لابنه كي لا يحرم الابن منها بعد وفاة الاب، والنص بعد ذلك يشير الى ان الخليفة قد يمنح الامير او الوالي الحرية في توزيع الفرائض ولعل مبعث ذلك الرغبة في اكرامه شخصيا او في الافادة من معرفته بامور الاقليم واهله اكثر من غيره [2] .

ويظهر من النصوص المتواترة ان النصيب الاوفر من الاعطيات التي

---

(١) ابن بكار - جمهرة نسب قريش (ص ١١٠) رقم ٢١٥ ، وانظر الاصفهاني الاغاني (١٨ : ٩٨) .

(٢) انظر د . العلى - العطاء وتطور نظمه من مقالة في مجلة المجمع العلمي عدد ٢٠ (ص ٦٧ ، ٦٨) .

وزعت في خلافة المهدى بين اهل المدينة كان للهاشميين فقد " قسم امير المؤمنين المهدى قسما على يد المغيرة بن حبيب سنة اربع وستين ومائة فاصاب مشيخة بني هاشم اكثرهم خمسة وستون دينارا واقلهم خمسة واربعون دينارا ، ومشيخة القرشيين اكثرهم خمسة واربعون دينارا واقل القرشيين سبعة وعشرون دينارا ، ومشيخة الانصار اكثرهم سبعة وعشرون دينارا واقل الانصار سبعة عشر دينارا ، والعرب اكثر من الموالى ولاادرى كم اعطوا ومشيخة الموالى خمسة عشر دينارا ، واقل الموالى على الشبرالسداسى ستة دنانير ، والخماسى خمسة دنانير ، والرباعى اقلهم اربعة دنانير وكان عدد الناس الذين اكتتبوا ثمانين الف انسان ، قال : وقال المغيرة بن حبيب ربما رأيت الانسان الهيء وقد قصر به نقيبه وكتبه في غير نظرائه فاعطيه من مالى حتى غرمت مالا"[1] والذى يتضح لنا من خلال هذا النص ان المغيرة بن حبيب قد عمل على اعادة تصنيف الناس في المدينة ، واعمل رأيه وربما كان ذلك بتوجيه من الخليفة المهدى على سياسة التفضيل في العطاء فيها فكان بنو هاشم اكثر الناس عطاء ولعل ذلك راجع الى ان الخلافة فيهم ، يليهم القرشيون لقرابتهم منهم ثم الانصار ثم بقية العرب ثم الموالى غير ان الموالى كما نلاحظ في هذا النص لهم تصنيف خاص لا يقوم على الوحدات القبلية ، فالطريف في النص مانلاحظه فيه من طريقة مبتكرة في تصنيف الموالى فقد جرى تخصيص مبلغ خمسة عشر دينارا لكل فرد من مشيخة الموالى . ثم توالى التصنيف في فئات خصص لها عطاء متتابع في انحداره عما خصص للمشيخة بطبيعة الحال ، اما اقل الموالى فالظاهر ان عطاء الواحد منهم قد تراوح بين ٤ - ٦ دنانير في حين ان ماورد في النص عن الاشبار الاربعة والخمسة والستة يبقى على غموضه ، وان كان الراجح ان له علاقة

---

(١) ابن بكار - جمهرة نسب قريش (ص١١١) رقم ٢١٦ ، وانظر الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد (١٣ : ١٩٤) .

بهيئة الانسان وبناء جسمه كما هو واضح من تعقيب المغيرة في آخر النص.

كما انه من الملاحظ ان افراد القبائل العربية لا يتساوون في العطاء فالمشيخة تأخذ اكثر من غيرها في العشيرة، ولعل ذلك يرجع الى الدور القيادى الذى تلعبه المشيخة، كما ان الفرق بين الحدين الاعلى والادنى كان كبيرا، ويلاحظ من النص ايضا ان هناك (نقباء) كانوا يتولون تصنيف الناس، كان بعقد ورهم التلاعب في التصنيف كما يلاحظ ان عدد من ادرج في العطاء في المدينة وحدها بلغ ثمانين الفا مما يدل على ان هذا التصنيف كان شاملا لاهل المدينة العرب منهم والموالى، وسواء كان البعض منهم مسجلا في الديوان من قبل او انه قد تم تسجيل اسمه من جديد ضمن هذا التسجيل .

ومما هو جدير بالملاحظة انه بجانب اهتمام الخليفة المهدى باقليم الحجاز فانه قد وجه اهتمامه كذلك الى الاقاليم الشمالية المتاخمة للبيزنطيين وعمل فيها كما عمل غيره من الخلفاء السابقين في ندب الناس اليها واغراءهم بسكناها وصرف النفقات الكثيرة في ذلك . قال البلاذرى "امر المهدى ببناء مدينة الحدث فانشأها على بن سليمان بن على وهو على الجزيرة وقنسرين وسميت المحمدية ... وقد كان على بن سليمان فرغمن بناء مدينة الحدث، وفرض محمد بن على فيما بعد لها فرضا من اهل الشام والجزيرة وخراسان في اربعين دينارا من العطاء، واقطعهم المساكن، واعطى كل امرىء ثلاث مائة درهم . وكان الفراغ منها سنة تسع وستين ومائة، وقال ابو الخطاب فرض على بن سليمان بمدينة الحدث لاربعة آلاف فاسكنهم اياها"[1] كما ان الخليفة المهدى قد فرض فرائض

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٢٦) ، وانظر فتحى عثمان- الحدود الاسلامية (٢: ٢٤٨) .

جديدة بالمصيصة يقول البلاذرى : "لما استخلف المهدى فرض بالمصيصة لالفى رجل ولم يقطعهم لانها قد كانت شحنت من الجند والمطوعة، ولم تزل الطوالع تأتيها من انطاكية فى كل عام حتى وليها سالم البرلسى وفرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير فكثر من بها وقووا"[(١)] .

اما عن عدد الجيش فى عهد المهدى فتذكر بعض المصادر : انه فى سنة ١٦٥ هـ ارسل المهدى ابنه هارون الرشيد لمحاربة الروم و"سار هارون الرشيد فى خمسة وتسعين الفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا ، وحمل لهم من العين مائة الف دينار واربعة وتسعين الفا واربعمائة وخمسين دينارا ، ومن الورق احدى وعشرين الف الف واربعمائة الف واربعة عشر الفا وثمانمائة درهم"[(٢)] على اننا لايمكن ان نعتبر هذا العدد ممثلا لمجموع افراد الجيش العباسى فى هذه المرحلة فقد كانت هناك قوات عباسية عسكرية دائمة فى كل مصر من الامصار الاسلامية التابعة للخلافة العباسية تحسبا للطوارىء . كما ان منطقة بلاد ماوراء النهر كانت منطقة حساسة تستلزم تهيئة قوة كبيرة دائمة الاستعداد فى مواجهة الاحتمالات وكذلك الحال فى الثغور الاخرى .

اما فى خلافة هارون الرشيد فقد زاد الاهتمام بالعطاء كثيرا ولعل مرجع ذلك وفرة المال فى عهده خاصة وان حدود الدولة الاسلامية بلغت اقصى اتساع لها فى هذه الفترة ، اضافة الى شيوع حالة الاستقرار الداخلى

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص١٩٧) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٨ : ١٥٢) ، وانظر ابن الاثير- الكامل (٦ : ٦٦) ، غير انه يذكر ان العدد يزيد مائتين حيث يذكر انهم تسعمائة بدل سبعمائة ، اما الدنانير فقد انقص عن رواية الطبرى الف دينار .

في دولته فينقل ابن كثير رحمه الله عن سياسة هارون الرشيد المالية انه "كان يحب التشبه بجده ابي جعفر المنصور الا في العطاء، فانه كان سريع العطاء جزيله"[١]، لذلك فانه حينما حج في سنة ١٩٣هـ فانه اعطى اهل المدينة ثلاث اعطيات ويذكر الطبري ذلك بقوله :" قدم الرشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمد الامين وعبدالله المأمون فاعطى فيها العطاء وقسم في تلك السنة في رجالهم ونسائهم ثلاثة اعطية فكانت الثلاثة الاعطية التي قسمها فيهم الف الف وخمسين الف دينار، وفرض في تلك السنة لخمسمائة من وجهاء موالي المدينة، ففرض لبعضهم في الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ومفراق مولى بني تميم وكان يقرئ القرآن بالمدينة"[٢].

اما الجهشياري فيقدم الخبر بطريقة اخرى حيث يقول :"ان الرشيد حج وحج معه يحيى والفضل وجعفر فلما صار بالمدينة جلس ومعه يحيى واعطى العطاء، ثم جلس محمد من بعده ومعه الفضل بن يحيى فاعطاهم العطاء، ثم جلس بعده عبدالله ومعه جعفر فاعطاهم العطاء، فاعطوا في تلك السنة ثلاثة اعطية، فكان اهل المدينة يسمون ذلك العام عام الثلاثة الاعطية، ولم يروا مثل ذلك قط الا في ايام البرامكة"[٣].

ويروي الزبير بن بكار عن يونس الخياط "ان المغيرة بن حبيب فرض ليونس بن عبدالله بن سالم في خمسين دينارا، فلما خرجت الاعطيات

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٢١٤) ، وانظر السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص٢٨) ، شوقي ابو خليل - هارون الرشيد (ص٦١) .
(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٨ : ٣٦٣، ٣٦٤) .
(٣) الجهشياري- الوزراء والكتاب (ص٢٢١، ٢٢٢) .

الثلاثة في زمن الرشيد على يدى بكار بن عبدالله قال لي خليفته وخليفة ايوب بن ابي سمرة وهما يعرضان اهل ديوان العطاء، انت من هذيل ونراك صرت من آل الزبير فنردك الى فرائض هذيلي خمسة عشر دينارا فقال لهما بكار انما جعلتما لتتبعا ولا تبتدعا ، امضياه فاعطياه مائة وخمسين دينارا"[1] . ومن ذلك يتبين لنا ان الرشيد فرض ثلاث فرائض لاهل المدينة اما ما اورده الجهشياري من ان العطاء الاول كان من الرشيد وان الثاني كان من الامين ، وان العطاء الثالث كان من المأمون ، فلعل القصد منه تهيئة الاذهان لولاية العهد من بعده لابنائه ، والتخطيط لتقبل الناس ذلك بالرضي والقبول ، ولهذا فانه جعل كل واحد منهم يتصرف بالعطاء لاهل المدينة على طريقته الخاصة ، اما نص الطبري فقد كشف عن ان مجموع العطاءات الثلاثة التي قسمها الرشيد بلغت مليون وخمسين الف دينار اضافة الى الفرائض الجديدة التي فرضها في تلك السنة مما يدل على وجود اشخاص لم يكونوا مسجلين في الديوان ولعلهم الناشئة التي كبرت خلال الفترة بين سنة ١٦٩ حين جرت اعادة تنظيم ديوان عطاء المدينة وبين سنة ١٩٣ التي يخصها النص، حيث جرى اثباتهم في هذه السنة والظاهر انهم كانوا من وجهاء الموالي وقد بلغ عددهم خمسمائة رجل .

اما اثبات البعض في شرف العطاء فانه يدل من جهة اخرى على ان عطاء الشرف كان موجودا واستمر العمل به في عهد الرشيد ، والملاحظ انه في اثناء صرف العطاء يتم عرض الناس والتأكد من ثبت اسمائهم في

---

(١) ابن بكار - جمهرة نسب قريش (ص ١١) رقم ٢١٥ ، وانظر الاصفهاني الاغاني (١٨ : ٩٨، ١٨٥) .

الديوان ، ذلك ان الديوان كان موضوعا على اساس القبائل ، وحينما يتم توزيع الاموال يجرى التدقيق ولهذا فانه لما وصل صرف العطاء الى يونس بن عبدالله بن سالم وهو من الهذليين وسبق له ان ادرج اسمه مع آل الزبير حاول وكيل متولى عطاء المدينة ان يردوه الى فرائض هذيل التى تعتبر اقل من آل الزبير[1] الا ان بكار نهاهما عن ذلك وامرهما ان يمضياه على عطائه السابق فاعطوه مائة وخمسين دينارا[2]، غير ان النص لا يشير الى سبب ضم هذا الهذلى الى آل الزبير، وعلى كل فان هذه الاعطيات الثلاثة التى منحها الرشيد لاهل المدينة تدل على وفرة اموال الدولة والى ماحققه صرف ذلك لاهل المدن ذلك انه لم يسبق لهم ان حصلوا على عطاء كهذا .

اما مصر فيبدو ان بعض الولاة فيها قد تعمدوا تأخير صرف العطاء مما جعل التذمر عاما ، بل ان الامر قد استفحل وتطور الى حالة تمرد اشترك فيه بعض الجند ونجم عنه حصول بعض المظاهر الخطيرة . ويذكر الكندى انه قد "ثار الجند الذين يقال لهم القدرية بصاحب الخراج عمر بن غيلان فى اعطياتهم فطلبوه ودخنوا عليه حتى دفع اليهم اعطياتهم"[3] .

---

(١) كانت فرائض هذيل (١٥) دينار فى السنة للرجل فى حين كانت فرائض الزبيريين (٥٠) دينار فى السنة عن كل عطاء كما هو واضح فى نص ابن بكار - جمهرة نسب قريش (ص ١١) رقم ٢١٥ .

(٢) بمعنى ثلاث اعطيات كل منها ٥٠ دينارا .

(٣) الكندى - الولاة والقضاة (ص١٣٣) .

اما عن مدن العواصم والثغور فقد ابدى الخليفة هارون الرشيد اهتماما كبيرا فى حمايتها وتأمين مايلزم للمقاتلة فيها ، وهذا امر متوقع منه نظرا لما تمثله تلك المناطق من اهمية بالغة فى حماية حدود الدولة الاسلامية فى وجه مطامع اعدائها الروم الذين كانوا يقومون بشن الغارات المتكررة عن طريق السواحل الشامية . فيذكر البلاذرى انه فى سنة ١٧١هـ ، وبعد ان علم الرشيد بان الروم يخططون للهجوم على حدود دولة الاسلام اصدر الخليفة اوامره :"فاغزى الصائفة فى سنة احدى وسبعين ومائة هرثمة ابن اعين ، وامره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل ، واجرى امرها على يد فرج بن سليم الخادم بامر الرشيد ، فوكل فرج ببنائها ، وتوجه ابو سليم الى مدينة السلام ، فاشخص الندبة الاولى من اهل خراسان وهم ثلاثة آلاف رجل ، ثم اشخص الندبة الثانية وهم الفا رجل من اهل المصيصة والف من اهل انطاكية على زيادة عشرة دنانير لكل رجل فى اصل عطاءه الى ان استتم بناء طرسوس وتحصينها وبناء مسجدها ومسح فرج مابين النهرالى النهر فبلغ ذلك اربعة آلاف خطه ، كل خطة عشرون ذراعا فى مثلها واقطع اهل طرسوس الخطط."[1] ويظهر ان عملية تحصين الثغور قد استمرت كسياسة ثابتة للدولة الاسلامية خلال هذه الفترة اذ تشير المصادر الى ان الرشيد قد امر "ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب اليها المقاتلة فى زيادة العطاء"[2] ويذكر الواقدى انه "لما كانت سنة ثمانين ومائة امر الرشيد بابتناء مدينة عين زربه وتحصينها ، وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم فاقطعهم بهاالمنازل ، ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٠٠، ٢٠١) .

(٢) م . س . ن (ص٢٠٣) .

امر ببناء الهارونية ، فبنيت وشحنت ايضا بالمقاتلة ومن نزح اليها من المطوعة ونسبت اليه[(١)]. وليس من شك في ان بناء تلك المدن وارسال الجنود اليها مع شحنها بالسلاح وتوفير اللوازم لهم ولد وابهم ومساكنهم يكلف خزينة الدولة الشيء الكثير من الاموال غير ان الدولة العباسية كانت خلال هذه الفترة تعيش عصرها الذهبي وعلى الرغم مما تشير اليه المصادر من المصروفات الكثيرة وابواب الانفاق المتعددة التي تقوم بها الدولة سواء في المجالات الحربية او غيرها ، فان المصادر تذكر بان "هارون الرشيد توفي وفي بيت المال تسعمائة الف الف ونيف"[(٢)] وبالرغم من ان السيوطي يشير الى انها اقل من ذلك[(٣)] فان من الثابت ان معدلات الانفاق على ضخامتها كانت اقل من ايرادات الدولة مما يعزز من التوفيرات ويدعمها سنة بعد اخرى[(٤)]. ولا شك في ان كثيرا من الاموال كانت تصرف في هذه الحقبة على المقاتلة ولعل من المفيد هنا ان نذكر ان الرشيد قد قاد بنفسه العديد من الغزوات ضد الروم وان تعداد قواته في احدى هذه الغزوات كان يربوا على ١٣٥ الف مقاتل من المثبتين في ديوان الجند ، وان هذا الرقم لا يشمل المتطوعة والاتباع ومن لا ديوان له من المشاركين في الغزو[(٥)] ان وجود هذا العدد الكبير من المقاتلة الذين يشرف عليهم ديوان الجند

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان (ص٢٠٢) .

(٢) الطبري - تاريخ (٨ : ٣٦٤) ، ابن الاثير - الكامل (٦ : ٢١٤) ، انظر شوقي ابو خليل - هارون الرشيد (ص٦٤) .

(٣) انظر السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص٢٩٦) .

(٤) الزهراني - النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص٤٩ ، ٥٠) .

(٥) انظر الطبري - تاريخ (٨ : ٣٢٠) ، البيجاني - اشعة الانوار (١ : ٤٣٦) ، القلقشندي - مآثر الاناقة (١ : ١٩٦) .

ويتولى توزيع اعطياتهم وارزاقهم يوضح ضخامة ابواب الانفاق فى هذا المجال كما يعكس طبيعة الدور والاهمية التى انيطت بديوان الجند .

ان وفاة الرشيد وانتقال الخلافة الى الامين وما اعقب ذلك من ظهور حالة النزاع بين الاخوين الامين والمأمون وتخزب زعماء وقادة الجند لاحد طرفى النزاع ادى الى انقسام حاد فى القوات العسكرية وانقسامها على نفسها انعكاسا للصراع الواقع مما كان له اثره الكبير فى تردى الاوضاع وفى حالة الفوضى التى صاحبت هذه الفترة مما انعكس على اقتصاد الدولة وامنها وانضباط قواتها .

والحق فان المصادر تقدم معلومات مربكة عن الجند ومقادير الاموال التى انفقت عليهم خلال هذه الحقبة ، وكذلك الحال حين ندقق فى اخبار الاعطيات ومقاديرها واوقات صرفها وماله علاقة بذلك. والراجح ان السبب فى ذلك يكمن فى ان اطراف النزاع ارادوا كسب مواقف الجند الى جانبهم فلم يجدوا وسيلة اكبر تأثيرا من الاغراء بالاموال ، وبالمقابل فان ذلك الوضع ادى الى احساس الجند وقادتهم باهميتهم وخطورة دورهم ، كما ادى مع ميل النفوس الى حب المال ، الى جشعهم واستغلالهم للظرف الواقع ابشع استغلال .

وهكذا فقد اصبحت الجندية فى هذه المرحلة مهنة مربحة ، وتفاقم الامر كثيرا حين ادرك الجندى اهميته ودوره فى الصراع ومدى احتياج قائده اليه ، مما نجم عنه سرعة تمرد الجند وعدم مبالاتهم فى التدقيق فى امر المعسكر الذى يميلون اليه من بين المتصارعين على السلطة ، اذ ان المهم لديهم هو الحصول على اكبر قدر من المال وتطمين رغبة النفس فى الحصول على مكاسب ذاتية اكبر دون رعاية لقيمة اخلاقية او مبادىء موجهة . ولعل من المناسب ان نتابع بموضوعية الاخبار الموثقة التى اوردتها المصادر عن

هذه الحقبة من اجل ادراك ابعاد التطور الحاصل ونتائجه الخطيرة والتي كان لها اثرها الكبير على اوضاع الدولة الاسلامية لفترة طويلة قادمة .

يذكر الطبري في حوادث سنة ١٩٣ هـ انه عندما جاء خبر وفاة الرشيد الى الامين وكان ببغداد "... قام وخطب في الناس ونعى الرشيد اليهم وعزى نفسه والناس، ووعدهم خيرا وبسط الامال ، وآمن الاسود والابيض وبايعه جلة اهل بيته وخاصته ومواليه وقواده ... وامر السندي بمبايعة جميع الناس من القواد وسائر الجند ، وامر للجند من بمدينة السلام برزق اربعة وعشرين شهرا"[1] . ولعل مبعث تقديم هذا العطاء الكبير للجند في مدينة السلام هو رغبة الامين في اغرائهم وضمانا لالتزامهم بطاعته والتأكيد على ولائهم له . وحيث ان بغداد هي العاصمة وهي المركز الاداري والعسكري والمالي للدولة فحري بالامين ان يحرص عليها حتى يمسك بزمام الامور لهذا نجده يخص جند بغداد بهذه الاعطية .

واذا مادققنا في مقادير رواتب الجند في هذه الفترة، فعلى الرغم من ان المصادر لم تشر الى مقدارها بدقة ، فانه يمكن قوله هو انها في حدود ثمانين درهم شهريا ، غير انها لم تكن في وضع مستقر، بل ان طبيعة الاحداث ومطالب الجند المتكررة وتهديدهم بالتمرد والعصيان يجعل من الصعب على الباحث تحديدها بدقة ، فالامين حينما عزم على محاربة اخيه المأمون اودع رواتب الجند وسجلاتهم ومايتعلق بهم من امور الى قائده على بن عيسى بن ماهان ، فقد ذكر الطبري بان الامين "... دعا على بن عيسى بن ماهان فعقد له خمسين الف فارس وراجل من اهل

---

(١) الطبري - تاريخ (٨ : ٣٦٥) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٦ : ٢٢١) ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٢٢٣) .

بغداد ودفع اليه دفاتر الجند وامره ان ينتقي ويتخير من اراد على عينه ، ويخص من احب ويرفع من اراد الى الثمانين وامكنه من السلاح وبيوت الاموال"[(١)] والذى يظهر من هذا النص هو ان الامين طلب من على بن عيسى تشكيل فرقة جديدة من اهل بغداد يكون تعدادها فى حدود ٥٠ الف مقاتل (من الفرسان والرجاله) وان على بن عيسى قد عين قائدا لهذه الفرقة فكان عليه ان ينتقي بنفسه من يرى انه يصلح للانضمام الى هذا التشكيل كما ان من الصلاحيات التى انيطت بالقائد المذكور صلاحية انتقاء "مجموعة خاصة" له الحق في ان يزيد رواتبهم حتى تبلغ ثمانين درهم . اضافة الى اطلاق يد هذا القائد في مخازن السلاح وحرية الانفاق من بيوت الاموال لهذا الغرض، وحينما شاع الخبر عن تكليف على بن عيسى بن ماهان بذلك وضمانا لزيادة ارزاقهم فان الجند قد قاموا باثارة الشغب فكانت النتيجة ان "امر لهم بارزاق اربعة اشهر ورفع من كان دون الثمانين الى الثمانين وامر للقواد والخواص بالصلات والجوائز"[(٢)] ، والظاهر انه كان سخيا في العطاء فقد وصفه المسعودى بانه " كان باسطا يده في العطاء"[(٣)] ، وقد كان لهذا اثر كبير فى انضمام اعداد كبيرة من الجند الى قواته ، وقد اشارت المصادر الى ذلك فقد أورد الطبرى رواية عن يزيد بن الحارث قال :"اقام طاهر على نهر صرصر لما صار اليها وشمر في محاربه محمد واهل بغداد فكان لا يأتيه جيش الا هزمه ، فاشتد على اصحابه ماكان محمد يعطى من

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٠٥) .
(٢) ن . م . س (٨ : ٤١٢) .
(٣) المسعودى - التنبيه والاشراف (ص٣٠٢) .

الاموال والكساء فخرج من عسكره نحوا من خمسة آلاف رجل من اهل خراسان ومن التف اليهم، فسر بهم محمد ، ووعدهم ومناهم واثبت اسماءهم في الثمانين"(١).

ان هذا النص يبين لنا مدى مايلعبه المال من دور في المساعدة على تحديد مواقف الجند ، ومن الواضح ان اكثرهم قد استغل تلك الاحداث لتحقيق كسب اكبر قدر ممكن من المال وذلك بالانضمام الى من يدفع اكثر . وقد ادرك الامين ذلك فاخذ يغرى الجند بالمال ، غير ان ذلك كان يكلف خزينة الدولة الشيء الكثير خاصة بعد ان طال امد الصراع، فاذا اضفنا الى هذا التوسع الكبير في النفقات، تدهور موارد بيت المال الناجم عن انشغال الامة بشكل عام باحداث الصراع وانعدام المسئولية والرقابة والسيطرة على الزراعة ووجوه الواردات الاخرى اضافة الى الخطط التي وضعها قادة المأمون من اجل اضعاف جبهة الامين بقطع الاموال عنه ، فان مانجم عن ذلك في جملته هو تدهور وضع الميزانية العامة واحساس الخليفة محمد الامين بالعجز عن ان يفي بالتزاماته المالية المتزايدة للجند ، وهذا ما اشارت اليه المصادر بقولها انه " لما ضاق الامر بالامين في ارزاق الجند ضرب آنية الذهب والفضة سرا واعطى رجاله."(٢).

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد فقد اضطر الامين في الاونة الاخيرة الى الاكتفاء بمنح زيادات لبعض اتباعه وخاصة المحدثين منهم وهذا يعني

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٤٢) .

(٢) المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٤١٢) ، وانظر الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٤٦) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٢٣٨) .

انه توقف عن سياسة التوسع فى الاتفاق[١]، وهذا يعكس مدى تدهور اوضاع بيت المال فى المرحلة الاخيرة من عهد الامين ، فقد اضطر الخليفة فى الاخير الى ان يأمر ببيع "باقى مافى الخزائن التى كانت انهبت فكثم ولا تهاما فيها لتسرق"[٢] . وما ان علم طاهر بن الحسين قائد قوات المأمون بالوضع المتردى الذى يواجهه الامين والضائقة المالية التى يتخبط بها فانه انتهز ذلك للتأثير على الجند حيث انه راسلهم وكاتبهم كما تذكر المصادر " . . .وكاتبهم ووعدهم ومناهم واغرى الاصاغر بالقادة حتى غضبوا لذلك وشغبوا على الامين"[٣] . كما انه على مايظهر قد "الحقهم جميعا بالثمانين فى الارزاق"[٤] . وقد وصل الحال ببعض القادة الى ان يطلب من الامين مطالب غريبة حقا وهى تعكس مدى الجشع والتدهور الاخلاقى الذى وصل اليه هؤلاء فقد اصبحت القضية مساومات ليس الا ، واختفت الى حد بعيد مُثل الجندية الاسلامية وقيمها اضافة الى غيبة اخلاقيات المؤمن وتحريه . فلقد طلب القائد من الامين ـ كما اورد الطبرى :"والذى اسأل أن يؤمر لاصحابى برزق سنة ، ويحمل معهم ارزاق سنة ، ويخص من لا خاصة له منهم من اهل الغناء والبلاء ، وابدل من فيهم من الزمنى والضعفاء واحمل الف رجل ممن معى على الخيل ، ولا اسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور . . . "[٥] .

---

(١) انظر المسعودى ـ مروج الذهب (٣ : ٤٠٩) ، الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٤٣٣)
(٢) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٤٧٠) ، وانظر السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ٢٩٩) .
(٣) المسعودى ـ مروج الذهب (٣ : ٤٠٩) ، الطبرى تاريخ (٨ : ٤٤٣) .
(٤) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٤٤٣) ، ويذكر ابن الاثير انه اعطاهم الاموال دون تحديد انظر الكامل (٦ : ٢٦٩) .
(٥) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٤٢٠) ، ابن الاثير ـ الكامل (٦ : ٢٥٤) .

وهكذا فان مطالبات الجند قد كثرت في الوقت الذى كانت فيه خزينة الامين باتت خاوية بعد ان صرف كل ما فيها عليهم ولم يبق عنده شىء ينفقه ، وقد حصل نتيجة لذلك تطور غريب لم يسبق للخلفاء من قبل اتباعه وهو توجيه القوة العسكرية للاستيلاء على اموال الناس بالباطل فقد ذكرت بعض المصادر بانه :"لما ضاق بمحمد الحال واشتد به الحصار امر قائداً من قواده يقال له ذريح ان يتبع اصحاب الاموال والودائع والذخائر من اهل الملة وغيرهم ، وقرن معه آخر يعرف بالهرش، فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة ، فاجتبيا بذلك السبب اموالا كثيرة"(١) .

ومع ان الشريعة الاسلامية تعطى ولى الامر حق التصرف بالاموال المنسوبة الى آحاد البشر فى حالات الضرورة التى تواجه الامة فان ذلك قد وضع فى اطار واضح ومحدود وينبغى ان يتم على اساس القراض وبمقتضى عقد واضح يكون اصحاب الاموال فيه دائنين ، ويلتزم الامام فيه بسداد مبالغ القروض من بيت المال . غير ان ذلك لم يحصل فقد كان التصرف الواقع اغتصابا للاموال مع الترصد واستعمال العنف . ومع ذلك فان المبالغ المطلوبة لمقابلة مطالب الجند المتزايدة كانت اكثر مما تم جمعه بهذا الاسلوب الغريب حتى أن الامين ضاق بذلك فقال ضجرا "وددت ان الله قتل الفريقين جميعا فما منهم الاعدو : من معى ، ومن على ، فهؤلاء يريدون مالى ، واما اولئك فيريدون نفسى"(٢) . وقد كان هدف الجند فى الواقع سواء كانوا مع الامين او ضده هو الحصول على اكبر قدر من الاموال ، وهكذا فقد كان جنده يساومونه فى الطاعة على زيادة العطاء والانفاق عليهم

---

(١) المسعودى- مروج الذهب (٣ : ٤١٦) .

(٢) المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٤١٨) ، الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٧٠) .

اكثر من غيرهم، اما جند طاهر بن الحسين فانهم سرعان ماكانوا يعلنون التمرد والشغب على قائدهم اذا ماقدم لهم الامين اموالا اكثر مما يأخذونه من معسكر المأمون وقد ورد فى نص طريف اورده الطبرى مايصور مدى طمع الجنود والاحباط الذى اصابهم بسبب انتهاء الصراع فقد ذكر "ان الجندين : جند طاهر وجند اهل بغداد، ندموا على قتل محمد لما كانوا يأخذون من الاموال"(١) . وهكذا فلم يعد الامر يعكس ايمانا بمبادئ او تبعية بقناعة وانما يتضمن وبوضوح ضمان المصالح الشخصية دون اى اعتبار للمبادئ العامة او القيم الاخلاقية التى جاء بها الاسلام وقامت على اساسها دولة الخلافة .

اما عن حال بغداد فى تلك الفتنة وماآلت اليه من خراب ودمار فان المصادر توضح لنا ان "بغداد ضاقت باهلها وتعطلت المساجد وتركت الصلاة، ونزل بها مالم ينزل بها قط مثله، مذ بناها ابو جعفر المنصور"(٢) . واضافة الى ذلك فانه من بين الاضرار التى اصابت الادارة العباسية فى بغداد انها فقدت كثيرا من سجلاتها حيث انها فى سنة ١٩٧هـ احترقت الدواوين(٣) . ولم تكتب وتسجل من جديد الا فى عهد المأمون فى سنة ٢٠٢هـ وهى "اول سنة يوجد حسابها بالدواوين"(٤) .

واذا مادققنا فى موقف المأمون فى هذه المرحلة، فان من الممكن

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٨٨) .
(٢) المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٤١٢، ٤١٣) ، وانظر السيوطى تاريخ الخلفاء (ص ٢٩٩) .
(٣) قدامة بن جعفر - نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ص٣٢٧) طبع دى غويه .
(٤) م . س . ن (ص ٢٣٦) .

القول بان سياسته مقاربة لسياسة اخيه الامين تجاه الجند فقد ذكرت المصادر انه فى سنة ١٩٣هـ اقدم المأمون على صرف اعطيات للجند الذين هم تحت امرته حيث "اعطى الجند رزق اثنى عشر شهرا"[١] ولعل هذا جاء فى الوقت الذى اعطى الامين الجند ببغداد عطاء اربعة وعشرين شهرا[٢] مقدما ليستميل الناس وذلك مادفع المأمون الى السير فى خطوات مماثلة .

ان ماواجهته بغداد من القلاقل والفتن واعمال السلب والنهب خاصة فى الايام الاخيرة التى انتهت بمقتل الامين قد ترتب عنها الكثير من الاخطار ذلك ان جند المأمون الذين حاصروا بغداد واقتحموها بقيادة طاهر بن الحسين اخذوا يطالبون بارزاقهم حتى انهم شغبوا على قائدهم وشهروا السلاح فى وجهه مما جعل الامر يضيق عليه نتيجة لعدم قدرته على الوفاء بتعهداته لهم وعجزه عن تحقيق مطالبهم ، فاستشار مجموعة من قواده المقربين اليه ، ولعل ذلك عن قصد وسابق تصور ، فقد اقدم احد قواده بعد هذه الاستشارة وهو سعيد بن مالك على صرف جميع ما التزم به طاهر بن الحسين تجاه الجند المشاغبين من امواله الخاصة ، والى ذلك يشير الطبرى بقوله :"...ضمن لهم سعيد بن مالك عشرين الف دينار وحملها اليه ، وامر للجند برزق اربعة اشهر فرضوا وسكنوا"[٣] . وهكذا فان روح الطمع كانت هى المسيطرة على نفوس الجند فى تلك الفترة ، اما عن دوافع القائد سعيد بن مالك فى اتخاذه تلك الخطوة فقد تكون نابعة عن

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨: ٣٧٠) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٨ : ٣٦٥) ، وانظر ابن الاثير- الكامل (٦ : ٢٢١) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٢٢٣) .

(٣) الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٩٦) ، وانظر مسكويه - تجارب الامم (٦ : ٤١٦ ، ٤١٧) ، ابن الاثير - الكامل (٦ : ٢٩٦) .

ايمان بضرورة اسناد الوضع القائم وتهدئة الاحوال غير المستقرة التى نجمت عن مقتل الخليفة الامين . . ولعل القائد قد قصد دعم مكانته بازاء الوضع الجديد . ومهما تكن الدوافع الكامنة خلف هذا التصرف فان النتائج كانت ايجابية وهى ان الاوضاع قد استقرت فساد الهدوء وسكنت ثورة الجند وتهيأت لرجال العهد الجديد الفرصة لترصين الاستقرار وسيادة السلطة اضف الى ذلك فان هذا النص يشير الى مدى الكفاءة المالية للقادة العسكريين بحيث ان الواحد منهم كان قادرا على تسديد جميع الالتزامات المالية للقائد بازاء جنده رغم كبير طمعهم وعظيم جشعهم وقد اشار الطبرى الى هذه الحادثة وذكر بان طاهر بن الحسين قال للقائد سعيد بن مالك "انى اقبلها منك على ان تكون علي دينا فقال له : بل انما هى صلة وقليل لغلامك وفيما اوجب الله من حقك فقبلها منه"[1] . وهذا يشير الى ان "الصلة" لا تقتصر فى من يمنحها على الخليفة او الوزير وانما قد يقدمها الصغير الى الكبير . ولم تكن هذه هى الحالة الوحيدة من نوعها التى جابهت الدولة فى هذه المرحلة فقد اقترنت حالة الصراع هذه بموقف مشابه اقدم عليه قائد آخر فقد ذكرت بعض المصادر بان فضل الرحجى قدم معونة مالية الى جند بغداد فى عهد المأمون وذلك انه لما " شغب الجند ببغداد فكثر ضجيجهم لتأخر ارزاقهم فخرج اليهم فضل الرحجى فضمن لهم ارزاق سنة ثم دفعها اليهم من ماله"[2] . وبذلك هدأوا وسكنوا .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٤٩٧) .

(٢) اليعقوبى - مشاكلة الناس لزمانهم (ص ٣١) ، وفضل الرحجى من اثرياء الدولة العباسية آنذاك قام باسهام فعال فى ذلك النزاع حول تأخير رواتب الجند فى عهد المأمون .

واذا تتبعنا ثورات الجند او شغبهم نجد ان العامل الرئيسي في اسباب ذلك هو عدم صرف مستحقاتهم في وقتها المحدد ، اوعدم وفاء القادة بوعودهم لجندهم من تقديم صلات واعطيات اضافية اثناء المعارك اوبعدها . واذا نظرنا الى سبب تأخير الاعطيات بعد انتهاء المعارك الطاحنة وحالة حصار العاصمة واستقرار الاوضاع العامة نجده في كثير من الاحيان يرجع الى عدم انتهاء موسم الغلات الزراعية في وقت مناسب ذلك ان الارزاق غالبا مايجرى صرفها على اساس توفر الاموال في بيت المال ومثل هذا التوفر يجرى عادة في اعقاب جباية حقوق بيت المال من الارض الزراعية خراجية وغيرها وكذلك الموارد الاخرى . ذلك ان نضوج الغلات هي العامل الحاسم في بدء مرحلة الجباية ولذلك فان بعض القيادات العسكرية في هذه المرحلة كانت تعتمد الى ان تكون وعودهم لجنودهم بانفاذ العطاء والارزاق مرتبطا بنضج الغلال ، فتذكر المصادر مثلا انه حصل شغب في عاصمة الخلافة بين الجند الحربية ، وهي احد الفرق العسكرية لجيش المأمون حيث ثاروا ضد الحسن بن سهل احد قادة المأمون بسبب اتفاقه مع والي بغداد علي بن هشام على مماطلة الجند من الحربية ارزاقهم فكان ذلك سببا لثورتهم على قائدهم الذى "... قاتل الحربية ثلاثة ايام على قنطرة الصراة ثم وعدهم ان يعطيهم رزق ستة اشهر اذا ادركت الغلة ، فسألوه ان يعجل لهم خمسين درهما لكل رجل ينفقونها في شهر رمضان فاجابهم الى ذلك"(١). وهكذا فقد حرص القادة على

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٤٤) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٦ : ٣١٥ ، ٣١٦) ، ابن تغرى - النجوم الزاهرة (٢ : ١٦٦) .

ان يكون متولى الخراج ممن يتجاوب معهم وعلى ان يكون مرنا فى اعطاء الجند مايستحقون عند توفر المال او نضوج الغلات حتى يأمن شغبهم او ثورتهم . فمن ذلك ماحدث فى سنة ١٩٨هـ فقد "قدم على بن ابى سعيد العراق خليفة للحسن بن سهل على خراجها ، فدافع طاهر عليا بتسليم الخراج اليه حتى وفى ارزاق الجند ، فلما وفاهم سلم اليه العمل"(١). ولعل عمل طاهر بن الحسين هذا كان بسبب رغبته فى الالتزام بصرف ارزاق جنده قبل ان يتسلم الوالى الجديد مهام عمله اذ ربما تحدث بعض المتغيرات التى تحول دون تحقيق ذلك ، ولقد كانت الفترة الاولى من عصر الخليفة المأمون خطيرة وحرجة وقد كان على المسئولين فيها ان يضمنوا هدوء الجند وكسب رضاهم ضمانا لولائهم ، وتشير المصادر الى "ان عمرو بن مسعده كتب الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند : كتابى الى امير المؤمنين من مقبلى من اجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على احسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم ، وانقياد حماة وكفاة تراخت اعطياتهم واختلف لذلك احوالهم . فرأى امير المؤمنين فى العناية بامرهم والتفضل عليهم ، فقال المأمون : استحسانى اياه بعثنى على ان آمر لهم بعطاء سبعة اشهر ثم وقع لهم بذلك"(٢)، واذا مانظرنا الى وضع الجند فى عهد المأمون نجد هناك ظاهرة لعبت دورا بارزا فى تحديد عطاءات الجند ذلك ان الرواتب لم تكن مستقرة بسبب الاوضاع الداخلية التى دفعت

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٢٧) .
(٢) الثعالبى - تحفة الوزراء (ص١٣٨) ، وانظر ابن خلكان - وفيات الاعيان (٣ : ١٤٨) ، الجاحظ - المحاسن والاضداد . الا انه يذكر انه امر لهم بعطاء ثمانية اشهر وليس سبعة (ص١٤) .

القيادات في بعض الاحيان الى فرض زيادة في الاعطيات، ويتمثل ذلك في اعلان الخليفة المأمون ولاية العهد لعلى بن موسى الرضى[١] فقد امرالخليفة بتغيير الزى العباسي الرسمي الذى اتخذوه منذ اعلان ثورتهم وهو السواد حيث قرر ان يجعل اللون الاخضر وهو شعار اهل البيت، الشعار الرسمي للدولة، كما امر بتسمية ولي العهد باسم "الرضى" تكريما له ورفعا لمقامه كما يتضمن ذلك التذكيربان الدعوة العباسية في مرحلتها السرية ـ كانت تأخذ العهد من الناس "للرضى من آل محمد"، وكان والي بغداد من قبل المأمون عيسى بن محمد بن ابي خالد "فلما اتى عيسى الخبر دعا اهل بغداد الى ذلك على ان يعجل لهم رزق شهر والباقي اذا ادركت الغلة"[٢] ولقد عمل عيسى على اغرائهم بذلك حتى يضمن موافقتهم لكن ردة الفعل من العباسيين الذين رفضوا فكرة المأمون واصروا على ان لاتخرج الخلافة منهم كانت عنيفة وكبيرة، فقد اضطرب العراق وثار اهل بغداد بتأثير مشايخ بني العباس و"اظهروا انهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدي بالخلافة

---

(١) وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب وهو من الائمة الاثني عشرية عند الشيعة الامامية ولد في المدينة سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م وقد احبه الخليفة المأمون وزوجه ابنته وعهد اليه بالخلافة بعده وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وله من المؤلفات : مسند في فضل اهل البيت، الرسالة الذهبية في حفظ صحة المزاج وتدبيره بالاغذية والاشربة والادوية الفها للمأمون عن تفصيلات لترجمته انظر حاجي خليفة ـ كشف الظنون (ص ٨٧٦) ، البغدادي ـ هدية العارفين (١ : ٦٦٨) كحالة معجم المؤلفين (٧ : ٢٥٠) ، الزركلي ـ الاعلام (٥ : ١٧٨) ، بروكلمان ملحق (١ : ٤١٤) .

(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل (٨ : ٥٥٤) .

ومن بعده ابن اخيه اسحق بن موسى بن المهدى وانهم قد خلعوا المأمون ، وانهم يعطون عشرة دنانير كل انسان ، اول يوم من المحرم اول يوم من السنة المستقبلية ، فقبل بعض ولم يقبل بعض حتى يعطى[١] .

ويمكن القول بان اعلان هذه التخصيصات المالية السنوية كانت بمثابة الاغراء للجند من اجل تجميعهم الى صفهم وضمان خلعهم للخليفة المأمون بعد شق عصا الطاعة ، وضمانا لموقف موحد تجاه محاربتهم اياه ، واذا ما نظرنا الى الوعد بالاعطية الذى قدمه العباسيون الثائرون على المأمون نجد انها يشوبها الغموض ، اذ لم يتضح بشكل قاطع ما اذا كانت هذه العشرة دنانير هى مجموع تخصيصات الجندى الواحد ، ام انها كانت منحة اضافية الى ماكانوا يتقاضونه من قبل . وعلى كل حال فان اعتبار هذا المبلغ اجمالى راتب الجندى هو امر يدعوا الى الشك حتى لو فرضنا ان سعر الصرف كان فى حدود ٢٠ - ٢٥ درهما للدينار الواحد اذ ليس من المعقول ان يوافق الجند الذين يهمهم المال بالدرجة الاولى على ان تكون رواتبهم مع مايواجههم من اخطار كبيرة نتيجة تأييدهم الوضع الجديد فى بغداد اقل من معدلات رواتبهم التى كانت تصرف لهم وهم موالون للخليفة المأمون . واذا علم بان اقل راتب كان يتقاضاه الجندى العادى فى جيش المأمون هو عشرين درهما للراجل فى الشهر واربعين للفارس[٢] فان مايتقاضاه الجندى فى جيش المأمون يكون فى معدلات مقاربة لما يتقاضاه من اولئك الذين اعلنوا الثورة وخلعوا المأمون وبايعوا غيره

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٥٥٥) .
(٢) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٥٠) .

وعليه فان المرجح هو ان العشرة دنانير المشار اليها فى النص انما هى زيادة سنوية تضاف على الرواتب العادية وليست هى اصول الرواتب بحد ذاتها . اما مايدل على ان مقدار عطاء جند المأمون كان للراجل عشرين درهما وللفارس ضعف ذلك ما اوردته بعض المصادر انه فى سنة ٢٠١ هـ ، "احصى عيسى بن محمد بن ابى خالد ماكان فى عسكره ، فكانوا مائة الف وخمسة وعشرين الفا بين فارس وراجل ، فاعطى الفارس اربعين درهما والراجل عشرين درهما"(١) وتبرز اهمية النص ايضا فى انه يوضح عدد الجند الذين كانوا فى بغداد . ومما ينبغى الاشارة اليه هنا ان هذه الرواتب تمثل اقل معدل وصلت اليه رواتب الجند ، غير ان ذلك لم يكن ثابتا فقد كانت الرواتب تزداد فى بعض الاحيان ، ولا تقدم المصادر المعتمدة معلومات تؤيد حصول نقص فيها طول فترة البحث . ومن الطبيعى ان تكون الزيادة فى هذه الفترة - فترة الخلاف بين المأمون وبين مشايخ البيت العباسى - من الامور المتوقعة ، خاصة بعد ان تأخرت ارزاق الجند نتيجة الاضطراب وماصاحبها من اجراء عزل خليفة ومبايعة آخر لهذا نجد ان ابراهيم بن المهدى لما طلب المبايعة من اهل بغداد "وعد الجند ان يعطيهم ارزاقا لستة اشهر فدافعهم بها فلما رأوا ذلك تمنعوا عليه فاعطى كل رجل منهم مائتى درهم ، وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم من الحنطة ، فخرجوا فى قبضها ، فلم يمروا بشىء الا نهبوه واخذوا النصيبين جميعا نصيب اهل البلاء ونصيب السلطان"(٢) .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٥٠) ، مسكويه - تجارب الامم (٦ : ٤٣٣) وانظر فتحى عثمان - الحدود الاسلامية (٣ : ١٤٧) ، زيدان - تاريخ التمدن (١ : ١٧٣) ، حتى - تاريخ العرب (٢ : ٤٠٤) .

(٢) ابن الجوزى - المنتظم (١٠ : ورقة ٦٢ أ) ، الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٥٧) وانظر مسكويه - تجارب الامم (٦ : ٤٣٨) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٠ : ٢٤٨) .

وهكذا فقد لعبت الاغراءات المالية وزيادة العطاء دورا هاما في جذب الجند وكسب تأييدهم، والملاحظ ان الجند قد اعتادوا على ان يتحولوا بسرعة الى تأييد من يدفع اولا وبمعدلات اكبر . ويتضح ذلك بشكل جلي فيما اوردته المصادر من ان الجند في بغداد قد كتبوا الى حميد بن عبد الحميد ، احد قادة المأمون سنة ٢٠٣هـ يعلموه انهم على استعداد لان يبايعوا للمأمون مرة ثانية ويخلعوا بيعة ابراهيم بن المهدي على شرط ان يدفع لكل واحد منهم خمسين درهما وان حميد بن عبد الحميد "لما اتاه كتابهم وفيه شرط منهم عليه ان يعطى جند اهل بغداد كل رجل منهم خمسين درهما"[1] قد اجابهم الى ذلك بل انه لم يكتف بذلك بل كتب اليهم : "ازيدكم عشرة واعطيكم ستين درهما لكل رجل"[2] وكان يقصد من جراء هذه الزيادة التي تجاوزت ماكانوا يطمعون به ان يضمن ثباتهم واستمرارهم الى جانب الخليفة المأمون .

اما رواتب القادة في عهد المأمون فانها كانت بطبيعة الحال اعلى من غيرها ويروى الجهشياري ان راتب احد قادة المأمون وهو الريان بن الصلت الذي ارسله الفضل بن سهل على رأس حملة عسكرية الى واسط كان عشرة آلاف درهم كل شهر[3] .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٧٠) ، ابن الاثير- الكامل (٦ : ٣٥٢) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٧١) ، ابن الاثير- الكامل (٦ : ٣٥٢) .

(٣) الجهشياري- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء ، جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد طبعة دار الكتاب اللبناني لعام ١٣٨٤هـ (ص٢٤، ٣٥) وانظر التنوخي - الفرج بعد الشدة ، المطبعة المحمدية بمصر الطبعة الاولى ١٩٥٥م (٢ : ٢٠٤) .

وهكذا فان رواتب الجند فى بغداد وماحولها اثناء فترات الصراع والحروب الاهلية لم تكن ثابتة وهى تعتمد الى حد بعيد على طبيعة الظروف العسكرية والمالية للسلطة القائمة . اما فى الاقاليم الاخرى من الدولة العباسية خصوصا المناطق الغربية التى كانت تضم الاجناد مثل دمشق وفلسطين وحمص والاردن فقد فرض للجند فيها فروض ثابتة والغريب انها اعلى من معدلات رواتب الجند فى بغداد فى الايام العادية التى سبق وان تعرض البحث لها .

ان معدلات رواتب الجند فى هذه الاجناد وكذلك فى الثغور والعواصم كانت اعلى من غيرها من المناطق ، ولم يكن ذلك خاصا بعصر المأمون ، بل انه استمرار لسياسة مطبقة فى الدولة الاسلامية منذ صدر الاسلام الاول فقد طبقها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد احداث الفتح الاسلامى لبلاد الشام وسبق ان تعرض البحث الى ذلك . كما ان الخلفاء كانوا على الدوام يعتنون بالثغور ويحرصون على شحنها بالرجال والعدد ذلك انها كانت معرضة باستمرار لهجمات الروم وغدرهم ، ولعل ذلك مادفع المسئولين فى الادارة الاسلامية الى تمييز جند الثغور وزيادتهم فى العطاء واسكانهم واقطاعهم الاراضى الزراعية وغير ذلك من الامتيازات التى تهيىء لهم ظروفا افضل للمقام او الاستقرار والاستمرار فى الدفاع عن ديار الاسلام بوجه هجمات وغدر الاعداء . فقد اشارت المصادر الى ان المأمون "كتب الى اخيه ابى اسحق المعتصم بالله بن الرشيد انه قد فرض على جند دمشق وحمص والاردن وفلسطين اربعة آلاف رجل ، وانه يجرى على الفارس مائة درهم وعلى الراجل اربعين درهما ، وفرض على مصر فرضا ، وكتب الى العباس بمن

فرض على قنسرين والجزيرة . . ." [١]

ومع ان فترة حكم المعتصم وماصاحبها من تطورات فى وضع الجند لاتدخل ضمن الاطار الزمنى للبحث، فان من المناسب ان نشير الى انه قد اضاف الخليفة المعتصم بالله عنصرا بشريا جديدا الى مقومات الجيش الاسلامى فقد ذكرت المصادر بانه كان معجبا بالاتراك وبسالتهم وانه جمع الكثير منهم قبل ان يلى الخلافة وبانه "اول من ادخل الاتراك الديوان" [٢] بعدان تسلم السلطة . ويبدو ان معدلات الصرف للاتراك كانت فى حدود ادنى من غيرهم فى بداية الامر . غير ان مكانتهم ارتفعت بسرعة خلال فترة محاربة بابك الخرمى وتشير المصادر الى ان الخليفة المعتصم قد منح احد القادة الاتراك وهو الافشين "ثلاثين الف درهم عطاء للجند والنفقات" [٣] خلال فترة توليه مسئولية حرب بابك . كما انه رفع من منزلته كثيرا بعد ان حقق الانتصار على الخرمى فقد استقبله استقبالا مهيبا ووصله "بعشرين الف الف درهم منها عشرة آلاف الف صلة، وعشرة آلاف الف يفرقها فى اهل عسكره" [٤].

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال هو اقدام الخليفة المعتصم على اسقاط العرب من ديوان مصر وهو اجراء يعكس حاله عدم رضى العرب عن التطورات الجديدة فى مقر الخلافة . ومن الثابت ان العرب قد وقفوا الى

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٦٣١) ، وانظر مسكويه - تجارب الامم (٦ : ٤٦٤) الازدى - تاريخ الموصل (ص٤١٢) ، عون - الفن الحربى فى صدر الاسلام (ص٢٩٣) .

(٢) المقريزى - الخطط (١ : ١٦) .

(٣) الطبرى - تاريخ (٩ : ١٩) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٩ : ٥٥) .

جانب العباس بن المأمون كما ان نقل العاصمة الى سر من راى قد حرم الكثير من قادة العرب والفرس على السواء من مكانتهم السابقة اذ كانت الغاية من انشاء العاصمة الجديد تعزل الاتراك عن احتمالات التأثر بالعناصر الاخرى في الجيش العباسي ومحاولة حفظ التوازن عن طريقهم بين العنصرين الرئيسيين العرب والفرس . والغريب انه ما ان تولى المعتصم الخلافة حتى ارسل الى والي مصر امرا باسقاط من في الديوان من العرب فقد ذكرت المصادر بانه قد "ورد كتابه الى كيدر ببيعته وامره باسقاط من في الديوان من العرب وقطع اعطياتهم ، ففعل ذلك كيدر"[1] على ان هذا التصرف با العرب في مصر لم يشمل جميع العناصر العربية في مختلف ولايات الدولة بل انه لم يشمل جميع العرب الموجودين في مصر بدليل ان يحيى بن الوزير الجروى الذى خرج عن طاعة الخليفة المعتصم قد اعتبر اجراء المعتصم هذا سببا في ذلك فتذكر المصادر ان يحيى الجروى قال "هذا امر لا نقوم في افضل منه لانه منعنا حقنا وفيئنا" وتستمر الرواية في تقديم الصورة فتورد بانه "قد استمع اليه نحوا من خمسمائة رجل"[2] اذ ليس من المعقول ان يكون هذا العدد من الرجال هو مجموع العناصر العربية في قوات الخلافة الاسلامية في ارض الكنانة . وقد سبق وتعرض البحث الى فروض مصر واهميتها في الفتوحات من جهة وفي التصدى للروم من جهة اخرى اضافة الى ان جند العباسيين في مصر جلهم من العرب .

---

(١) الكندى ـ الولاة والقضاة (ص١٩٣) ، المقريزى ـ الخطط (١ : ١٥١) .
(٢) الكندى ـ الولاة والقضاة (ص١٩٤) ، المقريزى ـ الخطط (١ : ١٥٢) .

الفصل الثاني
الهيكل التنظيمي لديوان الجند

(أ) التطور الوظيفي للديوان :

تقدم المصادر الاسلامية المعتمدة معلومات تكاد تكون متواترة على ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد استدعى بعضا من كتاب قريش وانه ابلغهم رغبته فى ان يكتبوا له الديوان وطلب اليهم ان يكتبوا الناس على منازلهم [(١)]. كما تذكر المصادر اسماء هؤلاء الكتاب فتبين انهم ثلاثة وهم عقيل بن ابى طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم [(٢)].

وتصف المصادر هؤلاء الكتاب بانهم "كانوا من نبهاء قريش واعلمهم بانسابها" [(٣)] وفى حين يصفهم الطبرى بقوله "انهم كانوا من نساب قريش" [(٤)] فان البلاذرى يصفهم بانهم "كانوا من لسان قريش" [(٥)].

وهكذا يستقرلدى الباحث بان كتاب الديوان الاوائل يختصون بالكتابة والنسب وان علمهم كان محددا بان يكتبوا الناس على منازلهم دون ان يوضح لهم الخليفة مراده باستثناء توجيه لهم بما استقر عليه رأيه بعد مشاورة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يبدأ الديوان

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٤٩) ، الطبرى - تاريخ (٤ : ٢٠٩) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) ، وانظر ابو يوسف - الخراج (ص٤٠) ، اليعقوبى - تاريخ (٢ : ١٥٣) ، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص١٩٩) ، ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) ، البطليوسى - العقد الفريد (ص١٥٥) ، ابن خلدون المقدمة (١ : ٤٣١) ، السيوطى - تاريخ (ص١٤٣) .

(٢) سبق ترجمة لهم عند الحديث عن نشأة الديوان فى الفصل الاول .

(٣) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢) ، وانظر ابويعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٤ : ٢١٠) ، وانظر ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢)

(٥) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٤٩) .

بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. مما اتاح لهم حرية الاجتهاد في ذلك ولهذا فانهم كتبوا سجلات الديوان الاولى وفق تنظيم خاص ذلك انهم نظموا قوائم متتابعة باسماء "بني هاشم، ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه، وعمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم دفعوه الى عمر فلما نظر فيه قال: لا، وددت انه كان هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب ثم الاقرب. حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى"[2].

وعلى الرغم من وضوح المعلومات التي قدمتها المصادر عن كتاب الديوان الاوائل هؤلاء فانها لم تشر بشكل واضح الى استقرار امر اشتغالهم او استمرارهم في العمل فيه على اساس دائم كما لم تشر الى اية بدلات مالية لقاء تكليفهم بذلك المجهود التأسيسي الكبير. ولعل ذلك يرجع الى الشعور المشترك بان هذا العمل ينطوي على مصلحة عامة مشتركة وانها خدمة للامة الاسلامية. اضف الى ذلك فان الراجح ان حرية الكتاب هؤلاء في التصرف في تنظيم الديوان قد اعيد النظر فيها من قبل الخليفة بدليل انه رفض قبول مقترحاتهم الاولى بشأن ترتيب الديوان التي مر ذكرها ثم استقر رأيه على ان يكون ترتيب الناس في الديوان :"معتبر بالنسب، وتفضيل العطاء معتبر بالسابقة في الاسلام وحسن الاثر في الدين"[3].

---

(١) ابو عبيد - الاموال (ص٢٤٤)، الهندي - كنز العمال (٤ : ٢٦٢).

(٢) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢)، الطبري - تاريخ (٤ : ٢١٠)، البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٤٩، ٥٦٠) ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (ص٢٣٧)، السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص١٤٣).

(٣) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٣، ٢١٤)، الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ١٦٢، ١٦٣)، ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩).

ان المعلومات التى تقدمها المصادر المتأخرة والتى تعكس وجـود تنظيم متطور للسجلات فى ديوان الجند واجهزته والتى توضح وجود مقـر دائم لديوان مركزى فى العاصمة، ووجود فروع له فى الاقاليم اضافة الـى وجود عدد كبير من الموظفين والسجلات هى معلومات لا يشك فى صحتها غير انها تعكس طبيعة ماصار اليه التطور الوظيفى للديوان خلال المراحـل التالية لصدر الاسلام الاول وما استقر عليه حال الديوان فى اوج نضجـه وتطوره غير انها لا يمكن ان تعبر عن مرحلة التأسيس والتى تتسم عـادة بالبساطة والوضوح . وهكذا فان المصادر الاولى لم تقدم لنا معلومات عن مقر الديوان مثلا ولاعن سجلاته باستثناء اشارات عابرة الى وجود الدفتر[1] .

بل ان بامكان الباحث ان يستقرئ من بعض النصوص مايفيد اصلا عدم وجود مقر خاص للديوان وبان تسمية الديوان وتنظيمه لم تكن ترتبط ضـرورة فى اذهان المسلمين الاولين بوجود مؤسسة تنظيمية يقتضى حالها وجود مقر معين، ذلك انهم اطلقوا على السجلات لفظ الديوان بدليل ان المصـادر تتحدث عن الخليفة عمر بن الخطاب وانه كان "يحمل ديوان خزاعة حـتى ينزل قديدا ..."[2]. كما تذكر بانه "كان ديوان حمير على عهد عمر على حده"[3]. وتشير المصادر كذلك بانه " لم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان احدهمـا

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢ - ٢١٣) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٤٩) . ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المجال ان البعض من الباحثين كان يعتقد الى عهد قريب بان الدفتر "مصطلح تأخر ظهوره فى مصطلحات الادارة الاسلامية وقد حاول البعض ارجاعه الـى العصور العثمانية" . انظر مادة "دفتر" فى دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الجديدة) .

(٢) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٤) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٥٢) الهندى كنز العمال (٤ : ٥٦٦) .

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٧) ، ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٥) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٥٣) ، الهندى - كنز العمال (٤ : ٥٦٦) .

بالعربية لاحصاء الناس واعطياتهم، وهذا الذى كان عمر قد رسمه ..... والاخر لوجوه الاموال بالفارسية"[١]. مما يدعم الرأى فى ان الديوان عند تأسيسه انما كان يطلق على السجلات التى تضمنت التنظيم بدليل انه "يطبق ويحمل" "ويكتب بالعربية".

وعند الانتقال الى طبيعة واعداد وانواع مايجرى استخدامه فى الديوان من سجلات فان المصادر لا تقدم معلومات مفصلة فى هذا الشأن ويترتب على ذلك ان يتحمل الباحث مسئولية المقارنة واستقراء الاشارات فلقد كان بعض الصحابة من كتاب الوحى رضوان الله عليهم يكتبون ما نزل من القرآن الكريم تنفيذا لامر رسول الله عليه الصلاة والسلام فى "صحف"[٢]. وهناك نصوص كثيرة تذكر استعمال "صحيفة" و"صحف"[٣] لاغراض الكتابة فى عهد الصحابة والتابعين، كما ان هناك بعض النصوص التى تشير الى شيوع استعمال كلمة الدفتر فى مرحلة مبكرة من صدر الاسلام الاول[٤]. كما ان لفظ "الكتاب"[٥] كان شائعا بين المسلمين فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وباستمرار فقد عرف القرآن بالكتاب فى مواضع كثيرة من القرآن. كما ان عددا كبيرا من

---

(١) الصولى- ادب الكتاب (ص١٩٢).

(٢) قال صلى الله عليه وسلم فى رواية ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه "لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه" ابن عبد البر القرطبى- جامع بيان العلم وفضله وماينبغى فى روايته وحمله (١: ٦٣).

(٣) ابن عبد البر القرطبى - جامع بيان العلم وفضله (١: ٧٤).

(٤) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٥٤٩-٥٥٠)، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢٠٠)، ابويعلى- الاحكام السلطانية (ص٢٣٧).

(٥) ابن عبد البر- جامع بيان العلم وفضله (١: ٧٤).

النصوص المبكرة تتحدث عن تملك عدد من الصحابة والتابعين للكتب غير ان المشكلة تكمن فى تعريف هذه المصطلحات من الناحية التقنية اذ لا تقدم المصادر تفصيلات عن المادة التى تتألف منها الصحف والدفاتر والكتب، رغم ان الاشارات تفيد امكانية ان يمحى مايكتب عليها ، كما تشير مصادر اخرى الى غسل مايكتب عليها فى حين تشير مصادر ثالثة الى انواع يكون من الضرورى حرقها اذا ما اريد طمس الكتابة التى دونت عليها[1] كما ان من الثابت تاريخيا استعمال العرب للادم[2] . . وهى الجلود المُدَبَّغة المطيبة المبيضة ـ كمادة يكتب عليها وذلك امر شائع منذ عصور ما قبل الاسلام . كما ان من الثابت ايضا وجود اتصال تجارى مستمر بين الحجاز ، ومصر منذ اقدم العصور وقد تعزز ذلك بالفتح الاسلامى مما عزز امكانية توفير كميات من اوراق البردى التى اختصت مصر بصناعتها لاغراض الكتابة فى العاصمة وغيرها من الامصار الاسلامية . اضف الى ذلك العلاقات التجارية التى اشتهرت بها منطقة الحجاز وتجارها واشتغالهم كوسطاء بين تجارة الشام والحجاز[3] قد هيأ امكانية الحصول على مفتجات الاقطار البعيدة كالصين مثلا التى بدأ انتاج الورق فيها منذ زمن بعيد ، غير ان مثل هذه الامكانية ينبغى ان تبقى فى حدود الاحتمالات .

اضف الى ذلك مايتهيأ من وسائل محلية للكتابة مما اشارت اليه المصادر بشكل عارض مثل الالواح الخشبية والعظام والجريد وما الى ذلك

---

(١) انظر باب ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده فى الصحف فى كتاب ابن عبد البر ـ جامع بيان العلم وفضله (١ : ٦٣ - ٧٠) .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (١ : ٣٣٤) ، فى قصة ارسال وفد من قريش الى النجاشى لمفاوضته حول طرد المسلمين المهاجرين من الحبشة وردهم الى مكة .

(٣) من ذلك ماورد فى سورة قريش فى رحلة الشتاء والصيف .

والراجح فان اهمية الديوان ومايترتب على دفاتره من حقوق وتنظيمات يعزز الاحتمال في ان تكون دفاتره مكونة من الاديم ضمانا لسلامتها وماكتب فيها وسهولة حلها وخزنها ، ومع ذلك فان بعض المصادر المتأخرة ذكرت بانه كانت "كتابة الدواوين في صدر الاسلام ان يجعل مايكتب فيه صحفا مدرجة..."(١) ويظهر ان الفكرة مرتبطة بطريقة تجميع المعلومات ذلك ان الكتاب الاوائل في الديوان قد جمعوا قوائم تضم طبقات الناس في صحف مفردة ولذلك فان الجهشياري وغيره ممن ارخ للادارة الاسلامية يشير الى انه كان "سبيل مايثبت في الديوان ان يثبت في صحف"(٢).

ولعل من المناسب ان نشير هنا الى خطأ شائع وقع فيه عدد كبير من الكتاب المتقدمين ذلك انهم ذكروا بان اول من اتخذ الدفاتر في الديوان هو خالد بن برمك وان ذلك جرى في بداية الخلافة العباسية(٣) وهذا وهم ، فقد سبقت الاشارة الى ان استعمال مصطلح دفتر قد حصل في مرحلة مبكرة من التاريخ الاسلامي فقد رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بني عمومته من بني عدى عندما ارادوا التأثير عليه في ابقاء اقتراح كتاب الديوان الاوائل في تقديم بني عدى لقرابتهم من امير المؤمنين ساريا ، فحاولوا دفع الخليفة الى اقرار مقترحات اللجنة وقد رد عليهم الخليفة بقوله :"بخ بخ بني عدى ، اردتم الاكل على ظهرى وان اذهب حسناتي لكم . لا والله حتى تأتيكم الدعوة وان اطبق عليكم الدفتر"(٤) مما

---

(١) المقريزي - الخطط (١ : ١٤٧) ، وانظر الكتاني - التراتيب الادارية (١ : ٢٢١).

(٢) الجهشياري - الوزراء (ص ٩٨) .

(٣) انظر مثلا الجهشياري - الوزراء والكتاب (ص ٩٨) ، العسكري الاوائل (ص ٢٧٣) .

(٤) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢١٢ - ٢١٣) ، البلاذري - فتوح البلدان =

يشير الى وضوح المعنى والى ان استعمال اللفظ كان ساريا منذ تأسيس الديوان ، كما ان النصوص المتوفرة تؤكد استمرار استعمال هذا المصطلح خلال الفترة التالية ، فقد اورد ابن عبد البر بان عمر بن عبد العزيز قد امر ابن شهاب الزهري ـ احد الفقهاء التابعين ـ بجمع السنن ، قال ابن شهاب :"فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفترا"[1].

وتؤكد المصادر على ان الديوان الذي تم انشاؤه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقتصر على ماجرى اعداده في العاصمة ومامر ذكره آنفا ، فقد تكرر في المصادر ذكر لديوان خزاعة وديوان حمير وهذين الديوانين وان كانا يختصان بعرب الجزيرة العربية فان مواطن هاتين القبيلتين تقع خارج العاصمة ، ذلك ان خزاعة تسكن منطقة قديد القريبة من عسفان ، كما ان حمير تسكن في بلاد اليمن .

وهكذا فان بالامكان القول بان التنظيم لم يقتصر على المقيمين في العاصمة وحدها ولاعلى المسلمين القاطنين في كل من مكة والمدينة وانما شمل اقواما اخرى من المسلمين خارج هذا النطاق .

ومن جهة اخرى فقد تحدثت المصادر بشكل موسع عن الدواوين التي كانت في الامصار والخاصة بالجند[2] وهي تتحدث عن فعاليات هذه الدواوين في كل من

= (ص٥٤٩ ، ٥٥٠) ، الماوردي ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠٠) ابو يعلى الفراء ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٧) .

(١) ابن عبد البر القرطبي ـ جامع بيان العلم وفضله (١ : ٧٦) .

(٢) ابن سعد ـ الطبقات "القسم المتمم لطبقة تابعي المدينة" (ص١٦٠ ، ١٦١) ، ابن سيد الناس ـ عيون الاثر (١ : ٢٠٢) ، وانظر ابن هشام السيرة النبوية (١ : ٥٠٧) ، البلاذري ـ فتوح البلدان (ص٢٥٣) ، الصولي ـ ادب الكتاب (ص١٩٢) ، المقريزي ـ الخطط (١ : ١٠١) السيوطي ـ حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

البصرة والكوفة[1] والشام[2] ومصر[3] حيث كان يجرى تنظيم الجند واعطياتهم في هذه المقرات العسكرية .

ان من الثابت من خلال استقراء كافة النصوص ان ديوان الجند قد كتب باللغة العربية في العاصمة وفى الاقاليم الاسلامية على السواء . اما الاشارات التى ترددت فى المصادر المختلفة عن الكتابة بالفارسية في العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر فانها تتصل بوجوه الاموال كالجبايات وغيرها وهو امر يخرج عن نطاق البحث، ومما يعزز ذلك ان عمر بن الخطاب قد استكتب من سبقت الاشارة اليهم من الصحابة عند تأسيس الديوان كما استكتب يزيد بن ثابت ومعيقيب فى ديوان الجند بالعاصمة اما فى الامصار فقد كان عبدالله بن خلف الخزاعى وابو طلحة الطلحات يكتبان له على ديوان البصرة . اما فى الكوفة فقد عين ابو جبير بن الضحاك الانصارى كاتبا على الديوان فيها[4] .

ومن جهة اخرى لم يرد فى المصادر مايشير الى وجود ارتباط بين تدريب الجند وكفاءتهم من جهة وبين مايقدر لهم من اعطيات وارزاق مما يتولى الديوان عمله خلال فترة صدر الاسلام الاول .

ان من الثابت ان هناك توجيها واضحا لعموم المسلمين بالاستعداد

---

(١) الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب (ص٣٨) ، الصولى ـ ادب الكتاب (ص١٩٢) ، ابن خلدون ـ المقدمة (ص٢٤٤) .

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ٥٠٧) ، ابن سعد ـ الطبقات القسم المتمم لطبقة تابعى المدينة (ص١٦٠ ، ١٦١) ، ابن سيد الناس عيون الاثر (١ : ٢٠٢) .

(٣) المقريزى ـ الخطط (١ : ١٥١) ، السيوطى ـ حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

(٤) خليفة بن خياط ـ تاريخ (١ : ١٣٠) .

وباعداد القوة العسكرية وتعلم الفروسية والرماية وممارسة انواع الرياضة والانشطة العسكرية المختلفة، وهكذا فان الديوان في مرحلة نشأته الاولى وتطوره المبكر لم يشهد عمليات تصنيف الجند ومن الكفاءة والاستعداد والانضباط، فان هذا الاتجاه بدأ يظهر تدريجيا وبشكل واضح خلال العصر العباسي الاول وبلغ ذروته خلال عصر المعتضد في العصر العباسي الثاني (٢٧٩-٢٨٩هـ) وهذا يخرج بنا عن الاطار الزماني للبحث .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الديوان قد ابدى اهتماما متزايدا من جهة اخرى بعملية اثبات حلى الاشخاص[1] من اجل التأكد من هوياتهم وضمانا لاستيفاء الحقوق ومنعا لاستمرار الصرف بعد وفاة الاشخاص المقصودين به، وتحوطا من ان يندس في صفوف الجند ممن هم ليسوا منهم، وربما من بين الاعداء، ويمكن ان نضيف بان السبب الاخير كان واحدا من المبررات التي قدمت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي بلورت فكرة انشاء الديوان . وسوف يتعرض البحث بالتفصيل الى مايستعمله كتاب ديوان الجند في وصف "حلى الجند وشيات الدواب مما جرت به عادتهم والفوه" من المصطلحات وذلك عند حديثنا عن مجالس الديوان .

ان المكانة الكبيرة التي يحتلها ديوان الجند في الدولة الاسلامية في رعاية وتنظيم مصالح الجند والاشراف على الجيوش الاسلامية التي كانت على الدوام العامل الفاعل في تحقيق حرية البشر من تسلط قوى الظلم والاستبداد ونقلهم من عبادة المخلوقين الى عبادة الله مما يحقق اتاحة الفرصة في نشر راية الاسلام، اضافة الى مايؤمل فيها من الدفاع عن ديار الاسلام وحماية البيضة وضمان واستقرار الامن الداخلي وترسيخ قوة

---

(١) انظر الجهشياري - الوزراء والكتاب (ص٢٢) .

الخلافة قد استلزمت ان تتوفر فيمن يتولى امر هذا الديوان شروطا ومواصفات اكد الفقهاء على اهميتها . ومن الجدير بالملاحظة في هذا المجال ان نشير الى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد تولى بنفسه الاشراف على الديوان عند تأسيسه وان كان قد استعان بعدد من الصحابة في الكتابة فيه . اما الشروط التي اشارت المصادر الى ضرورة توفرها في كاتب الديوان اي من يتولى النظر فيه ، كشرط لصحة ولايته فهي :" العدالة والكفاية"[(١)] ولا شك في ان العدالة تتضمن اصلا الاسلام وان لم يُنص على ذلك ولعل اهمية الجيش في الدولة وخطورة اختصاصه ولزوم التكتم والسرية في اعماله ، اضافة الى ضرورة الالتزام الشرعي بعدم جواز ولاية اليهود والنصارى وغيرهم من اتباع الملل والنحل الاخرى على شئون المسلمين . ان اجماع الامة المتمثل في تطبيقات الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يتخذ اساسا ثانيا في هذا الباب ، فقد رفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخاذ احد النصارى كاتبا للديوان[(٢)] كما انه امر واليه على الكوفة ابو موسى الاشعري بعزل كاتب له بعد ان علم انه نصراني[(٣)] واستشهد له بقول الله تعالى :" يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء . . . . " الاية .[(٤)]

---

(١) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص ٢١) ، ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (ص ٢٥٣) ، ابن ابي الربيع - سلوك المالك في تدبير الممالك "مخطوط" ورقة ٤٦ أ .

(٢) ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ٤٣) .

(٣) ن . م . س (١ : ٤٣) .

(٤) سورة المائدة آية : ٥١ .

واما الكفاية فلاشك انها تتضمن العلم باحكام الشريعة من جهة العمل بها ضمانا لمصلحة الجيش من جهة اخرى دون ان يكون هناك مايعيق الكاتب عن ذلك . وقد اشارت بعض المصادر الى شرط دراية الكاتب بمكائد الحروب والخبرة بالجيوش والعروض والعلم بترتيب العساكر ورتبهم ليقدم من يجب تقديمه ونحو ذلك[(١)].

وقد اشارت مصادر اخرى الى ضرورة اتصاف كاتب الديوان بالصبر والقدرة على كتم الاسرار، وان يكون باذلا جهده في نصح الخليفة واضاف بانه ينبغى "ان يكون عمله بحسب ماقد استحسنه اهل زمانه واستقر عليه العمل في وقته واوانه"[(٢)].

وحيث ان منصب الكاتب يتطلب الحرص والقوة والحزم فقد اشارت بعض المصادر الى انه ينبغى لكاتب ديوان الجيش ان تكون له هيبة وحرمة كبيرة حتى لايجسر احد على التدليس عليه ولاعلى غيره[(٣)].

اما فى مجال التخصص الفنى فان كاتب ديوان الجيش يحتاج الى ان يكون عالما بحلى الناس وكيف تؤخذ، والتمييز بين من يحلى ممن لا يحلى وكذلك ان يعرف شيات الخيل وغيرها من الدواب المستعملة في نقل

---

(١) ابن ابى الربيع - سلوك المالك ورقة ٥٤أ، الحسن بن عبدالله آثار الاول (ص٧) .

(٢) البطليوسى - الاقتضاب في ادب الكتاب (ص٥٧) ، والواقع ان هذا اتجاه غريب ذلك انه من الثابت عند الاصوليين القول بان الحسن ماحسنه الشرع وان القبيح ماقبحه الشرع وانه لا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر الا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع السلف . والراجح ان ماورد في المتن هو ماجرى العمل في تطبيقات الادارة الاسلامية في العصور المتأخرة كما سنلاحظ عند الكلام على ماجرت به عادة الكتاب في العمل بالديوان .

(٣) الحسن بن عبدالله - آثار الاول في ترتيب الدول (ص٧) .

الجيوش والاثقال ، فيكون خبيرا بصفاتها عارفا جيدها من رديئها ،[(١)] مما سيتعرض له البحث في التفصيل عند الحديث عن مجالس الديوان .

وقد اشترط البعض بان يكون كاتب الديوان خبيرا كذلك بالاسلحة عارفا بحسنها ورديئها[(٢)] . ولعل من المناسب ان نذكر هنا بان بعض المؤلفين المتأخرين قد غالى في الشروط حتى انه اشترط ان يكون كاتب الديوان "من اعلى الناس قدرا واوسعهم صدرا واحسنهم خلقا واطيبهم اصلا واجلهم فعلا واشرفهم نفسا واكثرهم انسا وان يكون منهم كبيرا قدره نافذا امره وان يكون حازما عالما ثقة مأمونا"[(٣)] .

وهناك من اشترط في الكاتب الشجاعة والحزم والسخاء وحسن التدبير[(٤)] .

والواقع ان بعض تلك الصفات هي صفات عامة مشتركة ينبغي ان يتحلى بها كل مسئول في الادارة الاسلامية الا ان البعض منها كما يظهر هي صفات خاصة بقائد الجيش وخاصة ماسبقت الاشارة اليه من اشتراط الدراية بمكائد الحروب والخبرة بالجيوش والعروض والعلم بترتيب العساكر ومعرفة الرجال غير ان هذا يمكن قبوله اذا علمنا بانه كان لصاحب ديوان الجيش اهمية خاصة اذ كان يعهد اليه احيانا بقيادة الجيوش في العصر العباسي[(٥)] .

---

(١) ابن ابي الربيع ـ سلوك الممالك (ص٥٤أ) ، البطليوسي ـ الاقتضاب (ص٧٤، ٧٥) ، الحسن بن عبدالله ـ آثار الاول (ص٧٠) .

(٢) ابن ابي الربيع ـ سلوك المالك (ورقة ٥٤أ) ، الحسن بن عبدالله آثار الاول (ص٧٠) .

(٣) الحسن بن عبدالله ـ آثار الاول (ص٦٩) .

(٤) ابن الازرق ـ بدائع السلك في طبائع الملك (١ : ٢٠٤) .

(٥) الطبري ـ تاريخ (١٠ : ١٠٩-١١٠) .

اما عن الاعمال التى توكل الى كاتب الديوان عادة فقد اجملها الماوردى فى قوله بانها "حفظ القوانين ، واستيفاء الحقوق ، واثبات الرفوع ومحاسبات العمال ، وتصفح الظلامات"[1] وهى بحق اعمال تشمل جوانب التنظيم والادارة والمحاسبات المالية بكاملها اضافة الى ماتتضمنه من ضرورة تحرى الدقة فى العمل والحرص على العدالة ومنع التظالم .

---

(١) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٢١٥) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٢٥٣) .

(ب) المجالس التي يتألف منها الديوان :

لقد حصل تطور كبير في ديوان الجند منذ تأسيسه حتى نهاية الفترة التي اختص بها البحث، ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا التطور ليس خصيصا بديوان الجند وحده وانما كان سمة ملازمة للمؤسسات والتنظيمات الادارية والمالية في الدولة الاسلامية بشكل عام اذ لم تظهر اي من هذه المؤسسات الا بعد ظهور الحاجة اليها واستجابة لتلك الحاجة وهي تبدأ من جهة اخرى بشكل تنظيم بسيط واضح المعالم محدد الاهداف والاجراءات غير انه مايلبث نتيجة لتطور الاحداث واتساع الدولة وتعقد المجتمع ان يستجيب لهذه العوامل فيتطور ويتعقد ليكافيء طبيعة التطور الحاصل في الدولة والمجتمع .

ولقد سبق ان المحنا بان ديوان الجند كان في البداية عبارة عن سجل او مجموعة سجلات تحتوي على قوائم باسماء المقاتلة وذراريهم ومقادير اعطياتهم، غير ان هذا الحال لم يستمر اذ لم تعد اوضاع الجيش الاسلامي بعد اتساع رقعة الدولة وتضخم الجيوش الاسلامية وتعددها وتعدد عناصرها واعمالها ، وتعدد المشاكل التي تواجهها وتنوعها ولهذا فقد كان على ديوان الجند ان يتطور في المقابل حيث ازدادت مهامه وتوسعت اعماله وتنوعت اختصاصاته ، وطبيعي انه لم يقتصر ذلك التطور على ديوان الجند المركزي في العاصمة، سواء كانت المدينة او الكوفة او دمشق وانما كان من الضروري ان تنعكس آثار هذا التطور على دواوين الجند الفرعية في الاقاليم والامصار الاسلامية المختلفة . اضف الى ذلك الاحتمال القائم بحصول تأثيرات ناجمة عن الاحتكاك والاتصال بالجيوش المعادية وماترتب عن ذلك من تطوير للانظمة المعمول بها ، ولعل هذا العامل الاخير هو الذي تسبب في حصول بعض الانحرافات غير المتوقعة في اعماله . على اننا ينبغي

ان لا ننسى اثر شيوع التأثيرات الاجنبية وبخاصة الفارسية على طبقة الكتاب اذ من المعلوم ان هذه الطبقة قد تأثرت كثيرا بالموروث الفارسى الساسانى حتى ان اغلب عناصرها اصبحت موالية للثقافة الفارسية متهمة بالميل لها وبالانحراف الشعوبى عن الخط الاسلامى .

ان الاعتراف بوجود تطبيقات تجرى على غير سبيل العدل فى ديوان الجند خلال مراحل التطور المتأخر من العصر الاموى وخلال العصر العباسى تدعم الشعور بقوة المؤثرات الساسانية وكبير تأثيرها فى هذه المؤسسة المهمة والخطيرة .

ان ديوان الجند فى الدولة الاسلامية والذى وضع فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد مر فى مراحل تطور مستمرة خلال عصر الراشدين والخلافة الاموية ووصل الى اوج تطوره خلال العصر العباسى .

ان المعلومات التفصيلية عن المجالس التى يتألف منها ديوان الجند كانت موضوعا تعرض له بشكل مقتضب او جزئى محدود العديد من مؤلفى المصادر التاريخية وبشكل خاص اولئك الذين كتبوا فى الادارة الاسلامية ، غير ان افضل وأشمل من قدم صورة عملية متكاملة عن هذا الديوان ومجالسه واختصاصات كل منها هو قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى [1] فى كتابه الخراج وصنعة الكتابة والذى الفه لاغراض تعليم

---

(١) انظر ترجمته فى المسعودى ـ مروج الذهب (١ : ١٦) ، ابن حوقل صورة الارض (ص ٢٨٤) ، ابن النديم ـ الفهرست (ص ١٨٨) ، ابن الجوزى ـ المنتظم (٦ : ٣٦٣) ، المطرزى ـ الايضاح (ورقة ٦٢ب ، ٦٣أ) ، ياقوت الحموى ـ معجم الادباء (١٧ : ١٢) ، الصفدى الوافي بالوفيات (٧ : ورقة ٤١أ) ، الملك الافضل ـ العطايا السنية (ورقة ٢٠٧) ، ابن الغزي ـ التاريخ البديع (ورقة ٦٨أ) ، ابوحيان التوحيدى ـ الامتاع والمؤانسة (١ : ١٠٨) ، ابن تغرى بردى =

الكتاب انفسهم[1].

ولابد لنا من الاشارة الى ان معلوماتنا عن التطور خلال الفترة بين مرحلة التأسيس ومرحلة النضج فى ديوان الجند تكاد تكون معدومة اذ لم تتعرض المصادر الى احداث التطور الحاصلة خلال العصر الراشدى وتلك التى حدثت خلال العصر الاموى باستثناء بعض الاشارات الطفيفة عن اسماء واشخاص يعينون فى الديوان يقصد منها استيفاء معلومات عن تراجمهم اكثر مما تعطى اية معلومات تخدم دراسة او متابعة التطور .

ويتألف ديوان الجند فى صورته التى وصل اليها فى مرحلة النضج الاخيرة ضمن نطاق هذا البحث من المجالس التالية :

(١) مجلس الانشاء :

وهو من المجالس الكتابية اختص بالمراسلات المتصلة بديوان الجيش[2] ، ويقوم هذا المجلس بانشاء الرسائل والكتب حيث تعرض بعد ذلك على صاحب الديوان يتصرف فيها فيقرها او يعدلها وفق مايرى او وفق ماصدرت به اوامر الخليفة او الوزير ثم يحيلها بعد ذلك الى مجلس التحرير

= النجوم الزاهرة (٣ : ٢٩٧ ، ٢٩٨) ، المقدسى - احسن التقاسيم (ص ١٠) ، وانظر الماوردى - الاحكام السلطانية (ص ١٩٥) .

(١) وقد ورد ذلك فى المنزلة الخامسة من منازل الكتاب الاوراق ٢ب الى ٨ أ وانظر رسالة الماجستير التى اعدها الزميل طلال جميل رفاعى جامعة ام القرى لعام ١٤٠٣هـ والموسوم المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصفة الكتابة (ص١٣٢- ١٦٥) .

(٢) قدامة بن جعفر - الخراج وصنعة الكتابة ورقة ٣ أ ، وانظر السامرائى المؤسسات الادارية (ص١٩٦ ، ٢٠٥) ، طلال رفاعى ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص١٣٣) .

وقد عرف الخوارزمى هذا المجلس بانه المجلس الذى " يعمل على انشاء المكاتبات ثم تعرض على صاحب الديوان ليزيد فيها او ينقص منها او يقرها على حالها"[١] .

(٢) مجلس التحرير[٢] :

وهو من المجالس الكتابية وكذلك يأتى فى المرتبة التالية بعد المجلس الانشائى فى اعماله ، وذلك ان المراسلات التى يتم انشاؤها فى مجلس الانشاء السالف الذكر والتى يقرها متولى الديوان تتم احالتها الى هذا المجلس كى يتولى القيام "بنقل الكتاب من سواد النسخة الى بياض نقى"[٣] ، وهكذا فان مهمة هذا المجلس تتلخص فى تبييض المسودات التى ترد اليه من مجلس الانشاء فى اصل تتم احالته الى مجلس النسخ .

(٣) مجلس النسخ[٤] :

وهو من المجالس الكتابية فى ديوان الجند ايضا ومهمته انجاز نسخ اصول الكتب الواردة اليه من مجلس التحرير على عدة نسخ كل منها مطابق للاصل حيث يجرى الاحتفاظ بعد ذلك باحداها فى حين يرسل الاصل

---

(١) الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٣ أ) .
(٣) الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص٦٩) ، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٥٥) .
(٤) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٣ أ) ، انظر السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٥٥) ، الرفاعى ـ المنزلة الخامسة (ص١٣٣) .

الذى تولى مجلس التحرير كتابته الى الجهة التى وجه الكتاب اليها ، كما يتولى المجلس ارسال بقية النسخ المنتسخة الى مجلس الاسكدار ليتولى توجيهها الى الجهات الاخرى ذات العلاقة ، ويبدو ان هذا المجلس يحتوى على عدد من الكتاب المتخصصين . وقد ورد مايشير الى وظيفة الناسخ التى يتولاها عادة كاتب حسن الخط يقوم بعملية النسخ وربما احتيج الى اكثر من كاتب واحد فى هذا المجال[1] ، كما ترد اشارة اخرى الى وظيفة يظهر انها تتصل باعمال هذا المجلس وهو كاتب الاثبات حيث يجرى التأكد من "نسخ الكتب باعيانها وجوامعها ونكتها"[2] .

(٤) مجلس الاسكدار[3] :

وهذا المجلس يقوم مقام شعبة الاتصالات فى الدوائر الرسمية المعاصرة حيث يتولى تنظيم وضبط الاوامر والكتب الصادرة والواردة وتصنيفها والاحتفاظ بنسخة منها وعمل خلاصات لها تكون مهيأة اذا ما اراد الخليفة او الوالى او صاحب الديوان الاطلاع عليها[4] .

---

(١) ابن مماتى - قوانين الدواوين (ص٣٠٢) .
(٢) الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٦٩) .
(٣) قدامة بن جعفر - الخراج "مخطوط" ورقة ٣ أ ، ومن الواضح ان الكلمة فارسية الاصل استعملت بين مصطلحات الادارة الاسلامية وتتألف من كلمتين وضمير ومعناها من اين تمسك . انظر الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٩٥ ، ٦٩) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص١٩٦) .
(٤) قدامة بن جعفر - الخراج "مخطوط" ورقة ١٩ أ ، وانظر الجهشيارى الوزراء والكتاب (ص ١٩٩) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص١٩٦ ، ١٩٧) ، الرفاعى - المنزلة الخامسة (ص١٣٣) .

وقد اشار قدامة بن جعفر عند حديثه عن المجالس السالفة الذكر الى ان هذه المجالس لها مايماثلها فى الدواوين الاخرى ولذلك فانه قد اعرض عن اعطاء تفصيلات عن اعمالها فقال :" فقد شرحنا من احوال هذه المجالس بديوان الخراج مافيه كفاية"[1]. غير ان ضياع المنزلة الخاصة بديوان الخراج من كتاب قدامة بن جعفر حرم البحث من فرصة طيبة ونادرة للتعرف بشكل دقيق على طبيعة مايجرى فى هذا المجلس .

والواقع فان المجالس الثلاثة الاولى قد اختصت بالامور الكتابية المتعلقة بمصالح ديوان الجيش وعلاقاته ، اما المجلس الرابع فهو من المجالس الاساسية فى الادارة اذ عليه المعول فى الاتصالات والاحتفاظ بنسخ مما يرد الى الديوان من الكتب والحمول وبما يصدر عنه مع اصولها ، كما انه يقوم بتزويد المراجع العليا فى الدولة او المشرف المتولى لامر الديوان ، بتصور موجز وواضح عن اى امر من الامور المتعلقة بالديوان ومصالحه .

(٥) مجلس التقرير[2] :

وهو احد مجلسين اساسيين يتقاسمان الاختصاصات العملية

---

(١) قدامة - الخراج (ورقة ٣ أ) .

(٢) وردت التسمية فى المصادر المعتمدة بالراء والدال المعجمتين فى وسطها ولا خلاف فى ان المعنيين يصلحان للدلالة على عمل هذا المجلس فقد يكون المقصود اثبات مبالغ الاستحقاقات الواجبة للاطلاق او الصرف وهو مايوحى به المعنى الوارد فى المتن ، وقد ينصرف الذهن فى الحالة الثانية الى الحزر او التخمين وهو مايتطلبه اعداد الموازنات المالية ، وقد قرأ آدم متز الكلمة بالراء المعجمة فى حين قرأها السامرائى بالدال . انظر : متز - الحضارة الاسلامية (١ : ١٤٨) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٥٦) وقد رجع الرفاعى ايضا القراءة الثانية مستفيدا مما ورد فى الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٣٥) ، وانظر الرفاعى - المنزلة الخامسة (ص١٣٤) .

لديوان الجند ثانيهما مجلس المقابلة وهو ماسيكون موضع عناية البحث في الفقرة التالية . ومجلس التقرير هو الذى تقرر فيه استحقاقات الجند واوقات "اعطياتهم وسياقة ايامهم وشهورهم على رسومها"[١]. كما تقرر في هذا المجلس اوامر صرف"الارزاق في وقت وجوبها وتجريد[٢] النفقات التى تنفذ لوجوهها والنظر في موافقات[٣] المنفقين واخراج اصولها وماشاكل هذه الاشياء وجانسها"[٤]. ويشبه قدامة بن جعفر مهام هذا المجلس بمهام مجلس الحساب في ديوان الخراج[٥] والواقع فان مجلس التقرير يشرف على الشئون الحسابية والمالية في ديوان الجند كما يتولى احصاء النفقات الاخرى التي يجرى صرفها على الجيش كالتلميظ[٦]

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٣ أ) .

(٢) كلمة تجريد مأخوذة من جريدة وهى من الدفاتر المستعملة في ديوان الجند ، ومنها "الجريدة السوداء" وهى سجل خاص باسماء الجند واوصافهم وانسابهم ومقادير اعطياتهم ومواعيد استحقاقاتها ، وقد ذكر الخوارزمى بان هذه الجريدة من دفاتر ديوان الجيش وانها الاصل الذى يرجع اليه في هذا الديوان ، انظر مفاتيح العلوم (ص٥٣) ، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٥٤ ، ٢٥٥) الرفاعى المنزلة الخامسة (ص٢٣٤) هـ ٤ .

(٣) حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ولا يسمى موافقة مالم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع اليه فان اختلفا سمى محاسبة . انظر الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص٥٣) .

(٤) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٣ أ) .

(٥) ن . م. س (ورقة ٣ أ) ، وانظر السامرائى : المؤسسات الادارية (ص١٩٧ ، ٢٥٦) .

(٦) ان يطلق لطائفة من المرتزقين بعض ارزاقهم قبل استحقاقهم لها انظر الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص٦٥) ، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٥٦) .

والسلف[١] والزيادة[٢] كما كان يقوم بعمل المقاصة[٣]. وبالجملة فان جميع الاعمال المالية فى ديوان الجند كان يجرى تصريفها عن طريق هذا المجلس[٤].

(٦) مجلس المقابلة[٥] :

وهو المجلس الثانى من بين المجالس الاساسية المتخصصة التى يتألف منها ديوان الجند فهو ينظر فى الجرائد[٦] ويتصفح الاسماء "ومنازل الارزاق[٧] والاطماع[٨] واخراج الخلاف فيما يرد من رفوع المنفقين ، ومايصدر ويرد من الكتب اليهم ومنهم . ويجرى هذا المجلس فى ديوان الجيش مجرى مجلس التفصيل[٩] من ديوان الخراج[١٠]" .

---

(١) السلف هو ان يطلق لبعض المرتزقين من اهل الديوان جميع مستحقاتهم قبل حلول وقت استحقاقها . (ن . م . س) .
(٢) وهى ان يزاد للرجل الوارد اسمه فى الديوان فى راتبه شئ معلوم (ن . م . س) .
(٣) وهى ان يحبس من القابض لماله ماكان شططه واستلفه وربما يقاص من رزقه بحق بيت المال قبله ، فيجعل ما استلفه اخراجا اليه ووارداً له وهو مايشبه اعمال المقاصة فى العصر الحديث . انظر الخوارزمى مفاتيح العلوم (ص٦٠) .
(٤) انظر السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٥٦) .
(٥) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٣ أ - ٣ب) ، الصابى - الوزراء (ص١١٧) .
(٦) مفردها جريدة وقد سبق تعريفها .
(٧) الرزق اقامة الطمع وهو وضع العطاء اى الابتداء فيه . انظر الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٦١) .
(٨) مفردها طمع وهو رزق الجند ، واطماعهم اوقات قبوض ارزاقهم (م . س . ن)
(٩) انظر عنه السامرائى - المؤسسات الادارية (ص١٩٨) .
(١٠) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٣ب) ، وانظر ابن شاهين - زبدة كشف الممالك (ص١٠٣) .

وهكذا فان اعمال مجلس المقابلة تشتمل على القيام بمراقبة كفاءة الجند بعد اثباتهم[1] وتصفح سجلاتهم ومنازل ارزاقهم ومايتعلق بكل منهم من تحويل[2] او وضع[3] او نقل[4] اوفك[5] او ساقط[6] اومخل[7] .

ومما يشير الى اهمية هذا المجلس علاقته المباشرة بالخليفة او الوزير اضافة الى الطبيعة السرية لاعماله . ويقدم الصابى مايشير الى ان الخلفاء العباسيين كانوا يتولون بانفسهم اعطاء التوجيهات الخاصة بمستوى التدريب واللياقة عن كل جندى او قائد يرد اسمه فى الجريدة السوداء وفى احدى المناسبات اشار الصابى الى ان قادة الفرق كانوا يقتدمون العرض فى الميدان بحضور الخليفة ثم يتقدم كل منهم "ومعه جريدة باسماء اصحابه وارزاقهم"[8] ، وبعد ان توصل هذه الجريدة الى الخليفة يدعو الوزير "بواحد واحد ممن فيها فيدخل الميدان ويمتحن على البرجاس[9] فان كان يرمى جيدا وهو متمكن من نفسه ومستقر فى سرجه

---

(١) الاثبات ان يثبت اسم الرجل فى الجريدة السوداء ويفرض له رزق . الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص ٥٩ ، ٦٠) .

(٢) اى تحويل الرجل من جريدة الى اخرى (ن٠م٠س) (ص٥٩) .

(٣) الوضع هو ان يحلق على اسم الرجل فيوضع عن الجريدة السوداء . (ن٠م٠س) (ص٥٩) .

(٤) النقل هو ان ينقل الرجل بعض ماله فى الجريدة الى رجل آخر . (م٠س٠ن) (ص٥٩) .

(٥) الفك هو ان يصحح اسمه ورزقه فى الجريدة بعد الوضع، يقال : فك عن اسم فلان فى الجريدة كأنما فك من الحلقة فكا . ن٠م٠س (ص٥٩)

(٦) الساقط هو الذى يموت او يستغنى عنه فيوضع عن الجريدة.ن٠م٠س (ص٥٩) ، وانظر ابن مماتى - قوانين الدواوين (ص٣٥٥) .

(٧) وهو الذى قد اخل بمكانه ولما يوضع بعد . الخوارزمى - مفاتيح (ص٥٩) .

(٨) الصابى - الوزراء (ص١٧) .

(٩) البرجاس ضرب من انواع الفروسية يكون على ظهور الخيل ٠م٠س٠ن٠ الحاشية .

ومصيب او مقارب في رميه علم على اسمه (جـ) وهي علامة الجيد ومن كـــان دون ذلك علم على اسمه (ط) وهي علامة المتوسط، ومن كان متخلفـــا لايحسن ان يركب فرسه او يرمي هدفه علم على اسمه (د) وهي علامـــة الدون[1].

ان قوائم الجند هذه تحمل بعد العرض والامتحان الى كتاب مجلـــس المقابلة "ليتأملوا حليته ويقابلوا بها ماعندهم من صفته"[2] وهذا يبـــين السبب الذي من اجله اطلق على المجلس اسمه الذي عرف به .

ومن الواضح ان الغرض من هذه المقابلة هو التحوط من ان يدخـــل بين الجند دخيل او بديل[3] .

اما مايقوم به المجلس بعد ذلك من تصرف بازاء نتائج الاختبار هـذه فهو افراد قوائم خاصة لكل صنف من الاصناف المارة الذكر، وكان الوزير يتولـى بنفسه مقابلة القوائم المعدة بهذه الاصناف بالجريدة التي تحتوي علـــى العلامات المؤشرة بخط الخليفة لئلا تحصل فيها مغالطة او خطأ ويحتفـــظ المجلس بالجرائد المبيضات مجردة من العلامات ويحتفظ الوزير بالاصـــول " وكل هذا من غير ان يعلم القائد واصحابه بما يجري منهم"[4] مما يؤكـــد الطبيعة السرية للعمل الذي يجري في هذا المجلس .

ان النتائج المترتبة على هذا الاختبار والتي سيتعرض لها البحـــث

---

(١) الصابي - الوزراء (ص١٧) .
(٢) ن . م . س (ص١٧) .
(٣) ن . م . س . (ص١٧) .
(٤) ن . م . س (ص١٧-١٨) .

فيما بعد تتضح فى اعادة تقسيم الجند الى طبقات لكل منها اختصاصها ومكانتها اضافة الى ان هذه الاختبارات هي الاساس الذى يحدد على ضوئه مبالغ الارزاق وفترات دفعها لكل طبقة[1]. وهو امر يعكس بطبيعة الحال اختصاص هذا المجلس ودوره فى رفع مستوى التدريب واستمراره .

وقد استعمل كتاب هذا المجلس عددا كبيرا من المصطلحات العربية والدخيلة فى وصف حلى الجند وشيات الدواب حيث كانوا يستعملونها فى المقابلة ، ولابد من ان نؤكد هنا الى ماذكره قدامة بن جعفر من ان بعضها :"لايوافق ماعليه مجرى اللغة"[2]. وقد ادرك قدامة مبلغ الاحراج الذى يتعرض له الكتاب نتيجة استعمالهم مالا يجوز استعماله فى اللغة فقال :"فانا لو ذهبنا الى تغيير مالا يجوز فى لغة العرب مما قد الف الكتاب استعماله لتعدينا مايعرفونه ويعملون عليه وجئنا بما يستنكره اكثرهم ويخالف ماجرت به عادتهم"[3]. ويقدم لنا قدامة بن جعفر معلومات موسعة جدا عما كان الكتاب قد الفوا استخدامه فى تثبيت حلى الرجال وكذلك شيات الدواب . كما انه قدم تفصيلات وشروح عن الاصيل والدخيل منها بجانب تقديمه استشهادات كثيرة من الشعر العربى او كلام العرب،لم نجد مايدعو الى عرضها فى سياق هذا البحث، وسنكتفى بتقديم موجز لما اورده مما له علاقة مباشرة باهداف الرسالة ووجهتها . يقول قدامة " وليس كل مايستعمله الكتاب خارجا عن مذهب اللغة"[4].

---

(١) الصابى - الوزراء (ص١٧- ١٨) .
(٢) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٢ب) .
(٣) وهذا يعزز ماذكرناه آنفا من وقوع طبقة الكتاب تحت تأثيرات حضارية ساسانية واستعمالهم لمصطلحات لا تنسجم مع اصول اللغة العربية.
(٤) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٣ب) .

" اما حلى الرجال فان كتاب هذا المجلس قد تعودوا ان يبتدئوا بان يذكروا سنه[١] ثم يتبعوا ذكر السن باللون[٢] ثم يتبعوا ذلك بذكر نعوت الوجه[٣]

---

(١) فيقولوا اما (صبى) واما (حين بقل وجهه) واما (حين خط شاربيه) واما (شاب) واما (كهل) وليس من هذه الصفات مايجرى على عادة العرب ولغتها .

(٢) يذكر قدامة بانهم "يقولون اسود ويحذفون (تعلوه حمرة) وهذا ايضا جار على مذهب كلام العرب". قدامة - الخراج (ورقة ٤أ) .

(٣) اشار قدامة الى انهم كانوا يقولون :"واسع الجبهة او ضيق الجبهة وان كان بها غضون قيل وبها غضون وان كان بها نزع او جلح ذكر فقيل انزع . . واجلح . . وينعت الحاجبان فيقولوا مقرون ان كانا بيني القرن ، وان كان ذلك خفيا قيل مقرون خفى ، وان كان ابلج الحاجبين قيل ابلج الحاجبين وان كان بينهما من الغضون كالخط قيل بينهما خط. ثم يقال فى العين اذا كانت واسعة قيل واسع العينين ، او صغيرهما صغير العينين . وان كان بهما شهل او زرقة قيل اشهل وازرق وان كان بهما جحوظ او غور قيل جاحظهما او غائرهما . ثم يقال فى الانف طويل او قصير او اخنس او افطس وينعت باحواله فيقال منتشر المنخرين ان كانا كذلك او يقال وارد الارنبة ثم تنعت الوجنتان بنتوء ان كان فيهما فيقال ناتىء الوجنتين او يقال سهل الخدين او مضموم الخدين ، ثم يقال فى الشفتين ان كانتا غليظتين قيل غليظ الشفتين ، وان كان فى العليا شق بالطول قيل اعلم . ثم يقال فى الاسنان ان كانت فلجاء قيل افلج وان كانت طوالا جدا قيل اشغى وان كانت صغارا متهاتة قيل اكسى ، وان كانت متراكبة قيل متراكب الاسنان ، وان كان منها شىء مقلوع قيل مقلوع كذا وذكر المقلوع . . . وان كانت كلها مقلعة قيل اقصم ثم يقال فى اللحية والسبال ان كانا صهباوين قيل اصهب اللحية وان كان مثقوب الاذنين ذكر ذلك ، وان كان به جدرى ظاهر قيل مجدور". قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٤ أ - ٦ أ) .

ثم يؤخذ بذكر العلامات الفارقة[1] كالخيلان[2] ومواضعها والوانها والزيادات الحاصلة في الاصابع وغير ذلك من وشم ونحوه مما يعرف عندهم بالاعمدة وهي العلامات القوية المشهورة التي لاتكاد توجد في كل احد كل ذلك اثبت للحلية واجدر ان لايدخل على المحلى بها بديلا غيره"[3].

اما عن شيات الخيل والدواب الاخرى فيذكر بان "اول مايبتدأ به ذكر نوع الدابة[4] ثم يذكر اللون[5]، ثم يتبع اللون بذكر الاوضاح[6] . . واذا كانت في الدابة سمة قيل بموضع كذا سمة، فان كانت كتابتها مقروءة قيل تقرأ كذا . . . وان كانت علامة او كيا حكي مايوجد الامر عليه من جميع ذلك وان لم يكن بالدابة سمة اصلا قيل غفل"[7].

---

(١) وقد قال قدامة :"فان كانت العين ذاهبة قيل اعور العين اليمنى او اليسرى وان كانت الاذن مقطوعة قيل مصلوم الاذن اما اليمنى او اليسرى، وان كانتا كليهما مقطوعتين قيل مصلوم الاذنين". قدامة الخراج (ورقة ٥ب، ٦أ) .

(٢) جمع مفردها خال وقد ذكر قدامة ان مايذكر "منها ما بالوجه وبصفحة الاذن يحدد ذلك بموضعه وبلونه فيقال اخضر واحمر وان كان ذلك بالذراع قيل بباطن ذراعه . قدامة ـ الخراج (٦أ) .

(٣) انظر قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٤أ ـ ٦أ) وعن تفصيلات اوفى لهذه الحلى انظر قائمة المصطلحات والالفاظ المستعملة في ديوان الجند والملحقة بهذا البحث .

(٤) بان يقال فرس او شهري او برذون او بغل وان كانت انثى ذكر ذلك انظر قدامة ـ الخراج (ورقة ٦أ) .

(٥) وقد استعمل كتاب الديوان لالوان الحيوانات كميت . . اواشقر اوادهم . . او اشهب . . او اصفر . . او ورد . . او رضابي . . اوابرش او ابلق وقد ذكر قدامة بان لكثير من الالوان انحاء ينصرف اليها فالكميت يكون من الاحوى . . الى غير ذلك . انظر قدامة ـ الخراج (ورقة ٦أ ـ ٨أ) .

(٦) يبتدىء بذكر الغره، ثم يؤخذ في الاوضاح في سائر الجسد، انظر قدامة ـ الخراج (ورقة ٨أ ـ ٨ب) .

(٧) انظر قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٦أ ـ ٨ب) وعن تفصيلات اوفى لهذه الشيات انظر قائمة المصطلحات والالفاظ المستعملة في ديوان الجند والملحق بهذا البحث .

ولعل فى ماقدمنا من معلومات عن هذا المجلس مايعكس الطبيعة التخصصية فى عمله وخطورة الدور الذى يلعبه فى اعمال ديوان الجند .

(٧) مجلس العرض :

يعتبر مجلس العرض من المجالس المهمة فى ديوان الجيش بحكم ارتباطه الوثيق والمباشر فى عطية عرض الجند ، وكذلك عمله الميدانى مع الجند فى بعض الاحيان . ومما يدل على اهميته ان بعض الكتاب قد جعله ديوانا مفردا له اعماله الخاصة فتذكر بعض المصادر "ان اول من صير ديوان العرض هو المأمون"[١] . ويشير التنوخى عند تعرضه لحرب القرامطة مع بنى العباس انه كان هناك ديوان للعرض وكان عليه الصاحب ابن الخال ، وكان له كتاب عليه وعلى امره كله[٢] .

اما عن اعمال هذا المجلس فانه يقوم بالاشراف على الجيش اثناء الاستعراض[٣]، وكان الشخص الذى يتولى الاستعراض هو قائد الجيش سواء كان الخليفة او الوالى او الوزير او كاتب الديوان او اى شخص آخر يتولى قيادة الجيش .

واستعراض الجيوش معروف منذ القدم ، وحتى من قبل نشأة الديوان فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يستعرض جيش المسلمين بنفسه كما حدث فى كثير من غزواته ففى غزوة بدر الكبرى اخذ الرسول عليه الصلاة والسلام فى

---

(١) اليعقوبى - مشاكلة الناس لزمانهم (ص٣١) ، ويرى الاستاذ شوقى ابو خليل ان اول من اوجد ديوان العرض هو هارون الرشيد . انظر ابو خليل - هارون الرشيد امير الخلفاء (ص٨٣) .

(٢) التنوخى - نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة (٨ : ١٨٢) .

(٣) ن . م . س . (٨ : ١٨٢) .

تسوية جيشه صفوفا يقدم بعضهم ويؤخر البعض الاخر بحسب مقدرتهم القتالية . ويظهر ذلك واضحا عندما كان ابن غزية - احد الصحابة - بارزا عن الصف فما كان منه عليه السلام الا ان ضربه على بطنه بقدح كان معه وطلب منه ان يستوى مع الصف اسوة بغيره من المسلمين [١] . وهذا خير دليل على وضوح الهدف من ذلك وهو الضبط والربط والالتزام والطاعة للقائد .

وتذكر المصادر المعتمدة ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان في غزوة احد يستعرض افراد جيشه ويعزل من لم يكن قادرا على القتال وخاصة الصغار الذين هم اقل من سن الخامسة عشرة ، كما حدث لسمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابناء خمسة عشر سنة ، وكان قد ردهما ، وقد حصلت محاورة بين الصحابة امام الرسول صلى الله عليه وسلم رغبة منهم في اشراكهما في القتال مع المسلمين في سبيل الله فقد قيل يارسول الله ان رافعاً رامٍ ، فاجازه لبراعته في هذا الفن ، فلما اجازه قيل يارسول الله ان سمرة يصرع رافعا ، فاجازه . غير انه رد بعض شباب الصحابة لصغرسنهم مثل عبد اللهبن عمر ، واسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت وغيرهم . . ثم اجازهم يوم الخندق عندما بلغوا سن الخامسة عشر [٢] .

وقد اعتمد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه هذه السنة المطهرة فاعتبر حد مابين الصغير والكبير هو سن الخامسة عشر وكتب الى الامصار ان يفرض لمن بلغ هذا السن [٣] .

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٦٢٦) .
(٢) انظر مسلم - الصحيح (١٣ : ١١) ، ابو داود - السنن (٤ : ٥٦١ - ٥٦٢) ، ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٦٦) .
(٣) انظرمسلم - الصحيح (١٣ : ١١ ، ١٢) ، ابن سعد - الطبقات (٥ : ٢٥٨) ، الكتانى - التراتيب (١ : ٢٢١) .

ونظرا لما للعرض من اهمية بالغة في تدريب الجيش ورفع معنوياته فقد كان الخلفاء يتولون الاشراف على عرض جندهم بانفسهم للتأكد من سلامتهم واخلاصهم واكتمال عددهم واسلحتهم، كما في قصة علي بن ابي طالب رضي الله عنه في حربه مع جند الشام[١]، وكذلك خلفاء بني امية[٢]، وبني العباس[٣]. وقد كان المسئولون عن الاستعراض يولون هذه المناسبة اهمية كبيرة حتى ان كثيرا من الدواب والاسلحة تستعار او تستأجر يوم الاستعراض[٤].

كما كان هناك بعض الاشخاص عرفوا بتخصصهم في مسائل عرض الاجناد والتعرف على كفاءتهم واحتياجاتهم من الدواب والاسلحة ونحوها مما يحتاجه المحارب[٥].

اما عن اوقات العرض، فانها تكون وقت الحاجة او عند القيام بالغزو واحيانا يقوم رؤساء الجنود وقادتهم بعرضهم في كل شهر مرة حتى يتأكدوا من سلامة ودقة تدريبهم وقد يختبرونهم ويعتبروا عددهم[٦]. ويذكر الحسن بن عبد الله ان خلفاء بني امية كانوا يشددون في امر العرض في بعض الاوقات

---

(١) المسعودي - مروج الذهب (٢ : ٣٨٩)، (٣ : ٣٠) ، ابن خلدون المقدمة (١ : ٤٨٧) .

(٢) الغزالي - التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص ٨١ ، ٨٢) ، الحسن ابن عبد الله - اثار الاول في ترتيب الدول (ص ٧) .

(٣) الطبري - تاريخ الرسل (٨ : ٥٢ ، ٥٤) ، البطليوسي - الاقتضاب (ص ٧) ، التنوخي - نشوار المحاضرة (٨ : ١٨٢) ، الكندي - الولاة والقضاة (ص ١٠٧) .

(٤) ابن طلحة الوزير - العقد الفريد للملك السعيد (ص ١٥٤) .

(٥) الثعالبي - تحفة الوزراء (ص ٧٩) .

(٦) ابن ابي الربيع - سلوك المالك في تدبير الممالك "مخطوط" (ورقة ٦٤ أ) .

ويتساهلون[1] في بعضها الاخر بحسب طبيعة الظروف السائدة في الدولة.

يتبين مما سبق بان عرض الجند عرضا شاملا في ميدان خاص لم يكن يجرى بشكل رتيب طوال العصور الاسلامية بل ان ذلك يتأثر الى حد كبير بتوجيهات الخلفاء او الولاة وسياستهم العسكرية ومدى اعتمادهم على الجند وقابلياتهم في التمييز، ولعل من المناسب ان نشير هنا الى احد الامثلة البارزة فقد اهتم زياد بن ابيه والي العراق في خلافة معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه بالجيش وحرص على جعله تحت الاستعداد الكامل والدائم وخصوصا ان العراق لم يكن اموي الهوى وان احتمالات الاضطراب واردة فيه لذلك فقد ذكرت المصادر انه كان يحرص على استعراض الجند والتأكد من كفاءتهم ومستوى تدريبهم وهذا مااشار اليه البلاذري حين قال :"وكان بلال بن ابي بردة الذي فتق نهر معقل في فيض البصرة. وكان قبل ذلك مكسورا يفيض الى القبه التي كان زياد يعرض فيها الجند"[2].

وفي العصر العباسي يصف لنا الطبري في حوادث سنة ١٥٧هـ اهتمام الخليفة ابو جعفر المنصور بعرض الجند حيث يقول :"وفيها عرض المنصورجنده في السلاح والخيل على عينه في مجلس اتخذه على شط دجلة . . وامر اهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح ، وخرج وهو لابس درعا وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة مضربة"[3].

كما انه في العصر العباسي لعب الجند دورا اساسيا في المجيء

---

(١) الحسن بن عبد الله - آثار الاول في ترتيب الدول (ص٧ ، ٧١) .
(٢) البلاذري - فتوح البلدان (ص٤٤٧) .
(٣) الطبري - تاريخ الرسل والملوك (٨ : ٥٢) ، وانظر ابن الاثير- الكامل (٦ : ١٢) .

بالعباسيين الى السلطة وكان الجيش العباسي احد الاركان الاساسية التي قامت عليها الدولة[١] ولذلك فقد ازداد الاهتمام بالجيش وتدريبه والتدقيق في مستوى كفاءته . فاذا اضفنا الى ذلك حقيقة تولي اشخاص لهم مكانتهم مسئولية القيادة بشكل متتابع[٢]، وكان اهتمامهم على الدوام منصبا على قواتهم وكفاءتها وقابلياتها القتالية ادركنا اهمية العرض والاسباب التي دعت الى تحويل مجلس العرض في بعض الاوقات الى ديوان خاص مفرد قائم بنفسه[٣]، وقد حصل ذلك في عصر المأمون كما اسلفنا .

وقد استمر الاهتمام بالعرض بعد فترة البحث فقد كان الجوسق الكبير ومنطقة الحيروتل العليق من الاماكن المعروفة بانها ساحات عرض اساسية لجند الخليفة المعتصم بالله في عاصمته سر من رأى[٤]. وخلال فترة حرب الخلافة العباسية ضد الزنج

---

(١) الدوري ـ عبد العزيز ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة (ص ١) .

(٢) كان عبد الله بن علي عم الخليفتين السفاح والمنصور اول قادة الجيش العباسي وهو الذي حقق الانتصار على الامويين وسحق مقاومتهم وانهى دولتهم في المشرق الاسلامي . وفي عهد المنصور تولى ابنه وولي عهده محمد الملقب بالمهدي قيادة الجيوش واشتهر باهتمامه بالعرض، وقد انشأ معسكرا ضخما مقابل بغداد على الجانب الشرقي من دجلة عرف باسم معسكر المهدي في الرصافة ، وفي فترة حكم المهدي تولى ابنه الهادي قيادة الجيوش وقد عرف عنه حرصه على الضبط والتدريب، وهو الذي قضى على ثورة خراسان . ثم تولى هارون الرشيد قيادة الجيوش بنفسه . وقد لعب المعتصم دورا اساسيا في تدريب الجيش والارتفاع بكفاءته في عصر المأمون وكان القائد العام للجيش العباسي .

(٣) اليعقوبي ـ مشاكلة الناس لزمانهم (ص ٣١) ، التنوخي ـ نشوار المحاضرة (٨ : ١٨٢) .

(٤) الدوري ـ دراسات في العصور العباسية (ص ١٣) .

في سواد العراق[1] والتي استمرت قرابة ربع قرن كان الاستعداد العسكري والتدريب هما الصفة الملازمة لاوامر قائد الجيش العباسي الامير ابو احمد الموفق بالله طلحة والذى قاد جيش الخلافة الى تحقيق نصر كبير[2] .

وعند تولى ابنه المعتضد بالله للخلافة استمر الاهتمام بالعرض والتدريب بل ان الخليفة نفسه قدساهم في رعاية العرض وفي التثبت من قابليات الجند ومقدرتهم القتالية وقدرتهم على الرمي . ويحدثنا الصابي عن احدى المناسبات التي تولى فيها المعتضد بالله اختبار قابليات الجند وكفاءتهم ومستوياتهم اذ عرض عليه جمهور الجند ، وكان كل واحد من القادة يتقدم نحو الخليفة" ومعه جريدة باسماء اصحابه وارزاقهم فيأخذها خادم منه ويصعد بها الى المعتضد ويدعوا عبيد الله بن سليمان بواحد واحد ممن فيها فيدخل الميدان ويمتحن على البرجاس، فان كان يرمي رميا جيدا وهو متمكن من نفسه ومستقر في سرجه ومصيب او مقارب في رميه علم على اسمه (جـ) وهي علامة الجيد ، ومن كان دون ذلك علم على اسمه (ط) وهي علامة المتوسط، ومن كان متخلفا لا يحسن ان يركب فرسه او يرمي هدفه علم على اسمه (د) وهي علامة الدون ثم يحمل بعد العرض والامتحان الى كتاب الجيش ليتأملوا حليته .... فاذا تكامل عرض اصحاب القائد دفعت جريدته التي فيها العلامات بخط المعتضد الى عبد الله بن سليمان ليدفعها من وقتها الى الكاتب ويميز فيها بين ارباب العلامات[3] .

---

(١) يعتبر يوم الاثنين ٢٦/٩/٢٥٥هـ تاريخ ابتداء تمرد صاحب الزنج انظر الطبري - تاريخ (٩ : ٤١٠) .

(٢) انظر مثلا الطبري - تاريخ (١٠ : ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٨) وانظر الدوري - دراسات (ص٧٣) .

(٣) الصابي - الوزراء (ص١٧) .

(٨) مجلس العطاء والتفرقة[١] :

وهو المجلس الذى يختص بصرف العطاء لمستحقيه من افراد الجيش الاسلامى بمختلف مراتبهم[١] . والراجح ان جرائد الفرق العسكرية التى تتم مقابلتها وتدقيقها من قبل الوزير او صاحب الديوان تخرج الى مجلس العطاء[٣] بعد ان يكتب الى متولى بيت المال "بحمل مالهم الى مجلس العطاء . وتخرج الجرائد بالاسماء والحلى ومبلغ الجارى الى المنفقين مع المال فيتولون عرضهم ، ويقبض من صحت حليته منهم ورفع الحساب بما ينفقونه وذكر مايوفرونه[٤] من جارى من لم يصح عرضه من البدلاء والدخلاء والاموات والغياب"[٥] .

---

(١) الصابى - الوزراء (ص٢٧) ، البطليوسى - الاقتضاب (ص٧٥) ، ابن وهب - البرهان في وجوه البيان (ص٣٦٨) ، السامرائى - المؤسسات (ص٢٥٧) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص٢٧) ، البطليوسى - الاقتضاب (ص٧٥) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٥٧) .

(٣) الصابى - الوزراء (ص١٧ ، ١٨) .

(٤) وقد عرف ابن مماتى "المتوفر" بانها تعنى مايتوفر عن ساقط بالوفاة بعدما اطلق من مستحقه الى حين وفاته لورثته فان لم يكن له وارث سمى جميع ذلك متوفرا ، انظر ابن مماتى - قوانين الدواوين (ص٣٠٥) ، والواقع فان مثل هذا الاجراء كان معمولا به منذ صدر الاسلام الاول حيث ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله "السلطان ولى من لا ولى له يرثه ويعقل عنه" .

(٥) ابن وهب - البرهان في وجوه البيان (ص٣٦٨) ، وانظر البطليوسى الاقتضاب (ص٧٥) .

وقد وصلتنا صورة رقعة يتم بموجبها الصرف للجنود وهي وان كانت متأخرة عن فترة البحث الا انها تعطى صورة لها دلالتها في استيعاب طبيعة عمل مجلس العطاء والتفرقة ودقته ، ذلك انه "اذا استحق الجند اخرج الكاتب الجرائد باستحقاقاتهم ، فذكر الطمع في ,وسط الرقعة فقال في وسطها : (المختارون) او (المماليك) اوغيرهم . ثم قال في اسفلها الايمن : (فلان الفلانى) وجعل جاريه تحته . ثم ذكر حليته في الشق الايسر بعد فصل يسير الى آخر الورقة . او جعل اسمه وحليته يمنة الورقة وجاريه شرقها"(١) .

وكان المشرفون على مجلس العطاء يقدمون تصفيات اجمالية لحساباتهم تتضمن خلاصة ماتم صرفه عن طريق هذا المجلس لمستحقيه

---

(١) ابن وهب ـ البرهان في وجوه البيان (ص٣٦٨) ، وانظر الصابى الوزراء (ص٢٦- ٢٧) ، البطليوسى ـ الاقتضاب (ص٧٩) ، القلقشندى صبح الاعشى (٣ : ٤٨٩) ، والراجح ان الجند كانوا يصفنون في هذا المجلس في العصر العباسى الثانى بحسب الفترات التى يستلمون فيها اعطياتهم . ومن دراسة الوثيقة التى حفظها لنا الصابى عن ضمان الطائى (الوزراء ص ١٥- ٢٧) ومقارنتها بما وصلنا من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر يمكن القول بان الجند في مجلس العطاء قد صنفوا على النحو التالى بحسب فترات طمعهم صنف يستلم ثلاث دفعات في السنة . وصنف يستلم بمعدل اربع دفعات في السنة . وصنف ثالث كان استلامهم خمس دفعات سنويا وصنف رابع هم اصحاب المشاهرة وكان قبضهم في السنة احد عشر دفعة . في حين يذكر الصابى ان الصنف الاخير كان يستلم كل ثلاثين يوما . انظر قدامة ـ الخراج (ورقة٦أ) ، الصابى ـ الوزراء (ص١٦- ١٧) ، وهناك صنف انفرد الخوارزمى بذكره حين ذكر ديوان خراسان حيث قال : "والثانى هو حساب الجند وهو طمعان في السنة" مفاتيح العلوم (ص٦٠) .

الى صاحب ديوان الجيش تعرف بـ"الرجعة" وهى كما عرفها الخوارزمى "حساب يرفعه المعطى من بعض العساكر بالنواحى لطمع واحد اذا رجع الى الديوان"(١).

ومما هو جدير بالملاحظة ان المجالس السالفة الذكر هى المجالس التابعة اداريا لمتولى ديوان الجند والتى يتألف منها الديوان غير ان ذلك لايعنى انها المؤسسات الوحيدة التى تقدم خدمات للجيش بمختلف صنوفه او التى لها علاقة او اشراف على تسليحه ومعداته وبقية احتياجاته ذلك ان هناك عددا كبيرا من المجالس التابعة لبعض الدواوين الرئيسية ـ وبشكل خاص المالية منها ـ كانت تقدم خدمات متنوعة للجيش وديوانه سوف يتعرض لها البحث بالتفصيل عند مناقشة موضوع "علاقات ديوان الجند واهميته" وهو ماسيكون موضوع بحثنا فى الفصل الثالث من البحث .

ومن جهة اخرى فان كل مجلس من المجالس التى يتألف منها ديوان الجند يتشعب فى المواضع التى تخص اصناف الجند . وقد اشار قدامة بن جعفر الى ثلاث منها فقال :"وينقسم كل مجلس من مجالس ديوان الجيش الى العساكر مثل العسكر المنسوب الى الخاصة ، والعسكر المنسوب الى الخدمة ، ومافى النواحى من البعوث"(٢).

---

(١) الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص٥٣) ، وقد ميز المؤلف بينها وبين "الرجعة الجامعة" التى يرفعها صاحب ديوان الجيش الى الوزير لكل طمع عن كل صنف من صنوف الانفاق .

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٣ب) ، وانظر الصابى ـ الوزراء (ص ١٧ ـ ١٨)، السامرائى ـ المؤسسات (ص٢٠٨) ، رفاعى المنزلة الخاصة (ص١٣٦ ، ١٣٧) .

وهذا يدل على ان فى العاصمة وحدها فرعين من كل من المجالس المارة الذكر يختص احدها "بالجند الخاصة" ويختص الثانى ب "جند الخدمة" واضافة الى ذلك فان فى كل ناحية من النواحى التى فيها مقرات عسكرية يتواجد عدد مماثل من هذه المجالس وفق الاختصاصات المشار اليها آنفا . وهذا يعني وجود شبكة مترابطة من المجالس المتخصصة موزعة فى جميع اطراف الدولة ومرتبطة بالمركز كل وفق تخصصها .

(جـ) احكام ديوان الجند وتعليماته :

لقد سارت اوضاع الديوان وفق احكام الشريعة الاسلامية منذ تأسيسه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان من المؤمل ان يواصل تلك المسيرة . وقد فصل الفقهاء فيما ينبغي أن يكون عليه متولي الديوان وكتابه وماينبغي ان يجرى فيه من اعمال تخدم الامة الاسلامية وتحمي البيضة وتواصل الجهاد . كما فصلوا في الاحكام التي تطبق في القتال والسلم مما كان له اتصال مباشر باعمال الديوان مثل ارزاق الجند ورواتبهم واثباتهم وعزلهم ، ومنها مايتعلق بولي الامر ومعاملته للجند المسلمين . ومن تلك الاحكام مثلا مناقشتهم لمسألة مدى امكانية تخلي الجندي عن مكانه في الجيش وهل ان ذلك جائز ومتى يمتنع ذلك[(١)] . ومن ذلك ترخيصهم لولي الامر اسقاط بعض الجند لسبب اوجبه او لعذر اقتضاه ومنعهم ذلك لغير سبب، لان جيش المسلمين قائم للذب عنهم اضافة الى انه ليس لولي الامر ان يحرم المسلمين من الجهاد في سبيل الله ،اذ لا جدال مع النص ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . اما اذا جرد ولي الامر الجيش للقتال وامتنعوا عن ذلك وهم قادرون على المحاربة فان ارزاقهم تسقط بخلاف ما اذا ضعفوا عن قتالهم فانها لاتسقط . كما ناقشوا كثيرا من المواضيع المتصلة بمرض الجندي وحقوقه وحقوق ذريته[(٢)] . وقد تعرضوا كذلك لتقدير العطاء وهل هو معتبر بالكفاية وتعرضوا لعدد من الحالات حيث تكثر اموال بيت المال ، وتحصل زيادات في الاسعار، حيث ناقشوا مدى امكانية

---

(١) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٠٦) ،ابو يعلى- الاحكام السلطانية (ص٢٤٣) .

(٢) ن.م.س. وانظر ابن قدامة - المغني (٦ : ٤١٨) .

زيادة العطاء، وحدود مسئولية الجندى عما يخسره فى المعركة من سلاح ودواب . كما قرروا وجوب عدم مطالبة الجندى لبيت المال اذا اعسرت الدولة عن الدفع[١]. وقد كان رأى الفقهاء ان يكون وقت العطاء معلوما يعرفه الجند ويتوقعه عند استحقاقه، كما انهم ربطوا بين مواعيد استحقاق العطاء ومواعيد استيفاء حقوق بيت المال فقالوا :"وان كانت تستوفى فى وقتين جعل العطاء فى كل سنة مرتين، وان كانت تستوفى فى كل شهر جعل العطاء فى رأس كل شهر ليكون المال مصروفا اليهم عند حصوله فلا يحبس عنهم اذا اجتمع ولا يطالبون به اذا تأخر"[٢].

ومن الواضح ان هناك امور واحكام تجرى فى ديوان الجند تتسم بالالتزام الشرعى والدقة والعدالة وهذا امر متوقع[٣] فى جميع المؤسسات فى الدولة الاسلامية وقد اشارت المصادر الى عدد كبير من الاحكام الجارية على هذا النسق فى ديوان الجند" منها مايعملون عليه فيما يسمونه الشهور الكوامل"[٤] وذلك ان يكون تقديرهم لمبالغ تخصيصات الجيش مطابقة تماما لايام السنة ومقسمة على اساس الاشهر بشكل دقيق فلا يسمحون ان يتجاوز التقدير تلك الحدود ولو بيوم واحد، فان حصل ذلك فانهم يخرجونه من تلك السنة ويحسبونه على السنة التى تليها . ويذكر قدامة بان ذلك "يكون فى تقدير ان عملوه لاموال الجيش استحقاقات تتوافى الى

---

(١) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠٦) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٤٣) .

(٢) ن . م . س .

(٣) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ١٠ب) .

(٤) ن . م . س . (ورقة ١٠ب) .

آخر سنة من السنين كما يكون آخر شهر من شهور الجيش واقفا منه قبل مايجدونه فيما يدخلونه تقدير مال تلك السنة، ومايجتازها ولو بيوم واحد فلا يخرجونه، وان كان الشهر كله الا ذلك اليوم واقعا فيها".[1]

وهكذا فان مجموع الانفاق السنوى يتطابق مع التخصيصات ولايسمح يتجاوزه اجمالا ولو بنفقات يوم واحد. وهذا امر يشير الى دقة ضبطهم للتخمينات. مع ملاحظةان ذلك يعكس استخدام ديوان الجند لاوقات اعتبارية تتضمن اياما معلومة يسمونها تجوزا بالاشهر او "الاطماع" ولا يتضمن استعمالها اى علاقة مع الاشهر الهلالية علما بان الاصل هو ان يجرى الصرف على اساس السنة الهلالية وان موعد ذلك اول المحرم من كل عام.[2]

ومنها اعتبارهم الارزاق انما تكون ملزمة الدفع بعد انقضاء جميع ايام الشهر،[3] وانه "اذا بقى بعضها لم يكن الشهر حينئذ مستحقا".[4] وحيث ان فترات الاطماع فى ديوان الجند ليست موحدة ولاتجرى على اساس الاشهر فان كتاب الديوان يحسبون استحقاقات الجند فى اطماعهم على اساس الشهور الكوامل "فان كان هذا من الاحرار الذين طمعهم فى مائة واثنان

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩ب ـ ١٠أ) .
(٢) انظر الطبرى ـ تاريخ (٤ : ٤٢، ٤٣)، (٦ : ١٢٠)، (٧ : ٢١٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٩)، (٨ : ٥٥٥)، الاصفهانى ـ الاغانى (٧ : ٢٢) الخزاعى ـ التلمسانى ـ تخريج الدلالات السمعية (ص٢٤٢، ٢٤٣)، نقلا عن الشيرازى فى كتاب ـ طبقات الفقهاء "مفقود" .
(٣) وهذا مايجرى عليه الامر فى اغلب المؤسسات فى العصرالحديث .
(٤) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ١٠أ) .

وعشرون يوما لم يجروهم على ذلك فيحسبوا لهم كسور الشهر في مال السنة"[١]
اما بالنسبة لبقية الصنوف التي تختلف فترات اطماعها "فالحكم في امرهم يخالف الحكم في امر غيرهم"[٢] ، في حين ان الاصل في العمل هنا ان يجرى الصرف على الجندى مقدما وقد مر بنا ذلك حين تعرض البحث الى آراء الفقهاء في مسألة توريثه وكذلك آرائهم في امر استرجاع ماقبضه من ورثته .

وقد اشارت المصادر الى ان احكام ديوان الجند العادلة المماثلة لما سبق ذكره كثيره غير انها اكتفت بايراد نماذج للتمثيل والاستشهاد يقول قدامة :"ومثل هذا من احكامهم كثير الا ان مامر في هذا الديوان كاف في الاطلاع على وجه العمل فيه"[٣] .

غير ان امور الديوان لم يكن على هذه الشاكلة على الدوام كما هو المأمول حيث يلتزم بتطبيق الاحكام الشرعية ، فقد اثرت عوامل كثيرة ومتداخلة على مسار العمل في هذا الديوان وفي غيره من المؤسسات في الدولة الاسلامية ، لعل من بينها البعد عن عصر النبوة وصدر الاسلام الاول وظهور الانقسامات في جسم الدولة الاسلامية وظهور الفرق في المجتمع وحصول التأثيرات المختلفة على الفكر الاسلامي وكذلك حصول التسامح في نقل الخبرات والمؤثرات غير الاسلامية قد اثر في ذلك المسار العام لاجهزة الدولة وادى الى حصول الانحراف . وغني عن البيان ان الانحرافات تبدأ بسيطة هينة غير انها تتسع وتتعمق بمرور الزمن متأثرة بالظروف ومتكيفة بالمتغيرات من ظروف الحياة ومشاكلها ، ويطالعنا في هذا

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩٠أ) ، وانظر السامرائي ـ المؤسسات (ص٢٦١،٢٦٢) .
(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩٠ب) .
(٣) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩٠ب) .

المجال اجراءات عمر بن عبدالعزيز المشهورة ورده للمظالم فى نهاية القرن الاول الهجرى حيث قد تضمنت رسالته عالى عامله على الكوفة امره بالامتناع عن جباية اعداد كبيرة من الضرائب غير الشرعية والتى كانت نافذة خلال العصر الاموى للفترة السابقة لمجيئه (١) .

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا المجال ان ارض العنوة التى اصبحت ملكا مشتركا للامة والتى ينفق ولى الامر منها على اعطيات وارزاق قوات الجند والمجاهدين ومافضل من ريعها يصرف على مصالح المسلمين والتى كان من المفروض شرعا ان تعتبر رقبتها وقفا مؤبدا للامة الاسلامية لا يجوز ولا ينبغى التصرف به وهى مملوكة للامة ولا يجوز نقل ملكية الرقبة فيها ، حيث قد جرى التصرف بشأنها على خلاف ذلك مما دعى الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى اعادة النظر فى جميع التصرفات فيها واعتبارها مظالم ايضاً (٢) .

وفى العصر العباسى لعب الجند كما اسلفنا دورا كبيرا فى المجىء بالاسرة العباسية الى السلطة كما لعب الفرس دورا كبيرا فى ذلك وهكذا

---

(١) وردت فى هذا المجال الاشارة الى "رزق العامل" و"اجور الكيالين" و"النقيصة" و"ثمن الشموع" و"النزلة" و"اجور البيوت" و"دراهم النكاح" . انظر ابو يوسف ـ الخراج (ص١٨٦←١٨٧) ، السامرائى ـ الزراعة فى العراق ، فصل الضرائب قسم الضرائب غير الشرعية (ص١٠١←١١٢) .

(٢) انظر رسالة "عمر بن عبدالعزيز وسياسته فى رد المظالم" التى قدمتها ماجدة فيصل زكريا ، رسالة ماجستير فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٢-١٤٠٣هـ (ص١٨٧ـ٢٤٥) .

فان من المتوقع والحالة هذه ان تطلق يد الجند في التصرف باموال الخراج واراضيه بشكل يبتعد عن حدود الالتزام بمضامين الاحكام الشرعية في هذا المجال رغم التبريرات والحلول التي حاول البعض ان يعالج بها هذه المشكلة[1]. اضافة الى ان الموروث الساساني وخصوصا في مجال الادارة قد جرى اعتماده بشكل واضح في البلاط والادارة فاصبحت الثقافة الفارسية هي امل الكتاب ومناهم . وهكذا فليس من المستبعد مع كل هذه المتغيرات ان لا نجد امورا تجري في ديوان الجيش على غير سبيل العدل وبشكل يخالف احكام الشريعة السمحاء . والراجح ان الاداريين والكتاب في هذه المرحلة كانوا يتصدون لحل المشاكل التي تواجههم في اطار ثقافتهم ونزوعهم الشخصي وعندما يجدون ان اجراءاتهم تتعارض مع الاحكام الشرعية فانهم بدلا من التراجع يلجأون الى محاولة اظهار اجراءاتهم بمظهر القانون او شريعة الديوان لكي يطوعوا العمل في الديوان واصحاب المصالح المتعلقة به الى توجهاتهم .

ان مثل هذه الانحرافات كانت كثيرة وشائعة ولا تقتصر على ديوان الجند دون غيره من الدواوين فان القاء نظرة سريعة على ماكتبه قاضي القضاة ابو يوسف ورفعه الى الخليفة هارون الرشيد عن الانحرافات الواقعة

---

(١) من ذلك مثلا قولهم "اقطاع استغلال" للاقطاعات الواقعة في الاراضي الخراجية لكي ينصرف الاقطاع الى ماتغل الارض لا الى رقبتها كما هو معروف من تعريف مصطلح الاقطاع . ومنها ماسمي بـ "الطعمة"، الذي يمثل تصرف باموال الخراج في غير الاوجه التي وضع لاجلها شرعا ، وعن ذلك انظر السامرائي ـ الزراعة في العراق ، فصل اساليب ووسائل الجباية (ص١٣٠) ومابعدها .

فى قوانين الجباية واساليبها تكفى للتدليل على هذا الواقع، لذا فانه ليس من المستغرب ان نجد من يصرح بانه قد كان "لكتاب الجيش احكام تجرى على ظلم والفاظ يقع فيها اللبس على من لم يعتدها"، او حتى التصريح "بما يجرى على غير سبيل العدل فى الديوان"[1].

لقد اشار الخوارزمى الى قانون الديوان حيث كانت تحفظ اسماء الجند واوصافهم ومقادير اعطياتهم ومواعيد استحقاقاتهم وذكر بان ذلك يعتبر الاصل الذى يرجع اليه فى هذا الديوان[2].

ويذكر قدامة بان مايجرى " على غير سبيل العدل انه لايجوز عندهم ان يزاد الواحد من الرجال اكثر من مبلغ رزقه الذى يكون له فى وقت زيادته حتى وان كان رزقه فى غاية النقصان عن استحقاقه ويبلى بلاء حسنا فيرى الامام ان يضاعف رزقه اضعافا كثيرة فضلا عن مرة واحدة" ويضيف الى ذلك قوله "فهذا حكم فاسد على غير سبيل العدل ،فان نوظروا فى ذلك لزمهم على المذهب،فمن لارزق له ان لايثبت اذ كان لاشىء هو اقل من لاشىء"[3].

ومما شاكل ذلك من الظلم ماقد يتعرض اليه الرجل من منسوبى ديوان الجند من ظلم فادح عند نقله من احد المقرات العسكرية الى موضع آخر، فقد اشار قدامة الى ذلك وقال بان :"مما يجرى هذا المجرى ايضا قولهم فيمن نقل عن اسمه وثبته، ان يكون الاستقبال به الشهر الذى

---

(١) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٩أ) .
(٢) الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٣٥) .
(٣) قدامة - الخراج (ورقة ٩أ) .

فيه اعطاء نظرائه"[١]. وقد عقب المؤلف على هذا الاجراء بقوله بان "هـذا غير مضبوط لانه قد يجوز ان يصل الرجل الى الموضع الذى سبيله ان يقبض فيه رزقه بعد قبض نظرائه بيوم، فيحتاج الى ان ينتظر حتى يقبضوا مرة اخرى، ثم يستقبل به حينئذ الاعطاء . او يصل مثلا فى اليوم الذى يكون فيه قبضهم او بعد مدة منه فيكون حاله خلاف حال الاول وهذا مخالف للعدل لان سبيل السنن والاحكام العادلة ان يكون الامر فى جميعها واحد"[٢].

وبالاضافة الى ذلك فان فى ديوان الجند احكام اخرى ظالمة مخالفة للعدل والاحسان الذى امر الله به سبحانه وتعالى منها مثلا مايعرف عندهم بـ "التقريب" وهو الامتناع عن صرف مستحقات المستحقين اذا تأخروا فى استلام مستحقاتهم وقت التفرقة فى مجلس العطاء حيث يعمد الكتاب الى تجميعها واعادتها الى بيت المال بدعوى ان ذلك توفيرا، وكلما تقادم الزمن على ذلك تأكد عندهم وجوب ابطاله واسقاطه والالتزام بعدم دفعه"[٣] وقد وصف قدامة ذلك بقوله :"فاما الاحكام الظالمية فمثل التقريب الذى هو كالشيء الثابت الواجب"[٤].

ولعل هذه الاحكام هى ماعناه السبكى حين نعى على ديوان الجيش ماكان يعمله الكتاب فيه مما يتنافى مع الاسلام . وهذا الامر وان كان متأخرا عن فترة البحث فانه يدلل مدى ماوصل اليه الديوان من انحراف عن

---

(١) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٩ب) ، وانظر السامرائى - المؤسسات (ص ٢٦١) ، الرفاعى - المنزلة الخامسة (ص ١٦) .
(٢) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٩ب) .
(٣) ن ٠م ٠س (ورقة ٩أ) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص ٢٦) .
(٤) قدامة بن جعفر - الخراج (ص ٩أ) .

الخط الذى كان يجب ان يواصل السير عليه فقد ذكر بان :"من قبائح ديوان الجيش انهم اذا اعتمدوا شيئا مما جرت به عادتهم الخبيثة يقولون (هـــذا شرع الديوان) ، والديوان لاشرع له بل الشرع لله تعالى ولرسوله محمد صلـــى الله عليه وسلم، فهذا الكلام ينتهى الى الكفر، وان لم تنشرح النفس لتكفـــير قائله فلا اقل من ضربه بالسياط[(1)].

ولاشك فى ان ذلك يعكس مدى الانحراف الواقع فى اجراءات ديـــوان الجند كما يعكس مدى رسوخ التقاليد الديوانية وتغليبها على احكـــــــام العدل والاحسان التى جاء بها الاسلام الحنيف .

---

(١) السبكى - معيد النعيم ومبيد النقم "مخطوط" (ورقة ١٣أ) .

الفصل الثالث

علاقات ديوان الجند وأهميته

(أ) علاقات ديوان الجند :

لقد كان تشريع القتال واقامة فرض الجهاد لاعلاء كلمة الله ونشر دعوته عاملا اساسيا فى تشكيل نواة الجيش الاسلامى وتنظيماته ، كما ان التوسع فى الفتوحات وماصاحب ذلك من مستلزمات وظروف كان عاملا رئيسيا دفع الى اقامة التنظيم ، وانشاء ديوان الجند فيما بعد والذى ترتبط اسباب نشأته باهمية الجيش الاسلامى وفتوحاته وفعالياته المبكرة .

كما ان تعقد الحياة ، وتعدد المشاكل وتنوعها ، واتساع رقعة اراضى الخلافة الاسلامية ، والحاجة الدائمة الى الجيش من اجل تحقيق الاستقرار والدفاع عن حدود ديار الاسلام ، اضافة الى تنوع الروافد الحضارية ، قد اسهم بمجموعه فى تطور ديوان الجند ووصوله الى حالة الرسوخ والاستقرار التى اصبح عليها خلال العصر العباسى ، مما كان موضوعا للدراسة فى الفصل الثانى من هذا البحث .

علاقة الديوان بالخلافة .

وقبل ان نستعرض علاقة ديوان الجند بالمؤسسات الادارية المختلفة فى الدولة الاسلامية ينبغى علينا ان نوضح علاقة الديوان بولى الامر خليفة كان او وزيرا او اميرا ، ذلك ان توضيح ابعاد هذه العلاقات تخدم الى حد بعيد دراسة علاقة الديوان بغيره من الدواوين ، كما انها حيوية فى فهم طبيعة تلك العلاقة وتطورها .

ولابد لنا قبل ان ندخل فى دراسة علاقة الديوان بولى الامر ان نستعرض اهم ملامح الادارة الاسلامية كمدخل توضيحى لهذه الدراسة . يتساوى فى حكومة الدولة الاسلامية الحاكم والمحكوم ويتولى الحاكم مسئولياته بكفاءته وقابلياته على الحكم والتزامه بتطبيق احكام الشريعة وحرصه على

مصالح الامة وبما له فى اعناق الافراد من بيعة ، كما ان هناك حقوقا وواجبات متبادلة بين الحاكم والمحكوم .

لقد وصل الخلفاء الراشدون الى الخلافة بكفاءاتهم وقابلياتهم ووفق الاسس التى قررها الاسلام وباتفاق اهل الحل والعقد ، ولم يلعب الجند اى دور فى المجيء بالخلفاء الراشدين الى السلطة . اضف الى ذلك فقد كان الجند مثل باقى افراد الامة ، ملزمون بالسمع والطاعة فى المنشط والمكره .

كما ان ديوان الجند قد جرى تأسيسه وتركيز دعائمه خلال هذه الفترة ، وكان خاضعا بشكل اساسى ومباشر لاراء الخليفة وتوجيهاته منفذا لارادته بشكل واضح . ولعل من المناسب ان نشير هنا بان الخلفاء فى هذه المرحلة لم يستبدوا بآرائهم وانما كانت الشورى هى المرتكز الذى يسوسون به شئون الدولة فى الامور التى لم يرد لها حل فى الكتاب والسنة ومع ذلك فقد كان ديوان الجند تحت عناية الخليفة ومتابعته الشخصية الدقيقة والمستمرة .

غير ان استشهاد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه واحداث الصراع التى نشبت فى اعقاب ذلك نتيجة المطالبة بمعاقبة المشاركين فى قتله واحداث الاضطراب والانقسام التى اعقبت ذلك وانتقال الخلافة الى الكوفة وما نجم عن احداث الصراع الدامى المتمثل فى معركتى الجمل وصفين وماتلى ذلك من انقسام المسلمين الى معسكرين متناحرين ، وظهور مصطلحات جديدة فى التنظيمات العسكرية الاسلامية مثل جيش العراق وجيش الشام قد تسبب فى بروز دور الجيش وحاجة الخليفة القائم بالامر اليه تثبيتا لوضعه واضعافا لخصومه . وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى سنة ٤٢ هـ حيث جرى توحيد الامة ولم شتاتها بتنازل الخليفة

الحسن بن على رضى الله عنه عن الخلافة والالتقاء على خليفة واحد[1]، وحيث بدأ الحكم الاموى . وخلال فترة الاضطراب هذه التى سبقت عام الجماعة فان انتقال عاصمة الخلافة من المدينة الى الكوفة يتضمن نقل المؤسسات الادارية والمالية المركزية الناشئة ومن بينها ديوان الجند الى المقر الجديد . وكذلك الحال بعد عام الجماعة فان اتخاذ الامويين لمدينة دمشق مقرا لهم وعاصمة للخلافة الاسلامية قد ادى الى تكرار العملية السابقة . غير ان المتوقع هو ان ديوان الجند قد بقى باستمرار على علاقته السابقة بالخليفة خاضعا لتوجيهاته وتحت اشرافه المباشر .

ان وصول الامويين الى السلطة قد تم بمساعدة ودعم القوات العسكرية التى تهيأت لهم من تأليفهم للقبائل الموالية والتى ارتبطت مصلحتها بهم كما ان انتقال مقر الخلافة الى الشام قد ادى الى تأثر الديوان بشكل مباشر بالمؤثرات الموروثة فى الاقليم ، ولذلك فان مما لا يستغرب منه ان تظهر فى هذه المرحلة بعض المصطلحات او التنظيمات المتأثرة بالموروث البيزنطى ، ولعل ابرز مايعبر عن ذلك التوجه الواسع النطاق نحو البحر وانشاء الاسطول والتدريب على الملاحة والقتال البحرى واقامة التحصينات البحرية اضافة الى التأثر السابق المتمثل فى اعتماد استخدام نظام الاجناد بشكل يذكر باساليب البيزنطيين فى ادارة الاقاليم التابعة لهم وخاصة اقليم بلاد الشام وتقسيماتهم الادارية العسكرية لها .

ومع ان الجند فى هذه المرحلة قد لعبوا دورا بارزا فى اسناد الخلافة فان دورهم الرئيسى تمثل فى التوسع الهائل فى الفتوحات وهذا

---

(١) انظر الطبرى - تاريخ الرسل (٥ : ١٦٢، ١٦٣) وماقبلها .

يعكس مدى توسع اهمية ديوان الجند وعظيم مسئولياته فى سد احتياجات الجيوش الاسلامية التى توغلت فى مناطق نائية فى الهند وبلاد ماوراء النهر وشمال افريقيا وبلاد الاندلس اضافة الى المناوشات المستمرة مع ماتبقى من قوات البيزنطيين فى بلاد الاناضول والتى تمثلت فى الصوائف والشواتى التى حرص خلفاء بنى امية على تنظيمها بشكل مستمر والتى غالبا ماكان يتولى قيادتها احد امراء البيت الاموى[(١)].

ولقد سبقت الاشارة الى ان العباسيين قد استندوا فى اقامة دولتهم على الجيش من بين ثلاثة اسس تضمنت بالاضافة الى الجيش كلا من العقيدة وطبقة الكتاب[(٢)] ولذلك نراهم يوثقون علاقتهم بالفقهاء ليضمنوا السيطرة على القاعدة الشعبية التى تقدم لهم الجند وهكذا فانهم من خلال ذلك ومن خلال تمكنهم من احلال التفاهم وايجاد جو التعاون بين العرب والموالى وخاصة الفرس[(٣)] تمكنوا من تأسيس جيش اسلامى مبنى على تعاون مختلف العناصر التى تتألف منها الامة الاسلامية .

---

(١) انظر مثلا الطبرى - تاريخ (٦ : ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ ، ٥٢٢ ، ٥٣٠ - ٥٣١) ، ابن الاثير - الكامل (٤ : ٥٣٥ ، ٥٤٧) .

(٢) السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٨ - ٩) .

(٣) سبق وان اشرنا الى التأثيرات الساسانية التى حاولت فرض اثرها على البلاط العباسى فى الادارة ، ومن ذلك ماتذكره المصادر من حكايات عن الفرس كقولهم عن احد ملوك الفرس المسمى ابرويز وانه قال لابنه شيرويه :"لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء" . انظر الماوردى - تسهيل النظر (ص١٧٤) ، وقارن ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ١١) وانظر النويرى - نهاية الارب (٦ : ١٧) .

ان المسوده ، وهى قوات عباسية اعلنت الثورة فى خراسان وسيطرت على بلاد فارس ثم توجهت الى العراق فسيطرت عليه ، هى التى جاءت بالاسرة العباسية الى السلطة . وعليه فان بالامكان القول بان الجند قد لعبوا دورا اساسيا فى وصول العباسيين الى الحكم . غير ان هذا قد تم فى اول الثورة العباسية ، خلال مرحلة التأسيس حيث عناصر القوة فعالة وحيث تمثل فى سقوط الامويين ووصول العباسيين الى السلطة الانتصار الشامل لكل القوة المساهمة من جند وغيرهم ، ولذلك فقد كان اثره السلبى محدودا . اضف الى ذلك ان استفادة العباسيين من طبقة الكتاب وثقافتهم قد خفف من اخطار تدخل الجند ، اذ استطاع رجال الادارة العباسية وعلى رأسهم الخلفاء اعادة تنظيم الدواوين فاولوا ديوان الجند اهمية خاصة تنسجم مع مكانة الجند وخطورة دورهم . وقد اورد الطبرى نصا له اهمية فى هذا البابفقد نقل لنا صفة قسم البيعة الذى كانت تؤخذ من الجند المنضمين الى المسودة الهاشمية قبل ظهور البيت العباسى الى النور فى الاحداث التى سبقت اعلان البيعة لابى العباس السفاح وقد جاء فى قسم البيعة "ابايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه والطاعة للرضى من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله ، وعلى ان لا تسألوا رزقا ولا طمعا حتى يبدأكم به ولاتكم ، وان كان عدو احدكم تحت قدمه فلا تهيجوه الا بامر ولاتكم"[(١)] .

مما يشير الى اهمية الجند وخطورة دورهم فى بناء التنظيم الجديد للادارة اضافة الى رغبة الدعاة والمنظمين للدعوة فى ضمان استقرار

---

(١) الطبرى - تاريخ (٧ : ٣٨٠) .

الاوضاع والحذر من المطالبات بالارزاق والعطاء والخوف من استبداد الجند بالامور وتصرفهم دون رجوع الى السلطة .

ويذكر الجهشياري بانه "لما عقدت البيعة لابى العباس وحضر خالد بن برمك لمبايعته فرأى فصاحته توهمه من العرب . فقال له : ممن الرجل ؟ فقال له : مولاك خالد بن برمك . وقص عليه قصته . . . فاعجب به ابو العباس واقره على ماكان يتقلد من الغنائم وجعل اليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند وكثر فيه حامده وحسن اثره"[1] مما يشير الى ان التنظيمات قد بدأت في الواقع قبل وصول ابى العباس الى السلطة ومبايعته بالخلافة ذلك ان ابى العباس" قد اقره على ماكان يتقلد من الغنائم"[2] وهذا يوضح اضافة الى دور الخليفة ماكان يقوم به الوزير وهو منصب مستحدث بدأ استخدامه في المؤسسات الادارية الاسلامية بعد نجاح المسودة في اجتياح العراق وقبل الكشف عن هوية الخلافة العباسية حيث تولى ابو سلمة الخلال الوزارة وتسمى باسم "وزير آل محمد"[3].

علاقة الديوان بالوزارة :

وتشير المصادر الى تطور مهم في ديوان الجند تم في عهد ابى العباس السفاح حين تشير الى ان ديوان الجند عند تولى خالد بن برمك "كان صحفا مدرجة فجعلها دفاتر فخص بابى العباس وعرض عليه بعد ابى سلمة"[4]

---

(١) الجهشياري - الوزراء (ص٨٩) ، العسكرى- الاوائل (ص٢٧٣) .
(٢) ن.م.س.
(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٧ : ٤١٨) .
(٤) العسكرى - الاوائل (ص ٢٧٣) .

مما يدل على ان الخليفة كان يتولى بنفسه توجيه الديوان وان كان قد ترك امر اختيار نمط التنظيم واسلوب العمل الى الوزير او متولى الديوان .

ولقد عرف عن ابى جعفر المنصور حرصه الشديد واشرافه المباشر على الدواوين ومداومته النظر فى المصالح ، كما ان وزراء الدولة فى هذه المرحلة المبكرة كانوا وزراء تنفيذ يلتزمون بتوجيهات الخليفة وينفذونها ولم يكن لديهم القدرة او الحرية على التصرف دون توجيهات مباشرة من الخليفة .

وفى عصر المهدى ازداد الاهتمام بالجند ولهذا فان المتوقع هو ان تزداد مكانة واهمية ديوان الجند فى مثل هذه الظروف . ويذكر الجهشيارى بان الخليفة موسى الهادى قد "قلد على بن عيسى بن ماهان ديوان الجند الى ماكان يتولاه من حجابته"(١) مما يشير الى تزايد اهمية ديوان الجند واشراف الخليفة مباشرة على اموره .

اما فى عهد الرشيد فتذكر المصادر المعتمدة بان هارون الرشيد قد اقدم سنة ١٧٠هـ بعد مبايعته بالخلافة على ان "قلد يحيى بن خالد الوزارة وقال له قد قلدتك امر الرعية واخرجته من عنقى اليك فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامض الامور على ماترى ودفع اليه خاتمه"(٢) مما يؤكد تعاظم امر الوزارة وعلو مكانتها وتفردها فى تصريف امور الدولة ومن بينها الاشراف على ديوان الجند . غير ان

---

(١) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص١٦٧) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٢٣٣) ومن وظائف الوزير فى هذه المرحلة ان ينظر فى جميع الدواوين ويستعرض حساباتهم واعمالهم ويقوم معوجهم، ويصلح فاسدهم، ويعرض على الملك الجل من ذلك". انظر الثعالبى - تحفة الوزراء (ص٨٤ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٩) .

الصورة لم تكن تستمر على هذا المنوال ففى عهد الرشيد لعبت والدته الخيزران دورا كبيرا فى توجيه الاحداث ولعل رعاية مصالح الدواوين من بين ذلك وان كان دور الوزير واضحا كوسيط بينها وبين ماتريد فقد جاء فى النصوص بان الخيزران كانت "هى الناظرة فى الامور، وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها"(١).

والواقع ان مكانة الوزراء البرامكة قد ازدادت الى درجة كبيرة خلال هذه الفترة ففى سنة ١٧٨هـ اعاد الرشيد تفويض "اموره كلها الى يحيى بن خالد بن برمك"(٢). ويذكر الطبرى ان يحيى بن خالد قد تسلم فى نفس السنة ولاية خراسان وانه "اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية وجعل ولائهم لهم(٣)، وان عدتهم بلغت خمسمائة الف رجل ، وانه قدم منهم بغداد عشرون الف رجل فسموا بالكرنبية وخلف الباقى منهم بخراسان على اسماءهم ودفاترهم"(٤).

ومما يدل على علو مكانة الوزراء فى هذه الفترة العديد من الروايات والاخبار المتصلة بزيادة اموالهم وبالغ كرمهم وتسويغاتهم وهباتهم وصلاتهم

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٢٣٤) .

(٢) ن.م.س. (٨ : ٢٥٦) .

(٣) المقصود انه جعل ولائهم لبنى العباس وفى ذلك يقول الشاعر مروان بن ابى حفصة من قصيدة طويلة فى مدح الفضل جاء فيها :

كتائب لبنى العباس قد عرفت ... ما الف الفضل منها العجم والعرب

اثبت خمس مئين فى عدادهم ... من الالوف التى احصت لك الكتب

انظر القصيدة كاملة فى الطبرى - تاريخ (٨ : ٢٥٧) .

(٤) ن.م.س. (٨ : ٢٥٧) .

فمثلا يذكر الطبرى انه :"لما قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرج الرشيد الى بستان ابى جعفر يستقبله وتلقاه بنو هاشم والناس من القواد والكتاب والاشراف فجعل يصل الرجل بالالف الف وبالخمسمائة الف..."[١]. غير ان الحال لم يستمر فقد غضب الرشيد على البرامكة وأوقع بهم[٢] وكان من الاسباب التى قدمت فى تفسير سبب ذلك تفردهم بالسلطة وتصرفهم بالامور دون الرجوع الى رأى الخليفة .

وهكذا استعاد الخليفة سلطاته كاملة فاصبحت اجهزة الدولة المختلفة ومنها ديوان الجند تحت اشرافه المباشر . والحق فان جهود الرشيد العسكرية لم تقتصر على احلال الاستقرار والامن فى ربوع الدولة الاسلامية بل انه عزز ذلك بالمحافظة على حدود ديار الاسلام ولهذا فان غزوات الصوائف والشواتى كانت مستمرة على عهده[٣]، كما انه كان يتولى بنفسه قيادة الغزوات المهمة كما حصل مثلا فى سنة ١٨١هـ حينما غزا ارض الروم حيث افتتح حصن الصفصاف[٤] وكذلك الحال فى سنة ١٩٠هـ حيث غزا الرشيد بنفسه الصائفة ثم فتح هرقله من ارض الروم واخربها وسبى اهلها[٥] مما يدل على ارتفاع مكانة الجند وزيادة الاهتمام بهم مما ينعكس اثره على الديوان واشراف الخليفة عليه .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٢٥٩) .

(٢) ن.م.س. (٨ : ٢٧٨-٣٠٠) ، وقد انتهى بهم الحال الى القتل وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة . انظر ماسبق (٨ : ٣٠٠) .

(٣) انظر مثلا الطبرى - تاريخ (٨ : ٢٦٠، ٢٦٦، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٣) .

(٤) ن.م.س. (٨ : ٢٦٢) .

(٥) ن.م.س. (٨ : ٣٢٠) .

اضف الى ذلك انه قد حصل فى سنة ١٨٢هـ انعقد الرشيد ولاية العهد لابنائه الامين والمأمون والمؤتمن "واخذ البيعة على الجند بذلك"[1] مما يشير الى مدى تعاظم دور الجند وبالتالى الى زيادة مكانة الديوان .

وقد سبق ان المحنا الى الدور الذى لعبه الجند فى خلافة الامين وخلال فترة النزاع بين الاخوين الامين والمأمون وكذلك الى تزايد الاعتماد بشكل رئيسى على الجند خلال فترة حكم المأمون حيث تم تعيين المعتصم قائدا للجيش العباسي وحيث جرى استحداث فرق جديدة من الاتراك وهم عنصر جديد جرى الاعتماد عليه بعد ان تأزمت العلاقات بين العنصرين الاساسيين من بين العناصر التى يتألف منها الجيش العباسى وهما العرب والفرس . ولاشك فى ان مثل هذا التطور قدا نعكس اثره على ديوان الجند واعماله .

اما علاقة الوزارة بالديوان خلال الفترة التى اعقبت نكبة البرامكة وامتدت حتى نهاية عصر المأمون فان الوزراء خلالها ـ باستثناء تفرد الفضل بن سهل بالامور والتى انتهت بنكبته ـ كانوا وزراء تنفيذ ، ينفذون مايأمر به الخليفة وان كان يفترض ان يكون الوزير منهم "حسن النظر فى امر الجند فلا يؤخر عنهم العطاء ولا يلجئهم الى الشغب والغوغاء ويسوسهم بمايديم طاعتهم ويؤلف كلمتهم"[2] . وتشير المصادر الى ان من لوازم الوزارة معرفة "مداراة الجند وتأليفهم وجمعهم وتفريقهم وان يكون خبيرا بالمكائد الحربية والخدع وحفظ البلاد والثغور والقلاع"[3] .

---

(١) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٢٦٩) .
(٢) الثعالبى ـ تحفة الوزراء (ص ٦٩) .
(٣) ن . م . س . (ص ٦٢) .

وهكذا فقد كان من المفروض ان يتولى الوزير الاشراف المباشر على احتياجات الجيش ومصالحه اذ ينبغي على متولي ديوان الجند "ان ينهى الى الوزير مايحتاج اليه من النفقات والجريات"(١).

علاقة الديوان بالولاة :

ان النص الاخير على كل حال ينقلنا من بحث علاقة ديوان الجند بالخلافة والوزارة الى استقصاء علاقة ديوان الجند بالمؤسسات الادارية المختلفة التي اثبتت المصادر الموثقة وجود علاقة موضوعية له بها ، ولكن ينبغي قبل الدخول في استعراض مثل هذه العلاقات ان نشير الى ان الدواوين الاقليمية المتفرعة عن ديوان الجند كانت في الاقاليم تحت اشراف مباشر من والي الاقليم وهو الامير الذي ينوب عن الخليفة في ادارة شئون اقليمه وربما اشارت المصادر اليه تحت اسم امير الحرب . وقد ذكرت بعض المصادر المتأخرة بانه "يجب على الوالي ان يصرف همته الى التحصين والاشتغال به وهو الاهم كتعلية الاسوار وحفر الخنادق وسد الثغور وقطع المواضع المشرفة عليها وسد المسارب النافذة نحوها وترتيب الرجال بابراجها والحراس على اسوارها والطوف بطرقاتها وحفظ ابوابها ودروبها ولا يهمل امرها"(٢).

واذا كان ذلك حقيقا بالوالي على المدينة فان واجبات والي الاقليم او امير الحرب به هي اعم واشمل ومن ذلك تنعكس علاقته بديوان

---

(١) ابن ابي الربيع ـ سلوك المالك (ورقة ٥٩أ) ، وانظر قدامة ـ الخراج وصنعة الكتابة (ص٤٨٣) .
(٢) الحسن بن عبد الله ـ آثار الاول (ص١٦٤) .

الجند في اقليمه ومدى حرصه على الاشراف عليه ورعاية مصالحه .

وقد حفظ لنا ابن خلكان في ترجمته لعمرو بن مسعده انه كتب الى المأمون رسالة يشعره فيها بحصول خلل ناجم عن تأخر ارزاق الجند واعطياتهم جاء فيها :"كتابي الى امير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر اجناده في الانقياد والطاعة على احسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم، وانقياد كفاة تراخت اعطياتهم واختلت لذلك احوالهم"(١) مما يشير الى اهمية ديوان الجند ومبلغ الاهتمام به واللجوء الى الخليفة حينما يتأخرالديوان عن صرف العطاء .

علاقة ديوان الجند بالدواوين الاخرى :

اما عن علاقة ديوان الجند بالدواوين الاخرى فينبغي ان نشير اولا الى التداخل الكبير الحاصل في الاختصاصات وخصوصا المالية منها عند الحديث عن الادارة المالية للدولة الاسلامية وهو امر له اهميته في ضبط الحسابات وتأمين الاموال اللازمة لسد احتياجات جميع منسوبي ديوان الجند ونفقاته الراتبة والطارئة في الوقت الذي تقوم فيه دواوين اخرى بتدبير اوجه الاموال وتولي حفظها والتدقيق في انفاقها وضبط حساباتها .

---

(١) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٣ : ١٤٨) ، وانظر الجاحظ ـ المحاسن والاضداد (ص١٤) ، الثعالبي ـ تحفة الوزراء (ص١٣٨) ، ماهر حمادة ـ الوثائق السياسية (ص٣٤٢) .

(١) علاقة ديوان الجند بديوان الخراج :

وعند البحث في علاقة ديوان الجند بديوان الخراج فان الباحث لابد ان يشير الى مجلس الجيش في ديوان الخراج ، وهو المجلس الذى يقوم بالاشراف على :"رسوم الرجال في الاطماع والشهور واحصاءها"[١]. وكان مجلس الجيش هذا على مايظهر من النصوص على اتصال وثيق بـ "مجلس الجارى في ديوان النفقات من جهة وبديوان الجند من جهة اخرى"[٢] وان ذلك كان يجرى بقصد ضمان توفير الاموال اللازمة للجند[٣] .

والحق فان الاصل في عدم تقسيم اراضي العنوة بين الفاتحين في صدر الاسلام الاول وبالتحديد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بقصد توفير الاموال للمجاهدين والعطاء للذرية وحماية ديار الاسلام ، ومن المعلوم ان الاموال العينية التى كانت تجبى من الاراضى الخراجية كانت تخصص في الاساس لسد نفقات واعطيات الجند وارزاقهم وعلوفة خيولهم ومايستعملونه من دواب[٤] . وقد تطور الامر بعد زيادة الواردات الى درجة انه قد احتيج معها الى انشاء مخازن للخراج في ارض السواد مثلا مخصصة لخزن حصة بيت المال من الحبوب التى تجبى كالحنطة والشعير وغيرها[٥] .

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٢أ) ، الخوارزمي ـ مفاتيح العلوم (ص ٦) وانظر السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص١٩٦ ، ١٩٨) .
(٢) السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص١٩٨) .
(٣) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٢أ ـ ٧ب) ، وانظر السامرائي المؤسسات (ص١٩٨) .
(٤) الصابي ـ الوزراء (ص١٩ ، ٢٦) .
(٥) انظر ابو يوسف ـ الخراج (ص١٨٦ ـ ١٩٠) .

ومما هو جدير بالملاحظة ان وجود مثل هذا الاحتياطي الكبير من المواد الغذائية قد امن احتياجات الجند من جهة كما انه هيأ للحكومة الاسلامية فرصة التدخل في تحديد الاسعار عند الضرورة[١] ،من جهة اخرى ، واضافة الى ذلك فان اوامر الخليفة او الوزير او الوالي والتي لها علاقة بارزاق الاولياء كانت تحال اولا الى مجلس الجيش في ديوان الخراج للتأشير عليها بعد اتخاذ الاجراءات اللازمة في اعتبار استحقاقاته مع احتياجات ديوان الجند ثم احالته الى صاحب ديوان الجند لاتخاذ مايلزم وتخويل الجهات المختصة صلاحيات استيفاء حصة الديوان من الارزاق العينية بحسب ماترى ان فيه المصلحة[٢] .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا المجال انه بجانب ارزاق الاولياء قد تصدر اوامر بتسبيبات خاصة بقادة الجند او بعض افرادهم ممن يبلون بلاء حسنا فيرى الامام ان يمنحهم ايغارا او تسويقا او حطيطة او طعمه او اقطاعا . "فاذا كانت ايغارا او حطيطة او تسويغا او تركمة فيحال الامر

---

(١) وذلك بالدخول الى الاسواق كبائع بسعر معتدل في الازمات الحادة وعند الغلاء الفاحش مما يكسر الغلاء وينافس اسعار التجار ويضطرهم الى المهاودة في الاسعار فتتحقق بذلك المصلحة العامة اما عندما تنخفض اسعار الطعام فيتضرر الفلاح المنتج فان ديوان الخراج يدخل السوق مشتريا للطعام فيزايد على الاسعار مما يؤدى الى تحسنها مستجلبا بذلك مصلحة البائع المنتج . انظر السامرائي الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري (ص١٤٦) ومابعدها .

(٢) قدامة ـ الخراج (ورقة ١٨أ) ، الخوارزمي ـ مفاتيح العلوم (ص٦١) .

الى صاحب ديوان الخراج[١] .

وقد اشار ابن مسكويه الى تخفيف الطسوق[٢] .

وينبغى ان يشار هنا ايضا الى جند الاستحثاث[٣] الذين يشكلون فرقة مميزة من الجند تتولى خدمة اهداف الدولة الاسلامية وخططها الزراعية التى يقررها ديوان الخراج فقد كان على افراد هذه الفرقة استيعاب خطط ديوان الخراج والزام الفلاحين فى القرى والمناطق الزراعية بالتقيد بتنفيذها وقد اشار قدامة بن جعفر الى " مافى النواحى من البعوث[٤] وهم فى الاصل ممن يتبين لمجلس العَرض فى ديوان الجند تدهور كفاءتهم العسكرية ،غير ان من الممكن الاستفادة من خدماتهم فى اعمال مفيدة اخرى ولاشك فى ان عمل جند الاستحثاث هؤلاء كان يمثل اهمية خاصة عند دراسة مدى تطبيق سياسة الدولة الزراعية .

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ١٧ب) ، السامرائى ـ المؤسسات (ص٢٠٣) ، والايغار الحماية وذلك ان تحمى الضيعة او القرية فلايدخلها عامل الخراج ويوضع عليها شئ فى السنة تؤديه الى بيت المال فى الحضره او فى بعض النواحى ، اما الحطيطة فهى ان يحط عن الرجل شيئا من خراجه فى السنة وكذلك التريكه ، اما التسويغ فهو ان يسوغ الرجل شيئا من خراجه فى السنة . انظر عن ذلك الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص٤٠) ، السامرائى ـ المؤسسات (ص٢٠٣) .

(٢) ابن مسكويه ـ تجارب الامم (٥ : ١٣) ، والطسوق مفرد طسق وهى وظيفة تفرض على اصناف الزروع مقدرة على اساس الجريب . وانظر الصابى ـ الوزراء (ص٢٨٤ ، ٢٨٦) ، القرطبى ـ صلة تاريخ الطبرى (ص١٦٤) .

(٣) ابو يوسف ـ الخراج (ص٦١) ، قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٦٩أ) .

(٤) انظر قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٢ب) .

ومما يشير الى العلاقة الوثيقة بين ديواني الخراج والجند انه قد جمع لبعض الولاة مسئولية ادارة الديوانين في وقت واحد ، ومن ذلك ماذكره الجهشياري من ان ابا العباس السفاح قد ولى خالد بن برمك ديوان الخراج وديوان الجند [١] .

وقد تكرر ذلك في خلافة ابي جعفر المنصور فقد اورد الثعالبي ان "اول من جمع له الحرب والخراج خالد بن برمك حين ولاه المنصور فارس حربها وخراجها" [٢] .

ان التصادم الظاهري في المعلومات الواردة في النصين الاخيرين يمكن التغلب عليه اذا ماعلمنا بان خالد بن برمك قد تولى ديواني الخراج والجند في مركز الدولة ، وقد كانت الكوفة حينذاك،ثم عينه المنصور بعد تسلمه للخلافة ولاية فارس فجمع له حربها وخراجها .

(٢) علاقة ديوان الجند بديوان بيت المال :

اما عن علاقة ديوان الجند بديوان بيت المال فهي علاقة وثيقة فقد كان ديوان بيت المال مسئولا عن تنفيذ اوامر الصرف على المرافق المختلفة في الدولة ومنها ديوان الجند فهو يشرف على مايخرج في وجوه النفقات والاطلاقات وقد نظمت امور ديوان بيت المال بدقة حيث كانت جميع الكتب الصادرة الى الدواوين المختلفة والمتعلقة بالنواحي المالية تمر فيه قبل ان تصل الى تلك الدواوين ، حيث يجرى تثبيتها وتأشيرها والارتباط عليها مما يسهل عملية صرفها من قبل المسئول عن بيت المال

---

(١) الجهشياري ـ الوزراء والكتاب (ص٨٩) ، وانظر الثعالبي ـ لطائف المعارف (ص٢٠) .

(٢) الثعالبي ـ لطائف المعارف (ص٢٠) .

"الخزانة العامة"[١] . وكذلك الامر مع الكتب التي توجهها الدواوين المختلفة الى صاحب بيت المال والتي تتعلق عادة بالامور المالية بعد ان تحصل الموافقة عليها من قبل الخليفة او الوزير او الوالي ، وبذلك يكون اختصاص بيت المال "جامعا للنظر في الامرين ومحاسبا على الاصول والنفقات"[٢] .

واذا ماحصل خلاف بين الدواوين المختلفة وبين مايقدمه صاحب بيت المال من خلاصه ، "ختمه"[٣] احال الوزير الامر الى متولي ديوان بيت المال ليدرس الخلاف الحاصل ويعطي التوصية بشأنه الى الوزير على ضوء ما اثبت عنده من نسخ الكتب الصادرة من صاحب بيت المال والواردة عليه من الدواوين الاخرى[٤] .

ولعل من المناسب ان نشير في هذا المجال الى عدد من المجالس[٥] التي يتألف منها ديوان بيت المال مما له علاقة وثيقة ومباشرة بديوان الجند وتنفيذ اغراضه ومقابلة احتياجاته من الاموال النقدية والاقمشة والغلال والسلاح وغير ذلك . فقد كان ديوان بيت المال يتألف من عدد كبير من المجالس الادارية الضرورية لتمشية اعماله كالانشاء والتحرير والنسخ اضافة الى عدد من المجالس التخصصية التي من بينها :

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ أ) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٤٤) .

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩ أ) .

(٣) هي خلاصة الحساب الشهري التي كان يرفعها صاحب بيت المال بمبالغ الواردات والمصروفات كأنه يريد ان يختم الشهرية. انظر الخوارزمي ـ مفاتيح العلوم (ص٤٨) ، آدم متز ـ الحضارة الاسلامية (١ : ١٩٢) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٤) .

(٤) قدامة ـ الخراج (ورقة ٩ أ) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٤٥) .

(٥) وربما سميت في بعض المصادر دواوين مما يشير الى اهميتها .

مجلس الاهراء :

وربما سمي ديوان الاهراء وهو يقوم بالاشراف على ماكان يرد من الغلال الى بيت المال[١]، كما يتولى تنسيق عملية تموين الجيش بما يحتاج اليه من مواد غذائية اساسية للجند كالحنطة وغيرها وكذلك مايحتاج اليه من علوفة الماشية والدواب . ويبدو ان الاهتمام بذلك قد بدأ مبكرا . فقد ذكر احد الباحثين المعاصرين دون ان يشير الى مصادر معلوماته بان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذى اسس اول ادارة عرفت باسم الاهراء وانه عين عمر بن عتبة مشرفا على هذه الادارة[٢]. كما ان هذه الادارة قد استمرت بالعمل الى العصور المتأخرة في تاريخ الادارة الاسلامية فقد ذكر الحسن بن عبدالله "ديوان الاهراء"[٣] فى نطاق حديثه عن تموين الجيش الاسلامى .

والراجح فان لديوان بيت المال - كما هو الحال في ديوان الخراج ايضا - مخازن كبيرة يخزن فيها مايرد الى بيت المال من غلال[٤]، ولعلها مرتبطة بمخازن الخراج الرئيسية التي تورد حصة الدولة من واردات الخراج من الاقاليم المختلفة . وتتحدث المصادر عن اشتراط وجود عدد من الموظفين المسئولين والحراس الكفاة الامناء الذين يعهد اليهم بالاشراف على هذه المخازن وحراستها ومباشرتها ، يشترط فيهم ان يكونوا من ذوى العدالة والعفة والدين[٥] .

---

(١) السامرائي - المؤسسات الادارية (ص٢٤٤) .
(٢) مولوى حسين - الادارة العربية (ص١٢٢) .
(٣) الحسن بن عبدالله - اثار الاول (ص٧٤) .
(٤) ابن شاهين - زبدة كشف الممالك (ص١٢٢) ، وانظر الطريق المسلوك في سياسة الملوك "مخطوط" ورقة ٨٥أ .
(٥) السامرائي - المؤسسات الادارية (ص٢٤٤) .

مجلس خزانة السلاح :

وقد يسمى احيانا بـ"ديوان خزانة السلاح" وكانت مهمته الاشراف على مايرد الى بيت المال من السلاح ومايستنفذ منها، وتشير المصادر الى ان " خزائن السلاح لها مستخدمون يستدعون مايحتاج اليه من خشب وحديد وعقب وسلوخ واصباغ وآلات يعملون مايؤمرون به من آلات السلاح على اختلاف اوصافها وتباين اصنافها" [1]. والراجح فان الحاجة الى ذلك قد ظهرت في اعقاب الفتوحات الاسلامية حيث انتشرت جيوش المسلمين وتكاثرت اعداد المقاتلة فيها فظهرت الحاجة الى تجديد السلاح وادامته. وكانت مصادر التجديد والزيادة في السلاح موزعة بين مايورد عن طريق التجارة ومايغنم في المعارك من ايدي الاعداء ومايصنع محليا. ان صناعة الاسلحة معروفة عند العرب منذ عصور ماقبل الاسلام، غير ان ذلك كان في نطاق محدود جدا كما ان استيراد السلاح قد عرف منذ فترة مبكرة فان القاء نظرة سريعة على الاسماء التي اطلقها العرب على الرمح والسيف وغيرهما كافية للتعرف احيانا على مصادر السلاح، ولعل اهم المناطق التي عرفت بتصنيع السلاح كانت الهند واليمن. ولم تشر المصادر بوضوح الى تاريخ مباشرة تصنيع السلاح على نطاق واسع لاغراض سد احتياجات الجيش الاسلامي، وان كانت الاشارات المبكرة في العصر الاموي وخصوصا تلك التي تحدثت عن فتح قبرص ومعركة ذات الصواري قد اشارت الى استعدادات المسلمين وصناعتهم للسفن والاسلحة. ويذكر القاضي الرشيد بن الزبير بانه كان في خزانة السلاح ايام السفاح خمسون الف درع وخمسون الف سيف وثلاثون الف جوشن ومائة الف رمح [2].

---

(١) ابن مماتي - قوانين الدواوين (ص٣٥٤).
(٢) نقل ذلك نعمان بن ثابت الكنعاني في كتابه الجندية في الدولة العباسية (ص١٠١) نقلا عن كتاب العجائب والطرف للقاضي الرشيد ابن الزبير.

ومن المحتمل ان تكون هذه الاسلحة هي ماتبقى من اسلحة الجيش الاموي والقوات الموالية للامويين والتي جرى الاستيلاء عليها عند نجاح المسودة في القضاء على القوات الاموية ، في خراسان وفارس والعراق ثم نجاح القائد العباسي عبدالله بن علي - عم الخليفتين السفاح والمنصور - في القضاء على مقاومة الجيش الاموي في بلاد الشام حيث استولى على كامل اسلحته .

وتتحدث المصادر عن قيام الفضل بن الربيع بعملية احصاء الاسلحة الخاصة بمخازن الخليفة محمد الامين بن الرشيد التي استمرت طوال اربعة اشهر وانه وجد فيها " الف منطقة وعشرة آلاف سيف محلى وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصة وخمسون الف درع عامة وعشرة آلاف بيضة وعشرون الف جوشن ومائة وخمسون الف ترس واربعة آلاف سرج خاصة وثلاثون الف سرج عامة واربعة آلاف زوج خفاف مبطن وفي كل منها سكين ومنديل ، واربعة آلاف زوج جوارب، ومائة وخمسون الف مضرب"(١) ولا شك في ان هذه الاسلحة تمثل تصفية مابقي في مخازن السلاح خلال الفترة المنتهية بتاريخ قيام الفضل بن الربيع بعملية الاحصاء هذه حيث يتوقع ان يكون قد تم استهلاك عدد كبير من الاسلحة خلال فترة الصراع العباسي ضد ثورة العلويين وغيرهم في عهد المنصور وكذلك خلال حروب المهدي والرشيد . على ان موجودات مخازن السلاح هذه لابد ان تكون قد استهلكت غالبيتها العظمى خلال احداث الصراع بين الامين والمأمون وكذلك خلال ثورة اهل بغداد وخلعهم المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي

---

(١) ابن الزبير - الذخائر والتحف (ص٢١٣- ٢١٤، ٢١٨) ، جهادية القرغولي - التنظيمات الادارية والعسكرية (ص٢٠٦) .

بدلا منه . ولاشك فى ان عودة المأمون الى الخلافة وانتقاله من مرو الى بغداد قد عزز احتمال توفير مجموعات كبيرة من الاسلحة لسد احتياجات الجيش العباسى .

مجلس الخزانة :

ويسمى احيانا ديوان الخزانة[١] . وكانت وظيفة هذا المجلس الاشراف على مايتعلق باصناف الاحوال النقدية والاقمشة وكل ذلك له علاقة مباشرة باحتياجات ديوان الجند من صرف لرواتبهم او توفير الاقمشة اللازمة لسد احتياجاتهم او احتياجات الجيش الاخرى من الاعلام والمضارب والبسط والفرش وغيرها[٢] .

وكان لصاحب ديوان بيت المال علامة او ختم "يؤشر بها على الكتب والاطلاقات والصكاك يتفقدها الوزير او من ينوب عنها ويراعونها"[٣] ويطالبون بها كشرط لقبولهم تلك الكتب .

وهناك اشارات الى ان بيت المال الخاص بالخليفة " بيت مال الخاصة" كان هو الاخر على علاقة بديوان الجند حيث كان يتولى الانفاق على الجند فى المواسم بناء على مايأمر به الخليفة ، وقد اورد الصابى مايفيد ان نفقات الموسم ونفقات الغزوات الصائفة والشاتية والرسل والواردين فى الفداء كان يتحملها بيت مال الخاصة[٤] . وفى الفترات المتأخرة عن نطاق البحث

---

(١) السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٤٤) .
(٢) ن.م.س. (ص٢٤٤) .
(٣) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٩أ) .
(٤) الصابى ـ الوزراء (ص٢٧) .

جرى توجيه كافة الواردات العامة والخاصة لسد احتياجات ديوان الجند وخصوصا فى فترة مواجهة الدولة العباسية لثورة الزنج[(١)] .

ومما يجدر ملاحظته اخيرا بان جوائز الخليفة والوزير وصلاتهم وحبواتهم المخصصةالى القادة او الجند المبرزين فى القتال او الذين ابلوا بلاء حسنا من الموصوفين بالشجاعة والاقدام كانت تحال الى صاحب ديوان بيت المال لانفاذها[(٢)] .

مما سبق يتبين مدى العلاقة القائمة بين ديوان الجند وديوان بيت المال ، والواقع فان ديوان بيت المال يشكل العمود الفقرى فى قيام الجيش وتألف الجند وسد احتياجاتهم ونفقاتهم وانزالهم اضافة الى صرف رواتبهم وانفاق ماتحتاج اليه المؤسسة العسكرية من اموال نقدية وعينية ضمانا لتأمين قيامها بما انيط بها من مسئوليات . اما فى حالة عجز بيت المال عن سداد احتياجات الجند او صرف ارزاقهم واعطياتهم فقد كان ذلك مدعاة لتأزم الوضع ووحشة الجند وتجمعهم فى وجه القيادة وربما يكون ذلك نذيرا بثورتهم وشيوع الفوضى وانفراط حبل الامن وتتحدث المصادر التاريخية عن نماذج كثيرة من ذلك حصلت بشكل خاص فى فترة الصراع بين الامين والمأمون مماسبقت الاشارة اليه .

كما انها اوردت الكثير من الوقائع عن حالات مشابهة تكرر حصولها خلال العصر العباسى الثانى وهو مايخرج عن نطاق البحث.

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٩ : ٥٨٥) ، الدورى ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة (ص٩٨ - ٩٩) .

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ١٧ب) ، السامرائى ـ المؤسسات (ص ٢٠٣) .

(٣) علاقة ديوان الجند بديوان النفقات :

يعتبر ديوان النفقات واحدا من ابرز الدواوين المالية فى الدولة الاسلامية وينبغى ان نلاحظ قبل البدء بمناقشة هذه العلاقة، ان دواوين الخراج الفرعية فى الولايات كانت تقوم مقام ديوان النفقات فيها ولذلك فليس من المتوقع وجود دواوين نفقات فرعية فيها كما هو الحال فى اغلب الدواوين الاخرى[1]، فقد كانت دواوين الخراج الفرعية تستوفى جباية الخراج وبقية الضرائب ثم تتولى صرف الاموال على النفقات الراتبة واعطيات الجند فيها والنفقات الطارئة، اما باقى الحساب فيرسل مع الكشف الى ديوان الخراج المركزى فى العاصمة الذى يتولى بدوره اشعار ديوان النفقات وديوان الجند بمبالغ المصروفات على ضوء المستندات الرسمية[2] ليقوم كل من هذين الديوانين بدوره فى التحقق من صحة ودقة الارقام واجراءات الصرف .

اما نفقات دار الخلافة فى العاصمة ومستلزماتها الامنية ونفقات الدواوين المركزية ومن بينها ديوان الجند وكذلك نفقات الثغور فقد كان يتولى امر الاشراف على نفقاتها ديوان النفقات[3] .

---

(١) السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣١) ، الشيبانى ـ نظام الحكم والادارة (ص١١٩) ، شوقى ضيف ـ العصر العباسى الاول (ص٢١) ، حسين ـ الادارة العربية (ص٣٠) ، ضيف الله الزهرانى ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص٩٠) .

(٢) مسكويه ـ تجارب الامم (٥ : ١٩٣) ، التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (١ : ٥١) ، الزهرانى ـ النفقات (ص٩٠) .

(٣) ويبدو ان اشراف ديوان النفقات قد شمل اضافة الى ماسبق الانفاق على الحرمين وطريقهما ورواتب القضاة وولاة الحسبة والمظالم واصحاب البريد ، انظر الصابى ـ الوزراء (ص٥١) ، رسوم دار الخلافة (ص٢١) ، ابن الزبير ـ الذخائر والتحف (ص٢١٨) ، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٠) ، ضيف الله ـ النفقات (ص٩٠) .

وتتضح العلاقة الوثيقة بين اعمال ديوان النفقات واختصاصاته وبين ديوان الجند من خلال انشطة عدد من المجالس الاساسية التى يتألف منها ديوان النفقات وهى :

مجلس الجارى[1] :

وهو المجلس المختص بتتبع نفقات المرتزقة وضبطها وذلك بتصنيفهم حسب الاعمال الموكلة اليهم وتثبيت اوقات استحقاق رواتبهم معتمدا فى ذلك على جرائد خاصة يجرى اعدادها فى الدواوين ذات العلاقة[2]. وكان مجلس المقابلة فى ديوان الجند يتولى اعداد الجرائد الخاصة بالمنسوبين الى الديوان[3]، كمايتولى مجلس الجارى الاشراف على مايجرى صرفه فى مجلس العطاء والتفرقة فى ديوان الجند ، ولعل فى تشابه اعمال هذا المجلس واختصاصاته باعمال واختصاصات مجلس العطاء والتفرقة فى ديوان الجند مايوحى بالازدواجية فى العمل خلافا لواقع الحال ، ذلك ان مجلس الجارى فى ديوان النفقات هو الاساس الذى يعتمد عليه فى حل مشاكل مجلس العطاء والتفرقة وغيره من مجالس الانفاق والصرف والتى تخصصت فى توزيع الرواتب على الوجه المطلوب وفق الانظمة والتقاليد المعمول بها فى المؤسسات الادارية الاسلامية ، كما ان مثل هذا الاشراف امر له اهميته فى

---

(١) ويسميه البعض بادارة الرواتب الجارية . انظر الشيبانى ـ نظام الحكم والادارة (ص١١٩) ، وانظر الزهرانى ـ النفقات (ص٩٦) .

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٧ب) ، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٠) .

(٣) انظر مجلس المقابلة فيما سبق فى الفصل الثانى حيث اشرنا الى ذلك بالتفصيل .

المسائل المالية ضمانا للدقة فى العمل والسيطرة ودوام الرقابة وتعددها .

مجلس الانزال[١] :

ومن بين الاعمال التى يقوم بها مجلس الانزال مما له علاقةبديوان الجند الاشراف على نفقات "خزائن الكسوة والخلع والسلاح وماكان يرم من الجواشن والدروع وماكان يتخذ من النشاب والاعلام والمطارد والسروج وماكان يجدد منها ومايصلح وماكان يتخذ من الفراش والحصر والستائر والسرادقات"[٢]. ويظهر ان لهذا المجلس عرف خاص به فى تثمين البضائع المحتاج اليها فيذكر قدامة عند حديثه عن كتاب هذا المجلس بان "لهم فى تثمين الرأس من اصناف الحيوان والجام من الحلوى رسوم تختلف على حسب ما يقام له ذلك من الخصوص والعموم والرفعة والانحطاط"[٣]. ولهذا فقد توجب على كتاب هذا المجلس الالمام بالمصطلحات الخاصة بالاسعار ومقادير الارزاق واصنافها - مما له علاقة مباشرة باصناف الجند ومراتب المنسوبين الى الجيش - ضمانا للدقة والاستيفاء فى المحاسبة وعدم التفريط فى مصلحة بيت المال[٤] .

---

(١) قدامة - الخراج (ورقة٨أ) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٣٣) وقد يعبر عنه فى المصطلحات الحديثة بادارة التموين . انظر الشيبانى - نظام الحكم (ص١١٩) ، والانزال جمع نزل وهو مايهيئ للضيف من طعام . انظر الزبيدى - تاج العروس (٨ : ١٣٣) .

(٢) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة٨أ) ، السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٣٣) .

(٣) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٨أ) .

(٤) انظر السامرائى - المؤسسات الادارية (ص٢٣٤) .

مجلس الكراع[1] :

يتولى هذا المجلس عمليتي الشراء والاشراف على مايحتاج اليه من مواشي وابل وخيل وبغال وحمير وبراذين وجمازات، كما انه يتولى بقدر مايتعلق الامر بديوان الجند ـ محاسبة العلافين والاشراف على الاصطبلات الخاصة والعامة والصرف عليها[2]، ومما يلاحظ ان الخلافة الاسلامية قد اهتمت منذ فترة مبكرة بامر خيول المجاهدين وخصصت لها مواضع خاصة للرعي كما كانت تنفق عليها، فقد ورد "ان الجند كانوا يستلمون مع ارزاقهم اثمان قضيم دوابهم وعلوفتها"[3].

وكما هو معروف ايضا فانه كان للفرس حصة في الغنيمة، وقد اشار الصابي الى ان هذا المجلس كان يشرف على مايبتاع من "الخيل الموصوفة في احياء العرب ومايستبدل به اذا عطب في العمل"[4].

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاصطبلات التي يتولى مجلس الكراع في ديوان النفقات الاشراف عليها لم تكن خاصة بديوان الجند ومع ذلك فان غالبيتها تخدم اغراضه فلقد كان هناك اصطبلا خاصا لاستعمال ماكان يحتاج اليه الخليفة والامراء وقادة الجيش من الدواب في اسفارهم وتنقلاتهم، كما كان هناك اصطبلا عاما يتولى رعاية دواب الخدم والغلمان

---

(١) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ب) ومن معاني الكراع انه يطلق على الخيل والبغال والحمير وغيرها، انظر السامرائي ـ المؤسسات (ص ٢٣٤)

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ب) ، الصابي ـ الوزراء (ص٢٣) .

(٣) الصابي ـ الوزراء (ص٢٦) .

(٤) الصابي ـ الوزراء (ص٢٣) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٤) .

وبقية المرتزقة ، ولا شك في ان الغلمان كانوا من بين منسوبي ديوان الجند اما اصطبل الدواب والحمليات فقد كان يشرف على ماكان يهدى او يبتاع من الدواب كما كان فيه من يتولى علاج الدواب التي تحتاج الى ذلك. كما كان هناك اصطبل خاص لبغال الاثقال وحمل العلوفات اضافة الى الاصطبل الخاص بمبارك الابل والجمازات[1]، ولا شك في ان قسما كبيرا من هذه الحيوانات كانت تخدم اغراض ديوان الجند والجيوش الاسلامية في مراحل مختلفة من فترة هذا البحث .

وقد سبقت الاشارة الى ماذكره قدامة عندما تعرض لشيات الدواب ويفترض ان يكون كتاب مجلس الكراع على علم تام بتلك الصفات من اجل ان يتولوا القيام باعمالهم بشكل دقيق[2] .

مجلس الحوادث[3] :

ويجري في هذا المجلس الاشراف على امر النفقات الحادثة[4] التي يقرر الخليفة او الوزير امر الصرف عليها مما لا يدخل ضمن اختصاص اي مجلس آخر من مجالس ديوان النفقات . وبقدر مايتصل الامر في النفقات الحادثة التي تصرف من خلال ديوان الجند يمكن ان نشير الى حوادث العدوان

---

(١) الصابي ـ الوزراء (ص٢٢ ـ ٢٥) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٥) ، الزهراني ـ النفقات (ص١٠٠) .
(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٤أ ،ب، ٥أ ،ب) .
(٣) م.س.ن. (ورقة ٨ب) ، السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٧) ، الزهراني ـ النفقات (ص١٠١) .
(٤) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ب) .

المفاجىء على حدود الدولة الاسلامية او الفداء للاسرى في بعض الاحيان او التعويض عن الاضرار الناجمة عن الزلازل والكوارث التي تصيب الثغور وقيام حركات التمرد والعصيان مما يحتاج الى نفقات طارئة لم تدخل في عداد النفقات الراتبة اوغير ذلك من النفقات المشابهة في كل وجهة من وجوهها[١].

مجلس بيت المال[٢]:

وهو المجلس الذي يتولى تنظيم حسابات ديوان النفقات وتجري ضبطها وذلك بمقابلة النفقات من صكوك واطلاقات واوامر صرف بمجاميع النفقات المصروفة من قبل الدواوين ومن ضمنها ديوان الجند وبمعنى آخر فقد كان على هذا المجلس التأكد من مطابقة تفاصيل النفقات الشهرية مع مجموع ماتم صرفه من اموال ، ويذكر قدامة بن جعفر بانه "يجب ان يكون الكاتب المفرد بهذا المجلس مشغولا بالمقابلة بذلك واخراج الخلاف فيه"[٣]. وقد سبقت الاشارة الى معدلات رواتب الجند خلال متابعة نشأة وتطور ديوان الجند في الفصل الاول من هذا البحث . ولعل من المناسب ان نشير هنا الى بعض النماذج المستفادة من المصادر عن معدلات الرواتب

---

(١) السامرائي ـ المؤسسات الادارية (ص٢٣٧) ، الزهراني ـ النفقات (ص١٠١) ، رفاعي ـ المنزلة الخامسة (ص ١٧٦) .

(٢) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ب) ، وانظر رفاعي ـ المنزلة الخامسة (ص١٧٤) .

(٣) قدامة بن جعفر ـ الخراج (ورقة ٨ب ـ ٩أ) ، رفاعي ـ المنزلة الخامسة (ص ١٧٦) .

الشهرية التي يرد ذكرها عند التعرض للجند من خلال حسابات مجلس بيت المال في ديوان النفقات . فقد اورد الطبري ان راتب الجندي الراجل في عصر ابي العباس السفاح قد تراوح بين ٨٠ الى ١٠٠ درهم شهريا في حين كان راتب الفارس ١٦٠ درهم شهريا[1] . اما في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور فالظاهر ان معدلات الانفاق قد انخفضت ، اذ كان راتب الراجل يتراوح بين ستين الى ثمانين درهما شهريا[2] . والراجح ان رواتب الجند قد سارت في حدود هذه المعدلات فقد كان راتب الراجل في عهد المهدي خمسين درهما في الشهر[3] ثم عادت في عصر الرشيد الى ستين درهما شهريا[4] . اما في عهد الامين فقد اصبحت ثمانين درهما للراجل ومائة وستين درهما للفارس في بداية خلافته[5] . اما في عصر المأمون فقد زودتنا المصادر بمعلومات متضاربة المرجح منها ان راتب الراجل قد تراوح بين ٦٠ الى ٨٠ درهم شهريا[6] . في حين تتحدث مصادر اخرى عن تخفيض حاد في معدلات رواتب الفرسان والرجالة بعد سنة ٢٠٤هـ وحتى نهاية عهد المأمون اذ جعل راتب الرجالة

---

(١) الطبري ـ تاريخ (٧ : ٤٣٥) ، ابن الاثير ـ الكامل (٤ : ٣٢٥ ، ٣٢٨) الازدي ـ تاريخ الموصل (ص ١٣٤) ، ابن الجوزي ـ المنتظم (٣ : ورقة ١٣٠ أ) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٠ : ٤٤) ، وانظر الزهراني النفقات (ص ٢٧) .

(٢) فاروق عمر ـ العباسيون الاوائل (١ : ١٤٢) .

(٣) الطبري ـ تاريخ (٨ : ١١٠) .

(٤) فتحي عثمان ـ الحدود الاسلامية البيزنطية (٣ : ١٤٧) .

(٥) الطبري ـ تاريخ الرسل (٨ : ٣٦٥) .

(٦) ن.م.س. (٨ : ٥٧١) .

٢٠ درهما في حين كان راتب الفارس اربعين درهما[1]، ويبدو ان عدد افراد الجيش في عهد المأمون قد تزايد[2]. ومن خلال القائمة التي اوردها لنا الصابي نقلا عن وثيقة رسمية[3] يمكن القول بان معدلات الانفاق اليومية على الجند في العاصمة العباسية في فترة متأخرة عن تاريخ فترة البحث قد بلغت في حدود ثلثي مجموع الانفاق لمقر الخلافة، مما يشير الى الدور الذي يلعبه الجند وبالتالي اهمية ديوان الجند في هذا المجال[4].

ويتضح لنا مما سبق العلاقة الاكيدة والتعاون الكبير المتعدد الاطراف الذي كان يربط ديوان الجند بديوان النفقات، حيث كان يجرى التنسيق في اغلب الخطوات الاساسية المتصلة بالصرف او الانفاق بينهما كما ان ديوان النفقات يمارس عملية التدقيق والرقابة لكل مايجرى انفاقه من خلال ديوان الجند ومجالسه .

(٤) علاقة ديوان الجند بديوان البريد :

لا تنحصر مهمة صاحب ديوان البريد على تأمين ارسال واستلام الرسائل الرسمية الصادرة من الخليفة او الموجهة له، وانما تشمل اضافة الى ذلك مراقبة جميع المؤسسات في كافة انحاء الدولة الاسلامية وابلاغ

---

(١) مسكويه - تجارب الامم (٦ : ٤٣٣) .
(٢) ن.م.س. (٦ : ٤٦٤) .
(٣) الصابي - الوزراء (ص ١٥) ،السامرائي - المؤسسات الادارية (ص ٢٣٨) .
(٤) ن.م.س. . وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي (ص ٢٦٧) .

الخليفة بكل مايحصل من تطورات مما ينبغي ان يعلمه ، كما ان ديوان البريد يشرف على السكك والطرق المختلفة المنتشرة في انحاء الدولة الاسلامية ، وهكذا يكون صاحب الديوان على علم تام باحوالها واخبارها ليستفيد الخليفة من ذلك في "مايحتاج اليه عند سفره او انفاذ جيش يهمه امره وغير ذلك مما تدعوا الضرورة الى علم الطرق بسببه" (١).

وبالاضافة الى ذلك فقد كان من الامور الاساسية التي ينبغي على صاحب البريد رعايتها "ان يوكل بمجلس عرض الاولياء واعطياتهم من يراعيه ويطالع مايجري فيه ويكتب بما يقف عليه من اعمال في وقته ، وان يكون ماينهيه من الاخبار مايثق بصحته ولا يدخل بشبهة" (٢).

وهكذا فقد كان ديوان البريد يلعب دورا حساسا في تزويد الخليفة بمعلومات مهمة عن احوال الجند في الاقاليم المختلفة وخصوصا مايتصل بامنهم وسلامتهم واعطياتهم وعرضهم . كما انه كان يزود القيادة العامة بمعلومات دقيقة ومفصلة عن احوال الطرق مما يسهل حركة الجيوش وكذلك يتولى ايصال الاخبار والمعلومات الموثقة عن الاوضاع الامنية في اقاليم الدولة الاسلامية المختلفة وايصال اخبار المعارك اولا باول ولا شك في ان سرية اعمال ديوان البريد ودقتها وارتباطها بشخص الخليفة مباشرة له مايبرره ذلك ان اخبار الجند واوضاعهم واخبار الامن العام في الاقاليم ومايجري فيها من حركات تمرد او مخالفات كانت تقتضي مثل هذا

---

(١) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ٢٧أ) .

(٢) ن.م.س. (ورقة ١٦أ - ١٧أ) اقتباس من نسخة عهد بولاية البريد .

التحوط وهي متصلة بعد ذلك بشكل متشابك مع ديوان الجند واعماله[1] .

(٥) علاقة ديوان الجند بديوان الزمام :

ذكر الطبري خلال عرضه لحوادث سنة ١٦٢ هـ بان الخليفة محمد المهدي قد انشأ في هذه السنة دواوين الازمة "وولى عليها عمر بن بزيع مولاه"[2] . ومع ان هذا الاجراء كان يقصد منه تدقيق الواردات والنفقات بشكل اساسي لاتصاله بالناحية المالية فان هذا التاريخ يمثل بداية وضع الرقابة على المؤسسات المختلفة ذلك ان النص لم يخصص الدواوين التي وضعت عليها الرقابة مما يفيد بان هذه الدواوين قد وضعت لمراقبة الناحية الحسابية لجميع دواوين الدولة ، وعليه فان ديوان زمام الجند لابد ان يكون قد باشر الاشراف على اعمال الاصل . ومع ان عمل الزمام كان يقتصر على الرقابة التي لا يمكن ان تكون اهم من الاصل - ولكنها سبيل لضبط اعماله - فقد اعتبر منصب متولي الزمام احيانا اهم من منصب متولي الديوان نفسه[3] .

---

(١) قدامة بن جعفر - الخراج (ورقة ١٦ب) السامرائي - المؤسسات الادارية (ص٢٧٤) وقد كان من جملة موظفي البريد صنف الوكلاء والمخبرين الذين كانوا ينهون الى دار الخلافة اخبار كل اقليم يوميا وربما اكثر من مرة في اليوم الواحد في اوقات الازمات .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٨ : ١٤٢) .

(٣) انظر الصولي - اخبار الراضي والمتقي (ص٦١) ، السامرائي - المؤسسات الادارية (ص٢٤٢- ٢٤٣) .

(ب) اهمية الديوان ودوره فى الدولة والمجتمع .

وعند البحث فى الدور الذى كان ديوان الجند يؤديه فى الدولة والمجتمع من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فان بالامكان الاشارة الى ان العطاء كان "شرفا" يرقى بصاحبه الى مصاف عالية فى المجتمع باعتبار انه قد اوقف نفسه لخدمة العقيدة الاسلامية ونشرها والدفاع عنها وعن ديار الاسلام ، وقد استمر ووضح شرف العطاء خلال الفترة الاخيرة من العصر الراشدى كما تدعم خلال العصر الاموى ، اما خلال العصر العباسى فقد جرى الاهتمام "بالمسودة" و"الشيعة العباسية" و"صحابة المنصور" وغيرهم من "صحابة" الخلفاء التالين له حيث انهم منحوا الكثير من الصلات وكانت لهم منزلة اجتماعية عالية تتمثل فى الاقطاعات التى منحت لهم للاقامة فى ارباع مخصوصة فى العاصمة قريبا من مقر الخليفة او فى منحهم اقطاعات زراعية او صلات او حبوات وما الى ذلك مما يعز من مكانتهم ويرفعهم فى المجتمع الى موضع متقدم . ولهذا فقد كان من جملة ماينعم به الخليفة العباسى على هؤلاء هو السماح لهم بلبس السواد الذى كان الشعار الرسمى للخلافة . وهذا مايجعل الواحد منهم صاحب مقام مرموق وكلمة نافذة ومنزلة اجتماعية عالية . وهذه المكانة تمنح عادة لقادة الجيش او المبرزين فى القتال تحت لواء الدولة من اهل النجدات والشجاعة والشهامة . او من يتولى الوزارة او ادارة الدواوين وخصوصا ديوان الجند .

اما من الناحية السياسية فان انتظام العمل فى ديوان الجند واستقامة اعماله تؤدى الى استقرار اوضاع الجند والتزامهم وتساعد على انتظامهم وطاعتهم ، كما ان حصول الاضطراب بين الجند قد يكون ناجما عن قصور فى اعمال ديوان الجند كالتأخر فى صرف الارزاق والاعطيات

او تقليصها اوعدم الانتظام في دفعها ، ويزداد الامر خطورة في فترات الازمات المالية او اوقات الاضطرابات وخير مثال على ذلك ماحصل خلال فترة الصراع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وكذلك فترة الصراع التي حصلت بين الاخوين الامين والمأمون فقد نلاحظ ان تبدل مواقف الجند وولائهم يتأثر الى حد بعيد بمدى مايقدم لهم من وعود او مايدفع لهم من اموال نقدية.

اما اثر الديوان من الناحية الاقتصادية فان بالامكان ملاحظة انعكاساته من خلال ملاحقة دراسة علاقة ديوان الجند بالدواوين المالية ، ذلك ان ديوان الجند يلعب دورا اساسيا في الانفاق واستهلاك الاموال العامة النقدية وفي استهلاك نسبة عالية من حصة الدولة من الاموال العينية التي تصيبها من الاراضي الخراجية ، ولاشك في ان هذا الدور يؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على معدلات الاسعار من جهة وعلى مستوى المعيشة العام من جهة اخرى . ثم ان الديوان يلعب من جهة ثانية دورا ايجابيا يساعد على تحسين الاوضاع الاقتصادية من خلال مايحققه من توفير وسائل الاستقرار والامن من جهة ومن خلال مايناط بجند الاستحثاث من مهام تخدم الخطط الزراعية للدولة وتسهم في نجاحها من جهة أخرى .

الفصل الرابع

قيادة الجيش وتعبئته وتموينه

القيادة فى الجيش الاسلامى .

كانت القيادة قبل الاسلام وقفا على شيوخ القبائل وزعمائها فهم الذين يستلمون اللواء عند الحرب نظرا لتوفر بعض المؤهلات المطلوبة فيهم ، فالشيخ اضافة الى كبر سنه فهو يعتبر صاحب الرأى بالاضافة الى ماكان يتحلى به البعض من الشجاعة والنجدة وكرم الضيافة والحنكة والاقدام .

ولما ظهر الاسلام وانتشر وقويت شوكته ، واقام الرسول صلى الله عليه وسلم دولته فى المدينة على اساس من التنظيم حيث عمل كل مايقتضى من التنظيمات الادارية والعسكرية للمدينة التى ستصبح نقطة الانطلاق للعمل العسكرى ، ولنشر دين الله فى الارض، فكان اول عمل عمله الرسول عليه السلام فى المدينة هو بناء المسجد الذى شارك هو ببنائه واصدر صلى الله عليه وسلم وثيقة التنظيم للمدينة الذى سبق ان المحنا اليه والذى تضمن بالدرجة الرئيسية مركزية القيادة ومؤاخاة المسلمين والمسئولية المشتركة للمسلمين فى ضمان امن المدينة والدفاع عنها اضافة الى ابراز مفهوم الامة وتقرير العدالة وتنظيم العلاقة مع اليهود (1) . لهذا نجد انه صلى الله عليه وسلم حينما جعل اصحابه يدا واحدة وعودهم على السمع والطاعة ، وضبط كذلك اليهود الذين يشكلون خطرا كبيرا على المسلمين بالعهود والمواثيق التى تكفل الامن والامان للمدينة إن قاموا بالالتزام بها واحترامها، واصبحت للمسلمين قوة فى المدينة قادرة على قتال من يناصب الدعوة الجديدة العداء ونزل الامر الالهى بالقتال

(١) لمزيد من المعلومات عن تلك التنظيمات انظر اصول التنظيم فى الفصل الاول .

للمسلمين فكان في بداية الامر قتال من يقاتل المسلمين كما قال تعالى "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم"[1] ثم جاء الامر بقتال عامة المشركين "قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . . ."[2] وقد تجاوب المسلمون مع هذا النداء الى الجهاد في سبيل الله فانطلقت كتائب الجهاد من المدينة تلبية لهذا النداء ، واخذ المسلمون في مجاهدة المشركين الذين حاربوا المسلمين والدعوة الاسلامية منذ نشأتها في مكة فقام الرسول عليه الصلاة والسلام باعلان الحرب على قريش التي ناصبتهم العداء ، ولم يكن هذا الاعلان مباشرا او بشكل واسع، بل جاء في بداية الامر على شكل ارسال السرايا والبعوث للتعرض لتجارة قريش التي تأتي من الشام الى مكة . واهم السرايا التي ارسلها الرسول صلى الله عليه وسلم خلال الفترة التي سبقت معركة بدر هي كما يلي :

كانت سرية حمزة الى سيف البحر اول تلك السرايا ، وكان قوامها ثلاثين راكبا من المهاجرين وقد واجهت ابا جهل بن هشام في ثلاثمائة راكبا ، فحجز بينهم مجدي بن عروة الجهني ، وكان موادعا للفريقين ، ولم يكن بينهم قتال[3] .

ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف حيث عقد له الرسول عليه السلام راية وكان معه ستين راكبا من المهاجرين ، فسار حتى بلغ ماء الحجاز، فلقي بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٠

(٢) سورة التوبة : آية ٣٦

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٢ : ٥٩٥) ،ابن كثير ـ السيرة النبوية (٢ : ٣٣٨) .

الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان اول سهم رمى به في الاسلام[1].

وهناك سرية سعد بن ابي وقاص الذى ارسله الرسول عليه الصلاة والسلام في ثمانية من المهاجرين الى الخرار من ارض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيدا ، لان العير التى كانت لقريش قد سبقت ذلك المكان بيوم[2].

وهناك سرية عبد الله بن جحش الذى بعثه الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه ثمانية من المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم يفتحه وينظر فيه ، فيمضى لما امره به ، ولا يستكره احدا من اصحابه ، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فاذا فيه :"اذا نظرت فى كتابى هذا فامضى حتى تنزل نخله ، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جحش الى الكتاب قال : سمعا وطاعة ثم اخبر اصحابه بما فيه فمضوا جميعا لم يتخلف منهم احدا ، حتى وصلوا نخله ، فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وادما ، وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمى ، فلما رآهم القوم هابوهم وترددوا فى قتالهم لكونهم لا زالوا فى الاشهر الحرم ، واذا تأخروا يوما فانهم دخلوا الحرم ، لكنهم شجعوا انفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم واخذ مامعهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وافلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم ، واقبل عبد الله بن جحش واصحابه بالعيرو الاسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

---

(١) ابن هشام - السيرة (٢ : ٥٩١) ، انظر ابن كثير - السيرة (٢ : ٣٣٨ - ٣٣٩) .

(٢) انظر ابن هشام - السيرة (٢ : ٦٠٠) ، ابن كثير - السيرة (٢ : ٣٣٩)

واستكثر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على عبد الله بن جحش ومن معه قتالهم فى الاشهر الحرم فوقف العير والاسيرين ، واخذ المنافقون واليهود فى استغلال هذا الحدث للتشهير بالمسلمين لانهم استباحوا الاشهر الحرم وكذلك قريش، التى قالت ان محمدا واصحابه استحلوا الاشهر الحرم، وسفكوا فيه الدم، واخذوا فيه الاموال ، واسروا فيه الرجال ولما اكثر الناس فى ذلك انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجدالحرام، واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . . ."[١] الاية عند ذلك اخذ الرسول عليه الصلاة والسلام العير والاسيرين .

قال ابن هشام : "وهى اول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمى اول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان اول من اسر المسلمون"[٢] .

تلك هى اهم السرايا التى ارسلها الرسول صلى الله عليه وسلم للتحرش مع قريش وتجارتها قبل غزوة بدر، والتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه من يوليه امرة السرية الى بعض التعليمات اللازمة ، وكانت هناك ايضا سرايا كثيرة بعثها الرسول عليه السلام[٣]، اما لاسباب امنية او لغرض تجارى

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧

(٢) ابن هشام - السيرة (٢ : ٦٠١ - ٦٠٥) ، ابن كثير - السيرة (٢ : ٣٦٦ - ٣٧١) .

(٣) ذكر العسقلانى ان عدد السرايا تقرب من سبعين سرية ، انظر فتح البارى - الشرح (٨ : ١٥٤) ، اما ابن كثير فذكر فى بعض الروايات ان عدد السرايا اربعا وعشرين . انظر السيرة (٢ : ٣٥٢) .

او لاستطلاع ماقد يحدث حول المدينة ، او للتعرف على خبر اعداء المسلمين. كما قام الرسول عليه الصلاة والسلام بعدد من الغزوات تولى واشرف بنفسه على سير المعارك ، وقد أوردت بعض المصادر "ان عدد غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام كانت ستة عشرة غزوة وهناك روايات عدة اوردها ابن كثير عن عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن ، وذكر الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا سبع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان ، يوم بدر ، واحد والاحزاب ، والمريسيع وقديد وخيبر ومكة وحنين ، وروى الطبراني عن الدبرى عن عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهرى قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين غزوة .

وفي رواية عبد الرحمن بن حميد في مسنده عن ابى الزبير عن جابر قال :"غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين غزوة"[1].

اما البخارى فيروى حديثا عن ابى اسحق قال "سألت زيد بن ارقم رضى الله عنه : كم غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال سبع عشرة قلت : كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة"[2].

ومن المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتولى قيادة تلك الغزوات بنفسه فهو القائد المباشر لتسيير جميع الغزوات التى قاتل فيها اعداء الاسلام ، وكان لقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم اثرها البالغ في نفوس صحابته رضوان الله عليهم ، بما كان يتحلى به من شجاعة وفن في

---

(١) انظر ابن كثير ـ السيرة النبوية (٢ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣) .
(٢) العسقلاني ـ فتح البارى ـ شرح صحيح البخارى (٨ : ١٥٣) .

قيادة المعارك وتنظيمها ، ومهما يكن من امر فان من الضرورى ان نتحدث عن القيادة فى الجيش الاسلامى باعتبار انها اهم المراتب القيادية فى العسكرية الاسلامية ، وان نتناول اهم الصفات القيادية العسكرية التى تمثلت فى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام من واقع سيرته العطرة فمن اهم تلك الصفات :

شجاعة الرسول عليه الصلاة والسلام فى كل الاحداث التى شارك فيها وقد بدأت ملامح هذه الصفة مبكرة عند الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تحدث صلى الله عليه وسلم عن مشاركته فى حرب الفجار التى حصلت بين قريش وهوازن فقال :"كنت انبل على اعمامى اى ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها"[1] كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد شارك فى جميع المعارك التى حضرها مشاركة فعلية فى القتال رغم ماكان يتولاه من امور قيادة وتسيير المعارك ، وقد صور لنا الصحابى الجليل على بن ابى طالب رضى الله عنه شيئا من شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول "انا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا"[2] .

وتتحدث المصادر عن ثبات الرسول عليه الصلاة والسلام فى معركة احد وقد انكشف المسلمون فاقبل ابى بن خلف من جيش المشركين يريد قتل

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية (١ : ١٨٦) .

(٢) القاضى عياض ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١ : ٦٧) ، وانظر ابن كثير ـ السيرة (٢ : ٤٢٥) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه مصعب بن عمير يريد ان يصده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه استشهد ، فابصر الرسول صلى الله عليه وسلم بترقوة ابى بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها بالحربة فوقع الى الارض عن فرسه . . فاتاه اصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما اجزعك . انما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقتل ابيا ثم قال : والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز لماتوا اجمعون" . فتلك نماذج من شجاعة الرسول عليه السلام .

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام واعيا لمدى المسئولية الملقاة على عاتقه فليس هناك من يماثل الرسول صلى الله عليه وسلم فى تحمل المسئولية الضخمة التى كانت ملقاه على عاتقه ، فلقد كان عليه الصلاة والسلام قائدا لاكثر من سبعة عشر غزوة كما مر معنا ، قادها هو بنفسه وقاتل فيها وتحمل المشاق والمخاطر ، وكان لهذه الغزوات اثر كبير فى صقل الصحابة رضوان الله عليهم ودفعهم الى الاقتداء به والامتثال لاوامره .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب افق واسع وبعد نظر وحكمة فيما يقوم به من اعمال عسكرية ، ومن الامثلة على ذلك ماحدث فى صلح الحديبية حينما ذهب المسلمون الى مكة لقصد العمرة ، وصممت قريش على صدهم عن الدخول الى مكة ، وكادت ان تحصل حرب بين الطرفين الا ان المفاوضات التى حصلت بين الطرفين قد انتهت بهم الى ابرام الصلح بينهم ، وقد نصت بنود الصلح على ان يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك العام فلايدخل مكة ، فاذا كان العام القابل دخلها مع المسلمين فاقاموا بها ثلاثا ، معهم سلاح الراكب ، السيوف فى القرب ولا يتعرض لهم باى نوع من انواع التعرض . كما تضمنت الشروط وضع الحرب بين الطرفين عشر

---

(١) ابن كثير - السيرة النبوية (٣ : ٦٣) ، القاضى العياض - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (١ : ٦٨) .

سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وتعتبر القبيلة التى تنضم الى اى الفريقين جزءا من ذلك الفريق فاى عدوان تتعرض له اى من هذه القبائل يعتبر عدوانا على ذلك الفريق واضافة الى ذلك فان من اتى محمدا من قريش من غير اذن وليه - اى هاربا منهم - رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد - اى هاربا منه - لم يرد عليه.(١)

وان بعض المسلمين يتصور ان فى هذا الاتفاق والرجوع الى المدينة دون تحقيق الهدف المنشود انهزام لهم ، وهو ما ذكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما تصور ان بنود الاتفاق فى صالح قريش حيث قال :"..... فعلام نعطى الدنية فى ديننا ..."(٢) ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم اشعر عمر وغيره بان فى ذلك فتح للمسلمين(٣) مما جعل نفوس الصحابة تطمئن ، ولعل ما اورده ابن هشام وابن كثير عن قصة ابى بصير - الذى خرج هاربا من قريش الى الرسول صلى الله عليه وسلم فرده الرسول عليه الصلاة والسلام بناء على الاتفاق - خير دليل على ذلك حيث ان المسلمين اخذوا يرفضون كل من اتى من قريش هاربا بدينه ، وهؤلاء لايستطيعون

---

(١) انظر ابن هشام - السيرة (٣ : ٣١٧ ، ٣١٨) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٣٣٣ ، ٣٣٤) ، المباركفورى صفى الرحمن - الرحيق المختوم (ص٣٨٤) .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٠ : ١٤١) ، ابن هشام - السيرة (٣ : ٣١٧) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٣٣٤) .

(٣) صحيح مسلم (١٠ : ١٤١) .

الرجوع لان قريش ستنال منهم ، وذهب ابو بصير الى سيف البحر، وكل من خرج هاربا من قريش ذهب الى ابى بصير حتى اجتمع منهم عصابة فاخذوا يترصدون لتجارة قريش، ويعترضونها ويقتلون من فيها ويأخذون اموالهم مما اضطر قريش الى ان ترسل للرسول عليه الصلاة والسلام تناشده ان يقبل من اتاه ولا يرده فارسل الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم يستقدمهم الى المدينة بناء على طلب من قريش[١] .

ومن الصفات القيادية التى تمثلت بالرسول صلى الله عليه وسلم الاستعداد او التهيؤ بالقوة المناسبة فى معاركه مع اعدائه ، امتثالا لامر الله جل وعلا حيث يقول :"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"[٢] وبهذا نجد ان الرسول عليه السلام لم يدخر وسعا فى حشد مايمكن حشده من القوات فى المعارك، وكان اذا جاءه نصيبه من الغنائم "اخذ نفقة اهله سنة ، ومابقى يجعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل"[٣] كما ان "الرسول صلى الله عليه وسلم لما سبى سبيا من يهود بنى قريظة ارسل بمن بقى من هؤلاء السبايا مع سعد بن زبير الانصارى رضى الله عنه الى نجد فباعهم واشترى بثمنهم خيلا وسلاحا"[٤] كما ان الرسول كان يعبأ نفسه حتى اننا نجده فى احد لبس درعين[٥]

---

(١) انظر ابن هشام - السيرة (٣ : ٣٢٣ ، ٣٢٤) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٣٣٥ ، ٣٣٦) .
(٢) سورة الانفال : آية ٦٠ .
(٣) مسلم - الصحيح (١٢ : ٧٠) .
(٤) ابن هشام - السيرة النبوية (٣ : ٢٤٥) ، الخزاعى التلمسانى - تخريج الدلالات السمعية (ص ٤٠٨) .
(٥) ابن هشام - السيرة (٣ : ٦٦) .

تهيؤا واستعدادا للقتال .

كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستخدم اسلوب المفاجأة في حروبه او في طريقة تعبئته لجيشه . وذلك بهدف مباغتة العدو، فنجد انه في معركة بدر الكبرى عبأ الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه تعبئة لم تكن قريش تعرفها وهي طريقة الصفوف حيث نظم جيشه صفوفا منتظمة[(١)] ولعل ذلك امتثالا لامر الله جل وعلا حيث يقول :"ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص"[(٢)] ، كما انه في غزوة الاحزاب ، حينما رأى كثرة الاعداء المتحزبين حول المدينة استشار اصحابه في طريقة صدهم واخذ بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر خندق حول المدينة وحصنها من ان يدخلها الاعداء،"حتى ان بعضا من فرسان قريش لما ارادوا بداية اشعال الحرب ولبسوا عتاد الحرب ثم اقبلوا تسرع بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها"[(٣)] .

والحق فان استعمال الرسول عليه الصلاة والسلام اسلوب المباغتة في الدفاع قد افشل خطط العدو في اقتحام المدينة وبهذا عادت قريش والاحزاب خائبين خاسرين بل ومنشقين على انفسهم، بسبب سياسة التخذيل التي باشرها نعيم بن مسعود الغطفاني - الذي اسلم في تلك المعركة - بعد ان اخذ موافقة الرسول عليه السلام بذلك بقوله له :"انما

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٦٢٦) ،ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ٤٠٩) .

(٢) سورة الصف : آية ٤

(٣) ابن هشام - السيرة (٣ : ٢٢٤) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٣ : ٢٠٢) .

انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة"[١].

ومن الامثلة على خطط الرسول صلى الله عليه وسلم في مفاجأة عدوه ماعمله في فتح مكة حيث انه حرص كل الحرص على ان لا تعلم قريش بخبر تجهزه جيشه ولم يخبر المسلمين عامة بجهة مسيره ، وقد دعا الله سبحانه وتعالى بقوله :"اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها"[٢].

وحينما اقدم حاطب بن ابى بلتعة ان يراسل قريش فيعلمهم بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة ، وكتب كتابا اعطاه امرأة وجعل لها جعلا ان هي ابلغته لقريش، "اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن ابى طالب والزبير بن العوام في طلبها ، فخرجا حتى ادركاها بالحليفة ، فاستنزلاها فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئا فقال لها علي : انى احلف بالله ماكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب او لنكشفنك . فلما رأت الجد منه . . . حلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه ، فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال :ياحاطب ماحملك على هذا ؟ فقال :يارسول الله اما والله انى لمؤمن بالله وبرسوله ماغيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت امرءا ليس لي في القوم من اصل ولاعشيرة ، وكان لى بين اظهرهم ولد واهل فصانعتهم عليهم"[٣].

---

(١) ابن هشام ـ السيرة (٣ : ٢٢٩) ،ابن كثير ـ السيرة (٣ : ٢١٤) .
(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٣ : ٣٩٧) ،ابن كثيرالسيرة (٣: ٥٣٣)
(٣) انظر العسقلانى ـ فتح الباري (٧ : ٥١٩) ،ابن هشام ـ السيرة (٣ : ٣٩٨، ٣٩٩) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٣ : ٥٣٦، ٥٣٧) .

وقد اهتم الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ايضا بضمان توفير الحماية اللازمة والضرورية لقواته لذلك فانه كان يرسل الطلائع امام الجيش حتى يستأمن الطريق من العدو ، وربما وضع الكمائن ، اضافة الى ما كان يضع من خفارات ليلية لحماية جيش المسلمين ، وكان الرسول عليه السلام يتولى بنفسه احيانا استطلاع او مسح الطريق الذى يستعمله جيش المسلمين ، ولهذا نجده فى معركة بدر الكبرى يتقدم هو وابو بكر الصديق لدراسة المنطقة واستطلاعها محاولة للتعرف على اخبار العدو ، وقد تمكن فعلا من الحصول على معلومات من شيخ من شيوخ العرب دون ان يكشف امره[1] ، كما انه عليه الصلاة والسلام عندما رجع الى اصحابه فى معسكرهم ارسل ثلاثة من الصحابة هم على بن ابى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن ابى وقاص الى ماء بدر لاستطلاع الاخبار عن قريش ـ مسيرها ومحاولة تجميع المعلومات عنها فما كان من هؤلاء الا ان وجدوا راوية لقريش على ماء بدر فاقتادوهم الى مقر الجيش الاسلامى فاستجوبهم الرسول عليه الصلاة والسلام واخذ كل المعلومات عن قريش[2] ، كما انه صلى الله عليه وسلم تمكن من ان يؤمن الحماية لجيشه بعدم تمكينه العدو من اية معلومات عن المسلمين وقواتهم وذلك بقتل كل عين للعدو . فقد روى ابو داود بسنده عن سلمة بن الاكوع قال : "اتى النبى صلى الله عليه وسلم عين من المشركين فجلس عند اصحابه ثم انسل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوه فاقتلوه فسبقتهم اليه فقتلته واخذت سلبه ، فنفلنى اياه"[3] .

---

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٢ : ٦١٥) ، ابن كثير ـ السيرة (٢ : ٣٩٦) .
(٢) ابن هشام ـ السيرة (٢ : ٦١٦ ، ٦١٧) ، ابن كثير ـ السيرة (٢ : ٣٩٧) .
(٣) ابن القيم ـ زاد المعاد (٢ : ١٧٧) .

كما تمتع الرسول عليه الصلاة والسلام فى المعارك التى يخوضها بروحية ثابتة لا تتبدل فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم واثقا من ربه وبطاعة جنده ، فى كل الحالات والظروف ، وسواء انتصر جيشه ام لم ينتصرففى معركة احد مثلا وبعد الكارثة التى المت بالمسلمين بسبب عدم التزام الرماة بتعاليم قائدهم ، وقفول قريش الى مكة فرحين بهذا النصر نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل على بن ابى طالب فى اثرهم ، وامره ان يعرف اتجاههم وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم "ان رأيتهم ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده لان ارادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم . . ."(١) . وقد كان صلى الله عليه وسلم متمكنا من نفسه فى احلك الظروف والمواقف ، ويمكن ملاحظة ذلك فى جميع المعارك التى قادها وبغض النظر عن نتائجها كيوم احد ويوم الخندق ويوم حنين ، وفتح مكة وغيرها .

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام متعاونا مع صحابته الذين هم جنده ، فلقد اشترك الرسول عليه السلام فى اكثر من ست عشرة غزوة - كما سبق معنا - وقاتل قتالا مباشرا فى ثمانى غزوات منها ، لم يأل جهدا فى قتال المشركين والاسهام فى شتى الفعاليات العسكرية ، كما انه شارك الصحابة رضوان الله عليهم فى حفر الخندق واسهم فى حل العقبات التى تعترضهم(٢) . فكان صلى الله عليه وسلم كما ذكر البراء رضى الله عنه "ينقل التراب يوم الخندق حتى اغمر بطنه . . ."(٣) . كما قام

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية (٣ : ٩٤) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٩٧) .
(٢) ابن هشام - السيرة (٣ : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩) .
(٣) العسقلانى - فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٧ : ٣٩٩) .

الرسول صلى الله عليه وسلم بتوزيع اعمال حفر الخندق على كل الصحابة بان اعطى كل مجموعة منهم ماينا سبها من مهام .

كما امتازت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرونة ، فقد قاد قواته بمرونة وسرعة وكفاءة عالية ، وتدل خطط الرسول صلى الله عليه وسلم الحربية على انه كان يراعي المرونة في تطبيقها وتنفيذها ، فكان يعدل خططه بحسب الظروف المستجدة مما يدل على تطبيقه ذلك المبدأ وكان يعود جيشه على ذلك . كما انه كان كثيرا مايجعل المسير في الليل والراحة في النهار وذلك ينسجم مع طبيعة مناخ الجزيرة العربية ، وحتى يحافظ على السرية والتكتم في اخبار تحركاته . وقد تجاوب الصحابة رضي الله عنهم مع هذه السياسة مع انه كان يوصي سراياه التي يبثها خارج المدينة بذلك[1] .

كما كان الرسول عليه السلام يمتاز ببعد النظر بعد اختيار المقصد وكان يفكر في افضل وانجح السبل للوصول اليه ، ثم يضع الخطط المناسبة للحصول عليه وقد ظهر هذا الاتجاه واضحا في صلح الحديبية الذى سبق وان اشرنا الى بنوده ، حيث كان هدف الرسول عليه السلام واضحا وهو اعتراف قريش به وبدولته لقبولها التفاوض معه ، مما كان له تأثير كبير في معنويات اهل مكة ، وماترتب عليه من قبولهم للصلح .

وهكذا فقد كانت قيادته صلى الله عليه وسلم مثلا يحتذى لمن جاء بعده ، كما ان الاحاطة الشاملة بالصفات التي تمتع بها الرسول القائد تحتاج لان تكون موضوعا مستقلا بذاته ، ولكننا اكتفينا بالاشارة الى بعض تلك الصفات ، لنتعرف على اول قائد للامة الاسلامية اجاد وافاد في

---

(١) ابن كثير ـ السيرة النبوية (٣ : ٤١٨) .

مجال قيادته .

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى انتقلت قيادة الامة الى خلفائه الراشدين رضى الله عنهم ، فكانوا اهلا لقيادة تلك الامة ، ذلك انهم حرصوا كل الحرص على اقتفاء آثار قائدهم الاول والافادة من الدروس والتوجيهات التى خلفها لهم اضافة الى ما اقتبسوه منه من خبرات فى سياستهم المدنية والحربية .

وبجانب ذلك فقد اختار الخلفاء الراشدون لقيادة الجيوش اشخاص اكفاء لهم خبرة واسعة ومهارة كبيرة فى هذا الميدان . كما كان الخلفاء يحرصون على ان يختاروا لقيادة المعارك اشخاصا سبق وان اصطفاهم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض امثال خالد بن الوليد وسعد بن ابى وقاص وابو عبيدة عامر بن الجراح والزبير بن العوام وغيرهم . ومما يدل على حرصهم على اقتفاء آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ، ان ابا بكر رضى الله عنه حرص كل الحرص على انفاذ جيش اسامة الذى كان الرسول عليه السلام قد جهزه والذى حالت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دون انفاذه ، فلقد حرص ابو بكر رضى الله عنه على ان يرسله رغم تكثير بعض الصحابة عليه بان المدينة بحاجة الى هذا الجيش مخافة أن تهجم الاعراب والمرتدون عليها فتنكسر شوكة المسلمين ، ولكن ابو بكر رضى الله عنه اصر على انفاذه وقال قولته المشهورة "لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١) . وفى رواية لابن كثير ان ابا بكر قال : "والله لااحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ان الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو ان الكلاب جرت

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٢٢٦) .

بارجل امهات المؤمنين لا جهزن جيش اسامة ، وآمر الحرس يكونون حول المدينة" يقول ابن كثير "فكان خروجه في ذلك الوقت من اكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يمرون بحي من احياء العرب الا ارعبوا منهم وقالوا : ماخرج هؤلاء من قوم الا وبهم منعة شديدة..."(١). كما حرص ابو بكر ايضا على محاربة المرتدين في الوقت نفسه دون تفريق بين من منع الزكاة او ارتد نهائيا عن الاسلام مصرا على ضرورة عودتهم الى ماكانوا عليه ايام الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعة والتزام .

وكذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما اخذ يرسل الجيوش لفتح بلاد العراق والشام ومصر حيث اختار القادة الافذاذ في فن قيادة المعارك ، ولم يكن عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب رضي الله عنهم باقل من ذلك ، لذا نجد انه من الضروري ونحن نتحدث عن القيادة في الجيش الاسلامي ان نذكر اهم الشروط التي توفرت في قادة المعارك الاسلامية الاولى او التي يجب توفرها فيمن يتولى قيادة الجيش الاسلامي .

فاول مايجب على قائد الجيش في الدولة الاسلامية ان يكون مسلما ورعا وان يتقي الله في جميع اعماله ، فتقوى الله قوة تعين على العدو وتساعد على مواجهته ، كما ان تقوى الله تزيد الايمان وتثبت العقيدة ، وتدفع الى النصر الذي وعد الله به ، ولهذا نجد وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده لولاتهم وقادتهم بالامر بتقوى الله في السر والعلانية(٢)

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية (٦ : ٣٠٤) .

(٢) انظر الطبري ـ تاريخ (٣ : ٢٥١) ، ابن كثير ـ البداية والنهاية (٦ : ٣١٦) ، ابن الازرق ـ بدائع السلك في طبائع الملك (٢ : ٦٢) محمد فرج ـ المدرسة العسكرية (ص١٦١) .

وان يلجأ الى الله سبحانه وتعالى ويتضرع اليه بالدعاء طلبا لنصر الاسلام والمسلمين وتحقيقا لهزيمة اعداء الدين ، حتى يتم الفتح وتكون كلمة الله هى العليا . فهذا هو مطلب المسلمين من الجهاد فى سبيل الله فكم كان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوا ربه ويلح فى الدعاء فنجده فى بدر وقبل بداية المعركة يلتجىء الى الله بالدعاء ويقول :"اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلاءها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداه"(١). ويقول ايضا بعد ماحمى وطيس المعركة "اللهم انك ان تهلك هذه العصابة لاتعبد بعدها فى الارض"(٢). وكان يدعوا فى معركة الخندق على الاحزاب ويقول :"اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اللهم اهزم الاحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"(٣).

وينبغى على قادة الجيوش ان يكونوا من ذوى الخبرة التامة بشئون الحرب وخططها ، وقد اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال " الحرب خدعة"(٤) ولهذا نجد ان الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه من بعده كانوا يؤمرون على الجيش اعظم القادة واشهرهم واكثرهم خبرة بامور الحرب .

وينبغى ان يتمتع القائد بمكانة عالية على اقرانه حتى اذا طلب امرا سارع الجميع الى تنفيذه ، واذا قال سمعوا واطاعوا له ، كما ينبغى ان تكون له هيبة فى نفوسهم وأن تستقر محبته فى نفوسهم .

---

(١) ابن هشام - السيرة (٢ : ٦٢١) ، ابن كثير- السيرة (٢ : ٤٠٤) .
(٢) ابن هشام - السيرة (٢ : ٦٢٧) ، ابن كثير - السيرة (٢ : ٤١١) .
(٣) العسقلانى - فتح البارى (٦ : ١٠٦) .
(٤) صحيح مسلم (١٢ : ٤٥) ، ابن هشام - السيرة (٣ : ٢٢٩) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٢١٤) .

وينبغي على قائد الجيش ان يعتني عناية كاملة بجنده دون تفريق والجند في الجيش الاسلامي صنفان كماذكرت المصادر المعتمدة[(١)] :
"المرتزقة ، وهم اهل الديوان والمتطوعة الذين لا ديوان لهم من الاعراب والبوادى وسكان القرى الذين خرجوا فى النفير الذى ندب الله اليه بقوله "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله"[(٢)] فيجب على القائد ان يترفق بهم فى السير ولا يكلفهم فوق طاقتهم ، كأن يكون السير مما لا يقدر عليه اضعفهم ويحفظ به قوة اقواهم ، كما ينبغى ان يجعل لهم يوما من ايام الاسبوع يرتاحوا فيه هم ومراكبهم من عناء السفر"[(٣)] . وعليه ان يتفقد جنده فيستزيد محسنهم بالاعطيات والتكريم ، ويستعيد مقصرهم بحسن الادب ويكون استعقابه بهدف الاصلاح ، غير مغتنم الزلة ولا معترض للعثرة ، فانه لا يصلح الجند الا بعض تجاهل القائد عن بعض الزلل والفلتات[(٤)] .

كما يتوجب على القائد ان يستشير اصحابه واهل الرأى الذين يثق بنصحهم ، والرسول عليه الصلاة والسلام كان يستشير اصحابه . ففى يوم بدر احب ان يأخذ رأى الانصار رضى الله عنهم فى محاربة المشركين

---

(١) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٦) ، وكذلك تسهيل النظر وتحقيق الظفر (ص١٧٣) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٩) .
(٢) سورة التوبة : من آية ٤١ .
(٣) انظر الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٥) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٩) ، ابن الازرق ـ بدائع السلك فى طبائع الملك (٢ : ٦٢) ، محمد فرج ـ المدرسة العسكرية (ص٤٦٢) .
(٤) انظر الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص١٦) ، الماوردى ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر (ص ١٧٢) .

ببدر حيث قال :"اشيروا على ايها الناس"[1]، وكذلك فى غزوة احد نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم استشار اصحابه فى قتال المشركين بالمدينة او خارجها فكان رأى الاغلبية القتال فى احد[2] . فالقائد الناجح هو الذى يستشير اصحابه فى اغلب احواله وخاصة عند الشدائد والملمات[3] فالاستشارة من دستور الاسلام، فقد حث الله سبحانه وتعالى عليها المسلمين وامر رسوله بها بقوله :" وشاورهم فى الامر"[4] وقوله :" وامرهم شورى بينهم"[5] .

كما ينبغى على القائد ان يتعامل مع جنده بالمساواة فلا يميل مع من ناسبه او وافق رأيه ومذهبه، ويتغافل عن من باينه فى النسب او خالفه فى رأى او مذهب[6] لان اظهار مثل ذلك الشىء مدعاة لحدوث الشغب والشقاق والفرقة بين الجند وقيادتهم وبين الجند بعضهم ببعض مما يسبب التنازع الذى ينتج عنه الفشل كما قال تعالى :" ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"[7] .

وينبغى للقائد ان يكون فطنا فى تحركاته بان لا يسير من مكان السى

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٦١٥) ، ابن كثير - السيرة (٢ : ٣٩٢) .

(٢) انظر ابن هشام - السيرة (٣ : ٦٣) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٢٦) .

(٣) انظر الهرثمى - مختصر سياسة الحروب (ص٢٣ ، ٢٥) ، الماوردى الاحكام السلطانية (ص٤٣) ، ابو يعلى - الاحكام (ص٤٥) .

(٤) سورة آل عمران : من آية ١٥٩

(٥) سورة الشورى : من آية ٣٨

(٦) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٣٧) ، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٤١) .

(٧) سورة الانفال : من آية ٤٦

مكان الا وقد بث الطلائع ليتعرف بشكل دقيق على المناطق التي تحيط بخط سير قواته حتى لا يؤخذ على حين غره من كمائن قد تنصب له [١]. ولهذا فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يؤكد على قواده ضرورة ان يتخيروا من اهل الرأى والبأس من يتولى مهمة الاستطلاع، كما يتخير لهم سوابق الخيل واقواها [٢].

يجب ان يكون القائد على حذر شديد فيحسب حساب المفاجآت التي قد تتسبب في ضياع جيشه لسبب او لاخر، وذلك بان يضع الحراسة الدائمة والمستمرة، ويشدد الحراسة خاصة في اوقات الليل واثناء السير وقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا المبدأ في كثير من غزواته [٣].

وينبغي على القائد ان يحرص كل الحرص على جمع اكبر معلومات ممكنة عن عدوه، وان يتعرف على اخباره واحواله، بان يتعرف على نقاط الضعف والقوة عنده، وذلك بان يبث عيونه وارصاده للحصول على تلك المعلومات. وقد سبق معنا كيف كان الرسول عليه السلام يعمل في هذا الشأن، وينبغي على القائد أن يختار من جنده من هم اهل لذلك ممن يثق بصدقهم ونصيحتهم [٤] حتى تكون المعلومات التي يأتون بها مما يعتمد

---

(١) الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٢٩)، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٤٣)، ابو يعلى - الاحكام (ص٤٤)، الطرطوشي سراج الملوك (ص١٥٤).

(٢) ابن الازرق - بدائع السلك في طبائع الملك (٢ : ٦٣).

(٣) الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٢٩، ٣٠)، الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٤٣)، ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ١٠٨، ١٠٩)، ابو يعلى - الاحكام (ص٤٤)، ابن الازرق - بدائع السلك (٢ : ٦٣).

(٤) الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٢٣، ٢٤، ٢٥)، انظر ابن الازرق - بدائع السلك (٢ : ٦٣). ويذكر الهرثمي معلومات مهمة عن الجواسيس منها انه يجب ان لا يعرف احدا من الجواسيس صاحبه حيث لا تؤمن ممالأتهم العدو وتواطئهم على الغش، او ان يورط بعضهم بعضا، ومنها ان لا يعرف احدا من جنده عن جواسيسه حتى لا يشار اليهم في المجالس.

عليه فى الخطط العسكرية ، وبالمقابل فانه يجب اخذ الحذر الشديد من عيون العدو حتى لا يتمكنوا من الحصول على معلومات تنفعهم فى محاربة المسلمين . وقد سبق معنا كيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم فى بدر امر الصحابة بطلب احد عيون المشركين جاء لتقصى المعلومات للعدو فقام سلمة بن الاكوع بطلبه ولحقه وقتله فنفله الرسول صلى الله عليه وسلم سلبه .

وينبغى على القائد ان يعمل على ترتيب جيشه ترتيبا متكاملا بحيث لا يسير ولا يتوقف الا على تعبئة جيدة .

فيذكر ابن كثير انه فى السنة الثانية عشر للهجرة "... سار خالد بن الوليد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار ، وهو على تعبئته"[(١)].

ويذكر الهرثمى "صاحب المأمون" انه "كان اهل الحزم والتجربة يرون لصاحب الحرب ان يكون نزوله ومسيره بالتعبئة فى الامن كما يرونه فى الخوف"[(٢)].

ويذكر ان بعض اهل التجربة بالقتال قد توجه من الشام الى الهند يريد المحاربة بها ، فخندق فى اول منزلة بالشام ، ثم لم يزل يسير وينزل بالتعبئة والخنادق الى ان اظفره الله بعدوه"[(٣)]، كما يذكر انواعا عديدة للتعبئة فى المسير اثناء الخوف حيث يقسم الجيش الى عدة اقسام على حسب مواطن الخوف الذى قد يحدث منها مباغتة العدو[(٤)].

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية (٦ : ٣٤٥) .
(٢) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٢٥) .
(٣) رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٥٨ ، ١٦٠) ، الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٢٦) ، وانظر ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨٦ ، ٤٨٧) .
(٤) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٣٠) .

وينبغي للقائد ان يتصفح الجيش ومن فيه ليخرج من كان فيه تخذيل للمجاهدين وارجاف بالمسلمين ، وربما يكون هناك بعض العيون للاعداء[١] . ولهذا فقد رد الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول في غزوة احد عند ارجافه بالمسلمين[٢] ، ونفس السبب كان وراء رفض الرسول صلى الله عليه وسلم طلب الانصار في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة حتى قال :"لا حاجة لنا فيهم"[٣] .

كما ينبغي على القائد ان يقسم جيشه الى اقسام ويعرف على جنده العرفاء ، ويضع عليهم النقباء ليستطيع من خلال ذلك التعرف بسهولة عليهم ويطلع على احوالهم وطريقة تعبئتهم ، وليعرف مواطن القوة والضعف فيهم اثناء القتال ، فيكون من السهل عليه دعوتهم عن طريق النقباء والعرفاء ، كما ان المسئولية تكون معلقة بعوائق النقباء والعرفاء عند حدوث اى خلل ولهذا نجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يفعل ذلك في بيعة العقبة الثانية حيث انه جعل على الاوس والخزرج اثنى عشر نقيبا[٤] كما وضع العرفاء في بعض مغازيه وخاصة في غزوة حنين[٥] .

وقد اعتاد قادة الفتح ان يجعلوا لكل طائفة او جماعة او قبيلة

---

(١) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٧) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٤٠) .

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٣ : ٦٤) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٣ : ٢٥ ، ٢٧) .

(٣) ابن هشام ـ السيرة (٣ : ٦٤) ، ابن كثير ـ السيرة (٣ : ٢٧) .

(٤) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٣ : ٤٤٣ ، ٤٤٤) ، وانظر ابن ابي الربيع ـ سلوك المالك (ص٦٤) ، الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٣٦) ، ابو يعلى ـ الاحكام السلطانية (ص٤٠) .

(٥) العسقلاني ـ فتح الباري (٨ : ٣٢ ، ٣٣) ، القرطبي ـ الجامع لاحكام القرآن (٦ : ١١٢) ، ابن قدامة ـ المغني (٦ : ٤١٧) .

من المقاتلين معهم شعارا يتداعون به ليصيروا متميزين وبالاجتماع متظافرين وحتى يكون هناك مجال كبير للتنافس فى الاستماتة وشدة البأس فى القتال ذلك ان كل مجموعة ترغب ان تحقق الانتصار والبلاء فى الحرب، وان تظهر بالمظهر الاقوى امام القيادة فيروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه جعل لكل فرقة من فرق جيشه شعارا يتداعون به فـ "جعل شعار المهاجرين يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج يا بنى عبد الله، وشعار الاوس يا بنى عبيد الله..."(١).

وينبغى على القائد ان يكون عالما بالخيل وشئونها، وان يتفقدها فلا يقبل منها الا القوى الجيد ولا يدخل فى خيل الجهاد ضخما كبيرا ولا هزيلا ولا صغيرا، وان يستعرض كل خيل سيشترك فى المعركة حتى يثبت الجيد منها ويعزل الردئ، كما يجب عليه ان يتفقد ظهور الامتطاء والركوب فيخرج منها مالا يقدر على السير ويمنع من يحملها فوق طاقتها(٢).

تلك هى اهم الصفات البارزة التى يجب ان تتوفر فى القائد الناجح والتى حرص الخلفاء على توفرها فيمن يختاروه لمنصب القيادة، مما كان له ابلغ الاثر فى تفوقهم الحربى وانتصاراتهم المستمرة على اعدائهم.

---

(١) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٣٦، ٣٧)، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٤٠)، ابن كثير - البداية والنهاية (٣: ٢٧٤).

(٢) الماوردى - الاحكام السلطانية (ص٣٥)، ابو يعلى - الاحكام السلطانية (ص٣٩).

تسلسل مراتب الجند .

بعد ان تحدثنا عن القيادة والقائد الذى يعتبر هو اعلى رتبة عسكرية فى الجيش، يجدر بنا ان نتحدث عن تسلسل المراتب فى الجيش الاسلامى وماحصل على تلك المراتب من تطور عبر صدر الاسلام والدولة الاموية واوائل الخلافة العباسية .

ولم تتحدث المصادر فى العصر الجاهلى عن وجود الجند ولم تكن هناك قيادات معينة لهم بل ان افراد القبيلة القادرين على القتال كانوا جميعا يحاربون من حاربهم تحت قيادة شيخ القبيلة او من ينيبه عنه . وهكذا فلم تكن عندهم رتب معينة تميز بين المقاتلين ، وقد اشتهروا بالقتال باسلوب الكر والفر وذلك يؤيد انه لم يكن لهم رتب معينة ذلك ان مثل هذا الاسلوب فى القتال لا يسمح ان يضبط الجنود وتحديد مهامهم وترتيب مواقفهم او انتظام صفوفهم .

ولما جاء الاسلام وانتشرت دعوته وقامت دولته ، واصبح الجهاد فى سبيل الله علما من اعلامه بل هو ذروة سنام الاسلام وحاسما فى نشر العقيدة الاسلامية ،كان المسلمون جميعا مستعدون للجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله والدار الاخرة .

ونظرا لما تمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات قيادية وآراء مبتكرة فانه احدث انظمة جديدة فى تقسيم المقاتلة من اجل ان يسهل عليه التعرف عليهم وتوزيع المهام القتالية والمسئوليات فيما بينهم ، ولهذا نجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى بيعة العقبة الثانية ، وحينما اجتمع اليه نفر من الاوس والخزرج جعل عليهم النقباء[1] ، حتى يتحملوا مسئولية البيعة

---

(١) النقيب : شاهد القوم وضمينهم وهو الذى ينقب عن امور جماعته كما ينقب عن الاسرار ، انظر ابن فارس - معجم مقاييس اللغة (٥ : ٤٦٦) ، القرطبي (٦ : ١١٢) .

مع رسول الله والدعوة فى المدينة وهذا يظهر واضحا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام فى بيعة العقبة :"اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم"(١). والحقيقة فان وظيفة النقباء قد اشار اليها القرآن الكريم واوضح انها كانت معروفة عند بعض الامم(٢).

غير ان المصادر لم تذكر ان العرب كانت لهم مثل هذه المراتب

---

(١) ابن حنبل ـ المسند (٣ : ٤٦٢) ، ابن هشام ـ السيرة (١ : ٤٤٣) ابن كثير ـ السيرة (٢ : ١٩٨) .

(٢) فقد اشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى :"ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولا دخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل" . (المائدة : آية ١٢) . فيذكر ابن العربى ان "هذا خطاب اخبر به عن فعل موسى مع اسرائيل ، وبعثه النقباء منهم الى الارض المقدسة ليختبروا حال من بها ويعلموه بما اطلعوه عليه فيها حتى ينظروا فى الغزو اليها . . ." . ويذكر ابن كثير فى تفسيره هذه الاية "ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا يعنى عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة . . . وقد ذكر ابن عباس عن ابن اسحاق وغير واحد ان هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجبابرة فامر بان يقيم نقباء من كل سبط نقيب . . ." . انظر ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم (٢ : ٣٢) . فهذا يدل على ان النقباء معروفين من زمن موسى عليه السلام غير اننا لا نعلم هل ان ذلك ظل مستمرا ومعمولا به حتى ماقبيل الاسلام ، وانظر ابن العربى ـ احكام القرآن (٢ : ٥٨٦) ، القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن (٦ : ١١٢) .

فى حروبهم كما ان الحروب التى قامت بين العرب انفسهم وبين العرب وغيرهم لم يرد فى اخبارها شيئا عن ذلك، مما يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما عمل بهذا الاسلوب - اعنى اسلوب توزيع المهام على عاتق قيادات فرعية - لم يكن مقلدا اومقتبسا ممن سبقه .

لقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام اسلوب النقابة فى بيعة العقبة الثانية حيث اخرجوا له اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس[١] وهم :

(أ) نقباء الرسول عليه الصلاة والسلام من الخزرج وهم :

- ابو امامه، اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار[٢] .

- عبدالله بن رواحه بن ثعلبة[٣] .

- سعد بن الربيع بن عمرو بن زهير[٤] .

---

(١) ابن حنبل - المسند (٣ : ٤٦٢) ، ابن هشام - السيرة (١ : ٤٤٣) ، ابن العربى - احكام القرآن (٢ : ٥٨٧) ، ابن كثير - تفسير القرآن (٢ : ٣٢) ، السيرة (٢ : ١٩٨) .

(٢) قديم الاسلام، شهد العقبتين وكان نقيبا على قبيلته، ولم يكن فى النقباء اصغر منه سنا، ويقال انه اول من بايع ليلة العقبة، وهو اول من جمّع بالمدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى حرة بنى بياضه مات على رأس تسعة اشهر من الهجرة، وهو اول من مات من الصحابة بعد الهجرة، واول ميت صلى عليه النبى عليه السلام واول من دفن بالبقيع، ولما مات جاء بنو النجار، فقالوا يارسول الله مات نقيبنا فنقب علينا فقال : انا نقيبكم . انظر ابن حجر - الاصابة (١ : ٥٠ ، ٥١) ، وانظر ابن عبد البر - الاستيعاب فى معرفة الاصحاب (١ : ١٥٣ ، ١٥٦) .

(٣) من السابقين الاولين من الانصار، وكان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا ومابعدها الى ان استشهد بمؤتة، وآخى الرسول بينه وبين المقداد ، وكان يكتب للنبى عليه السلام وهو الذى جاء ببشارة =

- سعد بن الربيع بن عمرو بن زهير .(١)
- رافع بن مالك بن العجلان .(٢)
- سعد بن عباده بن دليم بن حارثة .(٣)

= وقعة بدر الى المدينة فارسله الرسول فى ثلاثين راكبا الى اسير بن زفراء اليهودى بخيبر فقتله ، وكان يقول عنه الرسول نعم الرجل عبد الله بن رواحه ويقول ايضا رحمه الله ابن رواحه انه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة ، وكان اذا لقى احدا من اصحابه يقول له تعالى نؤمن بربنا ساعة . انظر ابن حجر ـ الاصابة (٦ : ٧٧، ٧٨)

(١) هو احد نقباء الانصار ، وآخى الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين عبد الرحمن بن عون ، فقال سعد انني اكثر الانصار مالا فاقاسمك نصف مالي . استشهد رضى الله عنه يوم احد ، حيث ابلى بلاء حسنا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر سعد بن الربيع ؟ فذهب رجل فجعل يطوف بين القتلى فلقيه وطلب منه ان يقرئ رسول الله السلام عنه وكان قد طعن اثنتي عشرة طعنة وطلب منه ان يخبر قومه انه لاعذر لهم عند الله ان قتل رسول الله ، فاخبر الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : رحمه ، نصح لله ولرسوله حيا وميتا انظر ابن حجر ـ الاصابة (٤ : ١٤٤) ، ابن عبد البر ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب (٤ : ١٤٥، ١٤٦) .

(٢) شهد العقبة وكان احد النقباء ، وهو اول من اسلم من الخزرج ، وكان من اهل بدر وذكر ان الرسول عليه السلام لما التقى به فى العقبة اعطاه ما انزل عليه فى العشر السنين التى خلت فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه فقرأ عليهم فى موضعه ، وعجب النبى صلى الله عليه وسلم من اعتدال قلبه واستشهد رضى الله عنه فى احد . انظر ابن حجر الاصابة (٣ : ٢٤٣، ٢٤٤) ، ابن عبد البر ـ الاستيعاب (٣ : ٢٥٠ - ٢٥١) .

(٣) شهد سعد العقبة ، وكان احد النقباء واختلف فى شهوده بدرا والبخارى اثبته ، وكان يقال له الكامل لانه يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمى ، وكان مشهورا بالجود هو وابوه وجده وكان الرسول =

- المنذر بن عمرو بن خنيس (١)
- عبد الله بن عمرو بن حرام (٢)
- البراء بن معرور بن صخر (٣)

= عليه السلام يمنحه راية الانصار، وقيل انه كان يعشى كل ليلة ثمانين من اهل الصفة ومات رضى الله عنه ببصرى سنة ١٥ او ١٦هـ . انظر ابن حجر - الاصابة (٤ : ١٥٢، ١٥٣) ، ابن عبد البر - الاستيعاب (٤ : ١٥٢ - ١٥٩) .

(١) من اهل العقبة وكان احد النقباء وشهد بدرا ، وثبت انه استشهد يوم بئر معونة فى صحيح البخارى وكان يلقب المعنق - اى المسرع - وقد روى عن رسول الله حديثا واحدا وهو . . . ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد سجدتى السهو قبل التسليم . . انظر ابن حجر - الاصابة (٩ : ٢٨٥، ٢٨٦) .

(٢) كان نقيبا شهد العقبة ثم بدرا ، وقتل يوم احد شهيدا وصلى عليه رسول الله قبل الهزيمة وهو اول قتيل قتل من المسلمين يومئذ ودفن هو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، وقد مثل به المشركون فبكت اخته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تبكى ما زالت الملائكة تظله باجنحتها" . انظر ابن عبد البر - الاستيعاب (٦ : ٣٢٩، ٣٣٢) . ابن حجر - الاصابة (٦ : ١٧٤ - ١٧٥) .

(٣) كان من النفر الذين بايعوا البيعة الاولى بالعقبة ، وهو احد النقباء وهو اول من استقبل القبلة متجها نحو الكعبة حيا وميتا ، وكان من اعلم الانصار ، واول من اوصى بثلث ماله ، ومات رضى الله عنه قبل قدوم الرسول عليه الصلاة والسلام للمدينة بشهر ، فصلى على قبره الرسول وكبر عليه اربعا ، انظر ابن حجر - الاصابة (١ : ٢٣٨) ، ابن عبد البر - الاستيعاب (١ : ٢٨١ - ٢٨٣) .

- عبادة بن الصامت بن قيس[1]

ومن الاوس ثلاثة نفر وهم :

- اسيد بن حضير بن سماك[2]
- سعد بن خيثمة بن الحارث[3]

---

(١) كان احد النقباء في العقبة وآخى الرسول بينه وبين ابي مرثد الغنوى وشهد المشاهد كلها بعد بدر ، كما شهد فتح مصر ، وروى ابن سعد انه ممن جمع القرآن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وهو اول من ولي القضاء في فلسطين ، ومات فيها ودفن ببيت المقدس وقبره بها معروف الى اليوم وذلك سنة ٣٤ هـ وكان عمره اثنين وسبعين سنة . انظر ابن حجر - الاصابة في تمييز الصحابة (٥ : ٣٢٢ - ٣٢٤) ابن عبد البر - الاستيعاب في معرفة الاصحاب (٥ : ٣٢٣ - ٣٢٥) .

(٢) كان اسيد من السابقين الى الاسلام ، وهو احد النقباء ليلة العقبة اسلم على يد مصعب بن عمير وقيل على يد سعد بن معاذ ، وكان ممن ثبت يوم احد وجرح حينئذ سبع جراحات وشهد المشاهد بعد احد ، وكان ابو بكر رضي الله عنه لا يقدم احدا من الانصار عليه وتوفي في خلافة عمر سنة عشرين وقيل احدى وعشرين وحمل عمر رضي الله عنه جنازته وصلى عليه . انظر ابن حجر - الاصابة (١ : ٧٥ ، ٧٦) ، ابن عبد البر - الاستيعاب (١ : ١٧٥ - ١٧٩) .

(٣) كان احد النقباء بالعقبة ، ولما مر الرسول عليه الصلاة والسلام بقباء في طريقه الى المدينة وقت الهجرة نزل عند كلثوم بن الهدم وكان اذا خرج منه جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة وكان يقال له بيت العزاب ، ويقال لسعد سعد الخير ، اشترك مع المسلمين في غزوة بدر واستشهد فيها فرضي الله عنه وارضاه . انظر ابن حجر الاصابة (٤ : ١٤٠ ، ١٤١) ، ابن عبد البر - الاستيعاب (٤ : ١٤٣ ، ١٤٤) .

- رفاعة بن عبدالمنذر بن زبير [١]

غير أن بعض المصادر [٢] تشير الى ان رفاعة بن عبد المنذر لم يكن من نقباء الاوس وانما جعلت مكانه مالك بن مالك بن النيهان [٣] .

هؤلاء هم نقباء الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج الذين كانوا نقباء على على قومهم الذين يبلغون سبعين رجلا وامرأة واحدة على بعض الروايات [٤] .

وهكذا نجد ان رتبة النقيب وجدت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه الرتبة استعملت فى التنظيم العسكرى فى جيش الاسلام الذى

---

(١) يكنى ابا لبابه ، كان احد النقباء ليلة العقبة ، شهد المشاهد كلها الا بدرا وعد من اصحاب بدر لان الرسول صلى الله عليه وسلم رده وامره على المدينة وفرض له سهمه فى بدر ، وحمل فى فتح مكة راية بنى عمرو بن عوف ، مات رضى الله عنه فى خلافة على وقيل مات بعد مقتل عثمان رضى الله عنه . انظر ابن حجر - الاصابة (١١ : ٣٢٢) ، ابن عبد البر - الاستيعاب (٣ : ٢٧٣) .

(٢) انظر ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٤٤٥) ، ابن العربى - احكام القرآن (٢ : ٥٨٨) ، ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (٢ : ٣٢) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٢ : ١٩٩) ، البغدادى - المحبر (ص٢٦٩) .

(٣) يكنى ابا الهيثم شهد بيعة العقبة الاولى والثانية ، وكان احد الستة الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، وهو اول من بايع الرسول ليلة العقبة على بعض الاقوال ، وشهد المشاهد كلها وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين ، وقيل سنة احدى وعشرين وقيل قتل فى صفين مع جيش على بن ابى طالب رضى الله عنه . انظر ابن عبد البر - الاستيعاب (٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٤) ابن الاثير "ويروى ان معهم امرأتان وليست واحدة" . انظر الكامل (٢ : ٩٨) ، ابن كثير - السيرة (٢ : ١٩٧) . وهناك روايات تذكر انهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين . انظر ابن هشام - السيرة (٢ : ٤٤١) ، السهيلى - الروض الانف (٤ : ١٣٥) .

كونه عليه الصلاة والسلام، وهذا يخالف ما ذكره البعض من "ان اول من احدث وظيفة النقيب هو زياد بن ابيه"[١].

كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام لما كبر عدد جيشه، فانه وزع الجند وفق رتب عسكرية تكفل تسهيل التعرف على الجند فاحدث رتبة اخرى من الرتب العسكرية وهى رتبة "العريف"[٢].

ورتبة العريف تعتبر اقل من رتبة النقيب[٣]، وقد ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال :"ان العرافة حق، ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء فى النار"[٤]، وشرح الخطابى هذا الحديث بقوله :" العرافة حق : يريد ان فيها مصلحة للناس ورفقا فى الامور، الا تراه يقول ولا بد للناس من عرفاء، وقوله : العرفاء فى النار، معناه التحذير من التعرض للرياسة والتأمر على الناس لما فى ذلك من المحنة، وانه اذا لم يقم بحقه ولم يؤد الامانة فيه اثم واستحق من الله سبحانه العقوبة وخيف عليه دخول النار"[٥]، والرسول عليه الصلاة والسلام فى معركة حنين على

---

(١) رمزية الخير - ادارة العراق فى عهد زياد - رسالة ماجستير مخطوط (ص١٦٣) .

(٢) قال الخليل ان العريف هو القيم بأمر القوم وسمى عريفا لانه عرف بذلك ويتعرف على احوالهم . انظر ابن فارس - معجم مقاييس اللغة (٤ : ٢٨٢)، الخزاعى - تخريج الدلالات السمعية (ص٢٠٥)، ابو داود - السنن (٣ : ٣٤٧) .

(٣) انظر القرطبى - الجامع لاحكام القرآن (٦ : ١١٢) .

(٤) ابو داود - السنن (٣ : ٣٤٨) .

(٥) الخطابى - معالم السنن لابى داود شرح عليه (٣ : ٣٤٧) .

ما اورد الزهري "جعل الناس عرافات فقد جعل على كل عشرة منهم عريفا"(١) ومهمة العريف في ذلك الوقت، ان يكون همزة وصل بين القائد وبين جنده كما انه مسئول مسئولية مباشرة عن تنظيم ماتحت يده من الجند ، وعليه ان يعمل على تلبية مطالب جنده واكمال ماينقص على اى منهم . كما انه عن طريق العرفاء تسهل معرفة الجند معرفة دقيقة ، وكذلك معرفة قدرته وبلاءه في القتال اضافة الى ضمان توزيع اوامر القيادة ووصولها الى الجند ، كما يمكنه تشخيص اى منهم عند استشهاده ، وكذلك عند توزيع الغنائم .

ومما يدل على اهمية وظيفة العرفاء وكونهم همزة وصل بين القائد وجنده ما اورده البخاري رحمه الله في مانقله عن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في حنين من انه حينما جاء وفد هوازن يسترجون الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم سبيهم واموالهم ، خيرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بين السبي او المال ، فاختاروا السبي ، عند ذلك قام الرسول صلى الله عليه وسلم فاستشار اصحابه في هذا الامر بما تطيب به نفوسهم فقال الناس : قد طبنا بذلك يارسول الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"انا لاندري من اذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا"(٢) . ومن

---

(١) ابن قدامة - المغني (٦ : ٤١٧) ، الطبري - تاريخ (٣ : ٤٨٨) ، الخزاعي - تخريج الدلالات السمعية (ص ٤٢٩) .

(٢) العسقلاني - فتح الباري (٨ : ٣٢ ، ٣٣) ، ابن العربي - احكام القرآن (٢ : ٥٨٦ ، ٥٨٧) ، ابن كثير - السيرة النبوية (٣ : ٦٧٠) .

حديث البخاري نلاحظ اهمية العريف ودوره في الجيش الاسلامي ، وان تلك الرتبة وجدت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام/فكان ينظم جيشه منذ البداية على تلك الاسس او تلك الرتب العسكرية . ان المتتبع لغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام في كتب السيرة يدرك انها لم تشر الى شيء من ذلك قبل معركة حنين . ولعل مرجع ذلك ان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في بداية الامر قلة وكان من الممكن معرفتهم وحصرهم وتنظيمهم على اساس قبلي حيث كان يضع على المهاجرين اميرا يكون مسئولا عنهم وبيده رايتهم ، ويجعل على الاوس اميرا منهم وبيده رايتهم ويجعل على الخزرج اميرا وبيده رايتهم وهكذا يجعل على كل فئة من المسلمين قائدا يكون مشرفا على شئون قومه وموجها لهم ، اما وبعد ان تم فتح مكة ودخل الناس في دين الله افواجا ، وكثر المسلمون الذين انضووا تحت لواء الاسلام ، واخذت القبائل من كل مكان تدخل جملة في دين الله فقد كان من اللازم تنظيم هذه الاعداد الهائلة بما يتناسب مع كثرتهم ولهذا نجد ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد اتبع في تنظيم جيشه في معركة حنين اسلوبا آخر امكنه عن طريق السيطرة على زمام المعركة فاوجد العرفاء حيث جعل على كل عشرة من المقاتلين عريفا ، كما اسلفنا .

وهكذا فان رتبة العريف في الجيش الاسلامي كان اول من احدثها هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، غير ان العسكري يذكر في كتابه الاوائل " ان اول من عرف العرفاء هو زياد بن ابيه"(١) وهذا لا يمكن ان يثبت بازاء المعلومات التي قدمها الامام البخاري رحمه الله والتي نص فيها على ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي عمل به في غزوة حنين . واضافة الى ذلك فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما عهد الى سعد بن ابي

---

(١) العسكري - الاوائل (ص٢٤٣) .

وقاص بقيادة جيش الفتح الى العراق فى السنة الرابعة عشر للهجرة امره ان "يعشر الناس ويعرف عليهم العرفاء"[1] مما يدل على ان رتبة العريف كانت معروفة فى الجيش الاسلامى من زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانه قد استمر العمل بها خلال عصر الراشدين .

بالاضافة الى تلك الرتب القيادية ، فان المصادر تشير الى رتبة اخرى مما احدثه الرسول عليه الصلاة والسلام وهى رتبة " امير التعبئة" وتظهر تلك الرتبة واضحة عندما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه فى فتح مكة حيث جعله عدة اقسام ووضع على كل فرقة منهم اميرا يتلقى تعليماته من القيادة العليا ، فوضع الزبير بن العوام على فرقة وامره ان يدخل من كداء ووضع سعد بن عبادة على فرقة وامره ان يدخل من كدى ، ووضع خالد بن الوليد على فرقة وامره ان يدخل من الليط اسفل مكة ، وابو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دخل من اذاخر من اعلى مكة[2] .

فمما سبق نلاحظ انه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت هناك رتبا قيادية فى الجيش الاسلامى هى الاولى من نوعها فى ذلك الوقت وانها كانت كالتالى مرتبة على حسب الاولوية : القائد العام وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وامراء التعبئة ، والنقباء ، والعرفاء ، ثم الجنود .

واستمرت تلك الرتب القيادية خلال العهود الاسلامية التالية فنجد ان الخلفاء الراشدين وكذلك خلفاء بنى امية وخلفاء بنى العباس

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٨) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٤٥٢) .

(٢) انظر ابن هشام ـ السيرة (٣ : ٤٠٦ ، ٤٠٧) ، الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٥٦ ، ٥٧) ، ابن كثير ـ السيرة النبوية (٣ : ٥٥٨ ، ٥٦٠) .

كانت جيوشهم لا تخلوا من تلك الرتب، غير ان هذه الرتب تطورت وزادت على اثر كثرة المجاهدين وتنوع الخطط الحربية وماتتطلبه من تعبئة ، فكان تسلسل الرتب فى عهد الخلفاء الراشدين كالتالى :

امير الجيش او المشير : وهو امير الجيش "الذى يصدر الناس كلهم عن رأيه"[١] .

خليفة الامير : وهو الذى يتولى القيادة بعد امير الجيش، كما يساعده فى كثير من شئونه .

امراء الكراديس : وهم كل امير يتولى شئون الكردوس الواحد بما فيه من تعبئة[٢] .

امراء التعبئة : وهم كل امير يتولى قيادة جزء من اجزاء الكردوس كامير الميمنة وامير الميسرة وامير القلب ونحوه[٣] .

النقباء : ويكون تحت امرة كل واحد منهم عشرة عرفاء .

العرفاء : ويكون تحت امرة كل واحد منهم عشرة جنود[٤] .

كما ان تسلسل تلك الرتب القيادية لم يكن مستقرا على الدوام فى صدر الاسلام بل كانت تختلف باختلاف القادة احيانا وطبيعة المعارك احيانا اخرى ، ففى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى معركة القادسية فى

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ٨) .
(٢) انظر الطبرى - تاريخ الرسل (٣ : ٣٩٦) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤١١) ، ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ٨) .
(٣) الطبرى - تاريخ (٣ : ٣٩٦) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤١١) ، ابن كثير - البداية والنهاية (٧ : ٨) .
(٤) انظر ثابت - الجندية (ص ١٢١) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص ٤٥٢) ، شيت خطاب - مجلة المجمع العلمي (٢١ : ١٤٦) .

السنة الرابعة عشر للهجرة حصل تطور جديد في تنظيم وارتباطات القيادة ولننظر الى ماذكره الطبري عن تلك المعركة من حيث توزيع مهام القيادة بناء على امر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كتب الى سعد "اذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس، وعرف عليهم ، وامر على اجنادهم وعبهم ، ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا ، وقدرهم وهم شهود ، ثم وجههم الى اصحابهم ، وواعدهم القادسية ، واضمم اليك المغيرة بن شعبة في خيلك"[1] . وقد نفذ سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه اوامر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ف :"امر امراء الاجناد وعرف العرفاء ، فعرف على كل عشرة رجلا . . . وامر على الرايات رجالا من اهل السابقة ، وعشر الناس وامر على الاعشار رجالا من الناس لهم وسائل في الاسلام وولى الحروب رجالا فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها ومجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها ، فلم يفصل الا على تعبيته"[2] .

اما عن طريقة تسلسل تلك المراتب فيذكر الطبري ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه رتب جيشه " فكان امراء التعبئة يلون الامير، والذين يلون امراء الاعشار، والذين يلون امراء الاعشار اصحاب الرايات، والذين يلون اصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل"[3].

واذا نظرنا الى اهمية تلك الرتب بالاضافة الى النواحي العسكرية التي سبق ذكرها والتي من شأنها ان تحفظ الجند وتنظمهم ويسهل

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٨) .
(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٨) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤٥٢) .
(٣) الطبري - تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٩) .

التعرف عليهم فى اى حالة من الحالات[1]، نجد ان هذا التنظيم ايضا له اهميته من النواحى المادية فى توزيع الغنائم، وتقدير الاعطيات ودفعها وتوصيلها الى اصحابها، فكان العطاء لا يدفع الى الجند مباشرة كما يتصور البعض وانما كان يدفع عن طريق الرتب القيادية، فيذكر الطبرى فى رواية عن عطية بن الحارث قال :" قد ادركت مائة عريف، وعلى مثل ذلك كان اهل البصرة، كان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ايادى العرب، فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء، فيدفعونه الى اهله فى دورهم"[2] فكان هذا التنظيم المالى للجند فى صدر الاسلام من اقوى الادلة على تقدم المسلمين فى شئون النظم المالية والادارية لدرجة اننا نجد ان عطاء الجندى يصله فى بيته وعند اهله، مما يدل على ان هناك حصر شامل ودقيق للجند .

اما فى الدولة الاموية فانه قد حصلت بعض الاضافات على الرتب القيادية غير ان اسس التنظيم السابق كانت على ماهى عليه، وكان من ضمن هذه الرتب العسكرية التى استحدثت رتبة "المنكب"[3]. ويذكر العسكرى ان اول من احدثها هو زياد بن ابيه وذلك انه حينما "عرف العرفاء جعل عليهم المناكب، وقال : العرفاء كالايدى والمناكب فوقها"[4] ويتضح من هذا

---

(١) انظر الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٠٤) ، ابن طلحة ـ العقد الفريد (ص١٥٦) ، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣ : ٤٨٨) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ٤٩) ، المقريزى ـ الخطط (١ : ١٥٠) .

(٣) يذكر الجوهرى ان المنكب هو رأس العرفاء . انظر الصحاح (١ : ٢٢٨) ، اما ابن فارس فيذكر ان المنكب عون العريف :"اى اقل منه رتبة" وشبه بمنكب الانسان لانه يقوى امر العريف كما يتقوى بمنكبه الانسان . انظر معجم مقاييس اللغة (٥ : ٤٧٤) .

(٤) العسكرى ـ الاوائل (ص٢٤٣) ، رمزيه الخيرو ـ ادارة العراق (ص١٦٣) .

النص ان المنكب اعلى من العريف بل هو رئيسه ولعل هذا يؤيد الرأى القائل بان المنكب اعلى من العرفاء [١].

ومهما يكن من امر هذه الرتبة ومكانتها بين الرتب العسكرية في العصر الاموى فانها استحدثت في ولاية زياد بن ابيه على العراق غير ان المصادر لم تذكر لنا شيئاً يوضح طبيعة تلك الرتبة كما لم تشر الى ما اذا كانت موجودة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين غير ان هناك بعض الباحثين المعاصرين من يذكر بان هذه الرتبة كانت موجودة عند العرب ومعروفة عندهم قبل الاسلام، فيذكر محمد فرج دون ان يوضح مصادر معلوماته بان تلك الرتبة كانت معروفة عند العرب، واضاف بان زعيم القبيلة عندما يجد نفسه غير قادر على حضور المعركة فانه يرسل من ينوب عنه ويسمى المنكب [٢].

اما في العهد العباسي الاول فان المراتب القيادية تكاد تكون مستقرة ويصف المسعودى الرتب القيادية في فترة الصراع بين الامين والمأمون اثناء حصار بغداد فيذكر ان قائد المأمون حينما عبأ جيشه اتخذ :" على كل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب. وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد امير." [٣] فيتضح لنا من ذلك ان تسلسل الرتب العسكرية في الجيش العباسي كانت كما يلي :

الامير : ويكون تحت قيادته عشرة من القادة.

---

(١) الجوهرى - الصحاح (١ : ٢٢٨).
(٢) محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص ٤٢)، انظر نعمان ثابت الجندية (ص ١١).
(٣) المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٤١١).

القائد : ويكون تحت قيادته عشرة نقباء .
النقيب : ويكون تحت اشرافه عشرة من العرفاء .
العريف : ويتولى القيادة على عشرة جنود .

وهكذا نجد انه وفق هذا التنظيم وهذا التشكيل العسكرى للرتب القيادية يمكن ان يكون عدد كل بعث من البعوث من المسجلين فى الديوان يكون فى حدود عشرة آلاف مقاتل[1] . غير انه لا ينبغى ان تعتبر هذه هى القاعدة فقد تجتهد القيادة تحت ظروف امنية محددة او للرغبة فى التأثير فى معنويات الجند المسلمين او تخذيل جند الاعداء زيادة او تقليص الارقام المذكورة والمرتبطة بتقسيمات التعبئة العسكرية . ومثل هذا قد حصل فعلا فى العراق قبل القادسية حين تأزمت الامور فرغبت القيادة فى رفع معنويات المجاهدين وفى تخذيل الفرس فاعادت عملية التعبئة وجعلتها على شكل كراديس صغيرة متتابعة مع رايات متنوعة والوية معقودة مما اذهل العدو كثيرا واشغله حتى وصلت نجدات الخلافة[2] .

اضف الى ذلك انه بجانب الجند المسجلين فى الديوان ، كانت تلتحق بقوات الجهاد الاسلامى اعداد كبيرة من المتطوعة يتحملون نفقات انفسهم ويساهمون فى الجهاد دفاعا عن الامة وعقيدتها . ومن الطبيعى ان يكون امر مثل هؤلاء موكول الى قائد الجيش الذى يدخلهم فى حساباته للتعبئة والخطط التى يضعها للمعارك ، وهكذا فان تصور الجيش مجردا من هؤلاء المتطوعة امر لا يعطى صورة كاملة عن طبيعة الواقع .

---

(١) انظر ابن ابى الربيع - سلوك المالك - مخطوط (ص٢٣ب) ، ابن العربى - التدبيرات الالهية (ص١٩) ، رسالة ارسطو للاسكندر مخطوط (ص ٢٨أ) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص٢٥٤) .
(٢) اورد الطبرى فى تاريخه تفصيلات عن ذلك . انظر مثلا (٣ : ٤٨٤ - ٤٨٨) .

وبجانب هذا فان المعروف هو ان ينشغل المسلمون في حروب مختلفة في مواقع متعددة في وقت واحد وقد حصل مثل ذلك في صدر الاسلام حين انفذ الخليفة الرائد الاول رضي الله عنه جيش اسامة في الوقت الذي كانت فيه قوات المسلمين الاخرى تتجه نحومواقع المرتدين بقصد اخضاعهم واعادتهم الى حظيرة الاسلام .

ومن امثلة ذلك ايضا انشغال جيوش المسلمين في فتح العراق وبلاد الشام في عدد من المعارك في وقت واحد تقريبا . وكذلك ماجرى خلال الفترة التالية حيث جرى فتح مصر في الوقت الذي كانت جيوش المسلمين في المشرق مشغولة بتصفية جيوب المقاومة الفارسية (١) .

وخلال العصر الاموي اشتركت جيوش اسلامية متعددة في اعمال فتح بلاد افريقية والاندلس من جهة واستمر الجهاد في بلاد ماوراء النهر من جهة ثانية وتوجهت جيوش اخرى لفتح السند وبلاد الهند من جهة ثالثة (٢) . ونفس الشيء حصل في خلال العصر العباسي الاول حين انشغلت جيوش الدولة الاسلامية في عدة مواقع في وقت واحد سواء في اقرار الاوضاع الداخلية او القضاء على الثورات المضادة او صد عدوان الروم او القيام بالصائفة او الشاتية وقد تكرر ذلك في مناسبات متعددة ولذلك فان محاولة اعطاء عدد تقريبي لاحد جيوش المسلمين لايعني بحال من الاحوال اعداد الجند الذين يتولى ديوان الجند الاشراف عليهم وهو

---

(١) الطبري - تاريخ (٤ : ١٠٥ - ١٠٨) ، البلاذري - فتوح البلدان (ص ٢٤٩) .

(٢) حصل ذلك خلال ولاية الحجاج بن يوسف للعراق عام (٧٥هـ) انظر ذلك في الطبري - تاريخ الرسل حوادث مابين عامي ٧٨-٩٢هـ (جـ٦)

اجمالي عدد المسجلين في الديوان في مختلف اقاليم الدولة الاسلامية التابعة للادارة الاسلامية في وقت معين اضف الى ذلك قصور مثل هذه الاحصاءات الافتراضية عن ان تدخل في الحساب مايضاف الى الديوان من اسماء نتيجة توجهات الخلفاء او الامراء في الاقاليم واستحداثهم الفرق الجديدة او الاضافات الجديدة في العطاء او مايجرى في اوقات الازمات حين يتطلب الامر تجنيد كل القادرين على القتال وهذا من الناحية النظرية يشمل غالبية الرجال البالغين في اراضي ديار الاسلام بمجموعها[1].

الالوية[2] والرايات :

هناك من يرى بان الرايات والالوية شيء واحد ، وهناك من يفصل بينهما ، وقد نقل العسقلاني عن ابن العربي قوله :" اللواء غير الراية فاللواء مايعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ، والراية مايعقد فيه حتى تصفقه

---

(١) من امثلة ذلك ماعمله الفضل بن يحيى البرمكي حين عينه الرشيد اميرا على خراسان فقد اقدم على تشكيل فرقة جديدة من الخراسانيين الفرس قوامها خمسمائة الف مقاتل اطلق عليها اسم العباسية . وقد اصطحب منهم عشرون الف رجل عندما عاد الى بغداد عرفوا باسم الكرنبية .
عن ذلك انظر الطبرى ـ تاريخ الرسل (٨ : ٢٥٧) .

(٢) مفردها لواء بكسر اللام والمد ويسمى العلم وهي التي يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه ، انظر العسقلاني ـ فتح الباري ، الشرح (٦ : ١٢٦) ، ويذكر الرازي ان الالوية هي دون الاعلام والبنود ، مختار الصحاح (ص٦٠٩) ، وانظر الخزاعي تخريج الدلالات السمعية (ص٣٥٨) .

الرياح"[1].

وقيل اللواء هو العلم الذي يكون مع الامير يدور معه حيث دار والراية هي التي يتولاها صاحب الحرب[2].

ومما يدل على وجود الاختلاف بين الالوية والرايات وخاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مارواه ابن سعد من ان الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر " وعظ الناس وفرق فيهم الرايات ولم تكن الرايات الا يوم خيبر انما كانت الالوية"[3].

وكذلك مارواه ابن عباس رضي الله عنه في فتح مكة من انه صلى الله عليه وسلم "كانت رايته سوداء ولواؤه ابيض"[4].

وهكذا فان اللواء يختلف عن الراية، فاللواء يكون واحدا في المعركة ويكون مع قائد الجيش او مع من ينيبه عنه، اما الرايات فقد تتعدد في المعركة الواحدة، كما حصل في غزوة خيبر فيذكر ابن سعد :"ان الرسول صلى الله عليه وسلم دفع لواءه لعلي بن ابي طالب، ودفع راية الى الحباب بن المنذر وراية اخرى الى سعد بن عبادة"[5].

وعند البحث في الاصول التاريخية للالوية والرايات فان المراجع تذكر انها كانت معروفة من عصور ماقبل الاسلام، فقد كان من عادة العرب اتخاذ

---

(١) فتح الباري "الشرح" (٦ : ١٢٦) ، الخزاعي - تخريج الدلالات السمعية (ص ٣٥٨) .
(٢) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٦) .
(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى (٢ : ٧٧) .
(٤) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٦) .
(٥) ابن سعد - الطبقات (٢ : ٧٧) ، اما العسقلاني فيرى العكس من ذلك انظر فتح الباري (٦ : ١٢٧) .

اللواء في حروبهم كما كان من عادتهم ايضا جعل الرايات في اطراف الرماح ، وقد استعملت جيوش الدولتين الكبيرتين قبل الاسلام ذلك ايضا[1] .

وحينما جاء الاسلام وامر المسلمين بالجهاد في سبيل الله وبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام في قتال المشركين نجد انه استحدث بعض التقاليد الحربية ، غير انه صلى الله عليه وسلم استمر على استعمال بعض التقاليد التي كانت معروفة آنذاك ومن ذلك الالوية والرايات فنجد ان الرسول عليه الصلاة والسلام حينما ارسل سرية بقيادة عبيدة بن الحارث للتعرض لقريش عقد له راية فكانت هذه الراية هي اول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام[2] .

كما ان الرسول عليه الصلاة و السلام استعمل اللواء وذلك في اول غزوة غزاها بنفسه وهي غزوة ودان بين مكة والمدينة في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة حين كان يريد قريشا فاستعمل اللواء حيث دفعه الى عمه حمزة بن عبد المطلب[3] .

وهكذا فقد استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام الالوية والرايات في مغازيه كما كان يعقدها لمن يرسلهم في السرايا[4] وذلك لما تمثله هذه

---

(١) محمد فرج ـ المدرسة العسكرية (ص٣٥٤) ، العدوي ـ النظم الاسلامية (ص٣٢٥) .

(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية (٢ : ٥٩٥) ، ابن كثير ـ السيرة (٢ : ٣٥٨) .

(٣) ابن القيم ـ زاد المعاد (٢ : ٢١٢) ، ابن كثير ـ السيرة (٢ : ٣٥٦) .

(٤) لمزيد من المعلومات انظر ابن هشام ـ السيرة في جميع المغازي ابن القيم ـ زاد المعاد في هدى خير العباد (٢ : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩) ، العسقلاني ـ فتح الباري (٦ : ١٢٦ - ١٢٨) ، (٧ : ٤٧٦ ، ٤٧٧) ، ابن كثير ـ السيرة ـ في حديثه عن المغازي والسرايا .

الالوية والرايات من رمز للقوة والرفعة والثبات للمسلمين في القتال والاستماتة حول الراية في سبيل بقاءها مرفوعة لان ثبات الراية يعني القوة والانتصار، كما ان سقوطها يعني الهزيمة والاندحار[١]، فلو نظرنا الى ماكان عليه المسلمون يوم احد في امر اللواء الذي اعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي ظل يحامي عنه واستبسل من اجل استمرار رفعه وثباته، وقبيل استشهاده فانه دفع اللواء الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه[٢]. ونفس الشيء فعل المشركون ايضا في احد ذلك ان الذين كلفوا بحمل الويتهم كانوا يُقتلون الواحد تلو الاخر غير انهم يحرصون على الدوام على بقاء اللواء مرفوعا[٣].

ومثل ذلك حصل في معركة مؤتة حيث كان قائد المسلمين وحامل رايتهم هو زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل حتى استشهد، ثم اخذها من بعده جعفر بن ابي طالب فاخذها بيمينه فقطعت، ثم اخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه حتى قتل شهيدا رضي الله عنه، ثم اخذها من بعده عبد الله بن رواحه، فقاتل حتى استشهد رضي الله عنه، ثم اخذها ثابت بن اقرم، وطلب من المسلمين ان يصطلحوا على رجل يتولى قيادتهم، فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه فاخذ الراية فاخذ يدافع القوم حتى خلص المسلمين من الروم[٤].

---

(١) ابن هشام - السيرة (٣ : ٦٧) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٣١) .
(٢) ابن هشام - السيرة النبوية (٣ : ٧٣) ، ابن القيم - زاد المعاد (٢ : ٣٤ ٢)
(٣) انظر المباركفوري - الرحيق المختوم (ص٢٨٨ ، ٢٨٩) .
(٤) ابن هشام - السيرة (٣ : ٣٧٨ - ٣٨٠) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٤٦١ - ٤٦٣) .

ذلك ماكان يحمله رفع اللواء وبقاءه منتصبا من اهمية بالغة في رفع معنويات الجند وثباتهم على مواجهة العدو .

وقد استمر استعمال الالوية من قبل الجيش الاسلامي خلال مرحلة حروب الردة ، فقد عقد ابو بكر رضي الله عنه احد عشر لواءا[١] لقوات المجاهدين التي وجهها لحرب المرتدين ، ذلك انه افرد لواء لكل قيادة في جيوش المسلمين .

وقد اتخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الاسلوب ذلك انه حين يبعث الجيوش ويكلفهم بمهمة الدعوة والفتح فانه كان يعقد اللواء الى امير الجيش ويوصيه قبل ان يوجهه[٢] .

وهكذا استمر الحال مع المسلمين في جميع معاركهم حيث اصبحت الرايات والالوية رمزا وتقليدا راسخا من تقاليد الجيش طوال العصور الاسلامية .

اما عن شكل تلك الرايات والوانها فانها كانت تختلف باختلاف العصور واحيانا تكون الرايات والالوية ثابتة الشكل واللون على توالي الخلفاء على ماسنبينه ان شاء الله تعالى .

فاما عن شكل الراية فان بعض المصادر قد اشارت الى راية الرسول صلى الله عليه وسلم التي استعملها في بعض غزواته والتي كانت تسمى "العقاب"[٣]

---

(١) الطبري- تاريخ الرسل (٣ : ٣٨٧) ، ابن كثير- البداية والنهاية (٦ : ٣١٥) ، العظم - اشهر مشاهير الاسلام (ص٤٠) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص٤٥٢) .

(٢) ابن الاثير- الكامل (٢ : ٤٠٩) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص٤٥٦) .

(٣) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٧) ، وانظر ابن كثير =

وكان لونها " اسود"[١] وكانت ايضا "مربعة"[٢] وهي "معمولة من برد لعائشة رضي الله عنها"[٣] . وقيل "كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم من مرط مرحل"[٤] ، وذكر ابن عباس رضي الله عنه انه كان مكتوبا فيها "لا اله الا الله محمد رسول الله"[٥] .

وقد اشارت المصادر الى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل الاسود في رايته كما اسلفنا ، اما اللواء فقد كان ابيض اللون . ويذكر العسقلاني بان "رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواءه ابيض"[٦] ، ويروى ابن عباس رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم " كانت رايته سوداء ولواؤه ابيض"[٧] .

ومن هذه النصوص نلاحظ ان راية الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سوداء اللون اما اللواء فانه ابيض اللون على اغلب الروايات[٨] .

ولهذا نجد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم يتوارثون راية

= السيرة النبوية (٣ : ٥٥٥) ، ابن جماعة - مستند الاجناد (ص٧٤) .

(١) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٦) ، ابن كثير - السيرة (٣ : ٥٥٥) ، الخزاعي - تخريج الدلالات (ص ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(٢) العسقلاني - فتح الباري (٦ : ١٢٦) ، الخزاعي - تخريج الدلالات (ص ٣٥٧) .

(٣) ابن سعد - الطبقات (٢ : ٧٧) وانظر الخزاعي - تخريج الدلالات (ص ٣٥٦) .

(٤) ابن كثير - السيرة (٣ : ٥٥٥) ، الخزاعي - تخريج الدلالات (ص ٣٥٦) .

(٥) العسقلاني - فتح الباري (٧ : ٤٧٧) ، ابن جماعة - مستند الاجناد (ص٧٤) ، الخزاعي - تخريج الدلالات (ص٣٥٧) .

(٦) ابن سعد - الطبقات (٢ : ٧٧) ، العسقلاني - فتح الباري (٦ : ١٢٦) الخزاعي - تخريج الدلالات (ص ٣٥٩) .

(٧) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٦) .

(٨) انظر العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٦ : ١٢٦ ، ١٢٧) ، الخزاعي تخريج الدلالات (ص ٣٥٥) .

الرسول عليه الصلاة والسلام السوداء التي تحمل نفس الاسم "العقاب" فيذكر البلاذري[1] ان هذه الراية كانت مع خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما سار الى دمشق قادما من العراق بامر من الخليفة ابي بكر رضي الله عنه .

وقد كان ايضا للخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه راية سوداء تحمل نفس الاسم حملها لولده محمد بن الحنفية في موقعة الجمل[2]، وكذلك الحال في حرب صفين حيث كانت راية علي رضي الله عنه سوداء ايضا[3] .

فمن المحتمل ان تكون هي راية الرسول صلى الله عليه وسلم، وان كان الجزم في مثل هذا الامر يعد من الامور غير المجدية ذلك ان التحزب في هذه المرحلة قد اخذ مداه كما ان النص الذي يشير الى ذلك هو من مرويات احد اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صراعه ضد معاوية رضي الله عنه وجيش الشام وهو الاشتر النخعي كما ان المصدر الذي حفظ لنا هذه الرواية وهو ابن ابي الحديد المدائني المعتزلي المعروف بتشيعه العلوي وتعصبه الشديد، اضافة الى التجريح الشديد الذي يواجهه من اصحاب الحديث واتهامه بالوضع واختراع الاخبار في تأييد وجهته مما يضعف الخبر كثيرا . ويشير النص الى ان الاشتر النخعي كان يثير حماس شيعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه بكلام ورد في ثناياه قوله "... واكثر مامعكم رايات قد كانت مع رسول الله"[4].

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان (ص١٣٢، ١٣٣) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤٠٩) ، كما يروي ابن جماعة ان هذه الراية قاتل بها خالد بن الوليد في حروب الردة ضد بني حنيفة ومسيلمة ثم مضى بها الى الجزيرة ثم الى الشام فقاتل بها في وقائع الشام . انظر مستند الاجناد في آلات الجهاد (ص٧٤) .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ٥١٤) ، ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة (٢ : ٤٣٠) .

(٣) ابن ابي الحديد - الشرح (٢ : ٢٧٠) .

(٤) م.س.ن. (١ : ٤٨٤) .

وحيث انه لم يرد في ثنايا النصوص الموثقة ماينفي ذلك فان من المحتمل ان يكون ذلك صحيحا خصوصا اذا ادخلنا في الاعتبار مكانة وقرابة الخليفة على بن ابى طالب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما خلال عصر الدولة الاموية ، فقد تواترت المصادر على انهم استعملوا الرايات البيضاء . وقد وردت رواية ضعيفة في أن معاوية رضى الله عنه كان في صفين يجلس في قبة بيضاء[1] . كما وردت رواية اخرى متأخرة تذكر بانهم استعملوا الحمرة في راياتهم[2] . غير ان الثابت من النصوص استعمالهم اللون الابيض[3] . ولعل في اتخاذ خصومهم العباسيين اللون الاسود مايشير الى دقة ذلك اضافة الى ان اللون الابيض بقي شعار الامويين حيث نقلوه معهم الى الاندلس[4] . الا ان السواد عاد شعارا شائعا حينما رفع الشيعة العباسيون في خراسان الرايات السوداء شعارا لهم ولهذا اسموا بـ"المسوده"[5] ، ولعل سبب اختيارهم لهذا اللون هو احياء لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى كانت له راية سوداء . ولعلها جزء من الدعاية المضادة للامويين والتي تعمدت تجميع الرأى العام ضدهم من جهة

---

(١) ابن ابى الحديد - الشرح (٢ : ٢٦٩) .
(٢) انظر الحسن بن عبدالله - آثار الاول (ص١٠٢) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص٥٥٤) .
(٣) انظر مصطفى جواد - مجلة لغة العرب العدد ٩ (ص٦٩٦) .
(٤) انظر ابن خلكان - وفيات الاعيان (٢ : ٣٧٢) ، مصطفى جواد - مجلة لغة العرب (٩ : ٦٩٦) .
(٥) العمراني - الانباء في تاريخ الخلفاء تحقيق د . قاسم السامرائي (ص٥٩) ، الحسن بن عبدالله - آثار الاول (ص١٠٢) .

ولصالح الدعوة من جهة اخرى ولعلهم قصدوا من ذلك الاستفادة من المرويات عن ظهور المهدى " طلوع الرايات السود من قبل المشرق وبها المهدى صاحب الزمان الذى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا"(١)

ولعل ذلك مادعى الخليفة ابى جعفر المنصور الى التأكيد على الخاصة فى لبس السواد ، ومنعه من ان يدخل اليه احد من الخاصة فى مقصورته التى بناها فى جامع مدينته .الا لاولئك المتميزين بلبس الاقبية ذات اللون الاسود.(٢) وقد استمر السواد شعارا للعباسيين حتى نهاية فترة البحث باستثناء ماحصل سنة ٢٠١هـ حين "جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ولى عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم وامر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة وكتب بذلك الى الافاق"(٣).

لقد حاول عيسى بن محمد بن ابى خالد قائد الجيش العباسى فى معسكر بغداد تنفيذ رغبة الخليفة المأمون ، فدعا الجند من اهل بغداد الى ذلك "على ان يعجل لهم رزق شهر، والباقى اذا ادركت الغلة ، فقال بعضهم نبايع ونلبس الخضرة وقال بعضهم لا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الامر من ولد العباس وانما هذا دسيس من الفضل بن سهل

---

(١) انظر ابن ماجه ـ السنن تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى باب الفتن (٢ : ١٣٦٦) .

(٢) البغدادى ـ تاريخ بغداد (١ : ٤٨) .

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٥٥٤) ، وانظر ابن الاثير ـ الكامل (٦ : ٣٢٦) ابن طباطبا ـ الفخرى فى الاداب السلطانية (ص٢١٧) .

فمكثوا بذلك اياما وغضب ولد العباس من ذلك ، واجتمع بعضهم الى بعض وتكلموا فيه وقالوا نولى بعضنا ونخلع المأمون"[١] .

ان التطور الذى اعقب هذا الموقف الرافض هو انتشار المعارضة الشديدة بين الشيعة العباسية وهم اهل بغداد ، وكان رد الفعل عنيفا ذلك ان العباسيين فى بغداد اظهروا "انهم قد بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة ، ومن بعده ابن اخيه اسحاق بن موسى بن المهدى ، وانهم قد خلعوا المأمون"[٢] .

ولم يكتفوا بذلك الاعلان بل حرصوا على كسب الجند وعامة الناس فى امر نقل الخلافة فيذكر الطبرى بانهم اعلنوا "... انهم يعطون عشرة دنانير كل انسان..."[٣] .

وفى سنة ٢٠٢هـ فى اول يوم من المحرم بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة "فكان اول من بايعه عبيدالله بن العباس بن محمد الهاشمى ، ثم منصور بن المهدى ، ثم سائر بنى هاشم ، ثم القواد"[٤] .

وهكذا فان مبايعة قواد الجند لابراهيم بن المهدى لا تمثل فى الحقيقة انعكاسا لمصلحة شخصية او فائدة ذاتية بقدر ماتعكس موقف مبدأى ذلك انهم وقفوا هذه الوقفة الموحدة " غضبا منهم على المأمون حين اراد اخراج الخلافة من ولد العباس الى ولد على ، ولتركه لباس آبائه من

---

(١) الطبرى - تاريخ (٨ : ٥٥٤ - ٥٥٥) .
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٥٥٥) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٦ : ٣٢٧) .
(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٥٥٥) .
(٤) م.س.ن. (٨ : ٥٥٧) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٦ : ٣٤١) .

السواد ولبسه الخضرة"[1].

لكن المأمون حينما علم وادرك معارضة بنى هاشم لفكرته وانهم بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة بدلا عنه، عزم على الشخوص الى بغداد وحينما وصلها اجتمع له بنوا هاشم وولد العباس خاصة "وقالوا له يا امير المؤمنين، تركت لباس آبائك واهل بيتك ودولتهم، ولبست الخضرة وكتب اليه فى ذلك قواد خراسان، وقيل انه امر طاهر بن الحسين ان يسأله حوائجه، فكان اول حاجة سأله ان يطرح لباس الخضرة، ويرجع الى لباس السواد وزى دولة الاباء . فلما رأى طاعة الناس له فى لبس الخضرة وكراهتهم لها ... دعا بسواد فلبسه ودعا بخلعة سواد فالبسها طاهرا ثم دعا بعده من قواده فالبسهم اقبية وقلانس سوداء، فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد طرح سائر القواد والجند لبس الخضرة ولبسوا السواد وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة ٢٠٤هـ"[2].

تمصير الامصار .

سبق ان تحدثنا عن تنظيمات الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة التى اصبحت عاصمة للدولة الاسلامية الفتية[3]، ونتيجة لذلك التنظيم وماتتطلبه تعاليم الدين الاسلامى من نشر الاسلام واعلاء كلمة الله

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٥٥٧) .
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٨ : ٥٧٤، ٥٧٥) .
(٣) انظر اصول التنظيم فى الفصل الاول .

فقد بدأت كتائب الجيش تنطلق من المدينة معلنة الجهاد في سبيل الله وكانت المدينة آنذاك هي القاعدة الحربية التي توجه تلك الجيوش، التي وسعت من رقعة الدولة الاسلامية تدريجيا ، وفتحت الاقاليم المجاورة للمدينة، ثم زادت من رقعتها فيما بعد لتشمل شبه الجزيرة العربية وفي نهاية عهد الخليفة ابيكر رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، توسعت رقعة الخلافة الاسلامية فامتدت خارج شبه الجزيرة العربية فكان لزاما على امام المسلمين ضمانا لامنهم وحماية لقواتهم ان يعمل على ايجاد مراكز عسكرية خاصة بالجند بحكم بعدهم عن مركز الخلافة ليتخذ وها قاعدة حربية يسكنونها ومنطلقا لمباشرة مهماتهم العسكرية ، ويجعلوا من تلك المراكز نقاط تجمع وانطلاق للفتوحات الاسلامية وقد اشترط امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قادة الفتح تحري مناطق صالحة نزهه تصلح لسكنى قبائل العرب المسلمين على ان تكون على اطراف الصحراء العربية بعيدة عن الرطوبة والمباق . وهكذا جرى اختيار مراكز الجند الاولى المتمثلة في البصرة والكوفة والفسطاط في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث سميت الامصار ثم تبع ذلك اختيار موقع القيروان في افريقية في صدر الدولة الاموية . ان تمصير هذه الامصار قد تم وفق منظور عسكري بحت روعيت فيه متطلبات الامن والقدرة على المناورة وكانت مراكز عسكرية متقدمة لعبت دورا له اهميته الكبيرة في ضمان تماسك القبائل المجاهدة التي تمثلت فيها مادة الاسلام فمنعت من انفراطها او ذوبانها وذلك امر له خطورته في استمرار شعلة الجهاد وفي الوقت ذاته فقد هيأت هذه المراكز الفرصة لتجميع قوى الجهاد واعدادها وتنظيمها ثم امدادها بعد انطلاقها على اسم الله رافعة بنود الدعوة الى الله . ونظرا لاهمية هذه المراكز في موضوع بحثنا فلعل من المناسب القاء

بعض الضوء على كل منها :

البصـــرة[1] :

تقع البصرة الى الجنوب الغربى من نقطة التقاء دجلة والفــــرات جنوب منطقة البطائح فى سواد العراق لا يفصلها عن الجزيرة العربيــة حاجز مائى او ساتر جبلى فهى على طريق بادية نجد الشمالية الشرقيــة ولعل اختيار الموقع هذا يوحى بما عند المسلمين من خبرة فى اهميـــة اختيار المكان المناسب لفكرة الجهاد فى سبيل الله ، فهى تقع علـــــى نهر دجلة العوراء وتطل على الخليج وتقترب من حدود الهند وفــــارس والجزيرة العربية وهى بذلك تحتل مكانا وسطا بين اقاليم مهمة فى الجهة الشرقية لدولة الاسلام الناشئة[2] . وكان سبب حرص المسلمين على انشـــاء مقر لهم فى ذلك المكان ما اورده البلاذرى عن ابى عبيدة قال : " لمـــا نزل عتبة بن غزوان الغريبة كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه نزوله اياهـــا وانه لابد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويكنسون فيه اذا انصرفــوا من غزوهم . فكتب اليه : ان اجمع اصحابك فى موضع واحد وليكن قريبـــا من الماء والمرعى ، واكتب الى بصفته ، فكتب اليه : انى وجدت ارضـــا كثيرة القصبة فى طرف البر الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء ، فلمـــا قرأ الكتاب قال : هذه ارض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطـــب

---

(١) سميت بهذا الاسم ، قيل انها كانت ذات حصى وحجارة سود ، وقيل انها سميت بصرة لرخاوة ارضها . انظر البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٤١٩) ، ويذكر الطبرى ان البصرة كل ارض حجارتها جص . تاريخ (٣ : ٥٩٢) .

(٢) انظر البلاذرى ـ فتوح (ص٤١٩) .

وكتب اليه ان انزلها الناس فانزلهم اياها"[١]. اما الطبري فيذكر "ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث عتبة بن غزوان فقال له : انطلق انت ومن معك حتى اذا كنتم في اقصى ارض العرب وادنى ارض العجم فاقيموا فاقبلوا حتى اذا كانوا بالمرتد وجدوا هذا الكذان . قالوا : ماهذه البصرة ؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير، فاذا فيه حلفاء وقصب نابتة فقالوا هاهنا امرتم"[٢]. وكان قد سبق ذلك ان قام قطبة بن قتادة احد قادة الفتح الاسلامي بالاغارة على العجم في ناحية الخريبة من البصرة قبل ان ينزلها المسلمون ، في فرقة صغيرة فلما بلغ ذلك امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه امره بالتوقف حتى يأتيه امره[٣]. ومالبث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ارسل عتبة بن غزوان "فاقبل عتبة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، وضوى اليه قوم من الاعراب واهل البوادي فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلا او ينقصون قليلا"[٤]. اما البلاذري فيذكر " ان عمر ابن الخطاب وجه عتبة بن غزوان حليف بني نوفل في ثمانمائة الى البصرة وامده بالرجال"[٥] ولعل ذلك العدد الذي جاء في تلك الرواية كان بعد ارسال الدفعات من المقاتلين الى البصرة حيث يذكر ابن سعد ان عمر "اقبل يرسل الرجال اليه المائة والخمسين ونحو ذلك مددا لعتبة الى

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان (ص٤٢٥) .

(٢) الطبري - تاريخ (٣ : ٥٩١) ، وانظر (ص٥٩٤) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤٨٧) .

(٣) انظر الطبري - تاريخ (٣ : ٥٩٣) .

(٤) م.س.ن. (٣ : ٥٩١) .

(٥) البلاذري - فتوح البلدان (ص٤٢٠، ٤٣٠) .

البصرة[١] مما جعل قوات عتبة تزداد شيئا فشيئا .

وقد جعل عتبة من غزوة الخريبة فى بداية الامر قاعدة تحركاته حيث اقام معسكرا من الخيام والفساطيط والقصب[٢] وكان نزولهم بالبصرة فى السنة الرابعة عشر للهجرة فى شهر ربيع الاول - او الاخر[٣] . وبعد ان وطد اقدامه فى المنطقة تحول الى منطقة الدهناء حيث حدد له فيها مكانا للمسجد . وقد بنى عتبة مسجده هذا من القصب وتولى اختطاطه بيده ، ولما تولى ابو موسى الاشعرى ولاية البصرة وسع فى هذا المسجد وبناه من اللبن والطين وسقفه ايضا بالعشب[٤]، كما "بنى عتبة ايضا دارالامارة دون المسجد ، فى الرحبة التى يقال لها رحبة بنى هاشم وكانت تسمى الدهناء ، وفيها السجن والديوان"[٥] . ومن هذا يتضح دور الديوان واهميته المبكرة للفاتحين ويشير فى الوقت نفسه الى بداية تفريع الديوان فى الاقاليم مع المعسكرات - اى بداية ظهور الدواوين المحلية .

ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل المؤقتة "وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو . فاذا رجعوا اعادوا بناءه"[٦]، ولعل مبعث ذلك تخوفا من حصول حرائق فى منازلهم ومرافق

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٧ : ٣) .
(٢) انظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٥٩٣) ، (٤ : ٤٣) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٤٢٥) ، العلى - تنظيمات البصرة (ص٣٧) .
(٣) الطبرى - تاريخ (٣ : ٥٩١) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤٨٧) .
(٤) انظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص٤٢٥ ، ٤٢٦) .
(٥) ن . م . س . (ص ٤٢٥) .
(٦) ن . م . س . (ص٤٢٦) .

مدينتهم اثناء غيابهم عنها خاصة وان مادة القصب سريعة الاشتعال بالاضافة الى تقارب المنازل من بعضها فى ذلك الوقت مما قد ينتج عنه حريق للمدينة بكاملها وهذا ماحصل بالفعل فى شوال سنة ١٧ هـ مما جعل المسلمين يستأذنون عمر فى بنائها باللبن فجاءهم كتاب عمر قائلا لهم "افعلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ابيات، ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة" . وقد تضمنت تعليمات الخليفة لهم :"الايرفعوا بنيانا فوق القدر . قالوا وما القدر قال :مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد"[(١)] . فاختطوا الخطط وبنوا المنازل وبنى المسجد ودار الامارة باللبن والطين[(٢)] .

وهكذا تحولت البصرة بمرور الوقت من معسكر الى مدينة استراتيجية للمسلمين حيث سكنتها عدد كبير من القبائل العربية شاركت فى الفتوحات والجهاد فى سبيل الله . وفى فترة امارة عتبة بن غزوان على البصرة تمكنت جيوش المسلمين من فتح الابله[(٣)] حيث انهم غنموا منها مغانم كثيرة، كما تم لاهل البصرة الاسهام فى اكمال فتح جنوب العراق واقاليم فارس وغيرهما فيما بعد .

اما عن النواحى المالية والادارية والعسكرية فى البصرة، فقد انشىء فيها مايحتاج اليه من المرافق الرئيسية من ذلك انشاء بيت مال[(٤)]، وديوان

---

(١) الطبرى - تاريخ (٤ : ٤٤) ، وانظر ابن الاثير- الكامل (٢ : ٥٢٩) .
(٢) انظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص٤٢٦) .
(٣) ن.م.س. (ص٤١٩) ويذكر ان الابله فرضة البحرين وعمان والهند والصين . وانظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٥٩٤، ٥٩٥) .
(٤) البلاذرى - فتوح (ص٤٣٨) .

الجند[١] فقد ذكرت المصادر بانه "كان بالبصرة ديوانان احدهما لوجوه الاموال وكان بالفارسية ، والاخر ديوان الجند لاحصائهم وتقدير وتوزيع الاعطيات لهم وكان مكتوبا بالعربية منذ زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه"[٢]. وكان يصرف للجند نصيبهم من العطاء اسوة باخوانهم المجاهدين المسجلين للديوان وفقا للقواعد التى وضعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى توزيع العطاء فيذكر الطبرى ان عمر بن الخطاب فرض لمن " ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ثم فرض لاهل القادسية واهل الشام الفين الفين ، وفرض لاهل البلاء البارع منهم الفين وخمسمائة الفين وخمسمائة . . . وفرض لمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا ، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف التثليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة ، وسوى كل طبقة فى العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم . . ."[٣]. وذكر الطبرى ان الذين فتحوا الابله وهم اهل البصرة كما سبق معنا قد نال كل رجل منهم من الغنيمة درهمين ، "ففرض عمر لاصحاب الدرهمين ممن اخذها من فتح الابله فى الفين من العطاء وكانوا ثلثمائة رجل"[٤].

كما ان الاساوره الذين اعلنوا اسلامهم على يد والى البصرة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طلبوا من ابى موسى الاشعرى مطالب

---

(١) البلاذرى - فتوح (ص٤٢٢ ، ٤٨٨) .
(٢) الجهشيارى - الوزراء (ص٣٨) ، الصولى - ادب الكتاب (٢ : ١٩٢) .
(٣) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦١٤) .
(٤) الطبرى - تاريخ (٣ : ٥٩٤) ، وانظر ابن سعد - الطبقات (٧ : ٩٢) .

عديدة كان من ضمنها "ان يلحقوا بشرف العطاء"[١] وبعد استشارة موسى لعمر بن الخطاب كتب اليه ان يعطيهم ماسألوا ، وعن مقدار العطاء امره "ان يلحقهم على قدر البلاء فى افضل العطاء واكثر شىء اخذه احد من العرب ففرض لمائة منهم فى الفين الفين ، ولستة منهم فى الفين وخمسمائة"[٢].

فمن ذلك يتبين لنا ان اعلى مافرض للمقاتلة من اهل البصرة من العطاء كان الفان وخمسمائة الى الفين ، ومثل ذلك حصل فى نصيب اهل البصرة الذين ساهموا فى فتح كل من الاهواز حيث شهدها من اهل البصرة خمسة آلاف مقاتل[٣] وكذلك فى معركة نهاوند[٤] حيث فرض لهم فى الالفين وفى امارة عبدالله بن عامر سنة ٢٥-٣٦ هـ من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه اتسعت جهة القتال التى يقوم بها البصريون فاصبحت قواتهم مسئولة عن الفتوح فى كافة المقاطعات الواقعة شرقى الخليج والتى كانت حتى ذلك الوقت تقوم بها الجيوش الاسلامية من قاعدتها فى البحرين[٥] ولاريب فى ان هذا زاد من مسئولية جند البصرة كما زاد من اهمية البصرة كمركز ادارى وعسكرى ، حيث اصبح ديوانها مسئولا عن دفع العطاء للعرب فى منطقة البحرين[٦].

---

(١) البلاذرى - فتوح (ص٤٥٩) ، الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٩٠) .
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٩١) .
(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٧٥) .
(٤) الطبرى - تاريخ (٤ : ١٣٧) .
(٥) م.س.ن. (٤ : ٢٦٦، ٢٦٧) .
(٦) انظر صالح العلى - التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة (ص٤٢) .

اما عن عدد سكان البصرة فان هناك اشارات من بعض المصادر في خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم كانوا ستون الفا من المقاتلة المسجلين في ديوان العطاء، وهذا العدد غير الاولاد والاهل والعبيد والموالي[1]. ثم ان هذا العدد قد ازداد كثيرا بعد ذلك فقد بلغ في عهد زياد بن ابيه على ما اورده البلاذري ان يوسف بن عمر والي ديوان الجند في البصرة قال : "نظرت في جماعة مقاتلة البصرة ايام زياد فوجدتهم ثمانين الفا، ووجدت عيالهم مائة الف وعشرين الف عيال"[2]. كما انه ارسل مجموعة من هؤلاء المقاتلين الى خراسان للبقاء هناك وعددهم خمسة وعشرون الفا ولي عليهم الربيع بن زياد الحارثي[3]، ورغم ذلك فقد زاد عدد الجند في عهد عبيد الله بن زياد الى اكثر من ذلك ويتبين ذلك في خطبته التي القاها في البصرة بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ والتي ورد فيها قوله :"...لقد وليتكم وما احصى ديوان مقاتلتكم الا سبعين الف مقاتل، ولقد احصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين الفا وما احصى ديوان عمالكم الا تسعين الفاً، ولقد احصى اليوم مائة واربعين الفا"[4]. وهذا النص يدل على ان احصاء شاملا قد اجرى على اهل البصرة في عهد معاوية بن ابي سفيان، شمل الجند وذراريهم حتى ان العطاء كان شاملا لذراريهم[5]. وقد كان العطاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) انظر الطبري ـ تاريخ الرسل (٥ : ٧٩) .

(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان (ص٤٢٩) ، اما الطبري فيذكر ان عدد المقاتلة كان سبعين الف رجل . انظر تاريخ (٥ : ٥٠٤) .

(٣) الطبري ـ تاريخ (٥ : ٢٢٦) .

(٤) ن.م.س. (٥ : ٥٠٤) .

(٥) انظر البلاذري ـ فتوح (ص٤٣٧) .

عنه يدفع لاهل البصرة على اساس السنة حيث كتب كتابا الى عتبة بن غزوان يأمره "بمعاونهم فى الربيع من كل سنة، وباعطائهم فى المحرم من كل سنة وبفيئهم عند طلوع الشعرى فى كل سنة، وذلك عند ادراك الغلات" (١).

كما ان البصرة ايضا كان لها نصيبها من التجهيزات فقد جعل فيها اربعة آلاف فرس بمثابة قوة احتياطية للطوارئ (٢).

كما كان فى البصرة مكان خاص لاستعراض الجند فى اوقات العرض الذى كان يجرى تحت اشراف الولاة (٣).

الكوفة (٤):

تقع الكوفة بالقرب من نهر الفرات الاوسط على الضفة الغربية منه وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمود يا من الفرات يسمى الملطاط ويقع بالقرب منه سهل خصيب محصور بين الفرات شرقا والبادية الواسعة المطلة على مشارف الشام غربا . واطلق اسم الكوفة عليها عند

---

(١) الطبرى - تاريخ (٤ : ٤٣) .

(٢) ن.م.س. (٤ : ٥٢) ، وانظر ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٠) عن عمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى اعداد الخيل والمراكب فى سبيل الله للامصار الاسلامية .

(٣) البلاذرى - فتوح (ص ٤٤٧) .

(٤) قيل سميت الكوفة من التكوف اى الاجتماع . وقيل ايضا ان المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفانى . وبعضهم يسمى الارض التى فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة . انظر البلاذرى - فتوح (ص ٣٣٨) ، الطبرى - تاريخ (٤ : ٤١) .

تمصيرها[١] وكان موضعها كما يقول البلاذري "يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق . . ."[٢].

اما عن سبب تأسيسها فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءه وفد من سعد بن ابى وقاص بخبر فتح المدائن ، رأى الوانهم قد تغيرت فسألهم عن ذلك فقالوا وخومة البلد "فكتب اليه عمر : ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان ، فابعث سلمان رائدا وحذيفة ـ وكانا رائدي الجيش ـ فليرتادوا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينهم فيه بحر ولا جسر"[٣].

وهناك عامل اساسى من عوامل تأسيس الكوفة وهو العامل العسكرى حيث ان المسلمين توغلوا فى فتوحاتهم الى بلاد فارس فاصبحوا بعيدين عن العاصمة "المدينة" وعلى هذا كان لا بد من وجود قاعدة عسكرية تكون مرتبطة بالجزيرة وفى نفس الوقت قريبة من ساحات المعارك التى يتجهون اليها تضمن لهم الحماية وتؤمن لهم وصول الامدادات وما يلزمهم من مواد تموينية او كما نقل عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب قوله فيها "يجزّون ثغورهم ويمدون الامصار"[٤]. وكان نزولهم فيها فى السنة السابعة

---

(١) انظر البلاذرى ـ فتوح (ص٣٤١) ، الطبرى ـ تاريخ (٤ : ٤٢) ، الزبيدى ـ الحياة الاجتماعية في الكوفة (ص٢١) .

(٢) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٣٤١) .

(٣) البلاذرى ـ فتوح (ص٣٣٨ ، ٣٣٩) ، الطبرى ـ تاريخ (٣ : ٤١) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٥٢٧) .

(٤) ابن سعد ـ الطبقات (٦ : ١) ، البلاذرى ـ فتوح (ص٣٥٤) .

عشر للهجرة[1].

وحينما استقر بهم المقام في مكان الكوفة استأذنوا عمر بن الخطاب في بنيان القصب فقال عمر :"العسكر اجد لحربكم واذكى لكم وما احب ان اخالفكم، فابتنى اهل المصرين بالقصب"[2].

وقد باشر تخطيطها رجل يقال له ابو الهياج بن مالك تنفيذا لامر سعد بن ابي وقاص والتزاما بما جاء في كتاب عمر في الطرق، ويورد الطبري وصفا دقيقا لذلك التخطيط فيقول : "امر بالمناهج اربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالازقة سبع اذرع ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعا . . . واول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع اصحاب الصابون والتمارين من السوق فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فامر من شاء ان يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وامر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهمين فترك المسجد في مربعة غلوه من كل جوانبه، وبنى ظله في مقدمة ليست لها مجنبات ولا مواخير، وكانت ظلته مائتي ذراع على اساطين رخام، واعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه احد ببنيان، وبنوا لسعد دارا بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الاموال، وهي قصر الكوفة اليوم"[3].

---

(١) الطبري - تاريخ (٤ : ٤٢) ، ابن الاثير- الكامل (٢ : ٥٢٧) ، ويذكر الطبري في رواية اخرى انهم نزلوها في اول سنة ١٨هـ . انظر تاريخ (٤ : ٤٣) ، اما البلاذري فيذكر ان " تكويف الكوفة" كان في سنة ١٨هـ . انظر فتوح (ص ٣٤٠) .

(٢) الطبري - تاريخ (٤ : ٤٣) ، ابن الاثير- الكامل (٢ : ٥٢٨) .

(٣) الطبري - تاريخ (٤ : ٤٤ ، ٤٥) ويذكر ايضا اسماء القبائل والعشائر التي اختطت لها منازل بالكوفة ، لمزيد من التفاصيل انظر (ص ٤٥) ، وانظر ابن الاثير- الكامل (٢ : ٥٢٩) ، البلاذري- فتوح (ص ٣٣٩) .

الا ان بيت المال نقب عليه نقب واخذ من المال ، وكتب سعد بذلك الى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلى ودعة الدار فكتب اليه عمر :"ان انقل المسجد حتى تضعه الى جنب الدار واجعل الدار قبلته ، فان للمسجد اهلا بالنهار وبالليل ، وفيهم حصن لمالهم ، فنقل المسجد واراغ بنيانه"[١] .

اما عن طريقة التنظيم العسكرى فى مدينة الكوفة فقد كانت موزعة الى سبع مناطق عسكرية ولهذا سميت بالاسباع بعد ان كان التقسيم السائد عند المسلمين على هيئة اعشار ، "فعدلوهم فجعلوهم اسباعا . . . . فلم يزالوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلى ، وعامة امارة معاوية حتى ربعهم زياد"[٢] وكان هذا التنظيم ايضا له اهميته من حيث توزيع العطاء حيث " كان العطاء يدفع الى امراء الاسباع واصحاب الرايات ، والرايات على ايادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه الى اهله فى دورهم"[٣] .

وهكذا نجد ان الكوفة اكتملت فيها المرافق الرئيسية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى حرص على تأمين كل ماتحتاجه تلك الامصار الجديدة والقواعد العسكرية المهمة حيث بعث الى الكوفة اربعة آلاف فرس[٤] اسوة بغيرها من الامصار لاستخدامها لغرض الجهاد فى سبيل الله .

---

(١) الطبرى - تاريخ (٤ : ٤٦) .
(٢) الطبرى - تاريخ (٤ : ٤٨) ، وانظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥٠) .
(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٤٩) ، المقريزى - الخطط (١ : ١٥٠) .
(٤) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥١ - ٥٢) .

كما كان بالكوفة ديوان خاص بالجند كانت الكتابة فيه بالعربية وهو مختص باحصاء الجند وتقدير وتوزيع اعطياتهم[١]، وهو على كل حال يعتبر من فروع ديوان الجند المركزى فى العاصمة .

كما كانت تعليمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستمرة على ولاته فى الامصار يحرصهم فيها على ضرورة العناية بالجند وخيولهم لتكون جاهزة وقت الطلب مدربة احسن تدريب، فمن ذلك ماكتبه الخليفة عمر الى سعيد بن مالك واليه على الكوفة يأمره "ان يتربع بالناس فى كل حين ربيع فى اطيب ارضهم وامره بمعاونتهم فى الربيع من كل سنة، واعطائهم فى المحرم من كل سنة"[٢].

وقد اولى الخلفاء من بعد عمر رضى الله عنه هذه القاعدةالعسكرية المهمة رعايتهم حيث عملوا على زيادة قدراتها العسكرية، والتى تأثرت تبعا للتطورات الحربية على مختلف الجهات وخاصة الساحة الشرقية. وينبغى الاشارة هنا الى ان الكوفة قد اصبحت عاصمة الخلافة الاسلامية فى عهد امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه، مما كان له ابعد الاثر على تطويرها وزيادة مكانتها ودورها العسكرى، حيث كانت جيوش على رضى الله عنه تنطلق منها كما ان الامدادات تصلها من مختلف الاقاليم التابعة لامير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه .

اما عن تعداد المقاتلة فيها فان بعض المصادر تشير الى انه كان

---

(١) الجهشيارى - الوزراء (ص٣٨)، الصولى - ادب الكتاب (ص١٩٢) المعاضيدى - واسط فى العصر الاموى (ص٢٩٢) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٤٣) .

فى الكوفة عشرين الفا من اليمن ونزارا ، فقد نقل البلاذرى عن الشعبى قوله "كنا - يعنى اهل اليمن - اثنى عشر الفا ، وكانت نزار ثمانية آلاف"[1] ، غير ان هذا العدد لايمثل بطبيعة الحال جميع سكان الكوفة ، فيذكر الطبرى انه فى سنة ١٧هـ " كان بالكوفة ثلاثين الفا ، الحقهم عمر بعطاء الالفين"[2] غير ان هذا العدد اخذ يزداد شيئا فشيئا حتى انه فى سنة ٣٧هـ على مارواه الطبرى قد اشترك فى جيش على رضى الله عنه " من اهل الكوفة سبعة وخمسين الفا ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين الفا الفا"[3] . مما يشير الى الزيادة الكبيرة الواقعة فى عدد السكان بالكوفة وفى عدد المقاتلة فيها .

والراجح فان هذه الزيادة قد طرأت بسبب انتقال مركز الخلافة الى الكوفة ، التى اصبحت العاصمة السياسية والادارية والعسكرية للدولة والغريب ان عدد سكان هذه المدينة العسكرية المهمة لم يتراجع بعد ان فقدت اهميتها الادارية والسياسية بعد انتقال العاصمة الى دمشق ، ففى اوائل عصر الدولة الاموية بلغ من فيها من الجند الذين يأخذون عطاءهم من الديوان فى ولاية زياد بن ابيه على الكوفة ستين الفا ، كما بلغ عدد عيالهم ثمانين الفا[4] .

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٣٣٩ ، ٣٤٠) .
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٧٥) .
(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٥ : ٨٠) ، ويذكر المسعودى ان جيش على فى معركة صفين كان عدده تسعون الفا ، غير ان هذا العدد لايمثله اهل الكوفة وحدهم . انظر مروج الذهب (٢ : ٣٨٤) ، وانظر ايضا التنبيه والاشراف (ص ٢٥٦) .
(٤) البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٤٢٩) .

اما عن الانجازات الحربية التى قدمها مقاتلة الكوفة فى ساحات القتال فقد كانت كثيرة ، ففى خلافة عمر كانت بداية انطلاق الكوفيين نحو الفتح فى اطراف العراق وخارجه ، فخرجت من الكوفة سنة ١٧هـ ثلاثة جيوش توجه الاول منها بقيادة سهيل بن عدى لفتح "الرقة" اما الثانى فكان بقيادة عبدالله بن عتبان لفتح "نصيبين" اما الثالث فقد قاده الوليد ابن عقبه لاخضاع غرب الجزيرة[١] .

كما اشترك جند الكوفة فى فتح حمص، وكانوا وقت خروجهم بقيادة القعقاع بن عمرو ومعه اربعة آلاف منهم[٢]، كما ان عتبة بن غزوان قائد جند البصرة وواليها ،لما اراد فتح الاهواز طلب المساعدة من سعد بن ابى وقاص والى الكوفة فامده بجيش من اهلها بقيادة كل من نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود[٣]، كما انهم اسهموا فى فتح تستر حيث خرج اليها جماعة من الكوفة بقيادة النعمان بن مقرن رضى الله عنه[٤]،كما شاركوا كذلك فى معركة نهاوند[٥]،واستطاعوا ان يفتحوا رامهز وحدهم[٦]، كما انهم فتحوا الديلم[٧] واذربيجان[٨] فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

---

(١) ابن الاثير- الكامل (٢ : ٥٣٢- ٥٣٣).
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥١) .
(٣) ن.م.س. (٤ : ٧٢) .
(٤) ن.م.س. (٤ : ٨٤)،
(٥) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ١١٥) اما البلاذرى فيذكر انه سير ثلثى اهل الكوفة مع الجيش . انظر فتوح البلدان (ص٣٧٢) .
(٦) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ١٦١).
(٧) البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٣٩٠- ٣٩١).
(٨) ن.م.س. (ص ٤٠١) .

وقد لعب جند الكوفة دورا رئيسيا في احداث الصراع الداخلي في خلافة امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه حيث دارت معارك الجمل ضد الخارجين عليه من اهل المدينة ، وصفين ضد جيش الشام ودجيل ضد الخوارج .

اما فى العهد الاموى فقد كان الكوفيون - بعد انقضاء الفتنة - سلاحا فتاكا بيد الدولة الاموية ، وكان لهم فضل كبير في اخماد كثير من الثورات ، وقد اقدم زياد بن ابيه في ولايته على العراق بنقل خمسين الف جندى الى خراسان كان نصيب الكوفة منهم خمسة وعشرون الفا[1] ، مما كان له اثر كبير في استقرار الاوضاع فيها ، والراجح انها اسهمت في شيوع العربية في خراسان حيث اصبحت العناصر العربية فيها اكثرية[2] .

ومن هنا نلاحظ اهمية ودور الكوفة التى قدر لها ان تكون قاعدة انطلاق للجيوش الاسلامية في المشرق ومعسكرا مساندا لجيوش المسلمين في الشام ، ولعل ذلك مادفع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى تثمين دور الكوفة وفضل جيشها حين قال بان :"اهل الكوفة رأس العرب ، وبالكوفة وجوه الناس"[3] وذكر عمر الكوفة مرة فقال :" هم رمح الله وكنز الايمان وجمجمة العرب ، يحرسون ثغورهم ويمدون اهل الامصار"[4] . مما

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٥ : ٢٢٦) .

(٢) الزبيرى - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة (ص ٢٦) .

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى (٦ : ١ - ٢) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٣٥٣) .

(٤) ابن سعد - الطبقات (٦ : ١) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص ٣٥٤) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥٩) .

يبرز اهمية هذا المعسكر ودوره الخطير فى تاريخ الفتح وفى حماية واستقرار ديار الاسلام .

الفسطـــاط[1]:

تعتبر اول قاعدة عسكرية للمسلمين فى مصر بعد فتحها ، حيث ان فتح مصر تم فى سنة عشرين للهجرة على ارجح الاقوال[2] ، ولما تم للمسلمين فتحها فكر المسلمون فى مكان يكون مقرا للجند وكان سبب نزول المسلمين الفسطاط "ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناها مفروغا منها ، هم ان يسكنها ، وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك ، فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال :نعم يا امير المؤمنين ، اذا جرى النيل . فكتب عمر الى عمرو انى لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية

---

(١) قيل ان معنى الفسطاط هو بيت من الشعر ، ومنه فسطاط مصر وقيل كان اسم المدينة ليونه ، فسماها المسلمون فسطاطا . لانهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم . انظر الجوهرى ـ الصحاح (٣: ١١٥) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص ٢٤٩) ، قدامة بن جعفر ـ الخراج (ص ٣٣٦) ، المقريزى ـ الخطط (٢ : ٧٦) .

(٢) انظر الطبرى ـ تاريخ الرسل (٤ : ١٠٤) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٥٦٤) ، المسعودى ـ التنبيه والاشراف (ص ٣١٠) ويذكر فى التقديم انه الف كتابه هذا فى مدينة الفسطاط نفسها وذلك سنة ٣٤٤هـ ، وانظر ايضا المقريزى ـ الخطط (١ : ١٠٦ - ١٠٧) السيوطى حسن المحاضرة (١ : ١١٩) .

الى الفسطاط[1].

وفكرة عمر بن الخطاب هذه ـ اعنى بناء قاعدة حربية للمسلمين بعيدة عن مركز الخلافة وبدون اية حواجز طبيعية ـ كانت لها ابعادها العسكرية وتدل دلالة واضحة على بعد نظر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونظرته العسكرية، فقد مر معنا كيف انه نهى كلا من سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان عن ان يختاروا مقرا للجند يكون قريبا من العدو ولا يفصل بينه وبين جزيرة العرب حاجز مائى ولا جسر[2]، ومثل ذلك كان فى مصر حيث وفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تلك الفكرة التى كفلت لقواعد المسلمين العسكرية الامان والاطمئنان، وسهولة الاتصال بمركز الخلافة دون ما اية عوائق، كما كان لذلك اهميته ايضا فى وصول الامدادات العسكرية التى ترسل الى تلك القواعد دون عوائق، لان الامصار العسكرية الاسلامية تكون متاخمة لحدودها وتقع فى اراض قد تم فتحها واخضاعها والسيطرة عليها، فكان لذلك اثره الكبير فى عدم تراجع المسلمين عن تلك المراكز العسكرية مهما كانت الهجمات ضدهم، بل كانت تلك الامصار منطلقا للجيوش الاسلامية للتوسع ونشر دين الله . . ولاجل هذا وقع اختيار عمرو بن العاص الى مكان الفسطاط لانه يتفق مع شروط الخليفة عمر بن الخطاب فى انشاء الامصار .

اما عن سبب تسميته بذلك فقد نقل ابن عبد الحكم " ان عمرو بن العاص

---

(١) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر (ص ٩١) ، المسعودى ـ التنبيه والاشراف (ص ٣١٠ ، ٣١١) ، المقريزى ـ الخطط (٢ : ٧٥) ، السيوطى حسن المحاضرة (١ : ١٣٠ ، ١٣١) .

(٢) انظر ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر (ص ٩١) .

حينما اراد ان يتوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم ، امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ ، فقال : لقد تحرم منا بمتحرم ، فامر به فاقره كما هو ، واوصى به صاحب القصر . فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا اين ننزل ؟ قال الفسطاط - لفسطاطه الذى كان خلفه - وكان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصى(١) .

اما عن تخطيط الفسطاط فقد تولى تخطيطها مجموعة من المسلمين بامر من عمرو بن العاص وهم : معاوية بن حديج التجيبى وشريك بن سمى القطيفى ، وعمرو بن مخزوم الخولانى ، وحيويل بن ناشره المعافرى فكان هؤلاء هم الذين انزلوا الناس ، وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة احدى وعشرين(٢) ، بعد ان اقاموا المسجد من الفسطاط ونصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا ايديهم فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة وكان ماحول المسجد حدائق واعنابا(٣) .

وكان موقع فسطاط عمرو بالنسبة للمسجد فى الجهة القبلية حيث المحراب والمنبر ، ويذكر ابن عبد الحكم ان جامع عمرو هذا قد حصل عليه زيادات كثيرة على مختلف العهود الاسلامية ، فقد زاد فيه مسلمة بن مخلد الانصارى وبنى فيه منارة وكتب عليها اسمه ، ثم هدمه عبد العزيز بن مروان وبناه وزاد فيه ، ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته الى

---

(١) ابن عبد الحكم - فتوح مصر (ص ٩١) ، المسعودى - التنبيه والاشراف (ص ٣١١) ، المقريزى - الخطط (٢ : ٧٦) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٣١) .

(٢) المقريزى - الخطط (٢ : ٧٦) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٣١)

(٣) ابن عبد الحكم - فتوح مصر (ص ٩٢) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٣٢) .

قرة بن شريك واليه على مصر فهدمه كله وبناه وزوقه ، وذهب رؤوس العمد . . . ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمي بعد ذلك في مؤخرة سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم زاد عبدالله بن طاهر في عرضه بكتاب المأمون بالاذن له في ذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وادخل فيه دار الرمل ودور اخرى من الخطط[1].

وكان من ضمن الخطط التي اختطها عمرو بن العاص على ما اورده ابن عبدالحكم عن ابى صالح الغفارى قال : "كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما انا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع ، فكتب اليه عمر انى لرجل بالحجاز يكون له دارا بمصر ، وامره ان يجعلها سوقا للمسلمين قال ابن لهيعة : هى دار البركة ، فجعلت سوقا"[2].

كما كان هناك مرتبع خاص لخيل الجند فعندما يرجعون الى الفسطاط من الغزو يقصدونه وقت الربيع لغرض تقوية الخيل بالرعى في الريف ، وكان عمرو بن العاص يتفقدهم في ذلك على ان يعتنوا بخيولهم ويسمنونها بما ترعى لا ان يسمنوا انفسهم ويهزلوا خيولهم[3].

واخذت الفسطاط تتوسع بسبب ازدياد السكان وكان فيها من المرافق المهمة مثل ماكان لمثيلاتها من الامصار كالبصرة والكوفة ، فقد كان فيها ديوان للخراج يتولى رعاية الاراضى الخراجية في مصر وجبايتها

---

(١) ابن عبدالحكم - فتوح مصر (ص١٣١ ، ١٣٢) ، السيوطي - حسن المحاضرة (١ : ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٢) ابن عبدالحكم - فتوح مصر (ص٩٢) ، السيوطي - حسن المحاضرة (١ : ١٣٤) .

(٣) انظر ابن عبدالحكم - فتوح مصر (ص١٣٩) ، السيوطي - حسن المحاضرة (١ : ١٥٣) .

حيث ينفق منها على متطلبات الاقليم نفسه وما زاد يرسل الى مركز الخلافة[١] فيذكر ابن سعد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عام الرمادة كتب الى عمرو بن العاص والى مصر يستغيثه ويطلب منه النجدة لاهل المدينة ومن حولهم فكتب اليه عمرو بن العاص :"بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك ، فانى احمد اليك الله الذى لااله الا هو، اما بعد : اتاك الغوث فلبث لبث لابعثن اليك بعير اولها عندك وآخرها عندى ..."[٢] ففعل .

ويذكر البلاذرى ان ضائقة المت باهل المدينة فارسل عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص فى سنة احدى وعشرين "يعلمه مافيه اهل المدينة من الجهد ويأمره ان يحمل مايفيض من الطعام فى الخراج الى المدينة" .

وقد بلغ عدد المسجلين في الديوان بمصر فى عهد معاوية بن ابى سفيان اربعين الفا ، وكان منهم اربعة آلاف فى مائتين[٣]، ولعل اصحاب عطاء المائتين اولئك هم بعض الذين قرر لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند تأسيسه للديوان شرف العطاء فى مصر حينما " كتب الى عمرو بن العاص : ان افرض لمن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء - قال يعنى مائتى دينار - وابلغ ذلك لنفسك بامارتك ، وافرض لخارجة بن حذافة فى شرف العطاء لشجاعته"[٤] .

---

(١) انظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) .
(٢) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٣، ٢٢٤) .
(٣) المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١: ١٥١)
(٤) ابو عبيد - الاموال (ص٢١٣) ، البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٥٨) ابن عبد الحكم - فتوح مصر (ص١٤٥) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

كما ان ديوان الجند فى مصر كان يتابع باستمرار مايستجد على البلد من زيادة فى السكان من قادمين او مواليد جدد فكان مسئولوا الديوان يتابعون تلك الامور بدقة حتى "ان معاوية بن ابى سفيان جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا يصيح كل يوم، فيدور على المجالس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية، فيقول سموهم، فيكتب ويقال نزل بنا رجل من اهل اليمن بعياله فيسمونه وعياله، فاذا فرغ من القبائل كلها، اتى الديوان حتى يثبت ذلك"(١).

وتذكر بعض المصادر ان ديوان الجند بمصر قد مر بعدة مراحل للتدوين ، فاول تدوين كان على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه، ثم لما جاء عبد العزيز بن مروان دون تدوينا ثانيا، ثم دون التدوين الثالث قرة ابن شريك، ثم دون بشر بن صفوان التدوين الرابع، ثم لم يكن بعد تدوين بشر شىء له ذكر الا ماكان من الحاق قيس بالديوان فى خلافة هشام بن عبد الملك، ولما تولى العباسيون الخلافة وجاء الخليفة المعتصم امر واليه على مصر باسقاط من فى ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم(٢) ولعل مبعث ذلك التغيير والتدوين المتكرر انما كان لاسباب ادارية وسياسية، ادارية بسبب ماكان يفد الى مصر اعدادا كثيرة من المسلمين على مختلف العصور فكان يتطلب مع هذا اعادة ترتيب الناس فى الديوان فيضطرون الى التدوين من جديد ، واسباب سياسية لما حدث وقت الفتنة

---

(١) المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

(٢) انظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) .

بمقتل عثمان رضى الله عنه ، والانقسام الذى حصل على جسم الدولة الاسلامية فقد كانت مصر كما هو معلوم تابعة لعلى بن ابى طالب، ولما استشهد على رضى الله عنه وقامت الدولة الاموية ، كان لذلك اثره على الجند فى مصر،[1] وقد حصل فى مصر ماحصل فى غيرها من الامصار من اعادة النظر فى صرف الاعطيات لمن كان معارضا لخلافة معاوية وسياسته كما حدث لاهل الكوفة الذين حرم بعضهم من العطاء بسبب موقفهم المؤيد لعلى بن ابى طالب ومعارضته لمعاوية بن ابى سفيان رضى الله عنهما .

اما عن دور الفسطاط من الناحية العسكرية فلاشك أن الجند الذين استقروا فيها هم الذين تولوا فتح مصر كما كان لهم الفضل الكبير فى فتوح شمال افريقيا وخاصة خلال الفترة التى سبقت انشاء مدينة القيروان[2] التى اصبحت هى الاخرى قاعدة عسكرية .

ومما هو جدير بالملاحظة من النصوص التى سبقت ان فرعا لديوان الجند قد اقيم فى الفسطاط يتولى الاشراف على جند الفتح الاسلامى لمصر وافريقية ورعاية مصالحهم ودفع اعطياتهم وتوفير احتياجاتهم كما ان هذا الديوان قد اسهم كثيرا فى توفير اسباب النجاح لحركة الفتح الاسلامى فى الساحة الغربية .

---

(١) انظر المقريزى - الخطط (١ : ١٥١) ، السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥١) .

(٢) انظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٦٨) .

القـــيروان[١] :

تقع بالقرب من ساحل افريقية المطل على البحر المتوسط، فهـــي تقع على الطريق الساحلي التجاري ، حلقة وصل ونقطة التقاء بين البحــر والصحراء واختار لها عقبة بن نافع رضي الله عنه هذا المكان لتكون قريبـة من البحر دون خطر عليها من هجمات الروم المتكررة في ذلك الوقت وقريبة من الصحراء لتكون في وسط البلاد[١] .

وفي ذلك الموقع اختار مكان القيروان ، وذلك في سنة خمســين للهجرة[٢] ولم تكن معصرة قبل ذلك[٣] الا ان غارات المسلمين كانت تصــل اليها وتتعداها احيانا ، وكانت تلك الغارات تنطلق من الفسطاط وتحقــق كثيرا من الانتصارات حتى انه في عهد امير المؤمنين عثمان بن عفان غـــزا المسلمون بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي السرح افريقية ، فبثوا فيهــا السرايا واصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشي ماقدروا عليه ، ممـــا اضطر عظماء افريقية ان يدفعوا للمسلمين ثلاثمائة قنطار من الذهب علـــى ان يكفوا عنهم ويخرجوا من بلادهم فقبلوا منهم ذلك ، وتذكر المصــادر ان عبد الله بن ابي السرح صالح بطريق افريقية على الفي الف دينار وخمسمائة الف دينار ، ثم لما صالحهم رجع الى مصر ولم يول على افريقية احدا ، ولم يكن لها يومئذ قيروان ولا مصر جامع[٤] . هذا النص يبين لنا شيئا عن اوضاع شمــال

---

(١) انظر الحموي ـ معجم البلدان (٤ : ٤٢٠ ، ٤٢١) .
(٢) البلاذري ـ فتوح (ص٢٦٨) ، ابن الاثير ـ الكامل (٣ : ٤٦٥) ، القزويني ـ آثار العباد واخبار البلاد (ص٢٤٢) .
(٣) البلاذري ـ فتوح البلــدان (ص٢٦٨) .
(٤) ن.م.س. (ص٢٦٧، ٢٦٨) .

افريقية والتى انتهت فى عهد عثمان رضى الله عنه الى قبول الصلح مع دفع الجزية ، وكان لوفاة عثمان رضى الله عنه اثر كبير على وضع اقاليم الدولة الاسلامية ، بسبب الخلاف الذى حصل بين على ومعاوية رضى الله عنهما وماتبعه من حروب بينهما ، حيث اثر كثيرا على حركة التوسع فى الجهاد حيث انشغل المسلمون بالحروب الداخلية،ولما استتب الامر لمعاوية رضى الله عنه وعادت للدولة الاسلامية وحدتها ، ارسل عقبة بن نافع رضى الله عنه فى عشرة آلاف مقاتل فغزا افريقية وافتتحها[(١)] . واسلم كثير من اهلها لكن الشىء الذى لاحظه عقبة بن نافع فى اسلام هؤلاء هو كما قال :"ان اهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم اذا عضهم السيف اسلموا واذا رجع المسلمون عنهم عادوا الى عادتهم ودينهم ، ولست ارى نزول المسلمين بين اظهرهم رأيا ، وقد رأيت ان ابنى هاهنا مدينة يسكنها المسلمون"[(٢)] فاستحسن اصحابه رأيه ذلك ، وبنى مدينة مستقلة بالجند الاسلامى فكان ذلك سببا فى انشاء القيروان .

وكان اول عمل قام به هو بناء المسجد ، ويذكر البلاذرى "ان عقبة بن نافع الفهرى لما اراد تمصير القيروان فكر فى موضع المسجد منه فارى فى منامه كأن رجلا اذن فى الموضع الذى جعل فيه مئذنته ، فلما اصبح بنى المنائر فى موقف الرجل ثم بنى المسجد"[(٣)] ثم بعد ذلك امر الناس بالبناء فابتنى الناس مساكنهم بعد ان اختطها عقبة بن نافع[(٤)] . ويذكر ابن الاثير انه

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٦٩) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٣ : ٤٦٥) ، الحموى - معجم البلدان (٤ : ٤٢٠) .

(٢) الحموى - معجم البلدان (٤ : ٤٢٠) ، وانظر ابن الاثير - الكامل (٣ : ٤٦٥) ، القزوينى - آثار البلاد (ص٢٤٢) .

(٣) البلاذرى - فتوح البلدان (ص٢٧١) .

(٤) ن.م.س. (ص٢٦٩) ، الحموى - معجم البلدان (٤ : ٤٢١) .

"كان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع"[1] ولم ينته البناء منها الا في سنة ٥٥ للهجرة[2]. وكان في اثناء عمارته لم يتوقف عن الغزو والجهاد ، فكان يغزو ويرسل السرايا والجيوش تواصل نشر الاسلام[3] مما كان سببا في دخول وانتشار الاسلام بين البربر ، وسببا لقوة ونفوذ المسلمين في تلك المناطق . فيذكر ابن الاثير انه بعد تمصير القيروان "اتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها"[4] ، وهذا النص يدلنا على ان الفائدة التي تجنيها الدولة الاسلامية من انشاء المعسكرات التي تكون مستقرا للجند ومنطلقا لهم وقد رأينا كيف كان وضع الفاتحين المسلمين لشمال افريقيا قبل انشاء القيروان ، واثناء ذلك وماتلاه بعد ذلك من الفتح والذي استطاع عقبة بن نافع بولايته الثانية على افريقية ان ينطلق غازيا من القيروان متجها نحو المغرب حيث وصل الى السوس الادنى ولم يوقفه الا البحر[5] المحيط بالمغرب، ثم اخذ قادة الفتح يتعاقبون عليها ، كل منهم يؤدي دوره في الفتح في شمال افريقية ، ولم يقتصر فضل تأسيس القيروان على ذلك بل تعداه الى خارج حدود شمال افريقية والمغرب الاقصى فبعد ان تم اخضاع تلك المناطق واسلام اهلها ، امتد الفتح الاسلامي الى

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٣ : ٤٦٦) .
(٢) ن.م.س. (٣ : ٤٦٦) ، الحموي - معجم البلدان (٤ : ٤٢١) .
(٣) ابن الاثير - الكامل (٣ : ٤٦٦) .
(٤) ابن الاثير - الكامل (٣ : ٤٦٦) .
(٥) انظر البلاذري - فتوح البلدان (ص. ٢٧) .

بلاد الاندلس، حيث شارك في فتحها مجموعة من اهل افريقية البربر الذين اسلموا وحسن اسلامهم .

ولا شك في ان تمصير القيروان قد ترتب عنه انشاء عدد من المؤسسات المالية والعسكرية كان من بينها ديوان الجند ، والراجح ان تنظيم الجند فيها كان في المرحلة الاولى يخضع لتوجيه ولاية مصر اما بعد استقرار الاوضاع فقد اصبحت القيروان قاعدة الانطلاق الرئيسية للمسلمين للفتح ولابد ان يكون الديوان قد اخذ في تلك المرحلة وضعه الطبيعي في الاستقلال عن مصر والارتباط بالعاصمة دمشق .

الاجناد[1] :

كانت بلاد الشام خلال الحكم البيزنطي لها مقسمة الى اجناد يحكم كلا منها حاكم عسكري يخضع للقائد العام، وحينما تم للمسلمين فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة جند الاجناد[2] ، فاقر التقسيم الذي كان سائدا في ذلك الوقت معتبرا ذلك التقسيم اداريا وعسكريا ، وكان يهدف من وراء ذلك الى توزيع المهام على امراء الاجناد

---

(١) جمع جند وسميت بذلك قيل لانها جمع كور، والتجند التجمع وجندت جندا اى جمعت جمعا ، وكذلك بقية الاجناد ، وقيل سميت كل ناحية بجند لانهم كانوا يقبضون اعطياتهم فيه . انظر الحموى معجم البلدان (١ : ١٠٣) ، البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص ١٥٦) .

(٢) اليعقوبى ـ تاريخ (٢ : ١٥٤) .

حتى يكونوا مسئولين مسئولية مباشرة امامه عن كل امور جندهم المالية او الادارية او العسكرية اوغير ذلك من الامور العامة ، وهذا يفسر طلب امير المؤمنين لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد لعقد اجتماع شامل معه بالجابية ، وانتظارا لما يسفر عن ذلك الاجتماع فانه طلب اليهم ان يستخلفوا على اعمالهم[1] . كما يفسر سبب خروجه للمرة الثانية الى الشام حيث التقى بامراء الاجناد ايضا للغرض نفسه[2] ، وكان امراء الاجناد يمثلون الاجناد التى يتولون قيادتها والاشراف عليها وكان عدد الاجناد فى بداية الامر خمسة وهى :" جند فلسطين ، جند الاردن ، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنسرين[3] . وكانت هذه الاجناد تنتظم الامور العسكرية والمالية تحت اوامر واشراف القيادة الحاكمة فى العاصمة . لهذا فان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ماكان يكتب الى امراء الاجناد او بعضهم يأمرهم بان يقوموا بمساعدة بعضهم البعض فى المحاربة ضد الروم . اضف الى ذلك فان تجنيد الاجناد فى بلاد الشام اعطى حماية وتحصينا كبيرا لشبه الجزيرة العربية التى تحيط بمركز الخلافة وعاصمة الدولة ، حيث اصبحت تلك الاجناد بمثابة الدرع الواقى لعاصمة المسلمين ، واذا مانظرنا الى موقع الجزيرة العربية بالنسبة للفتوحات الاسلامية وماتلاها من تمصير لامصار اسلاميةفالكوفة والبصرة من الجهة الشرقية ثم الاجناد من الجهة الشمالية ثم الفسطاط والقيروان من الجهة الغربية لادركنا ابعاد تلك الخطط العسكرية التى اجاد

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣ : ٦٠٧) .
(٢) ن.م.س. (٤ : ٥٧) .
(٣) الجوهرى - الصحاح (٣ : ١١٥٠) ، الحموى - معجم البلدان (١ : ١٠٣) .

المسلمون فيها حماية مواقعهم ومراكزهم وقياداتهم . ولم تكن مهمة تلك المراكز مقتصرة على ذلك فقط بل كانت تؤدى دورا بارزا فى ضمان سيطرة المسلمين على البلاد المفتوحة ، ذلك ان قربها من مراكز الاعداء يسهل التعرف على تحركاتهم بسرعة مما ساعد على وضع الخطط الكفيلة باجهاضها وقبرها فى مهدها .

وقد كانت هذه المراكز نقاط الانطلاق السريع لرد الاعتداء وللجهاد فى سبيل الله والتوسع فى الفتوحات ، ولهذا نجد قادة المسلمين يحرصون على ايجاد مراكز عسكرية فى المناطق التى يفتحونها فيذكر البلاذرى انهم كانوا "كلما فتحوا مدينة ظاهرة او عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها اليه من المسلمين فان حدث فى شىء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الامداد"[1]. فالتعاون بين تلك المراكز قائم والاتصال مستمر لسلامة المسلمين ومافتحوه من مدن ، ولهذا نجد انه عندما تتسع الدولة الاسلامية فانهم يزيدون معها عدد هذه المراكز ، ففى عصر الخلافة الاموية وبعد ان انتقلت العاصمة الى دمشق وكثرت الفتوحات فى الجبهات الشمالية ، زادوا فى عدد الاجناد ، فقد تم فصل اعمال الجزيرة التى كانت فى الاصل تابعة لجند قنسرين فجعلوها جندا مفردا قائما بذاته فيروى البلاذرى " ان الجزيرة كانت الى قنسرين فجندها عبدالملك بن مروان - اى افردها - فصار جندها يأخذون اطماعهم بها من خراجها

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص١٥٢) .

وان محمد بن مروان كان يسأل عبد الملك تجنيدها ففعل"[1] .

وقد عني المسلمون عناية كبيرة بمدن السواحل فعملوا على تحصينها وتقوية دفاعاتها نظرا لما تشكله هذه المدن من خطورة واهمية في الدفاع عن ديار الاسلام حيث انها تطل على سواحل على البحر الابيض وكانت معرضة لخطر الغارات البيزنطية وقد تعرضت السواحل الشامية اكثر من غيرها الى هجماتهم المتكررة ، لهذا فقد حرص امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين على تأمين وحراسة تلك السواحل مع العمل على تحصينها فيذكر البلاذري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى معاوية بن ابي سفيان يأمره" في مرمة حصون السواحل وترتيب المقاتلة فيها ، واقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المواقيد لها"[2].

وقد قام معاوية رضي الله عنه بذلك خير قيام حيث تولى تحصين كثير من مدن السواحل الشمالية فنجده بنى انطرطوس[3] ومصرها واقطع بها القطائع . وكذلك فعل بمرقيه ، وبلنياس وعسقلان وحيفا ، حيث قام معاوية بترميم حصونها ، ورتب المقاتلة فيها واقام الحرس على مناظرها واتخذ لها المواقيد وسكنها الروابط من المسلمين[4]، كما ان عثمان رضي الله عنه لما

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان (ص١٥٦) ، الحموي - معجم البلدان (١ : ١٠٣) .

(٢) م.س.ن. (ص١٥٢) .

(٣) بلد من سواحل الشام وهي آخر اعمال دمشق واول اعمال حمص ولها برجان حصينان كالقلعتين وبناها معاوية وحصنها واقطع المقاتلة بها القطائع . انظر الحموي - معجم البلدان (١ : ٢٧٠) .

(٤) البلاذري - فتوح البلدان (ص١٥٢، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٥) الحموي معجم البلدان (١ : ٢٧٠) .

اذن لمعاوية فى غزو البحر "امره ان يعد فى السواحل اذا غزا او اغـــزى جيوشا سوى من فيها من الرتب، وان يقطع الرتب اراضى ويعطيهم ماجــلا عنه اهله من المنازل ويبنى المساجد ويكبر ماكان ابتنى منها قبل خلافته"(١).

ونظرا لما تمثله هذه المدن من اهمية استراتيجية فى الدفاع عـــن حدود ديار الاسلام، وفى الحملات البحرية التى بدأت فى هذه المرحلـــة فقد كان من الضرورى ان يزداد اهتمام الادارة الاسلامية بها والعمـــل على تلافى الاخطار المحيطة بها وخصوصا بعد الاخذ بنظر الاعتبار بعدها عن مركز الخلافة من جهة ومواجهتها المستمرة لاخطار العدوان البيزنطـى من جهة اخرى . ولهذا فقد ازدادت اعداد المتطوعة الذين يتوجهون اليها للمرابطة فى سبيل الله . ومما دعم ذلك الزيادة الكبيرة فى الاعطيـــات والارزاق الممنوحة للمرابطين فيها اضافة الى تحمل الدولة مسئوليـــة شحن هذه الحصون والعواصم بالمواد الغذائية والصرف على بنـــاء التحصينات والبيوت والقلاع وكذلك بذل الاقطاعات المناسبة من الاراضـى الزراعية المحيطة بها للافادة منها واستغلالها فى اوقات السلم(٢).

ولعل ذلك مايكون دافعا اضافيا للبعض على الاستقرار والاستيطان والمساهمة فى حماية ديار الاسلام . فقد كان ذلك منهج الخلفـــاء الراشدين وكذلك من جاء بعدهم من الخلفاء الامويين والعباسيين . وكلما ظهرت ثغرة من الثغرات التى يتمكن الاعداء من اجتيازها فان الخلفـــاء يبادرون الى تحصينها وبناء المدن المشحونة بالجنود فى مواجهتهـــا

---

(١) البلاذرى - فتوح البلدان (ص١٥٢) .

(٢) انظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص١٥٠، ١٧٥، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٢٥) .

وهكذا فان كل جند من الاجناد اخذ يتوسع ويضم مجموعة من الثغور البحرية . ويذكر قدامة بن جعفر انه "كانت سواحل جند حمص تضم انطرسوس، وبلنياس، واللاذقية ، وجبله ، والهرياذه . وسواحل جند دمشق طرابلس، وجبيل ، وبيروت، وصيدا ، وحصن الصرفند ، وعدنون . وسواحل جند الاردن : صور، وعكا . وسواحل جند فلسطين : قيسارية ، وارسوف ويافا ، وعسقلان ، وغزة"(١) . وقد كان الطابع العام فى تلك الاجناد وغيرها من الولايات المواجهة لاراضى الاعداء هو الطابع العسكرى . اما الاقاليم التى يجرى فتحها وضمها الى ديار الاسلام فان قادة الفتح عادة هم الذين يتولون امارتها نوابا عن الامام. ولعل هذا ماعناه البعض عند تعرضهم الى هذه المسألة بقولهم : "كما ان الجيش كان فى نفس الوقت هو الامة ذاتها ، فكذلك كان الامير هو الامام فكان يعين على الحرب والصلاة"(٢) .

وباتساع الدولة الاسلامية تطورت الاجناد ، كما انه لظروف ادارية وعسكرية انشئت منطقة عازلة جديدة وسميت بالعواصم(٣)، ويذكر الاصطخرى

---

(١) قدامة بن جعفر- بند من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ص ٢٥٥) .

(٢) فلهوزن - تاريخ الدولة العربية (ص ٢٥) ، فتحى عثمان- الحدود الاسلامية (٣ : ٤٨) .

(٣) جمع عاصمة وهو المانع ومنه قوله تعالى "لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم" وهى حصون موانع وسميت العواصم لان المسلمين يعتصمون بها وتمنعهم اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر ولانها فى اوقات النفير . انظر البلاذرى - فتوح البلدان (ص ١٥٦) قدامة ابن جعفر - نبذ من كتاب الخراج (ص ٢٥٣) ، الحموى - معجم البلدان (٤ : ١٦٥) .

"ان العواصم اسم الناحية وليس موضع بعينه يسمى العواصم وقصبتها انطاكية وهي بعد دمشق"[١] . ويذكر الحموى ان اكثرها فى الجبال وربما دخل فيها ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحى[٢] حيث انها تقع متاخمة للحدود البيزنطية ، ولاجل هذا اعتنى المسلمون عناية كبيرة بتلك الحدود التى اشتهرت كثيرا فى عهد العباسيين و خاصة فى عهد الخليفة هارون الرشيد . بما يعود هذا الاعتناء بامر العواصم فى بداية الامر من اجل تدعيم النفوذ العباسى فى بلاد الشام مركز الخلافة الاموية الزائلة واتباعهم واشياعهم المناوئين للعباسيين ، على الشام وتخومها حتى انهم قاموا بتغيير بعض الاجناد والعمال فولوا عمالا من قبلهم فيروى لنا الطبرى ان اخطار الهجمات البيزنطية المتكررة وما نجم عنها من ردود فعل عامة فى ديار الاسلام ، اضافة الى احساس العباسيين بالمسئولية الكبرى فى الالتزام بالدفاع عن البيضة وحماية تخوم ديار المسلمين ، دفعت الخلفاء العباسيين الاوائل الى الاهتمام الكبير بامن بلاد الشام وتخومها . ويتمثل ذلك بالاجراءات التى اتخذها ابو العباس السفاح حال مبايعته والتى تمثلت فى اعادة النظر فى العلاقات الادارية والارتباطات السابقة بين الاجناد اضافة الى تعيين كبار امراء البيت العباسى امراء على تلك الاجناد . وقد اوضح الطبرى خلال كلامه عن حوادث سنة ١٣٤هـ ان السفاح فصل فلسطين عن الشام واستعمل عليها اميرا مستقلا وكان ولاته فيها "... على قنسرين وحمص وكور ودمشق والاردن عبد الله بن على ، وعلى فلسطين صالح بن على

---

(١) الاصطخرى ـ المسالك والممالك (ص٤٦) .
(٢) الحموى ـ معجم البلدان (٤ : ١٦٥) .

وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور"[١] . وقد بقيت الثغور تابعة للاجناد حتى وصول هارون الرشيد الى الخلافة وبالتحديد حتى سنة سبعين ومائة للهجرة ، حيث " عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها جندا واحدا وسميت العواصم"[٢] . والظاهر انها كانت من قبل مضمومة الى حمص[٣] . ويذكر البلاذرى ان الرشيد "افرد منبج ودلوك ورعيان ، وقورس وانطاكية ، وتيزين وسماها العواصم وجعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك بن صالح بن على سنة ثلاث وسبعين ومائة وبنى بها ابنية"[٤] .

في حين تروى بعض المصادر ان انطاكية هى قصبة العواصم من الثغور الشامية[٥] ولعل ما اورده البلاذرى بخصوص انطاكية واهميتها فى الحماية والدفاع وماتحتله من مكانة عند كثير من الخلفاء مايؤكد استراتيجية موقعها حيث يقول :"... كانت انطاكية عظيمة الذكر والامر عند عمر وعثمان ، فلما فتحت كتب عمر الى ابى عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين اهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء . ثم لما ولى معاوية كتب اليه بمثل ذلك وامره ان يقطع بها القطائع ففعل"[٦] . وهكذا نلاحظ ان انطاكية التى اعتبرت عاصمة

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٧ : ٤٦٥) .

(٢) ن.م.س. (٨ : ٢٣٤) .

(٣) البلاذرى- فتوح البلدان (ص ١٥٦) ، الحموى- معجم البلدان (٤ : ١٦٥) .

(٤) البلاذرى- فتوح البلدان (ص ١٥٦) ، الحموى- معجم البلدان (٤ : ١٦٥ ، ١٦٦) .

(٥) الحموى - معجم البلدان (١ : ٢٦٦) .

(٦) البلاذرى- فتوح البلدان (ص ١٧٥) .

الثغور ، قد ظلت على ذلك حتى عهد الرشيد حين افرد منبج جاعلا منها "مدينة العواصم" .

اما ابن خرداذبه فيذكر ان العواصم هى اكثر من ذلك فقد ورد ان منها " . . . قورس، الجومة ، ومنبج، وانطاكية ، وتيزين ، وبوقا ، وبالس، ورصافة هشام" [(١)] .

واذا ماد ققنا فى النفقات التى كانت تصرف على تلك الثغور فيمكن القول بانها كلفت ديوان الجند فى الدولة الاسلامية الكثير من الاموال خاصة وان تلك الثغور لم تكن لها موارد لتغطى احتياجاتها اضافة الى رواتب المرابطين فيها ، ولذلك فقد كانت ترد عليها "الجرايات والصلات والحملان العظيمة" [(٢)] . ثم ان معدلات رواتب جند الثغور كانت اكثر من رواتب الجند فى المناطق الاخرى من اقاليم الدولة الاسلامية ذلك ان من يندب من الجند الى الثغور يدفع لهم زيادة فى العطاء اضافة الى اسكانهم وتزويدهم بالمواد الغذائية ومنحهم الاقطاعات [(٣)] ، وكان هدف المسئولين فى الدولة من ذلك ترغيبهم فى الاستقرار وان يكونوا مرابطين بها على الدوام ، ليردوا غارات الاعداء ، هذا اضافة الى ان الحملات التى تنظم صيفا وشتاء لغزو الصائفة والشاتية فى بلاد الاناضول كانت تنطلق فى معظمها من تلك الثغور ومن هنا يتضح السبب فى مرتبات

---

(١) ابن خرداذبه ـ المسالك والممالك (ص٧٥) .

(٢) ابن حوقل ـ صورة الارض (ص١٨٤) ،علية الجنزورى ـ الثغور البرية الاسلامية (ص١٠) .

(٣) انظر البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٧٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥) ، فاروق عمر ـ العباسيون (٢ : ٢٣٨) .

جند الثغور/كانت تعادل حيث ضعف مرتبات جنود الجيش او تزيد [١] .

اضف الى ذلك ماكان يتمتع به جند الثغور ايضا من المميزات مثل الاسكان ، والاطعام، والملابس، وعناية الدولة ايضا بالامن والطرق والمزارع والمؤونة وغير ذلك من متطلبات الجند كالاسلحة واقامة التحصينات اللازمة [٢] . من هنا ندرك ان نفقات الثغور كانت تشكل عبئا كبيرا على مالية الدولة اذ ان دخلها القليل لا يمكن ان يقارن بمقادير الانفاق الطائلة التي تصرف عليها ، ذلك انها كانت مهيأة على الدوام لمواجهة العدوان وصده عن اراضي الدولة الاسلامية، اضافة الى النفقات على الحاميات العسكرية المتركزة في هذه الثغور ومايصرف على بناء الحصون وشحنها بالجند وتزويدهم بالسلاح والمؤن الكافية وارسال حملات الاستطلاع والجواسيس، وعابرى الانهار وهو ما استقر مع تقدم الوقت على صورة الصوائف والشواتي التي كانت ترسل بصورة تكاد تكون دورية [٣] .

اما اهم التجهيزات في الاجناد والعواصم مما كان ضمن مسئولية ديوان الجند فهو اقامة الثكنات العسكرية والحصون لاقامة الجند ، ويذكر البلاذرى انه في سنة ١٤٠هـ بنى المنصور ملطية ومسجدها في ستة اشهر وبنى للجند الذين اسكنوها لكل عرافة بيتان سفليان وعليتان فوقهما واصطبل ، والعرافة عشرة نفر الى خمسة عشر رجلا ... واسكن المنصور

---

(١) عبد الرؤوف عون ـ الفن الحربي (ص٢٩٣) ، الزهراني ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص٢٨٠) .

(٢) فتحي عثمان ـ الحدود الاسلامية (٢ : ٢٤٨) ، الزهراني ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص٢٨٠) .

(٣) الزهراني ـ النفقات وادارتها في الدولة العباسية (ص٢٨٤) .

ملطية اربعة آلاف مقاتل من اهل الجزيرة لانها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذى يتجاعله القبائل بينها[١].

وفى هذا النص يتبين انه قد بنى فى ملطية وحدها مايقارب من الف وحدة سكنية من اجل اسكان الجند وحمايتهم، على حساب الديوان والراجح ان ماذكره القزوينى عن القيود والسجلات التى اعدت فى مراكز الجند فى الثغور والعواصم كان صحيحا، ذلك ان مثل هذا الاجراء له اهميته فى تزويد اولياء الامور فى العاصمة المركزية او الاقليمية بالمعلومات الاحصائية عن الجيش ونفقته ومتطلباته الى غير ذلك من الاحتياجات[٢] اذ ان من غير الممكن ان تهمل مصالح تلك المراكز التى اصبحت مستقرة ومكامنها خطيرة دون ان تراعى الدولة مايحتاجونه من الاموال والسلاح والعتاد فالسجلات مهمة حيث يدون فيها مايحتاج اليه كل حصن وكل عاصمة وكل ثغر .

كما كانت تلك المراكز تزود بما تحتاج اليه من اسلحة حيث كانت تخزن فيها، واذا انشئت حديثا فانه يجلب اليها كل ماتحتاجه ومايلزمها من اسلحة[٣].

ومما هو جدير بالملاحظة انه على الرغم من ان خطط الثغور وتحصيناتها

---

(١) البلاذرى- فتوح البلدان (ص٢٢٣) ، انظر قدامة - الخراج وصنعة الكتابة (ص٣١٩) .

(٢) القزوينى - آثار البلاد واخبار العباد (ص٥١٠) ، نعمان ثابت الجندية (ص٢٥) .

(٣) البلاذرى- فتوح البلدان (ص٢٢٣) ، نعمان ثابت - الجندية (٢٥) .

قد جعلها مدنا حصينة فى مواجهة الاعداء الا ان بعض الخلفاء اكدوا على ضرورة ان تنشأ حولها المسالح ، فمثلا عندما انشأ المسلمون ملطية اقاموا على بعد ثلاثين ميلا منها مسلحة كما اقاموا مسلحة اخرى على نهر قباقب الذى كان يصب فى الفرات[(1)] ، مما كان له اكبر الاثر فى التقليل من الاخطار التى تتعرض لها الثغور ذلك ان المسالح تقوم بدور كبير فى عرقلة تقدم العدو كما تفوت عليه فرصة الاستفادة من ظروف المباغتة وتعطى للجند فى الثغور فرصة التهيؤ الكامل والاستعداد لمواجهة العدو ، غير ان هذه المسالح تشكل بطبيعة الحال عبئا اضافيا كبيرا على ديوان الجند والنفقات فيه اذ يتطلب تشكيلها لدى اعداد اضافية من الجند وبذل الاموال بسخاء من اجل تطمين جميع احتياجاتهم من السلاح والخيول الاصيلة والدروع والجواشن وغيرها بجانب مايصرف لكل جندى من صلات وجوائز وحبوات وزيادات على الاعطيات والارزاق والتى لا تميزهم عن اخوانهم الجند فى اقاليم الدولة المختلفة فقط ، بل انها تميزهم عن اخوانهم الجند المرابطين فى الثغور ايضا .

وخلاصة القول فان تلك المدن العسكرية التى انشأها المسلمون او فتحوها وجعلوها اجنادا او عواصم كانت تشكل خطوط الدفاع الاولى عن حدود الدولة الاسلامية كما انها تقدم خدمات لاغنى عنها فى حالة انتهاج القائمين على الدولة الاسلامية سياسة استباق الضربات العسكرية واجهاض الاستعدادات المعادية تلك السياسة التى تمثلت فى غزوات الصوافى والشواتى . فقد كانت تلك المراكز تتحول الى قواعد للتجمع

---

(١) البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص ٢٢٣) ، قدامة ـ الخراج وصنعة الكتابة (ص ٣١٩) .

والانطلاق ومراكز التخزين للمؤن والمعدات والنجدات . اضافة الى كونها مراكز حماية للظهر تحمي المجاهدين من احتمالات قيام الاعداء بعمليات الالتفاف، وتعرض قوات العدو على الدوام للوقوع في كماشة قوية من جيوش المسلمين .

اصناف الجيش الاسلامي :

عندما قامت دولة الاسلام في المدينة وشرع الجهاد في سبيل الله كان المسلمون كلهم جندا ومقاتلين في سبيل الله، وباستثناء بعض الحالات النادرة، فان احدا لم يكن يتخلف عن الجهاد الا بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم او باذنه . وقد استمرت روح الجهاد في سبيل الله مفعمة بها نفوس المؤمنين، ولم تؤثر فيها وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقد تجمعت جموعهم تحت امرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه منطلقة لتنفيذ توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم تحت قيادة اسامة ابن زيد رضي الله عنه الى مناطق الروم لمحاربة المرتدين بجميع فئاتهم، مما هيأ الفرصة لاعادة الجميع تحت شعار التوحيد ومكن من التهيؤ والانطلاق نحو تحقيق الفتح المجيد لاراض شاسعة خضعت قبل ذلك لسنين طويلة لاستبداد واستعباد الفرس والبيزنطيين وقد كان المجاهدون يتحملون اعباء الجهاد والدعوة الى الله . مصممين على احدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة، فكتب الله لهم النصر صدقهم لما عاهدوا عليه كما اصابتهم مغانم كثيرة كانت توزع عليهم بعد ان تخمس كما نص على ذلك الكتاب المجيد، واستمر ذلك طوال خلافة الصديق وصدرا من خلافة الفاروق رضي الله تعالى عنهما .

وحينما وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديوان الجند خصص

للمجاهدين الاعطيات والارزاق غير ان ذلك لم يقتصر عليهم، ذلك ان العطاء قد شمل عيالهم[1] . غير ان ذلك لم يشمل كل من دخل في دين الله اذ كان خاصا بمن يشهد مشاهد المسلمين ويقاتل تحت امرة قيادتهم دفاعا عن شريعة الله او ناشرا لها ، ولا ريب ان هناك اعدادا كبيرة من المسلمين وخصوصا من اهل البوادي لم يشملهم العطاء ولا تضمن اسماءهم الديوان . على ان تطورات الاحداث التي مرت بها الامة ، واتساع ساحات الفتوحات الاسلامية وتعددها والمخاطر التي واجهها الفاتحون قد استلزمت "تجنيد" كل قادر على حمل السلاح للاسهام في معركة المصير والبذل والفداء . وهذا يفسر الاسباب التي دفعت امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ان يوجه امرا عاما بخصوص الوضع في الساحة الشرقية جاء فيه :"ولا تدعوا في ربيعة احدا ، ولا مضر ولا حلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا جبلتموه ، فان جاء طائعا والا حشرتموه"[2] .

وهكذا بدأت ملامح الجيش النظامي للدولة الاسلامية بالظهور وخاصة بعد انشاء مراكز للجند واقامة المعسكرات المنتشرة في ارض الدولة الاسلامية . على ان ذلك لا ينبغي ان يفهم بان جنود الدولة هم فقط اولئك الذين يأخذون رواتبهم من ديوان الجند ، بل ان هناك فئات اخرى كانت تخرج الى ساحات المعارك تطوعا للجهاد في سبيل الله او ان تكون طبيعة التطورات في معارك الفتح قد استلزمت اخراجهم للقتال بغض النظر ما اذا كانوا من الصليبة او كانوا من الحلفاء .

---

(١) انظر الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ٦١٨، ٦١٩) .

(٢) م.س.ن. (٣ : ٤٧٨) .

وهكذا فان الجيش الاسلامي يكون في الغالب من ثلاث فئات وهي :

اهل الديوان :

وهم الذين يفرض لهم العطاء بحسب الغنى والحاجة[1] ويتلقون رواتب لقاء خدمتهم العسكرية في الدولة ، وهؤلاء هم الذين قد يطلق عليهم الجند النظامي . وكان عددهم يكثر باضطراد حسب اتساع ديار الاسلام وحسب حاجة الدولة الى المقاتلة ، وحسب رغبة الافراد في الانخراط في هذا المسلك ولعل تلك الزيادة تظهر واضحة مع بداية حركات الفتح الاسلامي ذلك ان اشتداد المعارك وضراوتها قد استلزمت تجنيد كل القادرين على القتال ، ولم يعد الامر مرتبطا بالرغبة الفردية بقدر ماتقرره مصلحة الامة وطبيعة مايحيق بها من اخطاره كما استمر خلال العصر الاموي ذلك ان الفتوحات الاسلامية قد استؤنفت بعد عام الجماعة واتسع نطاقها وبعدت الشقة بينها وبين العاصمة وكانت قوات المجاهدين تلاقي صعوبات جمة في مناطق نائية وفي ظروف مناخية وقتالية مختلفة فلابد والحالة هذه من اعلان حالة الاستنفار الدائم وتهيئة النجدات المتتالية ضمانا لتحقيق الاهداف المرجوة في النصر ، وللاحتفاظ بالامن والاستقرار في المناطق المفتوحة وتهيئة المجال لقوات المجاهدين لمواصلة حركة الجهاد الاسلامي المستمرة . ولقد كان من آثار ذلك انتقال اعداد كبيرة من القبائل العربية الى المناطق المفتوحة . ولعل ذلك مايفسر اسباب انتشار العربية في بلاد خراسان ودنباوند وماوراء النهر مما

---

(١) الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٣٦) ، ابي يعلى - الاحكام السلطانية (ص٣٩) ، النويري - نهاية الارب (٦ : ١٥٣) .

مهد لقيام حركة علمية اصيلة بعد ان تحقق الفتح والامن والاستقرار اضافة الى ان آثار هذا الاتجاه قد تمثلت فى اتساع اراضى الدولة الاسلامية الى المدى الذى بلغته خلال هذا العصر حيث بلغت حدود الصين شرقا واشرفت على سواحل الاطلسى فى الغرب .

اما خلال العصر العباسى ، فان من الواضح ان العباسيين قد اعتمدوا على القوة فى احداث حركة التغيير وفى نقل السلطة الى ايديهم وهكذا فقد كان الجيش احد مقومات دولتهم ، غير انهم أشركوا الفرس فى حركتهم واعتمدوا عليهم كثيرا فاصبح الجيش يتألف بشكل رئيسى من عنصرين اساسيين هما العرب والفرس. وقد لعب هؤلاء الدور الفعال فى نشاط المسودة . وجهودهم فى اعلان الثورة وفى القضاء على الادارة الاموية فى خراسان وفارس والعراق قبل اعلان وجهة الخلافة ، كما لعبوا دورا حاسما فى القضاء على فلول الجيوش الاموية والسيطرة النهائية على كامل الاراضى لمصلحة الدولة الهاشمية الجديدة من جهة اخرى . وهكذا ظهر الجيش العباسى جيشا اسلاميا يحتوى على مجموعات عنصرية متوازنة يجمعها اضافة الى عقيدتها ، الولاء للبيت العباسى . والحقيقة فان الجندية قد اصبحت خلال هذه الفترة مهنة مريحة بمرور الوقت[1] . ولعل ذلك مايفسر سبب قلة الجند فى بعض الاوقات وقلتهم فى اوقات اخرى ذلك ان الجند المرتزقة كانوا يكثرون عند زيادة العطاء ووفرة الاموال ويقلون عند انحسارها ونظرا لما كان يشكله المال عند هؤلاء الصنف من الجيش من اهمية فقد كان الخلفاء يكسبون ودهم وولائهم وانضمامهم للجيش بدفع زيادات فى

---

(١) الطبرى ـ تاريخ (٨ : ٣٢٠) ، البيجانى ـ اشعة الانوار (١ : ٤٣٦) الرفاعى ـ الاسلام فى حضارته (ص١٩١) .

العطاء لهم، وقد سبق ان مر بنا كيف ان اغلب الخلفاء العباسيين كانوا يزيدون في عطاء الجيش عند توليهم الخلافة، كما ان هؤلاء المرتزقة كانوا يلعبون دورا حاسما في تحديد وجهة الدولة اثناء الحروب الاهلية في تحولهم الى الجهة التي تدفع لهم رواتبهم او زيادة اكبر وربما دفع لهم البعض العطاء مقدما كما حصل في الفتنة التي قامت بين الامين والمأمون والتي كانت نتيجتها هزيمة جبهة الامين والتي انتهت بمقتله ذلك ان الضائقة المالية التي الحت به قد نتج عنها تخلى اكثر جنوده عن مناصرته وكما حدث ايضا للمأمون عندما هم بنقل الخلافة الى على بن موسى الرضى وكيف ان الجند تخلوا عنه بسبب عدم قناعتهم من جهة والاغراءات المالية التي قدمها لهم رجال البيت العباسي في بغداد من جهة اخرى[1] .

المتطوعة :

وهم المقاتلون الذين انضموا الى القتال بجانب الجيش النظامي ايمانا بواجبهم في الجهاد في سبيل الله. ولم يكن هؤلاء من اهل الديوان وانما من البوادي وسكان القرى والامصار الذين خرجوا في النفير الذي ندب الله اليه[2] . استجابة لداعي الله اذ دعاهم وتلبية لنداء

---

(١) انظر الطبري - تاريخ (٨ : ٥٥٤، ٥٥٥).
(٢) سورة الانفال : آية ٤١، وقد ذكر الماوردي وابو يعلى في تأويل هذه الاية اربعة اوجه :
احدها : شبانا وشيوخا .
وثانيها : اغنياء وفقراء .
وثالثها : ركبانا ومشاة .
والرابع : ذا عيال وغير ذي عيال .

الخليفة او الوالي اذا ندبهم ، اما بسبب غارت مفاجئة على ديار الاسلام والحاجة اليهم بسبب قوة الاعداء واحتمال عدم قدرة الجيش النظامي على دفع شرورهم او تحقيق النصر عليهم (١) .

وقد يكون اشتراك بعضهم دائم في المعارك وذلك بدافع الجهاد في سبيل الله وحب الاستشهاد في ذلك دونما اكتراث بما يصيبه من الغنمة وانما امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "... من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (٢) . وقد يكون التطوع في المعارك احيانا بدافع العصبية القبلية حيث يشترك فئات من الناس مع قبائلهم حتى تكون لها المكانة الاسمى عند الخليفة ويكون لها الهيبة والصولة في شئون الدولة ، ولعل هذا يظهر واضحا في بعض فترات خلافة بني امية حيث حصلت الافادة من هذا الجانب في بعض المعارك .

وقد اشتهر المتطوعة وعرفوا في العصور الاسلامية المختلفة وتتحدث تلك الاخبار بانه في احدى معارك الرشيد مع الروم كان معه "مائة الف وخمسة وثلاثين الف مرتزق سوى الاتباع ، وسوى المتطوعة ومن لا ديوان له" (٣) .

وكانت هذه الاعداد الكثيرة من المتطوعين تشترك في فعاليات الجيوش الاسلامية كل بحسب قدرته وخبراته العسكرية ، وكانوا يوجهون الى الصفوف التي تحتاج الى تدعيم المعونة تبعا للظروف العسكرية ، مع الاخذ بنظر الاعتبار خبراتهم ورغباتهم ومدى استعدادهم . ولقد كان لهؤلاء

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل (٣ : ٤٧٨ ، ٤٧٩) .
(٢) مسلم ـ الصحيح (١٣ : ٤٩) .
(٣) الطبري ـ تاريخ (٨ : ٣٢٠) ، البيجاني ـ اشعة الانوار (١ : ٤٣٦) القلقشندي ـ مآثر الانافة (١ : ١٩٦) .

المتطوعة آثار واضحة في الثبات وفي تحقيق النصر، وقد جرت العادة عند اغلب قادة الجيش الاسلامي وضع المتطوعة في نهاية الجناحين من الجيوش النظامية على ان تكون اولويات واجبهم الايقاع بجناحي العدو دون الاختلاط او التأثير على الجند النظاميين ولايخفى مافي ذلك من الضبط العسكري لفرق الجيش وتنفيذ الخطط الحربية بدقة ونظام .

اضف الى ذلك فان من مهامهم ان يكلفوا بامر الاغارة على العدو قبل نشوب المعركة لازعاجه في بلاده، وعرقلة تحشده، وتخريب مداخره وقطع خطوط المواصلات عليه، كما يوكل اليهم امر مطاردة فلول العدو عند تقهقره، وهنا تبرز خصائص هؤلاء الجنود المتطوعة على الوجه الاكمل[1] .

كما ان من مهام كثير من المتطوعة حفظ الحدود الاسلامية من غارات الاعداء التي تكثر عليها عادة لقربها من مناطق الحدود وكان الخلفاء والولاة يمنحون هؤلا المتطوعة الاقطاعات في اراضي الثغور كما سبق معنا[2] .

اما عن حظ تلك الفئة من الناحية المالية فلم تقدم المصادر التاريخية مايعطي دلالة على كيفية التعامل معهم من قبل قادة الجيش اما الفقهاء فقد حصل خلاف بينهم حول ما يعطونه فقد ذكر الماوردي وابو يعلى " ان هؤلاء يعطون من الصدقات ولا يعطون من الفيء من سهم في سبيل الله المذكور في آية الصدقات " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله

---

(١) نعمان ثابت ـ الجندية (ص ٢٢) ، فتحي عثمان ـ الحدود الاسلامية (٢ : ٢٧١) .

(٢) انظر البلاذري ـ فتوح البلدان (ص ١٩٧ ، ٢٠٢) .

وابن السبيل[1] . ولا يعطون من الفيء لان حقهم في الصدقات، ولا يعطى اهل الفيء المسترزقة في الديوان من مال الصدقات لان حقهم في الفيء[2].

ويذكر ابن قدامة بان آية الصدقات ومنهم في سبيل الله الوارد فيها "انما يستحقه هؤلاء الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان ، وانما يتطوعون بالغزو اذا نشطوا قال احمد : ويعطى ثمن الفرس"[3]. وذكر الماوردي رواية عن ابي حنيفة بانه "يجوز صرف كل واحد من المالين الى كل واحد من الفريقين بحسب الحاجة"[4] . اما اذا قتل احد من هؤلاء المتطوعة قتيلا فانه يحق له اخذ سلبه لما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام :"..من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه ". (٥)

الاتبـــاع :

وهم الذين يأتون الى الحرب تبعا مع اسيادهم واصحابهم وقد يأخذون ارزاقا ،لكن ليست لهم رواتب مقررة من ديوان الجند وانما يكون ذلك على اصحابهم،لانهم ملك لهم[6]، وقد وجد هؤلاء الاتباع في كثير من الحروب الاسلامية كما سبق وان مر هنا في حرب هارون الرشيد حتى احصى

---

(١) سورة التوبة : آية ٦٠ .
(٢) الماوردي ـ الاحكام السلطانية (ص٣٦) ، وابي يعلى (ص٣٩ ، ٤٠) .
(٣) ابن قدامة ـ المغني (٦ : ٤٣٦) .
(٤) الماوردي ـ الاحكام السلطانية (ص٣٦) .
(٥) انظر البخاري (٤ : ٥٨) ، مسلم ـ الصحيح (١٢ : ٥٩) .
(٦) انظر التنوخي ـ نشوار المحاضره (٨ : ١٨٢) .

جيشه"من غير الاتباع والمطوعة[1]. وقد يرسل هؤلاء الاتباع الى المعارك نيابة عن اسيادهم عندما يكون لهم موانع تمنعهم من حضور المعركة ويستأجرون من يخرج عنهم[2] وباستثناء مامر فلا تقدم المصادر تفصيلات عن اعداد هؤلاء الاتباع او نسبتهم بالمقارنة مع غيرهم من اصناف المقاتلة في الجيش الاسلامي .

فرق الجيش الاسلامي :

ان الاصناف السالفة الذكر تشكل بمجموعها الفرق المتعددة للجيش التي تتولى جميع شئون المعركة وهذه الفرق هي كالتالي :

الفرسان :

ويسمون في بعض الاحيان بالخيالة وذلك لامتطائهم ظهور الخيل وهذا الصنف من المحاربين كان معروفا عند العرب في الجاهلية حيث كانوا يعتنون بالخيل عناية كبيرة وقد انعكس ذلك في كثرة ذكرهم لها في اشعارهم فقد نظموا في مدحها القصائد الكثيرة والطويلة يذكرون فيها اصناف خيولهم والانواع الجيدة منها ويجعلونها مضرب الامثال لما تؤديه هذه الخيل من ادوار بالغة الاهمية في ذلك العصر، وكان نتيجة لهذا ان ظهر منهم فرقة مهمتها التدرب على ركوب الخيل والعناية التامة في التحكم بذلك في ميادين القتال وبجانب ذلك فانهم حافظوا على انسابها

---

(١) الطبري - تاريخ (٨ : ٣٢٠) ،البيجاني اشعة الانوار(١ : ٤٣٦) ، القلقشندي - مآثر (١ : ١٩٦) .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية (٢ : ٦٠٩ ، ٦١٠) ،ابن كثير السيرة النبوية (٢ : ٣٨٣) .

وتداولوا ذلك تماما كما كانوا يعرفون انسابهم ويتداولوها .

فلما جاء الاسلام وقامت دولته في المدينة وبدأت المعارك الفاصلة بين الاسلام ومناوئيه ونزلت الاوامر الالهية تحث على اعداد القوة لمواجهة اعداء الله والاسلام ورد ذكر الخيل ضمن اصناف القوة التي امر الله تعالى باعدادها وذلك في قوله تعالى "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..."[1]، كما تكرر ذكر الخيل او الاشارة اليها في الكتاب العزيز مقرونة بالقوة والاستعداد كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحث اصحابه على العناية بامر الخيل ويعد بالاجر العظيم لمن يرتبط الخيل في سبيل الله فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله :"الخيل معقود في نواصيه الخير الى يوم القيامة"[2] .

لهذا الاجر العظيم كان المسلمون يتسابقون الى اقتناء الخيل وحبسها في سبيل الله . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام اولهم في ذلك فقد اشترى فرس من بني فزارة بعشرة اواق ، وكان اسمه الفرس فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم (السكب) وكان اول ماغزا عليه يوم احد[3] كما كان له فرس يدعى (المرتجز) ولزاز" و"الطرب" ، و"اللحيف" ، و"الورد"[4] .

---

(١) سورة الانفال : آية ٦٠

(٢) العسقلاني - فتح الباري (٦ : ٥٤) .

(٣) حماد بن اسحق بن اسماعيل - تركة النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق د. اكرم العمري (ص٩٦) وانظر الذهبي - السيرة النبوية (ص٣٥٩) ابن جماعة - مستند الاجناد (ص٧٠) .

(٤) انظر حماد بن اسحق - تركة النبي صلى الله عليه وسلم (ص٩٦- ٩٨) الذهبي- السيرة النبوية (ص٣٥٩) ، ابن جماعة الحموى - مستند الاجناد (ص٧٠ ، ٧١) .

وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حمى خاصة يربى فيها الخيل ويتعهدها احيانا هو بنفسه ووضع عليها شخصا له خبرة واسعة فى هذا الميدان وهو سلمان بن ربيعة الباهلي الذى عرف فيما بعد باسم "سلمان الخيل"[١]، كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه "اتخذ في كل مصر على قدره خيولا من فضول اموال المسلمين عدة لكون ان كان"[٢] .

وكانت الخيول تستعمل وقت العرض حينما يستعرض الخليفة او القائد جنده لغرض التعرف على الانواع الجيدة منها فيثبتوها والانواع الرديئة فيرفضوها قبل الاشتباك في المعارك حتى لا تكون سببا في الهزيمة . وقد سبق اذ مر معنا ان من شروط من يتولى ديوان الجند ان يكون عالما بالخيل وشياتها ومثال واحد على ذلك يوحي لنا مدى الاهتمام البالغ من قادة الجيوش بامر الخيل والاشراف المباشر على تربيتها فهذا عمرو بن العاص - رضى الله عنه - فاتح مصر يوصي جنده في خطبته قبل ان يذهب الناس الى خارج الفسطاط بمكان خاص لمرتبع الجند حيث قال :"... ولا اعلمن ما اتى رجل قد اسمن جسمه واهزل فرسه ، واعلموا انى معترض بالخيل ، كاعتراض الرجال ، فمن اهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك"[٣] .

ولاهمية الخيل ومايؤديه من دور فعال فى المعارك فقد فرض الرسول صلى الله عليه وسلم للفرس نصيبه من الغنائم ، اذ جعل للفارس ثلاثة اسهم

---

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ١٥٥) .
(٢) الطبرى - التاريخ (٤ : ٥١، ٥٢) ، وانظر ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٠) .
(٣) السيوطى - حسن المحاضرة (١ : ١٥٤) .

سهمان للفرس وسهم للفارس، فقد روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما : "ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض للفرس سهمين ولصاحبه سهما"[1] وهذا خير مايعكس مدى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مشاركة الخيالة فى الحروب الاسلامية، وما اولاه من اهمية للخيل ودورها فى تقرير مصير المعارك.

كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما فكر فى تسوية عطاء الجند بعد تأمين ديوان الجند فانه قد فكر فى ان يجعل للجندى الواحد اربعة آلاف درهم، "كان جزءا منها وهو الربع حصة للفرس المقاتل"[2]. ولعل الاثر يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو قوله :" علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل"[3] يوحى بان المسلمين يلزمهم ان يعلموا اولادهم منذ نعومة اظفارهم هذه الرياضة التى تكسبهم القوة والتدبير فى المعارك، لهذا نجد ان المسلمين منذ بداية امرهم يعتنون عناية فائقة فى تنشئة اولادهم على الخيل ورياضتها، وظلت هذه العناية موجودة فى مختلف العصور الاسلامية، واستمر الاهتمام بها حتى العصر الحديث رغم ابتعاد الكثيرين عن تعاليم الاسلام ورغم ظهور الوسائل التقنية الحديثة فى المعارك .

ولو تتبعنا معارك المسلمين لما وجدنا معركة من المعارك تخلو من

---

(١) العسقلانى ـ فتح البارى (٦ : ٦٧) وانظر الشرح (ص٦٨).

(٢) انظر البلاذرى ـ فتوح البلدان (ص٥٥٢) ، الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٥٠٤) ، البيهقى السنن (٦ : ٣٢٧) ، ابن طباطبا ـ الفخرى (ص٨٤).

(٣) انظر ابن القيم ـ الفروسية (ص١٤، ١٥).

هذا الصنف من صنوف المقاتلين ، والذى يعنينا فى هذا المجال هو دراسة المهام التى تناط بالفارس فى اى من المعارك التى يشارك فيها فمن خلال هذا الاهتمام الكبير بامور الخيل والخيالة ندرك ان السبب وراء ذلك هو ان الفرسان يشكلون العنصر الاساسى من المحاربين وكانوا فى الغالب يتسلحون بالسيوف والحراب والرماح ، ويلبسون المغافر على رؤوسهم والزرد والدروع على اجسامهم[(١)] . كما كانوا يعلقون على السروج والفؤوس والدبابيس التى يستعملونها فى تهشيم الخوذ الحديدية .

كما يجب على الفرسان ان يحملوا فى غزواتهم من المتاع والحاجات الضرورية ماخف حمله وعظمت فائدته ، بحيث لا تعيقه او تشغله او تقلل من سرعته او حركته[(٢)] .

واما اختصاصات الفرسان فيمكن اجمالها بالاتى :

الاستطلاع :

وقد سبق معنا كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل الطلائع حول المدينة وحول المعسكرات التى كان يستقر جيشه فيها

---

(١) النويرى - نهاية الارب (٦ : ٢٤٠) ، ويشرح المغافر بانها جمع مغفر وهو نوع من الخوذ المنسوجة من الزرد ، والزرد حلقات من المعدن تستعمل لحماية الصدر ، والدرع ثوب ينسج من حلقات حديدية متداخلة ويلبس على القسم الاعلى من الجسم وله اكمام قصيرة الى منتصف الذراع وقد يكون له سواعد حديد . وانظر ايضا رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٥٩) .

(٢) الهرثمى - مختصر سياسة الحروب (ص٦٥) .

وذلك لتأمين مواقعهم . وقد كان المسلمون يكثرون من الطلائع في تحركاتهم العسكرية . وقد مر معنا في شروط القيادة كيف انه يجب على القائد ان يبث الطلائع لتأمين جيش المسلمين وللتعرف على مواقع وتحركات العدو وقد استعمل المسلمون ذلك في حروب الردة وكذلك في الحركات العسكرية التي تسبق المعارك وفي اثناء ذلك خلال مرحلة الفتوحات طوال عصر الراشدين والعصر الاموي اضافة الى استعمال الطلائع في الحروب والفتن الداخلية . وقد اعتمد خلفاء بني العباس ايضا على الفرسان لاستطلاع الطرق ومعرفة مواقع العدو،(١) وقد اشارت بعض المصادر(٢) الى الشروط الواجب توفرها فيمن يتولى مهمة الطلائع منها ان يكونوا من اهل التجارب والفن والشجاعة، وان يكونوا حاضري البديهة شديدي الحذر اقوياء، من ذوي النصيحة والامانة ومن اهل التدبير والصدق حتى لا يعطوا عن العدو معلومات خاطئة . ويشترط الا يكونوا اقل من ثلاثة حتى لا يؤخذوا على حين غرة، وان يسيروا متباعدين يحمي الواحد منهم ظهر الاخر، وان يختاروا مقرهم في مواضع مناسبة وان يكون مسيرهم وجريهم على الارض المستوية الصلبة ما امكن حتى لا يظهر لهم غبار فينكشفون . وعليهم الا يدخلوا الى اكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين عسكر عدوهم حتى لا يحيط بهم الاعداء ويتمكنوا منهم،واضافة الى ماتقدم فانه من الضروري ان يكون بينهم وبين صاحب العسكر اشارة معينة يفهمنها صاحب العسكر الخبر حين لا يريد اظهاره

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل (٩ : ٥٨،٥٩) .

(٢) انظر الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٤٨،٤٩،٥٠) ، وانظر رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٥٤) ،ابن قتيبة- عيون الاخبار (١ : ١١٣) الحسن بن عبد الله - آثار الاول في ترتيب الدول (ص١٧) .

امام اصحابه ، وذلك ان المفروض هو ان يوصلوا المعلومات الى صاحب العسكر مباشرة والا يخبروا بها احدا غيره منعا لحصول الارتباك او الهياج او غير ذلك بين الجند ومن اجل ضمان استفادة صاحب العسكر مما حصلت عليه الطلائع من معلومات فى خططه ومفاجأته للعدو. اما خيولهم فقد اشارت المصادر الى ضرورة كونها جيدة الظهر والحوافر سريعة العدو وان تكون جعابهم مليئة جاهزة على متونها وان تكون سيورها ومعاليقها من الادم حتى يضمنوا عدم حصول الاصوات منها اثناء الحركة والمسير. ومما ينصح به الطلائعى عادة ان يحمل فى حقيبته مابين عشرة الى عشرين نشابة للاستفادة منها وقت الحاجة . ولا يلزم الطلائع بلبس الدروع ولا حمل التروس ولاغير ذلك من آلات الحرب ذلك ان طبيعة المهمة الموكلة اليهم تتطلب الخفة فى الحركة والسرعة فى الجرى كما ان مهمتهم لا تتضمن ملاقاة العدو اثناء الاستطلاع ذلك ان الغاية من مهمتهم جمع اكبر قدر من المعلومات عن العدو دون علمه من تقدير قوته وخططه وتحركاته وتموينه وخطوط سيره والتعرف على جوانب الضعف فيه ضمانا للافادة من كل ذلك عند رسم خطط الجيش الاسلامى (١) .

الكمائن :

والكمائن عبارة عن مجموعات من جنود الجيش الاسلامى تكمن للعدو فيمر بها دون ان يعلم بذلك ثم يفاجئ قواته ملحقة به افدح الخسائر (٢)

---

(١) الهرثمى - مختصر سياسة الحروب (ص٤٩) .
(٢) اليعقوبى - تاريخ (٢ : ٤٧٤) .

وعدد جند الكمين ينبغى ان يكون كبيرا ، واما تنظيمهم فيكون على شكل كراديس منفصلة من غير ان يبعد بعضهم عن بعض، ويفترض ان ينقضوا على العدو انقضاضة مفاجئة وسريعة وان يحملوا عليه حملة رجل واحد من غير رهبة ولا خوف،[1] فيؤدى ذلك الى تشتيت جيش العدو وتمزيق فرقه وارباك تعبئته ، مما يسهل عملية انهاء قوته واشتاته بالقتل او الاسر او احلال الهزيمة به .

وتتولى الكمائن الاغارة على جيش العدو بطرق مختلفة فقد ينفذ قائد الجيش خطة انسحاب وهمى مفاجىء تطمع العدو بهم فيندفع في الهجوم والملاحقة لهم وعندها يخرج الكمناء من مكامنهم وينقضوا على العدو ثم يقوم عامة الجيش باعادة التعبئة لاحتواء هجوم العدو والقيام بعملية الهجوم المضاد . او قد يرسم القائد عملية التفاف فيحصر جيش العدو ويقطع امداداته ويربك تعبئته فيشتت مما يسهل القضاء عليه .

ومن مهام الكمناء الاغارة ايضا على مؤخرة جيش العدو ولاشغاله والاستيلاء على اسلحته وامتعته ، وقطع امداداته وارباك خطوط مسيرته وتموينه وتحقيق هبوط معنويات جنده عند ادراكهم انقطاع المسيرة والامداد والتموين وصعوبة التقهقر وخطورته ، وقد استعمل هذا النظام في حروب المسلمين مع الروم حيث الحصون القوية والمعاقل المنيعة .

وتذكر المصادر شروط ينبغى ان يلتزم بها من يتولى مهمة الكمين

---

(١) الهرثمى - مختصر سياسة الحروب (ص٥١) ، وانظر ابن قتيبة - عيون الاخبار (١ : ١١٣) .

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٩ : ٥٨، ٦١) .

اهمها[1] :

تحرى سلامة الكمناء ودوابهم من العلل التى قد تتسبب فى كشف الكمين لكمينه وأن يختار المكان المختفى عن الانظار وان يكون لهم عسس بالليل حتى يوافوهم الاخبار .

ان يتحروا فى مكانهم القرب من الماء ما امكن حتى يجدوا احاجتهم من الماء ان طال انتظارهم . كما عليهم ان لا يؤذوا الطير والوحش والسباع فيما حولهم حتى لايستدل على مكمنهم . اما اذا ارادوا الحركة فينبغى ان يكون ذلك فى حالة غفلة من عدوهم ، وان يختاروا احرّ ساعة فى الصيف وابرد ساعة فى الشتاء لتنفيذ ذلك .

ومن مهام الفرسان ايضا تحقيق الافادة من الهجوم الاول على العدو وهو مايسمى بالحملة او الهجوم الراكب وقد يطلق عليه فى المصطلح العسكرى المعاصر اصطلاح " الضربة الاولى " ، وذلك بان يكونوافى مقدمة الجيش او القلب[2]، حيث ان دورهم فى هذا المكان هو الحملة القوية والسريعة على العدو وحملة رجل واحد مما يتسبب فى ضعف العدو وانهزامه ، كما يتولون الاغارة المفاجئة على العدو ولما يتطلبه هذا الامر من خفة وسرعة وذلك لاجل ارباك العدو وسواء كان ذلك قبل المعركة او بعدها[3].

ومن مهام الفرسان ايضا : حماية الجيش اثناء المسير او البيات

---

(١) الهرثمى ـ <u>مختصر سياسة الحروب</u> (ص٥٠) ، وانظر ابن قتيبة ـ <u>عيون الاخبار</u> (١ : ١١٣ ، ١١٤) .

(٢) الهرثمى ـ <u>مختصر سياسة الحروب</u> (ص٣٦) ، نعمان ثابت ـ <u>الجندية</u> (ص١٤٢) .

(٣) الحسن بن عبد الله ـ <u>آثار الاول</u> (ص١٧٩) ، نعمان ثابت ـ <u>الجندية</u> (ص١٤٢ ، ١٤٣) .

وذلك بان تتولى فرقة من الفرسان حراسة الجيش ومراقبته من اكتشاف للطرق المهمة والمواضع لضمان عدم حدوث مفاجأة من العدو، كما تتولى مراقبة الجيش من ساقته (المؤخرة) لملاحظة المتخلفين ومساعدتهم فيما يحتاجون ولا يرخص لاحد منهم في التخلف عن الجيش[1]، كما يتولون ايضا حماية الجيش حتى لا يتعرضوا لهجوم مفاجيء بالاضافة الى انهم كانوا يتولون حراسة الجيش في الليل حتى لا يؤخذوا على حين غرة .

ومن مهام الفرسان ايضا مايعرف بالمطاردة :

وذلك بان يتولوا مطاردة العدو المنهزم سواء كان ذلك بقوات الفرسان المهاجمين او من قوات الفرسان الاحتياطي[2]، والاعداد لهذا الغرض وقد عني المسلمون عناية كبيرة بهذه المهمة او مارسوها في حروبهم حتى يحققوا بقدر الامكان هزيمة العدو وتفرق جيشه ويضمنوا امتناع تجمعه وعودته لمواجهة المسلمين ، وفي ذلك يوصي عبد الحميد الكاتب كل قادة جيوش المسلمين بقوله :"فاذا انصرف عنك عدوك ونكل عن الاطابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه او كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة قدرت ان تركب بهم اكتافهم وتجلهم على سننهم فاتبعهم جريدة خيل عليها الثقات من فرسانك واولوا النجدة من حماتك فانك ترهق عدوك"[3].

---

(١) رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٥٩) ، الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٣٢،٢٩) .

(٢) انظر الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٣٧،٣٦) .

(٣) رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٦١) .

ويتولى الفرسان كذلك حماية القوافل التى تحمل المؤن والعتاد او مايعرف بالعصر الحديث بخطوط التموين ، لان مؤن الجيش وعتاده من اهم العناصر المساعدة على تحرك الجيش واستعمال آلاته الثقيلة ويطلق على هذه العملية احيانا اسم البذرقة او الخفارة[١] .

وقد تكلف مجموعة من الفرسان بان يتمركزوا فى مواقع مهمة حول مكان المعارك كالاستيلاء مثلا على الجبال والمرتفعات وبعض المنخفضات واماكن المياه حتى يضمنوا تحقيق هدف استراتيجى يضمن النتائج الباهرة او الضامنة فى المعركة وهذا يدخل ضمن الاعداد والتهيؤ للمعركة .

كما انه قد توضع مجموعات من الفرسان على طرفى ميمنة الجيش وميسرته لتكون وقاية لهما ولمنع العدو من اختراق صفوفهم او الالتفاف حوله[٢] وهذا يدخل عادة فى خطة المعركة الفعالة .

المشاة او "الرجالة" :

وهم الذين يقاتلون وهم راجلين او مشاة ويشكل هذا الصنف القوة العظمى من الجيش، وهم الذين يقع عليهم عبء الاصطدام المباشر مع جيش العدو وكانوا يتسلحون بالسيوف والحراب والرماح والقسى والسهام ويلبسون الدروع على اجسامهم ويضعون الخوذ على رؤوسهم حماية لانفسهم من اسلحة العدو . وكانوا يتقدمون الجيش خاصة حينما تكون التعبئة على هيئة الصف ويكون بمحاذاتهم فرق الخيالة[٣] حتى تؤمن لهم

---

(١) انظر ابن منظور ـ لسان العرب ، مادة (بذرق) .
(٢) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٣٤ ، ٣٩) .
(٣) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص ٣٧) .

الحماية اللازمة والسريعة .

اما امراء المشاة فانهم يركبون الخيل لكي يسهل عليهم الانتقال في المعركة بين الجيش ولذلك يقول الجاحظ :"وقائد الرجالة لايكون الافارسا"[1].

ويرى روبين ليوى"ان العباسيين لم يستعملوا المشاة دائما اذ كانت معظم العمليات الكبيرة من قبل الخيالة واذا احتاجوا المشاة فغالبا ماكانوا يضعونهم وراء الخيالة"[2]، ولعل ماذكره البعض عن العباسيين وقلة فرقة المشاة عندهم في حروبهم انما كان يعبر عن فترة خلافة المعتصم بالله الذى استكثر من الاتراك في جيشه، وقد كان هؤلاء يشكلون القوة العظمى في مجال الخيالة لان الاتراك كانوا بطبيعتهم فرسانا ماهرين كما وصفهم الجاحظ حتى قال " لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ... ولم يكن همهم غير الغزو والصيد وركوب الخيل"[3]. اما فرقة المشاة قبل هذا العصر فكانت قوة لايستهان بها ، فقد كانت موجودة منذ القدم وكان للرسول عليه السلام في جيوشه التى غزا بها المشركين قوة ضارية من المشارة وكان يستخدم افرادها غالبا في الرمي وحماية المسلمين فقد روى البخارى عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال :"جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد عبدالله بن جبير....."[4]. وكذلك في فتح مكة حينما وزع الجيش

---

(١) الجاحظ - الرسائل (١ : ٣٣) ؛ نعمان ثابت - الجندية (ص١٤٦) .
(٢) انظر جهادية الغرنوني - التنظيمات الادارية (ص١٦٧) .
(٣) الجاحظ - الرسائل (١ : ٧٠، ٧١) .
(٤) العسقلاني - فتح الباري (٧ : ٣٦٤) .

" جعل على الرجالة ابا عبيدة بن الجراح"[(١)] .

المنجنيقيون :

وهم المكلفون باستعمال آلة المنجنيق فى رمى الاعداء ، وكان اول استعمال لها فى الاسلام فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى حربه مع اهل الطائف حينما حاصرهم فى حصنهم حيث نصب عليهم المنجنيق ورماهم به[(٢)] .

ويذكر ابن الاثير[(٣)] "ان الذى اشار على الرسول عليه السلام بالمنجنيق هو سلمان الفارسى رضى الله عنه" ، ومهما يكن من امر فان المنجنيق قد استعمل فى عصر الرسول عليه السلام وظل المسلمون يستعملونه فى محاربة الفرس والروم مما كان سببا فى هدم قلاع اعدائهم وحصونهم[(٤)] ، وقد اخذ المسلمون يتفننون فى صناعة آلات المنجنيق وتطويرها ، وكان لها مجموعة خاصة من الجند مهمتها تركيب المنجنيق والرمى به فقد نصب مروان فى حصار حمص نيفا وثمانون منجنيقا يرمى بها فى الليل والنهار[(٥)] ، حتى تم له فتحها وكذلك العباسيون استكثروا من هذا النوع فقد حارب المهدى حصون بلاد الروم ونصب عليها

---

(١) الخزاعى التلمسانى - تخريج الدلالات السمعية (ص٣٧١) .
(٢) البلاذرى (ص٦٥) ، ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الثانى (ص٤٨٣) ، الخزاعى التلمسانى - تخريج الدلالات (ص٤٨٩) .
(٣) الكامل فى التاريخ (٢ : ٢٦٦) .
(٤) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٦) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٩) .
(٥) ابن الاثير - الكامل (٥ : ٣٣٣) .

المجانيق حتى تم له الفتح[١] .

النشابون :

وهم الذين يرمون بالنشاب، وكانت للعرب خبرة واسعة في هذا الفن من السلاح وقد استعمل الرسول عليه السلام مجموعة من جند المسلمين لهذا الغرض وذلك في معركة احد حينما وضع الرماة فوق الجبل وعددهم خمسون رجلا وقال لقائدهم : "انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا ....."[٢]

فجعلهم رداً وظهرا للمسلمين يحمونهم من هجوم قد يحدث فجأة من خلفهم وكان الرسول عليه السلام يحث اصحابه على تعلم الرمي بالنشاب فقال عليه السلام "اركبوا وارموا : وان ترموا احب الي من ان تركبوا"[٣] .

ودعا الرسول عليه السلام لسعد بن ابي وقاص بقوله " اللهم سدد رميته واجب دعوته"، فكان لا يرد له دعاء ولا يخيب له سهم .

ويروى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر :"واعدوا لهم ما استطعتم من قوة"[٤] وفسرها ـ الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ،الا ان القوة الرمي[٥] .

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل (٦ : ٦٠ ، ٦١) .
(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ القسم الثاني (ص ٦٥ ، ٦٦) الخزاعي تخريج الدلالات (ص ٣٧) .
(٣) ابو داود ـ السنن (٣ : ٢٨-٢٩) ؛ النسائي ـ السنن (٦ : ٢٢٣) .
(٤) سورة الانفال ـ اية ٦٠ .
(٥) مسلم ـ الصحيح (١٣ : ٦٤) ؛ ابو داود ـ السنن (٣ : ٣٠) .

لاجل هذا حرص المسلمون كل الحرص على تعلم الرماية بالسهام وكان لذلك اثره البالغ فى تمكنهم وقدرتهم الفائقة في حروبهم مع اعدائهم وكانت تجرى مسابقات فى مثل هذا النوع من السلاح[١] .

النفاطون :

وهم الذين يرمون النفط بالنفاطة لاحراق حصون الاعداء . والنفاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط .

الدبابون :

عرفت الدبابة[٢] منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فقد استعملها عندما حاصر الطائف فى اليوم الذى يسمى "يوم الشدخة" حيث دخل نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه ، فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا[٣] .

---

(١) الحسن بن عبد الله ـ آثار الاول في ترتيب الدول (ص١٥٩) .

(٢) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون الى الاسوار لينقبوها . انظر السهيلى ـ الروض الانف (٧ : ٢٦٦) وذكر الخزاعى عن ابن سيد ان الدبابة بيت صغير يعمل من جلود الابل والبقر تعطى للحصون يدخلها الرجال فينقبون من داخلها ويكون سقفها حرزا لهم من الرمى . انظر تخريج الدلالات (ص٤٩٣) .

(٣) ابن سعد ـ الطبقات (٢ : ١١٤) ، السيرة النبوية ـ القسم الثانى (ص٤٨٣) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢ : ٢٦٦) ، الخزاعى ـ تخريج الدلالات السمعية (ص٤٩٣) .

وهكذا استعمل المسلمون هذا النوع من السلاح في اغلب حروبهم خاصة تلك الحروب التي يكون الاعداء فيها داخل حصونه ، فقد استعملها المسلمون في حروبهم مع الفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) .

وكذلك استعملها الامويون كثيرا في حروبهم وفتوحاتهم ، ونظرا لتطور فن حرب البحر عندهم فقد كانوا يستخدمونها مع المنجنيق لاحراق سفن الاعداء كما استخدمها القائد محمد بن القاسم الثقفي ايضا في حروبه مع اهل السند (٢) .

ولما جاء العباسيون زاد اهتمامهم بالدبابة وتطويرهم لها حيث انها كانت في بعض الاحيان تؤدى ادوارا لا يؤديها المنجنيق ، ففي عهد المنصور "ارسل جيشا بقيادة العباس بن محمد الى كمخ فلما وصلوها امر العباس بنصب المنجنيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلا تضربه حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل فاتخذ المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالا شديدا حتى فتحوه" (٣) .

وكان المقاتلة الموجودين في اعلى الدبابة يستعملون من الاسلحة القسي والسهام ومهمتهم حماية المقاتلة الموجودين في اسفل الدبابة ليتمكنوا من فتح ثغرات في اسوار العدو باستخدام المعاول والمثاقب .

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل (٤ : ٦) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٩) .
(٢) نعمان ثابت - الجندية (ص ١٥٨) .
(٣) البلاذري - فتوح البلدان (ص ٢٢٠) .

الرماة بالمقلاع :

وهم الذين يقومون برمى الحجارة من المقالع، وهؤلاء كانوا موجودين فى العصور الاسلامى الاولى[1]،

اما صفة المقلاع فانه عبارة عن "قطعة جلد او قماش قوية، قليلة العُرض مطوية، تمسك من طرفيها، ويوضع الحجر او الحصاة او قطع الحديد او الرصاص المقصود، وشقها فى وسطها، وقد يكون المقلاع مؤلفا من كفة توضع فيها القذيفة مربوطة بها ثلاث حبال او سيور متينة، تمسك من اطرافها وبعد تدويرها مرارا باليد، يفلت طرف واحد من الثلاثة سيور المذكورة فيقذف مافى الكفة الى بعد عظيم بقوة كلية"[2].

الفعلة والمهندسون :

وهم فرقة يصطحبها الجيش معه للقيام بعدة امور، ويكونوا مختصين بها وقد وجدت هذه الفرق منذ العصور الاسلامية الاولى، ففى عهد الرسول عليه السلام كان هناك فرقة تقوم بعمل المنجنيق ونصبه وكذلك الدبابة، كما كان هناك فرق تقوم بنثر الحسك[3]. وقد نثر الرسول عليه السلام سقبين من عيدان الحسك حول الحصن اثناء حصاره للطائف[4].

---

(١) انظر المسعودى - مروج الذهب (٣ : ٤١١).

(٢) البستانى - دائرة المعارف (٩ : ٧٠١).

(٣) الحسك - حسك السعدان، واحدته حسكه، وله شوك صلب ذو ثلاث شعب والحسك ايضا: مايعمل من الحديد على مثاله وهو من آلات العسكر. انظر الجوهرى - الصحاح (٤ : ١٥٧٩).

(٤) ابن سعد - الطبقات الكبرى (٢ ق ١ ص ١١٤).

ومن مهام هؤلاء الفعلة : القيام بحفر الخنادق ، وكذلك اقامة الجسور على الانهر، والقناطر على الجداول .

كما ان من مهامهم تسوية المسالك والطرق ، وذلك بشقها لكي يسهل للجيش المرور معها ، كما انهم يقومون بردم الخنادق ،[1] حتى تجتازه فرق الخيالة ، وتعبر عليه الدبابات التي تحركها الدواليب، كما كانوا يستعملون جلود الغنم بعد حشوها بالتراب لاستعمالها لعدة اغراض في الهجوم والدفاع[2] . كما ان منهم من يقوم باحداث ثغرات في الحصون ويعلق بها الخشب ثم يشعلون النار بها مما يسهل عملية اقتحام الحصون والاسوار .

ومن هؤلاء المهندسين ايضا من يقوم بازاحة الثلج عن الطرق كما كان للفعلة دور مهم في بناء المدن الثغرية والحصون ، فالبلاذري[3] يذكر ان المنصور لما امر ببناء ملطية وتحصينها جمع لذلك الفعلة من كل بلد فاخذوا في بنائها .

من ذلك نلاحظ ان هذا الصنف من اصناف الجيش كان يقوم بعدة ادوار ومهام فقبل الحرب واثناء المسير يكونون في المقدمة حتى يشقوا الطريق للجيش ويتأكدوا من صلاحيته .

اما اثناء المعارك فذكر الهرثمي ان رأس الفعلة يجب ان يكون في ميمنة الميمنة من الجيش، اما الفعلة فانهم يكونون مع الكتاب والصناع والحراس والاطباء وذلك في القسم المخصص للاثقال حتى تأتيهم الاوامر[4] .

---

(١) الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٢٩) .
(٢) الطبري - تاريخ الرسل (٩ : ٦٥) ، المسعودي - مروج الذهب (٣ : ٤١١) .
(٣) البلاذري - فتوح البلدان (ص٢٢٣) .
(٤) الهرثمي - مختصر سياسة الحروب (ص٣٨) .

الاطباء والبياطرةوالمضمد ون :

هؤلاء الصنف ممن يرفقون الجيوش وهم موجودين منذ القدم وكانت النسوة في بعض الاحيان يتولين مهمة التضميد ورعاية المصابين والسقاية وخاصة اثناء المعارك، فهذه الربيع بنت معاذ رضى الله عنها تقول "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقى، ونداوى الجرحى، ونرد القتلى الى المدينة"(١) .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرسل الاطباء مع الجيش لمعالجة المرضى ومداواة الجرحى(٢)، واستمر مرافقة الاطباء للجيوش الاسلامية واخذت تتطور حتى انه في الدولة الاموية كانت تتخذ لها المحاطل الخاصة للادوية والادوات وللجرحى ويذكر الجاحظ(٣) "ان اول من اتخذ المحاطل هو الحجاج بن يوسف الثقفي" .

وقد اولى العباسيون الشئون الصحية لجيوشهم عناية كبيرة فلقد طورت فرق خاصة من الاطباء للجيش العباسي تقيم معه اذا اقام وترافقه في جميع حركاته ومعاركه، كما كان للجيش مستشفيات سيارة يحملونها على الجمال والبغال، كما كان يرافقهم مجموعة من الصيادلة لاعداد الادوية وتركيبها(٤) .

وبالاضافة الى الاصناف السابقة كان هناك اصناف اخرى او وظائف

---

(١) العسقلاني - فتح الباري (٦ : ٨٠) .
(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٩) .
(٣) الجاحظ - البيان والتبيين (٢ : ٢١٥) .
(٤) نعمان ثابت - الجندية (ص ١٦٤، ١٦٥) .

وليها اشخاص كانوا يصحبون الجيش الاسلامي الا انهم لا يشكلون اعدادا كبيرة فكان يكتفى بواحد او اثنين منهم ، وقد ظهروا فى عصر صدر الاسلام ويذكر لنا ابن كثير بعض هذه الاصناف ففي معركة اليرموك عندما قسم خالد بن الوليد جيش المسلمين الى كراديس ووضع على كل كردوس اميرا كما انه جعل اصنافا من الجند على بعض الوظائف فهناك "صاحب الاقباض" الذى يشرف على جمع الغنائم وعين لهذه المهمة عبد الله بن مسعود ، وهناك "القاضي" وهو ابو الدرداء ، وهناك "القاص" الذى يحضهم ويحثهم على القتال وهو يومئذ ابو سفيان بن حرب ، وكان يقوم معه بهذا الدور ايضا ابو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وابو هريرة رضي الله عنهم اجمعين وهناك ايضا "القارىء" وهو الذى يدور على الناس فيقرأ سورة الانفال وآيات الجهاد وكان يقوم بذلك المقداد بن الاسود رضى الله عنه[1] .

وفي معركة القادسية ايضا نجد انه بالاضافة الى هذه الاصناف كان هناك "الترجمان" و "الكاتب"[2] .

وهناك وظيفة "الوازع"[3] وقد استعمله الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) انظر ابن كثير ـ البداية والنهاية (٨ : ٩٠٨ ، ٤٣٩) .
(٢) انظر الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك (٣ : ٤٨٩) .
(٣) يقال وزعته ازعه وزعا : اى كففته ، والوازع الذى يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر ويقال : وزعت الجيش : اذا حبست اولهم عن آخرهم انظر الجوهرى ـ الصحاح (٣ : ١٢٩٧) .

بفتح مكة[١] .

وهناك وظيفة "الحاشر"[٢] ، وهو الذى يحشر الجند لئلا يتخلفوا عن اللحاق باول الجيش، وقد يتراءى للبعض بان وظيفة الوازع والحاشر سواء غير ان هناك فرقا بينهما ذلك ان الوازع يكون مع الجيش وفى وسطه اما الحاشر فانه يكون فى مؤخرة الجيش، ووظيفة الوازع كانت موجودة منذ عهد الرسول عليه السلام . اما وظيفة الحاشر فانها وجدت فى الجيش الاسلامى منذ عهد الدولة الاموية[٣] .

كما كان هناك من الوظائف الملحقة بالجيش ايضا "الرواد" ومهمة هؤلاء كما اشار اليهم الطبرى هو اختيار الارض المناسبة لمعسكرات الجيش وقد تولى منصب " الرائد" فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلا من سلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان ، وابو موسى الاشعرى رضى الله عنهم[٤] .

كما اشار الهرثمى الى ان هناك اصنافا اخرى يكونون ضمن الجيش الاسلامى ومن هؤلاء ، المؤذنون ، والمكبرون ، واصحاب الطبول والقرون وصاحب الطرق وصاحب البريد ، والبوابون والصناع والحرس واصحاب الطرق وصاحب البريد وصاحب البزاة "الصقور" وصاحب الشرطة والمحتسب[٥] وغيرهم ، وكان كل منهم يتولى مهمة معلومة فى خدمة الجيش وتنفيذ اغراض خططه وتعبئته .

---

(١) انظر ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ القسم الثانى (ص٤٠٥) ، الخزاعى ـ تخريج الدلالات السمعية (ص٣٧٣) .
(٢) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٢٩) ، انظر رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٥٩) من كتاب رسائل البلغاء .
(٣) الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٢٩) .
(٤) انظر الطبرى ـ تاريخ الرسل (٣ : ٤٨٩) ، (٤ : ٤١ ، ٦١) .
(٥) انظر رسالة عبد الحميد الكاتب (ص١٦٤) ، الهرثمى ـ مختصر سياسة الحروب (ص٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠) ، نعمان ثابت ـ الجندية (ص١٢٢) .

التعبئة الحربية عند المسلمين :

كانت طريقة الحرب عند العرب قبل الاسلام طريقة واحدة بالدرجة الاولى وهى الكر والفر، اضافة الى معرفتهم اساليب اخرى ، وحينما جاء الاسلام وكثر المسلمون وانتشروا للجهاد فى سبيل الله ، واحتكوا بغيرهم من الامم ، فانهم طوروا خططهم العسكرية حتى تفوقوا بها على اعداءهم من الفرس والروم، رغم ماكان لاولئك من خطط حربية راسخة وعريقة . وقد طور المسلمون عددا من الاساليب القتالية ، ذلك انهم فى كل معركة من المعارك التى يخوضونها ضد اعدائهم كانوا يغيرون من تلك الاساليب حتى يفاجئوا العدو بنظام لم يكونوا يتوقعوه . ومن تلك الاساليب التعبوية :

(١) نظام الكر والفر :

وهذا النوع من التعبئة كان معروفا لدى العرب قبل الاسلام وقد ورثه المسلمون . ويذكر ابن خلدون (١) أن البربر من اهل المغرب ايضا كانوا يحاربون بهذه الطريقة .

وصفته : هو ان المقاتلة يحطون على العدو بكل قوتهم، النشابة منهم والذين يضربون بالسيوف او يطعنون بالرماح او يرمون بالمزاريق مشاة وفرسانا فان صمد لهم العدو واحسوا بالضعف نكصوا ثم اعادوا تنظيم انفسهم وكروا مرة ثانية وهكذا يكرون ويفرون ، الحملة بعد الحملة حتى يتم لهم النصر او الفشل .

---

(١) ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨) .

"ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب هو ضرب المصاف ، وراء عسكرهم من الجمادات والاحمال والحيوانات فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرهم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة ، ليكون ادوم للحرب واقرب الى الغلب"[1] .

وقتال الكر والفر ليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا يلجأون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف[2] .

وكان المحاربون يتركون قوافلهم وامتعتهم خلفهم وكانوا اذا قاتلوا او قصدوا غارة ركبوا الابل وتركوا الخيل ولكنهم كانوا اذا بلغوا ساحة القتال واشتبكوا بعدوهم ركبوا الخيل وتركوا الابل وراء ظهورهم[3] فيعطيهم ذلك يكون ثباتا لاقدامهم ولخيولهم في الحرب وتكون المعركة سجالا ويكثرون الكر بعد الفر اى انهم يقومون بالتعرض بعد الدفاع حتى انهم كانوا يكسرون جفون سيوفهم بقصد عدم الانسحاب او للكر مرة اخرى .

والراجح ان اسلوب القتال هذا لم يكن مقصورا على العرب فقط فقد ذكر ابن خلدون[4] "ان الفرس وهم اهل الزحف كانوا يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجا من الخشب امثال الصروح ، مشحونة

---

(١) ابن خلدون - <u>المقدمة</u> (١ : ٤٨٢ ، ٤٨٣) .
(٢) ن . م . س . (١ : ٤٨١) .
(٣) ابن هشام - <u>السيرة النبوية</u> - القسم الثانى (ص٦٦ ، ٩٤) ، نعمان ثابت - <u>الجندية</u> (ص٢٣ ، ٢٣٦) .
(٤) ابن خلدون - <u>المقدمة</u> (١ : ٤٨٣) .

بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم . واما الروم وملوك القوط بالاندلس واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في اركان السرير، ويحدق به سياج آخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ للكر والفر" .

(٢) نظام الزحف (الصف) :

يذكر ابن خلدون في مقدمته (١) :"ان قتال الزحف صفوفا انما هو خاص بامم العجم كلهم على تعاقب اجيالهم" .

ثم يذكر في موطن آخر "ان الحرب في اول الاسلام كله زحفا" .

ويقول ايضا :"كان العرب يعرفون الكر والفر، لكن حملتهم على ذلك في اول الاسلام امران :

احدهما : ان اعدائهم كانوا يقاتلون زحفا، فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم .

والثاني : انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان، والزحف الى الاستماتة اقرب" .

وعندما ننظر الى كلام ابن خلدون نجدانه ينفي في بيانه الاول ان المسلمين كانوا يقاتلون بالصفوف الا لسبب ان اعدائهم كانوا يقاتلونهم صفا، فاضطروا الى ذلك، غير ان الثابت في السير وكتب التاريخ

---

(١) انظر ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨٠ - ٤٨٤) .

تبين ان المسلمين قاتلوا ولاول مرة اعداءهم بطريقة الصفوف، وكانت في اول بداية لهم في المعارك بين الاسلام والكفر، ففي غزوة بدر[1] الكبرى نجد ان الرسول عليه الصلاة والسلام حينما التقى مع قريش اخذ يصف اصحابه صفا حتى يستعدوا لمجابهة اعدائهم، حتى ان قريش فاجأهم هذا النظام الذي لم يتوقعوه، وروى البخاري عن ابي اسيد الساعدي رضي الله عنه قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صف الفريق وصفوا لنا اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل"[2]. كما ان الله سبحانه وتعالى امر المسلمين بذلك فقال "ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص"[3].

كما ان الرسول عليه السلام اخذ يعمل بهذا النظام في كثير من معاركه مع اعدائه حيث عمل به في غزوة احد وجعل الرماة من خلفهم حتى يحموا ظهورهم[4].

ثم بعد ذلك استمر المسلمون بالعمل في حروبهم بنظام الصفوف حسب كثافة الجند فقد يكونوا صفا وصفين او ثلاثة او اكثر، مع استعمالهم بعض نظم التعبئة الاخرى والتي سنذكرها تباعا، واستمر العمل جاريا بنظام الصف الى ان ابطله مروان بن محمد واستعمل نظام الكراديس[5].

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الاول (ص٦٢٦)، ابن كثير السيرة النبوية (٢ : ٤٠٩)، وانظر باوزير - مرويات غزوة بدر (ص١٧٤ - ١٧٨).

(٢) البخاري - الجامع الصحيح (٣ : ٢٧٧)، (٥ : ١٠).

(٣) سورة الصف : اية ٤

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الثاني (ص٦٥، ٦٦).

(٥) الطبري - تاريخ الرسل (٧ : ٣٤٧)، ابن الاثير - الكامل (٥ : ٣٥٠) ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨٤) ويذكر ان الذي ابطل الحرب =

من ذلك نلاحظ ان المسلمين حاربوا بهذا النظام منذ اول معركة فاصلة قامت بين الاسلام والشرك ، حيث ان القتال صفا يدعوا الى الاستماتة فى المعركة حتى يتم لهم النصر او الشهادة وكلاهما محببين الى عقيدة المسلم . ولعل هذا هو مابينه ابن خلدون فى الفقرة الثانية من حديثه عن قتال الصفوف .

ثم اننا اذا نظرنا الى القتال باسلوب الكر والفر نجد انه مدعاة للهزيمة والفشل والله سبحانه وتعالى توعد المسلمين الذين يولون دبرهم للمعركة بقوله تعالى :"... ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ، او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ..." (١) الاية .

كما ان الرسول عليه السلام جعل من عظائم الامور ومن الموبقات "التولي يوم الزحف" (٢) والزحف هو القتال "بالصف " لانه برجوعه يحدث خللا ونقصا بالصف الذى يواجه الاعداء .

وفائدة قتال الصف انها تكون اثبت عند المصارع، واصدق فى القتال وارهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع فى ازالته (٣) .

= بالصف مروان بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجي والحبيرى ولعل ذلك خطأ مطبعى لان هؤلاء الذين قاتلهم هو مروان بن محمد سنة ١٢٨هـ .

(١) سورة الانفال آية:١٦ .

(٢) العسقلانى - فتح البارى (٥ : ٣٩٣) .

(٣) الطرطوشى - سراج الملوك (ص١٥٥) ،ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨٠) .

(٤) ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨١) .

واما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة مافي قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال كما ذكرنا آنفا مصافا ثابتا يلجأون اليه في الفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف[1].

لاجل هذا قاتل المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين بنظام الصف ففي عهد عمر بن بن الخطاب رضي الله عنه وفي اغلب المعارك التي خاضوها على جبهات معاركهم مع الفرس[2] والروم وفي عهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي معركة صفين التي خاضها بنفسه واشرف على القتال فيها حيث عبأ جيشه ، وكان معاوية بن ابي سفيان ينظر الى عسكر اهل العراق ، وقد اشرفت واخذت الرجال مراتبها من الصفوف ونظر الى علي رضي الله عنه على فرس اشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كأنه يغرسهم في الارض غرسا فيثبتون كأنهم بنيان ، قال لعمروابن العاص ياابا عبدالله ، اما تنظر الى ابن ابي طالب و ماهو عليه فقال له عمرو : من طلب عظيما خاطر بعظيم[3].

وكذلك نجد عليا رضي الله عنه في وصيته لاصحابه في يوم صفين حيث يقول :"فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس ، فانه انبى للسيوف عن الهام . والتووا على اطراف الرماح فانه اصون للأسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجأش واسكن للقلوب، واخفضوا الاصوات فانه اطرد للفشل واولى بالوقار، واقيموا راياتكم

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨١) .
(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل (٣ : ٣٩٤، ٤٨٩) .
(٣) المسعودي ـ مروج الذهب (٣ : ٣٠) .

فلاتميلوها ولاتجطوها الايادى شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبرفانه بقدر الصبر ينزل النصر.... [1].

كما ان الامويين عملوا بنظام الصفوف في بعض معاركهم فكانوا يضعون اصحاب السيوففي صف، واصحاب الرماح في صف، والرماة في صف [2].

واستمر امر الحرب بالصف الى ان ابطله مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية حين استبدله بنظام الكراديس . وليس معنى هذا ان الحرب بالصفوف لم يستمر .

اما طريقة الصفوف وانواعها عند اللقاء فقد ذكر الهرثمي [3] انها ثلاثة اشكال وهى :

(أ) الصف المستوى : وهو الذى يكون فيه الجناحان والقلب في خط مستقيم وهو اوفق الصفوف، واكثرها استعمالا في المعارك [4].

(ب) الصف الهلالى : وهو الخارج الجناحين الداخل الصدر، وهو اوثق للقلب ولكنه للجناحين اضعف، وكانوا اذا استعملوا هذا النوع من الصفوف جعلوا مع كل طرف من الجناحين الخارجين كردوسا من الخيل المقوية حيث يكون وقاية لهما [5].

(جـ) الصف المعطوف : وهو الداخل الجناحين الخارج الصدر، وهو مكروه ولا يكون الاعن ضرورة وهو ضعف على القلب وقوة للجناحين

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨٧) .
(٢) ابن الاثير ـ الكامل (٤ : ٤٢٢) .
(٣) مختصر سياسة الحروب (ص٣٤، ٣٥) .
(٤) الهرثمى ـ مختصر (ص : ٣٤) .
(٥) ن.م.س. (: ٣٤- ٣٥) .

وكانوا اذا استعملوا هذا النوع صيروا اهل البأس والنجدة ميمنة وميسرة ليكون اشد للقلب، او يقووا القلب بكرد وسين من الخيل المقوية يكونان مما يلي طرفيه امامه قليلا[١] .

وبعد ذكره لهذه الانواع ذكر الهرثمي بان المحاربين يحبون في التعبئة التراصف وانضمام بعضهم الى بعض مع استواء الصفوف .

(٣) نظام الخميس :

وهو تقسيم الجيش الى خمسة اقسام الميمنة، والميسرة - ويطلق عليها الجناحان - والمقدمة، والقلب، والساقه - المؤخرة[٢] - .

وقد عرف المسلمون هذا النظام منذ بداية الاسلام حيث استعمله الرسول عليه الصلاة والسلام في حربه مع اليهود في غزوة خيبر، فقد روى البخاري في صحيحه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :"صبحنا خيبر بكرة، فخرج اهلها بالمساحي ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله، محمد والخميس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر، خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الحديث"[٣]، وهذا الحديث يدل على ان هذا النظام كان معروفا عند

---

(١) الهرثمي - مختصر (ص٣٥) . وانظر ايضا محمد بن منكلي الادلة الرسمية في التعابي الحربية (مخطوط) (ورقة١٣، ١٤) ، جهادية القرغولي - التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام (ص١٧٢) .

(٢) الخزاعي - تخريج الدلالات السمعية (ص٣٠٩) ، ويذكر النويري ان الخميس هو من اربعة الاف الى ١٢ الف . نهاية الارب(٦: ١٨٩).

(٣) العسقلاني - فتح الباري (٧ : ٤٦٧) ، ابن هشام - السيرة النبوية القسم الثاني (ص٣٣٠) .

العرب فيالجاهلية ايضا حتى ان تحركات الجيوش وتنقلاتها كانت على هذه التعبئة،[١] وعندما يحصل اللقاء مع الاعداء فانهم قد يعدلون الى نظام آخر حسبما تقتضيه حالة الحرب من ناحية موقع المعركة وطريقة الاعداء في حربهم وكثرة عددهم .

واستمر المسلمون على اختلاف عصورهم باستعمال هذا النظام في تحركاتهم العسكرية ، حتى اننا نجد انهم يستعملون نظام الكرادس، او الكتائب لكنهم يوزعون كل كردوس على هيئة نظام الخميس،[٢] ففي معركة اليرموك نظم خالد بن الوليد جيشه الى كراديس، فجعل القلب كراديس وجعل الميمنة كراديس، وجعل الميسرة كراديس ووضع على كل جزء من هذه الكراديس اميرا .

وكذلك استعمل ابو مسلم الخراساني نظام الخميس على هيئة الكراديس في محاربته عبد الله بن علي عم الخليفة المنصور سنة ١٣٧هـ .[٣]

كما انهم استعملوا نظام الخميس في حروب الزحف ، اذ كانت الصفوف توزع ويوجد في كل منها الاجزاء الخمسة من الجيش .[٤]

وقد كان الجيش يوزع بين الاحيان الخمسة على النحو التالي :[٥]

المقدمة :

وهي التي تكون امام الجيش وتكون في طليعة القلب ويكون منهم

---

(١) انظر ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨٢) .
(٢) الطبري ـ تاريخ الرسل (٣ : ٣٩٦) .
(٣) م . س . ن . (٧ : ٤٧٧ ، ٤٧٨) .
(٤) انظر الهرثمي ـ مختصر سياسة الحروب (ص ٣٤ ، ٣٥) ، الحسن بن عبد الله ـ آثار الاول (ص ١٧٥) .
(٥) انظر الهرثمي ـ مختصر سياسة الحروب (ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢) ، ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨١ ، ٤٨٢) .

الفرسان والرجالة ويكون معهم الراية والشعار، وتبدأ بهم المبارزة ويتقدم الرجال النشابة برشق الاعداء .

القلب : وهو الذى يكون وسط الجيش ويشرف على جميع اجزائه ويكون صاحب الجيش وقائده فى هذا الجزء وحماته من حوله، ويكون مساعدا لمجنبتيه، ولا يتحرك الا فى اتباع عدوه اذا ولى اولدفعه اذا اقبل .

الميمنة : وهى التى تكون عن يمين القلب، ومهمتهم ان يبدأوا بالحملة على ميسرة عدوهم ليغلبوهم على العسكر او يزيلوهم عن مراكزهم ويكون اكثرهم من الفرسان (١) .

الميسرة : وهى التى تكون عن يسار القلب وعلهم ان يثبتوا فى اماكنهم ويمنعوا الاعداء من الدخول عليهم، وليس عليهم ان يحطوا او يهاجموا الا اذا اضطروا الى ذلك اضطرارا ملزما .

الساقة : وهم الذين يكونون فى مؤخرة الجيش ومعهم الاثقال والاحمال كما انه تقوم على عواتقهم حماية الجيش من الخلف حتى لا تتزعزع صفوفه الامامية .

(٤) نظام الكراديس (٢) :

عرف المسلمون نظام الكراديس اول ماعرفوه فى عهد ابى بكر الصديق

---

(١) الهرثمى - مختصر سياسة الحروب (ص ٤١، ٤٢) ، كاستلان - تاريخ الجيوش (ص ٦٧) .

(٢) الكردوس: القطعة من الخيل العظيمة. والكراديس : الفرق منهم يقال كردس القائد خيله اى جعلها كتيبة كتيبة . انظر الجوهرى الصحاح (٣ : ٩٧٠) ، ويرى نعمان ثابت ان الكردوس ربما تكون معربة عن "كورتيس" الرومانية . الجندية (ص ٢٥٤) .

رضى الله عنه وذلك فى معركة اليرموك فى السنة الثالثة عشر للهجرة ، ولم تكن العرب تعرف هذا النوع من التعبئة (١) .

والذى دعا بخالد بن الوليد الى ان يعبىء بهذه الطريقة عبقريته الحربية حينما رأى كثرة اعدائه الذين يصل عددهم الى مائتين واربعين الفا بينما عدد المسلمين لا يتجاوز الاربعين الفا ، وكان المسلمون فى قتالهم للروم كل فرقة منهم تقاتل على حدة وتتلقى الاوامر من اميرها ورأى خالد بن الوليد رضى الله عنه ان هذا الاسلوب لا ينهى امر القتال مع تلك الاعداد الضخمة من المقاتلين الروم ، فعبأ جيشه على نظام الكراديس ، حيث انه جعل كل كردوس يتألف من الف مقاتل وله قائده وحاشيته وراياته وبين كل كردوس وآخر فسحة من الارض مناسبة تسمح للكراديس جميعها بحرية الحركة والقتال ، فكان اذا انسحب كردوس او تقهقر جادلت دونه كراديس اخرى وهكذا .

وهكذا فان خالدا رضى الله عنه جعل جيشه الذى ناهز الاربعين الف مقاتل (٢) اربعين كردوسا ، ثم انه شكل من هذه الكراديس فرقا فجعل الفرقة الواحدة تتألف من عشرة كراديس ، فكان عدد الفرقة الواحدة عشرة آلاف جندى ، وعين لكل فرقة قائدا كبيرا حيث تألف الجيش الاسلامى من الفرق التالية :

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٣ : ٣٩٦) .

(٢) قيل اربعين وقيل ست وثلاثين الف مقاتل ، وكان عددهم كما ذكر الطبرى (٣٩) الف مقاتل وهم كالتالى : واحد وعشرون الف جيش الامراء الاربعة ، وستة آلاف جيش عكرمة ، وتسعة آلاف جيش خالد وثلاثة آلاف فلول جيش خالد بن سعيد . انظر الطبرى - تاريخ (٣ : ٣٩٤ ، ٣٩٥) .

ابو عبيدة بن الجراح على كراديس القلب .

عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنه على كراديس الميمنة .

يزيد بن ابى سفيان على كراديس الميسرة .

ثم افرز الطلائع وجعلها تتقدم الكراديس، وكان هو نفسه قائدا عاما للحملة كلها[1].

وكانت النتيجة ان انتصر المسلمون على الروم بفضل الله ثم بفضل ايمانهم واستماتتهم وتفننهم فى القتال .

وبهذا يتضح لنا ان المسلمين فى بداية عهدهم استعملوا نظام الكراديس وكان اول من استعمله خالد بن الوليد فى عهد ابى بكرالصديق رضى الله عنهما . وهذا بخلاف ماذكره ابن خلدون من ان اول من استعمل هذا النظام هو مروان بن الحكم[2].

ومهما يكن من امر فان نظام الكراديس استمر معمولا به طوال العصور الاسلامية فالامويون عملوا به حتى ان مروان بن محمد وهو آخر خلفاء بنى امية ابطل الحرب على جيوشه بنظام الصف واستبدله بالكراديس[3].

كما استعمل العباسيون ايضا طريقة الكردوس، غير ان هناك قيادات رفضت ان تستعمل هذا النظام وفضلوا القتال بنظام الصف وذلك

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٣ : ٣٩٦) .
(٢) ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨٤) .
(٣) الطبرى ـ تاريخ الرسل (٧ : ٣٤٧) ، ابن الاثير ـ الكامل (٥ : ٣٥٠) وعلى كل حال فان النص على ان مروان بن محمد قد ابطل نظام الصف واستبدله بنظام الكراديس لا يتضمن القول بان اول استعمال لنظام الكراديس قد جرى فى هذه الفترة فالنصوص المعتمدة صريحة وواضحة فى هذا الاطار .

ماحصلت لابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابى طالب عندما التقى مع جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى ، فان ابراهيم فضل ان يحاربه زحفا بالصفوف وقد اشار عليه بعض رجاله ان يجعل جنده كراديسا لان الكراديس اثبت في الحرب فاذا انهزم كردوس ثبت كردوس، اما الصف فاذا انهزم بعضه تداعى سائره ولكنه اصر على رأيه قائلا "لا نصف الا صف الاسلام"[1] اى يريد قول الله تعالى"ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص"[2].

ومن الاسباب التي دعت المسلمين الى استعمال نظام الكراديس انه حينما كثر جند المسلمين الكثرة التي لا يستطيع معها قائد الجيش ان يلم بجميع جنده خاصة وان هناك فئات جديدة دخلت في الجيوش الاسلامية مما نتج عنه عدم معرفة الجنود الكثيرين بعضهم لبعض، مما يخشى من تدافعهم فيما بينهم لجهل بعضهم ببعض، فلذلك صاروا يقسمونهم الى عساكر ويصفون المتعارفين بعضهم الى بعض[3].

كما ان القتال بنظام الكراديس فيه من القوة واستمرار القتال وسرعة التحكم باجزاء الجيش مما ليس في غيره من النظم التعبوية الاخرى .

كما ان المسلمين حينما كانوا يحاربون على طريقة الصف كان يرافقهم وراء الصفوف الابل والاثقال والنساء والاطفال حيث كان هؤلاء يشكلون عاملا دافعا الى استماتة الجيش في القتال حفاظا على العرض والولد والمال

---

(١) الطبرى - تاريخ الرسل (٧ : ٦٤٤) ، محمد فرج - المدرسة العسكرية (ص ٤٤٨) .

(٢) سورة الصف : آية ٤ .

(٣) ابن خلدون - المقدمة (١ : ٤٨١) .

فلما تطورت الامور وتعددت الجيوش ترك المسلمون اصطحاب العوائل واقتصروا على الخيام والاثقال المحمولة على ظهور الحيوانات، فلم يكن يؤدى هذا بطبيعة الحال الى الاستماتة فى الحرب كما لو كان يرافقهم الاهل والمال [1] .

(٥) نظام الانفتاحات :

وهو نظام كان موجودا عند الامم الاخرى واقتبسه المسلمون حينما كثر اختلاطهم بتلك الامم وترجمت كتبهم، وهذا النظام يتألف من سبع تشكيلات تقريبا وان كانوا لم يستعملوها جميعا وهى كالتالى :

الاولى : ان ترتب الجيوش بشكل هلال بسيط كهلال السماء .

الثانية : ان ترتب الجيوش بشكل هلال مركب يكون على جانبيه هلالان كأنهما جناحان .

الثالثة : ان ترتب الجيوش على شكل مستطيل .

الرابعة : ان ترتب الجيوش على شكل هلال مقلوب .

الخامسة : ان ترتب الجيوش على شكل المربع او المنحرف اوالمعين .

السادسة : ان ترتب الجيوش على شكل مثلث .

السابعة : ان ترتب على شكل دائرة مزدوجة اى تكون دائرة فى داخل دائرة [2] .

---

(١) ابن خلدون ـ المقدمة (١ : ٤٨٤، ٤٨٥) ، الفروغولى ـ التنظيمات الادارية والعسكرية (ص١٧٤) .

(٢) نعمان ثابت ـ الجندية (ص٢٥٩، ٢٦٠) ، محمد فرج ـ المدرسة العسكرية (ص٤٤٩) ، جهادية الفرغولى ـ التنظيمات الادارية والعسكرية (ص١٧٥) .

غير ان المصادر المعتمدة في فترة البحث وان كانت قد اشارت الى اساليب مطورة استعملها المسلمون في القتال خصوصا في العصر العباسي الثاني التالي لفترة البحث، فانها لم توضح ما اذا كان هذا النظام هو من بين الانظمة المتبعة في الحروب التي واجهتها جيوش المسلمين في تلك العصور .

(٦) وهناك انواع اخرى من التعبئة انفرد بذكرها محمد بن منكلي[1] في مخطوطه وهي على ثلاثة اصناف :

(أ) ذات الدواير : وفائدتها الاحاطة بالعدو والقضاء عليه ويفضل في هذه التعبئة، الرجالة لسرعة انضمام بعضهم لبعض حيث يصعب ذلك على الخيالة ، واذا استعملت الخيالة فيجب ان تكون خيول صحاح خوفا من ان يكون العدو وعنده دراية بالجولان ، فيفسد الخطة .

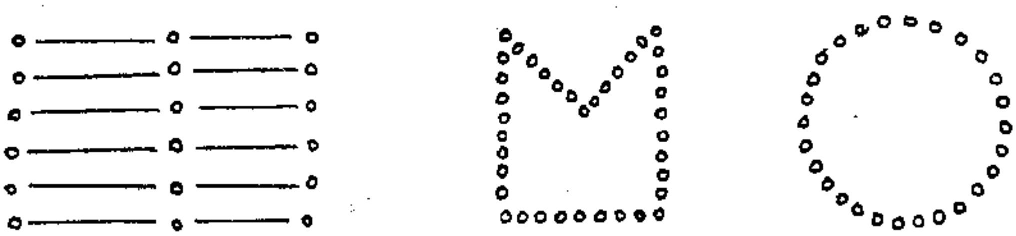
(ب) عوض النجاة : وفائدة هذه التعبئة اذا واجه الجيش خيل العدو، فتحوا فتحة التعبئة"الباب" وتجمعوا الى الداخل ليعتقد العدو انهم هزموا فاذا دخلوا وراءهم سدوا الفتحة "الباب" عليهم وهجموا عليهم بالسيوف والخناجر والدبابيس .

(جـ) المقاطرة : ومن شرط اصحاب هذه التعبئة ان يتباعدوا عن تصافقهم لتخليص رماحهم ويكون الشجان الكبار في الامام والخلف

---

(١) ابن منكلي - الادلة الرسمية في التعابي الحربية . مخطوطة (ورقة ٢١، ٢٢، ٢٣) .

والشبان في الوسط كي لا يهنوا ويتقهقروا ويكون الرماة في المقدمة
ثم يليهم الرماحون واصحاب السيوف[(١)] .



تعبئة «أ»   تعبئة «ب»   تعبئة «جـ»

---

(١) جهادية الفرغولي ـ التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام (ص١٧٩ ، ١٨٠) .

تسليح الجيش وتموينه :

جاء الاسلام وقامت دولته فاصبح المسلمون فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كلهم جندا يحاربون فى سبيل الله، فكل واحد منهم كان يعد نفسه للجهاد، فيشترى راحلته وفرسه، ويشترى سلاحه ويحمل معه ما امكنه حمله من زاده ومتاعه، وقد ينفق احدهم جل ماله فى ذلك .

وكيف لايفعل هذا وهو يرى المشركين وهم على الباطل ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله، بل كان الدافع اقوى لان المسلم يبذل نفسه وماله فى سبيل الله تعالى، كما ورد فى القرآن الكريم بالحث على التجارة الرابحة مع الله بقوله :"يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون"[١] .

فكان المسلمون يتسابقون الى ذلك الخير، بل ان الامر تعداه الى ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يشترون السلاح والدابة والمتاع لمساعدة اخوانهم الذين لايستطيعون توفير ذلك او بعضا منه، وذلك مثل مافعله عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى جهز جيش العسرة والذى كان متجها الى تبوك فى شدة الحر، حيث صادف ذلك وقت جدب وجوع فى السنة التاسعة عشر للهجرة[٢] .

فقد اورد الترمذى فى سننه[٣] :

---

(١) سورة الصف : آية ١٠، ١١ .
(٢) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ القسم الثانى (ص٥١٥، ٥١٦) .
(٣) الترمذى ـ السنن (٥ : ٢٨٩) "باب المناقب" ٧٦ ـ الحديث (٣٧٨٥)، وابن الربيع الشيبانى ـ حدائق الانوار ومطالع الاسرار فى سيرة النبى المختار ـ تحقيق عبدالله بن ابراهيم الانصارى (٢ : ٧٢١) .

انه صلى الله عليه وسلم امر اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم الى الشام وحث الموسرين منهم على اعانة المعسرين ، فانفق عثمان بن عفان رضى الله عنه فيها الف دينار ذهبا ، وحمل على تسعمائة وخمسين بعيرا وخمسين فرسا فى سبيل الله ، فذلك الف ، وبذلك سخى رضى الله عنه فجهز جيش العسرة حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : " اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وقال : ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم مرتين "(١) .

وكذلك ماعمله الصحابى طلحة رضى الله عنه الذى تبرع فى بعض الغزوات حتى سماه الرسول عليه الصلاة والسلام بطلحة الجود او طلحة الخير(٢) .

وكذلك ماقدمه ابو بكر رضى الله عنه من ماله منذ بداية اسلامه فى سبيل الله ولعل مافعله عندما هاجر مع الرسول عليه السلام وتقديمه له راحلته واخذ كل ماله الذى فى مكة الى المدينة لانفاقه فى سبيل الله خير دليل على ذلك(٣) .

كما ان النساء ايضا لم يتأخرن فى مساعدة المسلمين فى التجهيز للمعارك حتى ان بعضهن ينزعن حليهن ويقدمنه تطوعا فى سبيل الله ليباع ويستفاد منه فى تجهيز الجيش سواء بالمؤن او العتاد(٤) .

وليس معنى هذا ان الرسول عليه الصلاة والسلام وهو قائد الامة

---

(١) انظر العسقلانى - فتح البارى - الشرح (٧ : ٥٤) .
(٢) السيرة الحلبية (٢ : ٢٥١) .
(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الاول (ص٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨) .
(٤) السيرة الحلبية (٣ : ١٤٨) .

وقائد الجيوش، ومسيرها لم ينظم مثل هذه الامور اعني تجهيز الجيش بما يحتاج اليه، بل كان لايدخر وسعا في ذلك ابدا، ولو كان على حساب عيشه واهله،فذكر حماد بن اسحق[1] عن عمر بن الخطاب انه كان اذا افاء الله على رسوله طعمة من الله له صلى الله عليه وسلم على ان يأكل منه واهله ما احتاجوا، ويصرف مافضل عن ذلك في تقوية المسلمين.

كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحتبس امواله في سبيل الله فروى مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه قال :"كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على اهله نفقة سنة ومابقى يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل"[2].

ومن حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على جمع الاسلحة وتنويعها انه اضافة الى ماغنمه من المشركين من السلاح، وكذلك ماغنمه من اليهود على اختلاف قبائلهم وكثرة الاسلحة التي غنمها منهم فانه حينما سبى سبيا من بني قريظة ارسل من بقى من هؤلاء السبايا مع سعد بن زيد الانصاري رضي الله عنه الى نجد فباعهم واشترى بثمنهم خيلا وسلاحا[3].

كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان حريصا على الا يخوض حربا

---

(١) انظر حماد بن اسحاق ـ تركة النبي صلى الله عليه وسلم (ص٨٠)، الخزاعي التلمساني ـ تخريج الدلالات السمعية (ص٨٠٣).

(٢) الامام مسلم ـ الصحيح (١٢ : ٧٠)، وانظر حماد بن اسحاق ـ تركة النبي صلى الله عليه وسلم (ص٧٩، ٨٠، ٩٥).

(٣) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ القسم الثاني (ص٢٤٥)، الخزاعي التلمساني ـ تخريج الدلالات السمعية (ص٤٠٨).

الا وقد عبأ جيشه بما يناسبه ويكفيه على حسب قوة جيش عدوه فعندما تم للمسلمين فتح مكة، خرج منها الى هوازن لقتالهم وكان عدد جيشه اثنا عشر الفا منهم الفين ممن اسلم يوم الفتح وكان ينقصه بعض الاسلحة فذكر له ان صفوان بن امية عنده اسلحة ودروعا ، فارسل اليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا اباامية اعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا ، فقال صفوان : اغصبا يامحمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها اليك ، قال ليس بهذا بأس، فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله ان يكفيهم حملها ففعل[1] .

كما انه عليه الصلاة والسلام شارك المسلمين في غزوة تبوك بشراء حيوانات الركوب اللازمة لمن ليس عنده مايحمله ، ففي الصحيح ان الاشعريين ارسلوا ابا موسى الاشعري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان لهم في جيش العسرة وهي "غزوة تبوك" فقال : والله لا احملكم على شيء - اي لا اجد شيئا احملكم عليه ، كما في الرواية الاخرى- فرجعوا يبكون ، فانزل الله فيهم :"ولاعلى الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ، تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون"[2] ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى ستة ابعرة فارسل الى ابي موسى فقال :"خذها فانطلق بها الى اصحابك"[3] كما انه صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - القسم الثاني (ص ٤٤٠) .
(٢) سورة براءة : آية ٩٢
(٣) انظر العسقلاني - فتح الباري (٨ : ١١٠) ،ابن الربيع الشيباني حدائق الانوار (٢ : ٧٢٣، ٧٢٤) .

حبس فدك والكثيبة للحرب والسلاح[1] .

وبالاضافة الى ماكان الرسول عليه الصلاة والسلام يبذله من اعانات عسكرية ومادية بصفته مسئولا عن دولة الاسلام الناشئة ، فانه كان يهتم ايضا بابل الصدقة ويشرف على شئونها بنفسه ، حتى انه كان يسمها بنفسه عليه السلام فيروى انس بن مالك رضى الله عنه انه قال : " غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن ابى طلحة ليحنكه ، فوافيته فى يده الميسم يسم ابل الصدقة"[2] .

مما يدل على ان هناك ابلا للصدقة خاصة يمكن استعمالها فى الجهاد فى سبيل الله[3] ، لهذا كان الرسول عليه السلام حريصا على رعايتها والاهتمام بها بنفسه .

والرسول عليه الصلاة والسلام بهذا العمل يضرب المثل الرائع للمسلمين جميعا بالاهتمام بامر المسلمين وحمايتهم واعدادهم اعدادا متكاملا فى المال والسلاح والكراع ، فكان عليه السلام يحرص كل الحرص على جمع اكبر قدر ممكن من ذلك الاستعداد ، بناء على ماتتطلبه ظروف الدعوة فى سبيل الله حيث لا تكاد تمر بعض الشهور الا ويكون للمسلمين فيها غزوة او سرية ، كما ان الله سبحانه وتعالى امر المسلمين بالاستعداد الكامل بالقوة بقوله تعالى "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . . . . . "[4] الاية .

---

(١) حماد بن اسحاق - تركة النبى صلى الله عليه وسلم (ص ٨) .
(٢) العسقلانى - فتح البارى (٣ : ٣٦٦) .
(٣) انظر ن . م . س . - الشرح (٣ : ٣٦٦) .
(٤) سورة الانفال : آية ٦٠

ولهذا نجد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الاهتمام فابو بكر رضى الله عنه كان له حمى حول المدينة لخيل المسلمين "وكان يشترى الابل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله"(١) وكانت الدولة الاسلامية في عهده تمون الجيش بما يلزمه من بعض الطعام والمراكب، اضافة الى حرص القادة وتفانيهم واساليبهم المبتكرة لمواجهة مشاكل الحرب فمن ذلك تلك الحادثة الفريدة التي استطاع بها القائد خالد بن الوليد رضى الله عنه في مسيره الى اليرموك في السنة الثالثة عشرة للهجرة وقطعه الصحراء الواقعة بين العراق واليرموك مدة خمسة ايام بدون ماء وذلك باعتماده على الابل في هذا الامر حيث احضر عشرين جزورا عظاما سمانا فعمد اليهن دليله رافع بن عميرة الطائى فظمأهن حتى اذا اجهدهن عطشا اوردهن فشربن حتى اذا تملأن عمر اليهن فقطع مشافرهن ثم كعمهن لئلا يجتررن ثم اخلى ادبارهن، ثم سار بجيشه مغذا بالخيول والاثقال، فكلما نزل منزلا افتظ اربعا من تلك الشوارف فاخذ مافى اكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء، وهكذا حتى قطعوا الصحراء القاحلة في خمسة ايام بسلام وبدون ازمة في الماء(٢).

ولعل هذه الفكرة - اعنى استخدام بطون الجمال لنقل الماء - كانت موجودة منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام فيذكر صاحب كتاب

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ١٥١، ١٥٢) .

(٢) انظر الطبرى - تاريخ الرسل والملوك (٣ : ٤١٥، ٤١٦)، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٤٠٨) .

فتح الباري انه في غزوة تبوك والمسماة بغزوة العسرة ، فسر عبد الرزاق عن معمر بن عقيل العسرة بقوله :"خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد كانوا ينحرون البعير فيشربون مافي كرشه من الماء ، فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة" (١) .

ومهما يكن من امر فان فكرة استخدام الجمال في تموين الجيش بالماء خاصة في المناطق الصحراوية التي يستحيل او يصعب فيها توفر الماء ، فكرة اسلامية وجدت مع انتشار الجيش الاسلامي للجهاد في سبيل الله في جميع البلاد المحيطة بديار الاسلام متخطين بذلك اقصى العقوبات بفضل الله ثم بفضل عبقرياتهم وتحملهم ودرياتهم الواسعة بشئون الحرب ومايحيط بها من مخاطر .

ولاجل ذلك اتسعت الدولة الاسلامية جغرافيا وكثر معها عدد المسلمين وتعددت اجناسهم ، فكان ذلك داعيا من دواعي تنظيم الجند ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما يرتب الجند يحرص في آخر ايامه على ان يتكفل بتموين الجيش بكل مايلزمه من طعام وسلاح ومراكب ، ووعد المسلمين حينما رأى كثرة الاموال المتدفقة على عاصمة الخلافة "المدينة المنورة" بان يخصص لكل جندي اربعة آلاف درهم ، الفا يجعلها لسفره ، والفا لسلاحه ، والفا يخلفه لاهله ، والفا لفرسه ونعله (٢) .

---

(١) العسقلاني - فتح الباري - الشرح (٨ : ١١١) .
(٢) انظر الطبري - تاريخ الرسل (٣ : ٦١٥) ، البلاذري - فتوح البلدان (ص٥٥٢) ، ابن الاثير - الكامل (٢ : ٥٠٤) ، الماوردي - الاحكام السلطانية (ص٢٣٩) ، البيهقي - السنن (٦ : ٣٤٧) .

كما ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له حمى خاص حول المدينة وهى الربذة والشرف لتنمية الابل والخيل حتى تكون جاهزة عند تجهيز اى جيش من المسلمين للجهاد فى سبيل الله .

وكانت الدولة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حريصة على تزويد مايحتاجه الجيش من الخيول ، فعندما اختط عمر بن الخطاب رضى الله عنه الكوفة والبصرة وضع فى كل مدينة منها اربعة آلاف فرس عدة فى سبيل الله ، وهى مايطلق عليها فى عصرنا الحاضر بالقوة الاحتياطية وكان القائم على خيل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلى مع نفر من اهل الكوفة ، يصنع سوابقها ويجريها فى كل عام ، وبالبصرة نحوا منها وقيمه عليها جزء بن معاوية وكان فى كل مصر من الامصار الثمانية على قدرها فان نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا الى ان يستعد الناس[1] . وذكر ابويوسف انه "كان لعمر اربعة آلاف فرس موسومة فى سبيل الله"[2] .

وروى ابن سعد بسنده عن يزيد بن شريك الفزارى قال : "عقلت عمر ابن الخطاب يحمل على ثلاثين الف بعير كل حول فى سبيل الله وعلى ثلثمائة فرس وكانت الخيل ترعى فى النقيع"[3] . ويروى الزهرى عن السائب ابن يزيد قال : "رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب رحمه الله موسومة فى افخاذها حبيس فى سبيل الله"[4] . ويروى السائب بن يزيد ايضا قائلا

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٠) ، الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥١ - ٥٢) ، الخزاعى - تخريج الدلالات (ص ٣٨١) .

(٢) ابو يوسف - الخراج (ص ١٠٨) .

(٣) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٠) .

(٤) ن . م . س . (٣ : ٢٢٠) .

"رأيت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - السنة يصلح اداة الابل التي يحمل عليها في سبيل الله براذعها واقتابها ، فاذا حمل الرجل على البعير جعل معه اداته"(١) .

ولعل هذا الاهتمام الكبير من الخليفة عمر رضى الله عنه بتجهيز الجيوش ايمانا منه بوجوب تولى الحاكم كل مايلزم الجيش من عدة وعتاد عندما تكون الدولة لديها القدرة من الناحية المالية على تغطية نفقات الجيش . وهذا ماسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده وكذلك من جاء بعدهم على ماسيأتي ذكره ان شاء الله .

وبالاضافة الى ذلك فان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يغفل عندما وضع ديوان الجند عن العناية بموضوع اطعام الجند الاسلامى ، وللمسلمين بشكل عام فكان يدفع لكل فرد من المسلمين نصيبه ومايكفيه من الطعام ، فقد فرض لكل نفس مسلمة فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت ، فقال رجل : والعبيد ؟ فقال عمر : نعم والعبيد(٢) .

فاذا كان امير المؤمنين عمر رضى الله عنه قد فرض لعامة المسلمين مايلزمهم من الطعام فى احوالهم العادية وهم فى مساكنهم فلابد ان ذلك اولى بمن يجاهدون فى سبيل الله تعالى وهم بعيدون عن اهليهم واموالهم ، وبلادهم .

وكان الامر كذلك فى عهد عثمان رضى الله عنه حتى انه لكثرة

---

(١) ابن سعد - الطبقات (٣ : ٢٢٠) .
(٢) ابو يوسف - الخراج (ص١٠٨) ، ابن سلام - الاموال (ص٢٣١) ، البلاذرى - فتوح (ص٥٦٤) ، البيهقى - السنن (٦ : ٣٤٦) الهندى كنز العمال (٤ : ٥٧٥) .

الجمال والخيول التى زادت فى عهده زاد معها تساع اراضى الحمى ولهذا فان الجماعة الذين خرجوا عليه قد انكروا عليه زيادة الحمى فكان رد عثمان رضى الله عنه لهم بانه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حمى ولما وليت زادت ابل الصدقة فزدت فى الحمى(١).

وفى عهد على بن ابى طالب رضى الله عنه والذى كان مليئا بالفتن والاضطرابات الداخلية كان هناك تنظيم فى الاموال والعتاد للجيش، وكانت هناك خزائن خاصة لخزن الاسلحة، حتى ان هذه الاسلحة الخاصة بالدولة كان له سمة خاصة به وهو "سمه السلطان"(٢).

كما ان الاسلحة التى لا يعرف اصحابها، او مايغنم منها تودع فى الخزائن الخاصة بالخلافة(٣).

ولما انتقلت الخلافة الى بنى امية وزاد نفوذها وتوسعت الفتوحات الاسلامية، كانت الدولة مع هذا تجهز الجيش بكل مايلزمه من مؤن وعتاد فى بعض الاحيان، فالحجاج بن يوسف وهو والى من ولاة الخلافة كان يجهز الجيوش بجميع احتياجاتها وكان ينفق عليها المبالغ الطائلة حتى ان نفقات الجيش الذى ارسل الى سجستان بلغت مليونى درهم، وهذا غير رواتب الجند، والظاهر انه قد كان فى ذلك يعتبر فيه شئ من الاسراف لهذا نجد الخليفة "عبد الملك" يلومه فى كثرة هذا الانفاق من الاموال(٤).

---

(١) البيهقى - السنن (٦ : ١٤٧)، وانظر قلعه جى - موسوعة فقه عثمان ابن عفان (ص ١٥٠).

(٢) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥٣٨).

(٣) الطبرى - تاريخ الرسل (٤ : ٥٣٨، ٥٣٩).

(٤) المسعودى - مروج الذهب (٣ : ١٤١).

كما ان الحجاج فى سنة تسع وثمانين للهجرة حينما أرسل محمد بن القاسم الى السند ارسل معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل مايحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط[(١)].

وقد قدرت نفقات هذا الجيش التى بذلتها الدولة بستين الف الف درهم[(٢)].

كما كان للدولة الاموية دواب موسومة وكان الوسم يكتب على افخاذها باسم "عدة"[(٣)].

واذا نظرنا الى عناية الامويين واهتمامهم بالشئون الحربية البحرية لادركنا ماكانت تبذله هذه الدولة من اموال وماتصرفه من نفقات لبناء الاساطيل البحرية وتجهيزها تجهيزا متكاملا بما يتلاءم وتلك العصور، حتى اننا نجد ان الدولة الاموية استطاعت ان تحافظ على جميع سواحلها من غارات البيزنطيين، بل وتتوغل جيوشها لتحارب الاعداء فيما وراء البحر، فجزيرة صقلية وماحولها والاندلس تم فتحها بفضل الله ثم بفضل عناية الدولة بشئون المراكب البحرية، ولسنا هنا بصدد الفتوحات الاسلامية عبر البحار، وانما المهم هو تكفل الدولة الاموية بصناعة المراكب البحرية وتزويدها بكل مايحتاج اليه المحارب فى البحر، فقد كان هناك معمل للسفن فى كل من مصر، وسواحل الشام، وشمال افريقيا[(٤)]، وكلها

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٤ : ٥٣٦، ٥٣٧).

(٢) المصدر السابق (٤ : ٥٣٩)، وانظر الريس - الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية (ص٢٢٤).

(٣) ابن عبد ربه - العقد الفريد (١ : ١٠١)، وانظر ثابت الراوى - العراق فى العصر الاموى

(٤) د. سعاد ماهر - البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية (ص٨٩).

تزود اسطول المسلمين بما يحتاجه من مراكب بحكم اشراف هذه المناطق بالبحر .

من ذلك نلاحظ مدى اهتمام الدولة بجميع الشئون الحربية ، من مؤن وعدة وعتاد ووسائل نقل مختلفة ، كل هذا كان يتوفر للمقاتلة النظاميين بالدولة[1] .

اما المتطوعون فكانوا يخرجون للقتال بزادهم ومايلزمهم من عتاد فاذا فرغ منهم عادوا لتجديده ، او ارسلوا الى اهلهم فيزودوهم وهم في مكانهم[2] .

ولما قامت الدولة العباسية وكثر فيها عدد المقاتلين ، زاد معه اهتمام الخلفاء بالعناية بامر تسليح الجيوش وتموينها ، فيذكر ابن الزبير انه كان لدى ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس خزانة خاصة للسلاح فيها مايقرب من خمسين الف درع، وخمسين الف سيف، وثلاثين الف جوشن ومائتا الف رمح[3] .

وكانت الاسلحة توزع على الجند وعلى الامراء وحاشية الخليفة اثناء اقامة العرض، وكذلك الخيل ، فالخليفة المنصور في سنة مائة وسبع وخمسين عرض جنده في كامل هيئتهم العسكرية ، وامر اهل بيته وقرابته وصحابته يومئذ بلبس السلاح ، وخرج وهو لابس درعا وقلنسوة تحت البيضةسوداءلاطئة[4] .

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك (٦ : ٤٣٢) ، (٧ : ٨٠) .

(٢) المسعودي - مروج الذهب (٣ : ١٣٨) .

(٣) القاضي الرشيد ابن الزبير - الذخائر (ص٢١٣ ، ٢١٤) ، نعمان ثابت - الجندية (ص١٠١) .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك (٨ : ٥٢) ، الحسن بن عبدالله آثار الاول (ص٧٠) .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد الذي كان شغوفا بالغزو نجد انه "في سنة مائة وخمسة وستين للهجرة حينما غزا الصائفة الى بلاد الروم كان معه خمسة وتسعين الفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا ، وحمل معه لهم من العين مائة الف دينار واربعة وتسعين الفا واربعمائة وخمسين دينارا ، ومن الورق احدا وعشرين الف الف واربعمائة الف واربعة عشر الفا وثمانمائة درهم .. كما ذبح من البقر والغنم مائة الف رأس"[1].

كما كان لهارون الرشيد خزائن للاموال وشئون العسكر بالرقه حتى انه حينما حج في سنة ١٨٦هـ خلف عليها ابراهيم بن عثمان بن نهيك العكي[2].

واما في عهد المأمون فان امداد المحاربين بالسلاح وتغطيةالدولة لجميع تكاليف الجنود من طعام ونحوه قد زاد بسبب الفتنة بينه وبين الامين حتى ان الامين باع جميع مافي خزائنه سرا وذلك لسد احتياجات الجند الذين كثرت مطالبهم عليه[3].

اما عن كمية الاسلحة التي كانت عند المأمون فان الفضل بن الربيع حينما احصاها وجد فيها "الف منطقة وعشرة آلاف سيف محلى وخمسون الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصة وخمسون الف درع عامة وعشرة آلاف بيضة وعشرون الف جوشن ، ومائة وخمسون الف ترس، واربعة آلاف سرج خاصة وثلاثون الف سرج عامة ، واربعة آلاف زوج خفاف مبطن بالسمور وسائر اصناف الوبر ، وفي كل منها سكين ومنديل ، واربعة آلاف زوج جوارب

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل (٨ : ١٥٢، ١٥٣) ، ابن الاثير ـ الكامل (٦ : ٦٦، ٦٧) .

(٢) الطبري ـ التاريخ (٨ : ٢٧٧) .

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب (٣ : ٤١٨) .

ومائة وخمسون الف مضرب[1] .

ويذكر ابن دقمان[2] "انه كان لدى المأمون الف راية مكللة بالدر تحت كل راية الف فارس وفى اصطبله الف فيل" ولعل فى ذلك بعض المبالغة .

بهذا نلاحظ كثرة المخزونات المعدة للجند من اموال واستعدادات حربية بالاسلحة والمراكب، ولاجل ذلك وحتى تكون المخزونات الحربية معروفة ومحصورة وفيها ضبط اكثر، ويكون طريقة توزيعها واخراجها معلومة اوجدوا لكل صنف منها مجلس خاص به[3] ولها علامة مباشرة بديوان الجيش وهذه المجالس تسمى احيانا بالدواوين كانت تقوم بنفس الغرض الذى تقوم به المجالس وهى :

(١) ديوان الخزانة : وهى بيوت تتخذ لحفظ اصناف الاموال و القماش تسجل مفرداتها ومقاديرها بالدفاتر وتوكل الى حراس امناء وموظفين من اقوى الناس ديانة .

(٢) ديوان الاهراء : وتخزن فيه الغلال ، من حنطة وشعير وحلبان ونحوها ، وكذلك مايتعلق باعلاف الماشية .من اتبان وماشابهها[4] .

(٣) ديوان خزائن السلاح : ويحفظ فيه الاسلحة والذخائر ويجب ان يكون المسئول محتسب البلد لانه يعرف امور الاستعمالات واجر الصناع واسعار الالات ونحوها .

---

(١) ابن الزبير ـ الذخائر والتحف (ص٢٦٣) .
(٢) ابن دقمان : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (ورقة ٧٨-٨٤) (مخطوط) ، جهادية القرغولى ـ التنظيمات الادارية والعسكرية (ص٢٠٧) .
(٣) الحسن بن عبدالله ـ آثار الاول (ص٧٤) .
(٤) مؤلف مجهول ـ الطريق المسلوك في سياسة الملوك ـ مخطوط (ورقة ٨٥أ) ، ابن شاهين ـ زبدة كشف الممالك (ص١٢٢) .

الخاتمة

نتائج البحث

الخـــــاتمـــــة

احمد الله تعالى العلي القدير ان منّ علي ويسر لي سبل انهاء هذا البحث بهذه الصورة المتواضعة ، ومن خلال دراسة البحث واعداده توصل الباحث الى نتائج عديدة لعل من أبرزها : —

— لقد ظهرت بظهور دولة الاسلام تنظيمات متعددة لنواحي الحياة المختلفة ومن بينها التنظيمات العسكرية ، التي بدأت بعد الهجرة الى المدينة حيث اصدر الرسول صلى الله عليه وسلم وثيقة المواخاة ثم عقد اتفاقا مع يهود تضمن تنظيم العلاقات الداخلية للمدينة والاعتراف بسيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ومصالح المسلمين فيها وابرزت مفهوم الامة ونظمت الامن والعدل ومنعت العدوان .

— ان الجهاد في سبيل الله لم يكن في بداية الامر عاما والزاميا بحيث يشمل قتال اعداء الاسلام وانما جاء على مراحل متعددة كانت تتناسب وقوة وقدرة واستعداد المسلمين ، لكن الحكم بعد ذلك استقر على مشروعية الجهاد في سبيل الله حتى يكون الدين كله لله (فالجهاد في سبيل الله ماض الى يوم القيامة) .

— ان على كل من اسلم ان يعتبر نفسه جنديا في سبيل الله ولهذا نجد ان الصحابة رضوان الله عليهم كلهم كانوا جندا في سبيل الله عن طواعية واختيار .

— لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ديوان للجيش فيه حصر لاسماء المقاتلين ومقادير اعطياتهم ، بل كان حظهم المادي من الجهاد هو ما يصيبهم مما يغنمونه من العدو ، حيث يقسمه الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم ، اما المعلومات التي وردت عن كتابة كل من تلفظ بالاسلام فهي ناجمة عن الرغبة في اجراء احصاء عام من اجل معرفة اعداد جميع المسلمين بقصد معين من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يمكن ان يؤخذ على انه بداية او تمهيد لتاسيس ديوان الجند او العطاء او سواهما .

ــ ان الوضع في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه استمر على ما كان عليه الحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن هناك ديوان للجند ، وانما كان هناك اتجاه لصرف العطاء على اعتبار ان المال مال الله وان العباد عبيده ولذلك فعلى الرغم من الاعتراضات الحاصلة فان الخليفة الصديق رضي الله عنه قد اصر على توزيع توفيرات الاموال بين المسلمين بالتساوى .

ــ ان اول من دون ديوانا للجند هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أحصى الناس وقدر لهم الاعطيات ومنحهم الارزاق وانه كان مدفوعا في ذلك نتيجة كثرة الاموال الواردة الى عاصمة الخلافة ، بالاضافة الى كثرة عدد الجند والبعوث ، مما استلزم ايجاد قوائم تحوى اسماء الجند وذراريهم لتسهل عملية حصرهم وضبط اعطياتهم وان ذلك قد تم في سنة ٢٠هـ على ارجح الاقوال .

ــ ان الديوان الذى انشأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقتصر على احصاء الجند وحدهم وانما كان عاما شمل اعدادا كبيرة من الناس رجالا ونساء ممن ابلوا في الاسلام بلاء حسنا وذراريهم ، ولعل ذلك ما ادى الى حصول بعض التداخل في التسمية والاختصاص في نظر بعض المؤرخين .

ــ لم يلتزم في ترتيب الناس في الديوان بقاعدة المساواة بين المسلمين التي سار عليها الخليفة الراشد الاول ، وانما التزم بناء على توجيهات امير المؤمنين بقاعدة التفضيل . وذلك فانترتيب الديوان معتبر بالنسب والقرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم اما في العطاء فانه معتبر بالسابقة في الاسلام وحسن الاثر والبلاء في الدين . وهناك كثيرين لم يشملهم العطاء لاسباب متنوعة .

ــ كانت بداية نشأة الديوان بسيطة اذ اقتصر الديوان حينئذ على قوائم منظمة وفق اسلوب معين لاسماء من يشملهم العطاء ومقاديره حيث كان يصرف على اساس اول السنة القمرية من كل عام .

ـ بالاضافة الى الديوان المركزى فى العاصمة نشأت دواوين محلية فى بعض الامصار المهمة فى الدولة الاسلامية كالكوفة والبصرة ، بالاضافة الى دواوين خاصة ببعض القبائل مثل ديوانى حمير وخزاعة .

ـ لقد سار امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على نفس سياسة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما يتعلق بالتفضيل فى العطاء .
مع انه زاد فى الاعطيات مائة درهم لكل شخص كما أنه رغد أهل الامصار وزاد فى القوت والكسوة ، كما زاد فى الارزاق وذلك بوضعه طعام رمضان .

ـ اما فى خلافة امير المؤمنين على رضى الله عنه فقد كان العطاء يدفع على اساس المساواة بين المسلمين جميعا ، ومع ان هذا الاجراء يغاير سياسة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه يمثل عودة الى الاسس التى التزم بها امير المؤمنين ابى بكر الصديق فى العطاء . هذا اضافة الى تطور جديد ظهر فى الديوان اذ لم يقتصر صرف العطاء على دفعة واحدة فى السنة بل ارتبط العطاء بموجودات بيت المال فكلما توفرت الاموال تكرر صرف العطاء .

ـ فى خلافة معاوية رضى الله عنه وبعد استقرار اوضاع الدولة كانت هناك اعادة نظر عامة وشاملة فى حصر الجند واعادة توزيع العطاء على بعض الاقاليم التى انقطع عنها أثناء فترة الصراع السابقة .

ـ أنه لما جاء الى الخلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فانه اتخذ كثير من الاجراءات واعادة النظر فى شؤون الدولة المختلفة وفيها ديوان الجند ، فقد زاد فى عطاء الناس ، وكرر عليهم العطاء فى السنة أكثر من مرة . كما انه اعاد اسلوب التفضيل الى ما قرره عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضافة الى منعه العطاء عن الاعراب والتجار والعصاة ومن لم يشهد مشاهد المسلمين ويشارك فى الجهاد . كما اتخذ اجراءات تضمن تدقيق هوية المستحقين للعطاء ومنع تقاضيهم اكثر من عطاء فى توزيع واحد .

ـ فرض الخليفة عمر بن عبد العزيز على ولاته فى الاقاليم بأن لا يعطوا اى رجل اكثر من مائة دينار فى العطاء الا من كان يملك فرسا عربيا ودرع وسيف ورمح ونبل ، مما يدل على ان من كان عطاؤه مائة دينار فأكثر فانه يتكفل بما يلزمه من معدات حربية ، أما اذا كان أقل من ذلك فان الدولة تتكفل ببعض مستلزماته الحربية .

ـ عمل عمر بن عبد العزيز على اثبات حق ورثة الجندى اذا توفى ، وكذلك عمل على اثبات عطاء الاولاد بعد ان كان مقطوعا عنهم منذ فترة الخليفة عبد الملك بن مروان . كما أنه ميز بين عطاء الصغير والكبير . على ان اجراءات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لم يقدر لها الاستمرار اذ توقف العمل فى اغلبها بعد وفاته .

ـ فى عصر الخليفة أبو العباس السفاح حصلت زيادة فى عطاء الجند عما كان يدفع لهم وكانت الزيادة تبلغ مائة درهم فى السنة ولعل ذلك محاولة منه لكسب رضا الجند والتفافهم حول الدولة الجديدة الناشئة .

اما فى عهد الخليفة المنصور اهتم بالبناء والتعمير والعناية الكبيرة بأمر الثغور والعواصم وصرف على ذلك الكثير مما اثر فى معدلات عطاء الجند بشكل عام .

ـ كانت عملية صرف العطاء فى الاقاليم فى ديوان الجند مرتبطة فى الغالب بمدى ولاء الجند للخليفة القائم فان حصل ما يناقض ذلك فان العطاء ينقطع . وهذه ظاهره تكاد تكون هى الصفة الغالبة فى مراحل تطور ديوان الجند ـ خلال فترة البحث ـ .

ـ فى خلافة محمد المهدى اعيد النظر فى ديوان جند المدينة حيث أعيد تصنيف الناس فيه وكانت عملية الاعادة هذه تعنى التفضيل بين الفئات وأساس التفضيل هنا يعود الى القرابة من الخلافة ، فأوائل الصنفين هم بنو هاشم وهم أكثر الفئات عطاءا ، يليهم القرشيين ، ثم الانصار ، ثم بقية العرب ، ثم الموالى .

ـ يتميز عهد الخليفة هارون الرشيد بكثرة العطاءات للجند ، حتى أن المؤرخين كانوا يشبهون هارون الرشيد بأبي جعفر المنصور ، الا في العطاء فانه كان سريع العطاء جزيله ، .

ـ اهتم الخليفة هارون الرشيد اهتماما بالغا في أمر الحدود الاسلامية المتاخمة للاعداء في مختلف الاقاليم وخاصة اقليم الشام الذى تكررت ضده غارات البيزنطيين ، وقد تجلى هذا الاهتمام بندب الجند الى الثغور والعواصم مع اعطاءهم زيادة مقررة على رواتبهم بالاضافة الى بعض المميزات الاخرى كما تجلت ايضا في بناء وترميم الثغور والحصون واقامة القلاع والمراصد .

ـ تميز ديوان الجند في الدولة الاسلامية من بين جميع الدواوين الاولى انه كان مكتوبا باللغة العربية منذ تأسيسه وفي جميع فروعه في مختلف اقاليم الدولة الاسلامية ، .

ـ نظرا لما يحتله ديوان الجند من اهمية كبيره لدى الخلفاء فقد كانوا يعتنون عناية دقيقة فيمن يختارونه ليتولى الديوان سواء بعلمه بالانساب والقبائل واشتراط توفر العدالة والكفاية وغير ذلك .

ـ من التطورات المهمة في ديوان الجند في العصر العباسي انه اخذت مهامه تزداد وتشعبت اعماله الادارية ، فبعد ان كان الديوان عبارة عن سجلات يكتب اسم الشخص ومبلغ جاريه أصبح مؤسسة كبيرة تضم مجموعة كبيرة من المجالس الكتابية والادارية والمالية وكل مجلس من هذه المجالس له مهام معينة ومرتبطة مع بعضها البعض حيث تشكل مجموعها ديوان الجند .

ـ ان كثيرا من مجالس ديوان الجند وان كانت وجدت خلال العصر العباسي بشكل عام الا انه كانت لها جذور تاريخية منذ نشأة ديوان الجند وخلال المرحلة التالية له مما يؤكد ان الاسس الجوهرية لبعض المجالس كانت موجوده ولكنها بدات بشكل بسيط ثم تطورت فيما بعد .

ـ كانت عملية الحاق الجند بالعطاء تتم في البداية بكتابة اسم الشخص ومقدار عطائه . لكننا نجد انه في العصر العباسي الاول قد تم اعداد قوائم متطوره يسجل فيها اسم الجندي ومعلومات كامله عنه توضح جميع الصفات الشكلية والعلامات المميزة التي توجد فيه وهي ما يطلق عليها بـ" حلى الرجال " وذلك ضمانا لدقة العمل ومن اجل ضبط كافة المعلومات المتصلة بالجندي .

ـ لقد كانت هناك أحكام عادلة تطبق بشكل رئيسي ومباشر على الجند فيما يتصل برواتبهم حيث لا يضيع اى شيء من حقوقهم ، حتى لو كان يوما واحدا مما يدل على مدى الدقة والتحرى والضبط في عمل الديوان .

ـ وهناك بالمقابل أحكام غير عادلة وفيها انحراف عن المسار الاسلامي الصحيح وذلك في العصر العباسي حينما تولت طبقة من الكتاب الاعمال الادارية والمالية في الدولة العباسية ، وقد كانوا يعملون بعض الاعمال الجائرة ويعبرون عن ذلك بقانون الديوان ، او شرع الديوان تبريرا لاعمالهم الظالمة او المنحرفة في حق الجند ، وهذا ما تصفه المصادر بانه مما كان (يجرى على غير سبيل العدل) .

ـ لعب ديوان الجند دورا كبيرا ينسجم مع دور الجند وتأثيرهم ، فقد لعب الجند دورا كبيرا في توطيد اركان الدولة الاموية ،كما كان لجند العباسيين " المسوده " الدور الكبير في القضاء على حكم بني أمية والوصول بالعباسيين الى الخلافة .

ـ هناك علاقات مباشرة بين الوزاره وديوان الجند وكثيرا ما كان الوزير يتولى الاشراف على الديوان ومتابعة احوال الجند .
ونفس الشأن يصدق على الامراء او الولاه بديوان الجند .

ـ ابرزت الدراسة وجود علاقة وثيقة بين ديوان الجند وعدد من الدواوين المتخصصة الاخرى وخصوصا الدواوين المالية في الدولة الاسلامية .

ـ ان التعاون الوثيق والكبير والخدمات الجليلة التى تقدمها أغلب الدواوين لديوان الجند يدل على المكانة العالية التى يحظى بها ديوان الجند فى الدولة كأحد الدواوين الاساسية .

ـ فيما يتعلق بالقيادة وتسلسل المراتب نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمتع بقدرات فائقة فى كل المجالات ، ومن ضمنها المجالات العسكرية فقد كان قائدا فذا شهد له أعداءه بصفات قيادية فائقة ، واصبحت تلك الصفات القيادية منهجا يلتزم به كل قائد مسلم يتولى مسوءولية قيادة الجيش الاسلامى .

ـ وجدت فى الجيش الاسلامى رتب قيادية مختلفة منها أمير الجيش وقائد التعبئة والنقيب والعريف بالاضافة الى عدد من الرتب الاخرى التى ظهرت تدريجيا خلال فترة البحث .

ـ استخدم الجيش الاسلامى خلال فترة البحث التاريخية مجموعة من الالوية والرايات ، والتى كانت تختلف الوانها وأشكالها باختلاف العصور وأحيانا باختلاف الخلفاء ، وكان لتلك الالوية والرايات اهمية كبيرة فى الجند وحماسهم وبث الروح القتالية فى نفوسهم .

ـ ان الجيش الاسلامى كان يسعى وباستمرار الى تطوير مقدرته القتالية خلال فترات التاريخ المختلفة بما يفوق قدرة العدو القتالية خلال تلك الفترات ، وقد ينعكس ذلك فى مقومات الجيش وفرقه وصفوفه وتعبئته وتموينه .

ـ امتازت قيادة الجيش الاسلامى بوضع كثير من الخطط الحربية المتنوعة والتى تختلف بحسب ظروف المواقع واساليب قتال الاعداء واعدادهم ، وكانت بشكل عام تتميز بأسلوب التحديث فى فن القتال ، حتى ان المعركة الحربية الواحدة كانت احيانا ولظروف حربية طارئة تتغير تعبئتها من حين لآخر وذلك بهدف ارباك صفوف الاعداء وعدم فسح المجال أمامهم بالتعرف على وضعية تعبئة جيش المسلمين ، مما كان له اثره فى تحقيق الانتصارات الحاسمة .

ـ ان تسليح الجيش وتموينه قد مرّ بفترات متفاوته خلال فترة البحث غير ان الصورة لعملية التسليح او التموين لم تكن ثابته سواءا بالنسبة للدولة او بالنسبة للجند ، فقد كانت الدولة أحيانا تتكفل بتسليح الجندى بكل ما يلزمه ووفق مهامه وذلك عندما تكون الاسلحة متوفرة ، غير انه كان فى بعض الاحيان يلتزم الجندى بتوفير وتهيئة ما يلزمه من معدات . وبالجملة فان الغالب ان تتولى الدولة شوءون جندها من ناحية التسليح والتموين . خاصة وان الدولة قد هيأت دواوين خاصة تتولى مهمة توفير وخزن كل مستلزمات الجند العسكرية .

ملحق

بأهم المصطلحات الواردة في ثنايا البحث

ملحق بأهم المصطلحات الواردة فى ثنايا النص

أبرش : يقال للفرس الذى فيه لمع بياض كالرقط. وقيل هو الذى يكون فى شعره نكت صغار تخالف سائر لون البدن .

أبلق : يقال للفرس الذى يكون نصف لونه أو ما قارب النصف ابيض والآخر أسود ، ويكون ذلك على درجات متفاوته .

احم : وهو اذا كان لون الفرس أسود وخالطه فيه شقرة وانظم اليه ادنى حمره أو صفره .

أحوى : يطلق هذا اللون على الفرس اذا علا سواده خضرة وكانت مناخره محمره وشاكلته مصفره ، وهو اربعة الوان .

أخنس: يطلق على الرجل المتأخر الارنبة فى الوجه ، ومن يكون انفه قصيرا .

أدبس: يذكر هذا اللون على الفرس اذا كان لونه السواد خالطه فيه شقره .

اشعل : وهو من الشعل ، وهو البياض فى الذنب .

اصدى : يطلق على الفرس اذا كان لونه مائل الى الحمره ، وكانت حمرته كصدا الحديد .

أصفر : يطلق على الفرس اذا كان لونه اصفر صفرة تشبه الذهب ، وعرفه وذيله اصبهان مائلان الى البياض ، وهو درجات .

أصلم : وهو الرجل يكون مقطوع الاذن اما اليسرى او اليمنى او كلتيهما .

أصهب: يقال للفرس الذى يعلو لونه حمرة او شقرة فى الشعر . وقيل الاصهب شعر يخالط بياضه حمره ، والمعروف أن الصهبه مختصه بالشعر وهى حمرة يعلوها سواد .

اعلم : يقال للانسان الذى يكون فى شفته العليا شق بالطول .

أفطس: يطلق على الرجل العريض الارنبة مع تطامن قصبة الانف وانتشار المنخرين .

أقمر : تطلق على البغال خاصة دون الخيل ، وهى اذا عنا البغل بكحته لبسته الخضرة الصافية فيدعى بالقمره .

المظ : من التلميظ وهو تحريك اللسان فى الفم بعد الاكل واللمظه هى كل بياض اصاب الجحفله السفلى قل أو كثر . والتلميظ ما يدفع للجندى سلفا على حساب عطائه .

الاثبات: هو ان يثبت للرجل اسمه فى الجريدة ، ويفرض له رزقه .

الادغم : وهو ان يكون لون الوجه والجحافل اشد سوادا من سائر الجسد ويقال فرس ادغم قيل اذا كان بين الخضرة والسواد .

الارنبة : المقصود بها طرف الانف .

الادهم: من الوان الخيل ، ويطلق على الفرس اذا أخذ لونه السواد الشديد .

الاسكدار: كلمة اصلها فارسي وهى مركبة من اذكو دارى ، ومعناها من اين تمسك ، وهو مجلس يقوم بتنظيم الاوامر والكتب الصادره والوارده وتصنيفها ، وذلك بعد ان تعرض على متولى الديوان ، ويقوم هذا المجلس ايضا بعمل خلاصات موجزه لها لتكون تلك الخلاصات جاهزة وقت الطلب لغرض عرضها على الخليفة او الوزير ، ويكاد يكون هذا المجلس موجود فى غالبية الدواوين الاسلامية الادارية منها والمالية .

الاشقر : يقال للفرس اذا كان لونه صافيا قليل الحمره وعرفه وذيله اشقران .

الاشهب: وهو الابيض الشعر الاسود الجلد .

الاشهب الاحم : وهو الاسود الذى تنفذ فيه شعرات بيض .

الاصحم: وهو الاسود الذى يضرب الى الصفره .

الاطلاقات: وهى وجه من أوجه الصرف والمقصود بها اطلاق الرزق للجند .

الاكليل : وهو ما احاط بالظفر فى الفرس من اللحم .

الانزال : مجلس من مجالس ديوان النفقات ، وهو يقوم بالاشراف على التجار والمتعهدين ويشرف على اثمان المماليك الستينية والقواد المظموم بعضهم الى بعض . وله علاقة وتتمة بديوان الجند .

الانشاء : وهو أحد المجالس الكتابية للدواوين الادارية والمالية فى الدولة الاسلامية ويقوم هذا الديوان بانشاء الكتب التى تصدر عن الديوان الموجود فيه .

الاوضاح : جمع وضح وهى الشيه ، والغره ، والتحجيل فى القوائم وغير ذلك .

انبط : يقال للفرس اذا ارتفع البياض حتى يبلغ البطن فهو انبط كأنه مقلوب ابطن .

برذون : وهى الخيل العجيمات الجافية العظيمة الاعضاء ، وعضمها أعظم من عظم الفرس ، وهى بطيئة الجرى .

البعوث : وهم الجند الذين خرجوا الى الثغور او اى ناحية من النواحى يطلب منهم الخليفة او الوالى او القائد ذلك ، وقيل بعث الجند للغزو .

بقل : يقال بقل وجه الغلام اذا اخضر شاربه ، او خرج شعره .

البلج : يقال ابلج الحاجبين ، والبلج من محاسن الحاجب ، والمقصود بذلك ان لا يكون بينهما شعر يصل ما بينهما .

بيت المال "مجلس" : وهو احد مجالس ديوان النفقات ، وكان يقوم بتنظيم الحسابات وتحرى ضبطها ، وذلك بمقابلة النفقات بمجاميع النفقات المصروفة .

تجريد النفقات : ماخوذة من جريده ، وهى من دفاتر ديوان الجيش وتعمل كل سنة باسامى الرجال وانسابهم وحليهم ومبلغ ارزاقهم وتدخل ضمن اعمال مجلس التقرير فى ديوان الجند .

التحجيل : وهو البياض فى القوائم الاربعة للفرس او فى ثلاثة منها او فى رجليه قل او كثر ، واصله من الحجل وهو القيد ، وقد قيل فيه

اذا كانت قوائم الفرس الاربع بيضاء لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو محجل .

التحرير " مجلس " : وهو احد مجالس الدواوين ويختص هذا الديوان بالامور الكتابية في الديوان وذلك بأن يقوم بعمل نسخه يحررها الكاتب فتعرض على صاحب الديوان فيزيد فيها أو ينقص منها أو يقرها على حالها ، ويأمر بتحريرها ، والتحرير هو نقل الكتاب من سواد النسخة الى بياض نقى .

التحويل : هو ان يحول الرجل من جريده الى جريده أخرى

الترقوه : وهى عظم واصل بين ثغر الاتسان والنحر والعاتق من الجانبين .

التفصيل : احد مجالس ديوان الخراج ومهمة هذا المجلس النظر فى الجرايد والحمول وتصفح الاسماء ومنازل الارزاق وما يحتاج اليه عمال الخراج وتدقيق ما يرد وما يصادر اليه . وله علاقة بديوان الجند .

التقرير : مجلس من مجالس ديوان الجند وهو من اهمها حيث يرجع اليه فى أكثر اعمال هذا الديوان ، ومن مهام هذا المجلس تقرير امر استحقات الجند واوقات أعطياتهم وسياقة أيامهم وشهورهم على اصولها ، ومواعيدها ، وعمل التقرير لما يحتاج اطلاقه لهم من الارزاق فى وقت وجوبها .

التوقيع : وهو ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ممن رفع اليه كالخليفة او الوالى او متولى الديوان اوغيره من ولاة الامور .

الثبت : وهو ان يثبت الرجل فى الجريدة السوداء ويفرض له رزقه .

الثغر : هو كل فرج فى جبل او بطن وادى او طريق مسلوك ، وهو موضع الخافة من خروج البلدان ، ويقال هذه مدينة فيها ثغر ، اى الموضع الذى يخاف ان يأتى منه العدو ، وقيل ان الثغر هو كل موضع قريب من أرض العدو .

الجارى " مجلس " : وهو أحد مجالس ديوان النفقات الذى يجرى فيه تتبع نفقات المرتزقة ، وذلك بتصنيفهم حسب الاعمال الموكلة اليهم وتثبت أوقات استحقاق رواتبهم ، ويعتمد فى ذلك على الجرايد المخصصة لذلك ، وقد كان ذلك يجرى على فترات متفاوته فى هذا المجلس تبعا لاصناف المرتزقة وكان لهذا المجلس علاقة وثيقة مع بعض مجالس ديوان الجند .

الجحوظ : وهو جحوظ العين اى خروج المقله وظهورها عن الحاجب .

جلح : او أجلح وهو انحسار الشعر عن جانبى الرأس وزيادة الشعر فيه عن النزع .

الجيش " مجلس " : وهو احد مجالس ديوان الخراج وله علاقة مباشرة بديوان الجند ، حيث ان مهمة هذا المجلس فى الاشراف على الرسوم والاطماع والشهور واحصائها ، ولهذا المجلس اتصال وثيق بمجلس الجارى بديوان النفقات ، وبديوان الجيش من جهة اخرى فهو الذى يقوم بالتنظيم بين كلا منهما لاداء الوظيفة وضمان توفير الاموال اللازمة لديوان الجند .

الحرمح : وهو اللون الشبيه بالاحوى يكون فى الفرس أسود الظهر والقوائم والناصية والعرف والذنب ، او ربما كان يميل الى الخضره .

الحوادث " مجلس " : وهو احد مجالس ديوان النفقات ، وكان يجرى فى هذا المجلس تثبيت الاوامر الصادره عن الخليفة او الوزير بالصرف على الامور الطارئة والاحداث المستجده سواءا من النواحى العسكرية او غيرها من حرائق وغرق وما الى ذلك من النفقات غير العادية .

الخاتم : من الختم والطبع . وهو التغطيه على الشىء والاستيثاق من ان لا يدخل شىء فيه .

الديزج : وهى كلمة فارسية ، وتطلق على الخيل اذا كان لون الوجه والجحافل اشد سوادا من سائر الجسد ، واحيانا يطلق على اللون الاخضر الادغم وهو الاخطب .

الرزق : جمعها ارزاق وهى اقامة الطمع والابتداء فيه بعد وضع العطاء

الزرزورى : وهو من الوان الخيل التى يميل لونها الى الاشهب ، وذلك اذا اعتدل فيه لون السواد والبياض .

السبال : مفردها سبله وهى التى تكون فى مقدمة لحية الرجل واعلى من الذقن .

السقط : المقصود به الذى يموت او يستغنى عنه فيوضع عن الجريده .

السمند : وهو لون من الوان الخيل الذى تعلوه صفره ليست بالصافيه جلده واصول شعره ، وسواد يعلوا صفرته كدره ، اسود ناصيته وعرفه .

الشغى : هو الطول الشديد فى الاسنان مع اختلاف منابتها ولا يكون هناك تناسق بطول بعضها وقصر البعض الآخر .

الشهرى : وهو نوع من انواع البراذين .

الشهل : وهو ان تشرب حدقة العين حمره ليست خطوطا ولكنها قلة سواد الحدقة حتى كأن سوادها يقرب الى الحمره .

شيات الخيل : الشيه هى اللون ، وقيل كل لون خالف لون معظم الجسد فى الدواب ، وقد ورد ذكر الشيه فى القرآن الكريم فى سورة البقرة أية " ٧١ " من قوله تعالى : ((قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون)) .

صاحب الزمام : وهو متولى ديوان زمام اى من ازمة الدواوين فى الدولة الاسلامية ويقوم بالاشراف على الديوان الذى يختص به من مراقبة ومتابعة كل ما من شأنه مصلحة خزينة الدولة .

لطيم : يطلق على الفرس اذا رجعت غرته فى أحد شقى وجهه الى أحد الخدين وقيل لا يكون لطيما الا ان تكون غرته اعظم الفرو وافشاها حتى تصيب عينيه او احداهما او خديه او احداهما .

المقابلة " مجلس " : يعتبر هذا المجلس أحد مجالس ديوان الجند ومهمة هذا المجلس النظر فى الجرايد وتصفح الاسماء ومنازل الارزاق والاطماع واخراج الخلاف فيما يرد من رفوع المنفقين وما يصدر او يرد من الكتب منهم واليهم .

المتولى : اسم وظيفة تطلق على من يسند اليه القيام والاشراف على عمل من هذه الاعمال او من يتقلد منصب من المناصب او ولاية من الولايات ، وقد يحل اللفظ فى بعض الاحيان محل رئيس أو صاحب .

المحاسبة : وهو ان ينفرد احدهما " الرافع والمرفوع اليه " دون ان يوافق الآخر على التفصيلات فذلك يسمى المحاسبه وتدخل فى مهام عمل مجلس التقرير . وقد تدخل فى مهام الدواوين المالية والازمّة .

المختارون : وهم جماعة من الحرس الخاص سموا بذلك لان الخليفة هو الذى يختارهم بنفسه ، ومن صفاتهم انهم ذو شجاعة فائقة .

مسلحة : مأخوذة من السلاح وهى مواضع ارصاد السلطان .

المشاهره : المقصود اذا كانت الارزاق توزع عليهم شهرا بشهر .

مفلس : يقال للفرس اذا كان لونه ابيض وفيه نكت سود ٪ ، وقيل هو الذى خالط بياضه سوادا او حمره .

مقرون : يوصف به الشخص المتصل الحاجبين .

منعل : يطلق ذلك على الفرس اذا جاوز البياض الخاتم وهو شعرات بيض ويكون فيها البياض واضحا ، وقيل اذا كان البياض فى موءخر الرسغ ولم يسند عليه .

الموافقة : وهى حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق الرافع والمرفوع اليه ، وهى من اعمـــال مجلس التقرير .

المؤامره : عمل تجمع فيه الاوامر الخارجية عن مدة ايام الطمع ويوقع ولـــى الامر فى آخره باجازه ذلك .

الموقعون : هم الذين يوقعون على الاسكدار اذا مرت به بوقت وروده وصدوره وذلك من أجل تثبيت اوقات انطلاق السعاه ووصولهم حتى يتـم بذلك الضبط ولا يتأخر منهم أحد عن الاوقات التى سبيلـــه ان يصل السكه وذلك الاثبات يكون بالكتابه .

نزع : النزع من الجبهة ، يقال للفرس الذى انحسر الشعر عن جانبـــى الجبهة يمينا أو شمالا .

النسخ " مجلس " : وهو احد مجالس الديوان الكتابية ، ويكاد يكون موجود فى أغلب الدواوين فى الدولة الاسلامية ، وظيفته نسخ الكتب علـــى عده نسخ مطابقة للاصل ، وترسل النسخه الاصليه الى الجهـــة المراد توجيه الكتاب اليها .

النفّاطون : وهم الذين يقذفون النفط البحرى ، وهو مركب خاص لاحراق المراكب ويجهز من قطران وكبريت ، ومواد أخرى شديدة الالتهاب.

النقل : وهو مصطلح مستعمل فى ديوان الجند ومعناه ان ينقل مـــال رجل الى جارى رجل آخر .

الوجنه : وهى العظمة الناتئة التى توجد فوق الخدين وتحت مدمعـــى العينين .

ورد : يقال للفرس الذى يكون لونه بين الكميت والاشقر ، وهو الـــذى تعلوه حمره الى الشقره وجلده وأصول شعره اسود .

قائمة

بأسماء المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطات

ابن ابى الربيع ـ شهاب الدين احمد بن محمد
سلوك المالك في تدبير الممالك ، ميكروفيلم مصور بمركز البحث العلمي برقم ٣٠٩ ـ معارف عامة ـ تاريخ عن الاصل في مكتبة شستر بتى ـ ايرلندا .

ابن الجوزى ـ ابو الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧
المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ، مكتبة معهد المخطوطات العربية ـ بالقاهرة تحت رقم ٥٢٦ / ١ تصنيف ـ تاريخ .

ابن الغزى ـ شمس الدين ابى المعالى محمد بن عبد الرحمن الشافعى الدمشقى ، التاريخ البديع المسمى بديوان الاسلام ، ميكروفيلم جامعة ام القرى ـ بمكة المكرمة مركز البحث العلمى ، رقم ٨٦ تاريخ .

ابن دقمان ـ ابراهيم بن محمد بن دقمان
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، ميكروفيلم بجامعة ام القرى ـ بمكة المكرمة مركز البحث العلمى تحت رقم ١١٤٠ .

ابن منكلى ـ محمد بن منكلى الناصرى
الادلة الرسمية في التعابي الحربية ، مكتبة ايا صوفيا استانبول برقم ٢٨٣٩ ، صورة بالميكروفيلم فى معهد المخطوطات العربية بالقاهره .

الملك الافضل ـ السلطان العباسى بن الملك المجاهد علي. العطايا السنه والمواهب الهنية فى المناقب اليمنيه .، ميكروفيلم ـ جامعة

ام القرى ـ بمكة المكرمة مركز البحث العلمى رقم ٣٤٦ تاريخ .

الشعبى ـ محمد بن عبد الله اليشبينى
رونق التحبير فى حكم السياسة والتدبير ، ميكروفيلم ـ مركز البحث العلمى سياسة رقم ٢٩١ ، مصور عن الخزانة العامة بالرباط ـ المغرب رقم ١١٨٢ .

الصفدى ـ صلاح الدين خليل بن آبيك الصفدى الواف
الوافي بالوفيات ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

الطرزى ـ ابو الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى
الايضاح على شرح المقامات الحريرية ، ميكروفيلم ـ بجامعة ام القرى بمكة المكرمة ، مركز البحث العلمى تحت رقم ١٨٣ أدب .

رسالة ارسطو طاليس للاسكندر ، ترجمة يوحنا بن البطريق ، ترجمها له بأمر من الخليفة المأمون ، تتألف من ٣٥ ورقة ، مصوره عن مكتبة تيمور وموجوده على ميكروفيلم بمركز البحث العلمي ـ قسم المصورات تحت صنف " معارف عامة " .

موءلف مجهول
الطريق المسلوك في سياسة الملوك ، ١٠٠ ورقة ، خط سنة ٩١٥ مكتبة احمد الثالث بتركيا رقم ١٦٠٨ ، مصور بمركز البحث العلمى برقم ١٨٩ اخلاق .

ب ـ المصـــادر

القرآن الكريم

ابن ابى الحديد ـ
شرح نهج البلاغة ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر سنة ١٣٢٩هـ .

ابن ابى حاتم ـ ابو محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى (ت ٣٢٧هـ)
كتاب الجرح والتعديل ، ٧ مجلدات ، ١٧ ، مطبعة دائــرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند ١٩٥٢ - ١٩٥٩ .

ابن ابى شيبة ـ عبد الله بن محمد بن ابى شيبة ابراهيم بن عثمان بن ابــى بكر الكوفى العيسى (ت ٢٣٥هـ)
المصنف فى الاحاديث والآثار ، حققه وصححه الاستاذ عامر العمرى الاعظمى ، طبعة الدار السلفية ـ الهند .

ابن ابى يعلى الشهيد ـ ابو الحسن محمد بن ابى يعلى الحسينى بن محمد
طبقات الحنابلة ، تصحيح محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ .

ابن تغرى بردى ـ جمال الدين ابى المحاسن يوسف
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهره ، نسخة مصوره عــن طبعة دار الكتب المصرية لعام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

ابن تيميه ـ شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عيميه الحرانى
الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحقيق
محمد محى الدين عبد الحميد ، ط/ دار الفكر ـ بيروت .

ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣
مطابع المجد التجارية .

ـ مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب ـ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
العاصمى النجدى الحنبلى ، تصوير ـ عن الطبعة الاولى ١٣٩٨ .

ابن جماعة ـ بدر الدين محمد بن ابى اسحق ابراهيم بن سعد الله (ت٧٣٣)
مستند الاجناد فى آلات الجهاد ، ومختصر فى فضل الجهاد
تحقيق وشرح ، اسامة ناصر النقشبندى ، منشورات وزارة الثقافة
والاعلام بالعراق لعام ١٩٨٣ .

ابن حجر العسقلانى ـ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن على بن محمد بن
على بن احمد الكنانى العسقلانى المصرى الشافعى
لسان الميزان ، ٧ اجزاء ، ط. ١ ، حيدر اباد الدكن
١٣٣٠هـ / ١٩١١ م .

ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، باعتناء محمد
فؤاد عبد الباقى ـ محب الدين الخطيب ، دار الفكر
بيروت .

ـ الاصابة فى تمييز الصحابة ، تحقيق د . طه محمد الزينى
مكتبة الكليات الازهرية بمصر الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ/
١٩٦٩ م .

ابن الجوزى ـ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على
بن الجوزى ، مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تحقيق د . زينب ابراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م

ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ، ط/ دار الفكر

بن حنبل ـ احمد
المسند ، دار صادر بيروت

ابن حوقل ـ ابو القاسم محمد بن على الحوقلى النصيبى (ت ٣٦٧)
صورة الارض ، الناشر مكتبة الحياه ـ بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

ابن خرداذبه ـ ابى القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه
المتوفى فى حدود سنة ٣٠٠هـ
مكتبة المثنى ببغداد ، المسالك والممالك ، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٢٠ هـ .

ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون المغزلى
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، ط/ دار الكتاب اللبنانى عام ١٩٨١م .

ـ المقدمة ، ط/دار الكتاب اللبنانى لعام ١٩٨١م

ابن خلكان ـ شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر البرمكي الاربلي الشافعي الاشعري (٦٠٨ - ٦٨١هـ)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٦ اجزاء ،باعتناء محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

خليفة بن خياط ـ ابو عمرو خليفة بن خياط بن ابي هبيرة
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د . اكرم حيفاء العمري الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، دار القلم ـ موسسة الرسالة ، وساعدت جامعة بغداد على نشره .

ابن الربيع ـ الشيباني الشافعي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد
حدائق الانوار ومطالع الاسرار في السيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله المصطفين الاخيار ، تحقيق عبد الله ابراهيم الانصاري ، مطابع قطر الوطنية ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .

ابن الزبير ـ القاضي الرشيد
الذخائر والتحف ، تحقيق د . محمد حميد الله ، تقديم : صلاح الدين المنجد ، ط/ الكويت ١٩٥٩م .

ابن زنجويه ـ ابو أحمد حميد بن مخلد الازدي (ت ٢٥١)
الاموال ، تحقيق د . شاكر فياض ، رسالة دكتوراه من جامعة ام القرى بمكة المكرمة مطبوع على الآلة الكاتبة .

ابن سعد ـ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ابو عبد الله البصرى
الطبقات الكبرى ،ط/ دار التحرير ـ القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م٠

ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم
دراسة وتحقيق زياد محمد منصور ،ط/ المجلس العلمى بالجامعة
الاسلامية بالمدينة المنورة ،الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م٠

ابن سيد الناس ـ محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن سيد الناس المتوفى
سنة ٧٣٤ ،عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل
والسير / ٢ ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ـ لبنان ٠

ابن شاهين ـ غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ،اعتنى بتصحيحه
بولس داويس ،ط/ المطبعة الجمهورية ـ باريس ،سنة ١٨٩٤م
مكتبة مركز البحث العلمى بمكة المكرمة ٠

ابن الطقطقا ـ الفخرى فى محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا
الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية ،دار بيروت
للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ٠

ابن عبد البر ـ ابى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (٣٦٨ - ٤٦٣هـ)
الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ،ضمن كتاب الاصابة ،تحقيق
د . طه محمد الزينى ،الناشر مكتبة الكليات الازهرية بمصر
الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ٠

ابن عبد البر ـ ابى عمر يوسف ابن عبد البر القرطبى الاندلسى)ت ٤٦٣)
جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، ط/ دار
الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ابن عبد الحكم ـ ابى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن
اعين القرشى المصرى
فتوح مصر وأخبارها ، مطبعة بريل بمدينة لايدن ، ط/ عام
١٩٣٠م .

ابن عبد الوهاب ـ شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦)
مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، راجعه وحقق
اصوله / محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية
القاهرة عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

ابن عبد ربه ـ احمد بن محمد الاندلسى (ت ٣٢٨)
العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط/ دار الفكر
الطبعة الثانية

ابن عساكر ـ ابو القاسم على بن الحسن هبة الله بن عبد الله بن الحسين
تهذيب تاريخ ابن عساكر ، عنى بترتيبه وتصحيحه الشيخ عبد
القادر افندى بدران ، مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢ هـ .

ابن العربى ـ ابو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣)
احكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى
البابى الحلبى وشركاه .

ابن العربى - محيى الدين
التدبيرات الالاهية فى اصلاح المملكة الانسانية، وهو ضمن كتاب انشاء الدوائر ، مطبعة بريل فى مدينة ليدن ، عام ١٣٣٦ هـ .

- انشاء الدوائر مطبعة بريل - ليدن ١٣٣٦ هـ .

ابن العماد - ابو الفلاح عبد الحى بن العمات (ت ١٠٨٩هـ)
شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، ٨ اجزاء ، مطبعة القدس - القاهرة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١ م .

بن فارس - ابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥)
معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ط/ البابى الحلبى .

ابن قتيبة - ابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)
عيون الاخبار ، ٤ اجزاء ، نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

ابن قدامة - ابى محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسى (ت ٦٢٠هـ) ، المغنى ، ٩ اجزاء ، من مطبوعات رئاسة ادارت البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، ط/ مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

ابن القيم - شمس الدين ابى عبد الله محمد ابن ابى بكر ابن ايوب المعروف بابن القيم الجوزية

الفروسية ط/ دار التراث العربي .

ابن القيم ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق محمد حامد الفقي
مطبعة السنة المحمدية بمصر .

ابن كثير ـ ابي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٤٧)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة
للطباعة والنشر ، بيروت لبنان في ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

ـ البداية والنهاية ، ١٤ جزءا في ٧ مجلدات ، ط الثالثة ١٩٧٩م .

ـ تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ -
١٩٦٩م .

ابن الاثير ـ ابو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)
اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ -
١٩٨٠م .

ـ الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت عام ١٣٨٥هـ ، دار صادر
دار بيروت

ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٧ مجلدات ، تحقيق وتعليق
محمد ابراهيم البنا ، محمد اجمد عاشور ، محمود عبد الوهاب
فايد ، ط/ دار الشعب .

ابن الازرق - ابى عبد الله بن الازرق (ت ٨٩٦)
بدائع السلك فى طبائع الملك ، تحقيق وتعليق د .على سامى النشار ، منشورات وزارة الاعلام / العراق ، ط/دار الحرية للطباعة والنشر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

ابن ماجه - الحافظ ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ت ٩٧٥)
سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط/ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار احياء التراث العربى .

ابن مسكويه - ابو على احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه)ت ٤٢١)
تجارب الامم ، باعتناء دى غويه ، طبعة ليدن ١٨٧١م ، نشر مكتبة المثنى - ببغداد - العراق .

ابن المقفع - عبد الله ابن المقفع
رسائل البلغاء ، عنى بجمعها محمد كرد على ، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى / لصاحبها مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٣١ - ١٩١٣ ، موجودة بمكتبة الحرم المكى .

ابن مماتى - ابى المكارم بين ابى سعيد بن مماتى (ت ٦٠٦)
قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، مطبعة مصر ١٩٤٣ هـ .

ابن منظور - لسان العرب المحيط ، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلى اعداد وتصنيف يوسف خياط ، نديم مرعشلى ، ط/ دار لسان العرب - بيروت .

ابن النديم - محمد بن اسحاق النديم
الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ابن هشام - السيرة النبوية ، تحقيق الاساتذة مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ، مطبعة البابى الحلبى .

ابن وهب - ابو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان
البرهان في وجوه البيان ، تحقيق د . احمد مطلوب ود . هـ . خديجة الحديثى ، مطبعة العانى ببغداد ، ط/الاولى ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

ابو سالم - محمد بن طلحة الوزير (ت ٦٥٢)
العقد الفريد للملك السعيد ، صححه / عبد الهادى بن موسى البولاقى مطبعة الوطن العامره ، ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م .

ابو داود - سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى م ٢٧٥
كتاب السنن ، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس ، طبعة الاولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، الناشر / محمد على السيد ، بحمص .

ابو عبيد - ابى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ
كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق ، محمد خليل هراس ، نشر مكتبة الكليات الازهرية ودار الفكر بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

ابى يعلى ـ محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨)
الاحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ،
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، دار الفكر .

ابى يوسف ـ يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبشه
المتوفى سنة ١٨٢ هـ
الخراج ، تحقيق وتعليق د . محمد ابراهيم البنا ، م. دار الاصلاح

الازرقي ـ ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٤٤هـ)
اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس
مطابع دار الثقافة بمكة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الاسكافي ـ محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ
لطف التدبير ، حققه وعلق عليه / احمد عبد الباقي ، م . مطبعة
السنة المحمدية ـ القاهرة ، مكتبة مركز البحث العلمي - ٩٥٦ .

الاصفهاني ـ مقاتل الطالبين ، طبعة النجف ـ بالعراق ، ط عام ١٣٥٣هـ

الاصفهاني ـ ابى الفرج
كتاب الاغاني ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، الناشر / دار
الثقافة ـ بيروت ١٩٦١ - ١٣٨٠ .

البسنوى ـ علاء الدين على دده السكتوارى
محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر ، قال فى كشف الظنون فرغ من
تأليفه شهر رجب ٩٩٨ ، الطبعة الاولى بالمطبعة العامره الشرفيه
بمصر سنه ١٣١١ هـ .

البغدادي ـ ابو جعفر محمد بن حبيب ابن اميه بن عمرو الهاشمي البغدادي
المتوفى سنة ٢٤٥ هـ
المحبر ، رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري عنه
وقد اعتنت بتصحيح هذا الكتاب الدكتوره الآنسة ايلزه ليحتن
شتيتر ، احدى العالمات باميركا ، م/جمعية دارة المعارف
العثمانية / حيدر آباد ١٣٦١هـ ، موجود بمكتبة الحرم المكي
برقم ٢٢٠ .

البغدادي ـ الخطيب
تاريخ بغداد ، ط/ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

البطليوسي ـ ابن السيد
الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، طبعه وصححه وراجع اصله
المعلم عبد الله افندي البستاني ، المطبعة الادبية ببيروت
سنة ١٩٠١م ، موجود بمكتبة مركز البحث العلمي .

البيهقي ـ ابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨)
السنن الكبرى ، الطبعة الاولى / مطبعة مجلس دائرة المعارف
العثمانية حيدر اباد الدكن ـ الهند ١٣٥٢هـ ، المكتبة
المركزية ٢٣٥ .

البيحاني ـ محمد بن سالم
اشعة الانوار على مرويات الاخبار ، مكتبة مركز البحث العلمي .

البلاذري ـ احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩)
فتوح البلدان ، نشرة ووضع ملاحقه وفهارسه د . صلاح الدين

المنجد ، ط ـ مكتبة النهضة المصرية .

البلاذري ـ انساب الاشراف ،تحقيق محمد حميد الله ،ط١ ـ مطبعة دار المعارف بمصر عام ١٩٥٩م ،واحيانا طبعت اهلورت .

التنوخي ـ ابى على المحسن بن ابى القاسم على بن محمد بن ابى الفهم داود بن ابراهيم التنوخي (ت ٣٨٤هـ)
الفرج بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ـ بمصر ،الطبعة الاولى ١٩٥٥م .

ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة جـ٨ ،تحقيق عبود الشالجي ط دار صادر / بيروت ١٩٧٣م ،مكتبة الحرم المكي .

التوحيدي ـ ابو حيان التوحيدي
الامتاع والمؤانسه ،تصحيح احمد امين ، واحمد الزين ،ط/دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

الثعالبي ـ منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ
كتاب : تحفة الوزراء ،تحقيق حبيب الراوي ،الدكتوره ابتسام مرهون الصفار ،بجامعة بغداد ،مطبعة العالي ـ بغداد سنة ١٩٧٧م ،موجود بالمكتبة المركزية بجامعة ام القرى بمكة .

ـ لطائف المعارف ،تحقيق ابراهيم الابياري ـ حسن كامل الصيرفي ط. دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الجاحظ - ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المحاسن والاضداد ، حققه وقدم له فوزى خليل عسطوى ، ط/دار صعب - بيروت ١٩٦٩م .

- رسائل الجاحظ ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

الجهشيارى - ابى عبد الله محمد بن اسيدس بن عبد الله (ت ٣٣١)

الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى عبد الحفيظ شلبى ، مطبعة / مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء ، جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد ، ط/دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

الجوهرى - اسماعيل بن حماد

الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق / احمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

الجوينى - امام الحرمين ابى المعالى عبد الملك بن عبد الله (٤١٩-٤٧٨)

غياث الامم فى التياث الظلم ، تحقيق ودراسة د . عبد العظيم الديب ، الطبعة الاولى لعام ١٤٠٠هـ ، مطابع الدوحة الحديثة بقطر .

حاجى خليفة - مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة

كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ، طبعة وكالة المعارف ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١م .

ابو علي ابن عبد الله ـ الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن محاسن
. . . ابن عبد الله بن عباس
آثار الاول في ترتيب الدول ، بدء في تأليفه شوال سنة ٧٠٨ هـ
مطبعة بولاق ١٢٩٥هـ ، موجود بمكتبة الحرم المكي .

الحموى ـ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي
البغدادي ، معجم الادباء ، ٢٠ جزء ، طبعه / دار احياء التراث
العربي ، بيروت ـ لبنان .

ـ معجم البلدان ، دار بيروت ـ دار صادر ، للطباعة والنشر ١٣٧٦هـ
ـ ١٩٥٧م المكتبة المركزية بالجامعة .

الخزاعي التلمساني ـ ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني
(ت ٧٨٩هـ)
كتاب : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع
والعمالات الشرعية ، ط/ وزارة الاوقاف ـ القاهره
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠م .

الخطابي ـ شرح سنن ابي داود ، اعداد وتعليق /عزت عبيد الدعاس
ط الاولى عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

الخوارزمي ـ محمد بن احمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٨٧هـ ـ ٩٩٧م
مفاتيح العلوم ، تقديم واعداد د . عبد اللطيف محمد العبد
الناشر : دار النهضة العربية ـ بمصر ، مكتبة الحرم المكي .

الخوانساري ـ محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت ١١٥٨هـ)
روضات الجنات في احوال العلماء السادات ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧هـ .

الدينوري ـ ابو حنيفة احمد بن داوود (ت ٢٨٣)
الاخبار الطوال ، مطبعة ليدن لعام ١٨٨٨م .

الذهبي ـ محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨)
السيرة النبوية ، تحقيق حسام الدين القدسي ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

ـ سير اعلام النبلاء ، صدر منه ١٥ مجلدا ، ط/ موءسسة الرسالة بيروت .

ـ تذكرة الحفاظ ، مجلدان ، تصحيح عبد الرحمن المعلمي ، دار احياء التراث العربي .

الزبيري ـ ابي عبد الله الصعب بن عبد الله بن الصعب الزبيري (١٥٦-٢٣٦هـ) ، كتاب نسب قريش ، عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه أ ـ ليفي بروفنسال ، طبعة دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .

الزبيدي ـ محمد مرتضى
تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

الزبير بن بكار ـ ابو عبد الله الصعب بن عبد الله (ت ٢٥٦)
جمهرة نسب قريش واخبارها ، حققه وشرحه محمود محمد شاكر
مطبعة المدنى القاهرة ط/عام ١٣٨١هـ ، المكتبة المركزية .

السبكى ـ قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكى (ت ٧٧١)
معيد النعم ومبيد النقم ، حققه وضبطه وعلق عليه محمد على النجار
ابو زيد الشلبى ، محمد ابو العيون ، ط/دار الكتاب العربى
بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

ـ طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ مجلدات ، (ط ١) ، تحقيق
الدكتور محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو ، مطبعة
البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٧٦م .

السهيلى ـ الامام الحارث عبد الرحمن السهيلى (٥٠٨ - ٥٨١هـ)
الروض الانف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق وتعليق
وشرح عبد الرحمن الوكيل ، ط ـ دار النصر ـ القاهرة ١٣٨٩هـ
- ١٩٦٩م .

السيوطى ـ جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، بتحقيق محمد ابو
الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى
١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ .

ـ تاريخ الخلفاء ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، الناشر
مطبعة السعاده بمصر .

الشوكانى ـ محمد بن على الشوكانى
فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في فن التفسير
ط الثانية ـ مطبعة الحلبى بمصر عام ١٣٨٣هـ .

الصنعانى ـ ابى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى (١٢٦ - ٢١١)
المصنف ، المكتب الاسلامى ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ
- ١٩٧٢م .

الصابى ـ ابى الحسن الهلال بن المحسن الصابى (ت ٤٤٨)
الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار أحمد
فرج ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٥٨م .

الصولى ـ ابى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦
ادب الكتاب ، نسخة وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجت
الاثرى ، م/المطبعة السلفية بمصر القاهرة ١٣٤١هـ .

ـــ اخبار الراضى والمتقى ، نشره حـ. هيوات د ن ، منشورات مدرسة
اللغات الشرقية بلندن . مطبعة الصاوى ـ القاهرة .

الطبرى ـ ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠)
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط/دار
المعارف ـ الطبعة الرابعة .

الطرطوشي ـ ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى (ت ٥٢٠)
سراج الملوك وبهامشه التبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي

المطبعة الازهرية بمصر - الطبعة الاولى ١٣١٩هـ .

العسقلاني - سبق ذكره تحت لقب ابن حجر .

العسكري - ابي هلال بن عبد الله بن سهل العسكري متوفي سنة ٣٩٥
الاوائل ، حققه وعلق عليه محمد السيد الوكيل ، الناشر اسعد طرابزوني الحسني ، موجود بمكتبة قسم التاريخ بجامعة ام القرى .

العيني - بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد (ت ٨٥٥)
عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ط - دار الفكر - بيروت .

قدامة - ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧)
الخراج وصنعة الكتابة "المنزلة الخامسة" ، تحقيق الاستاذ طلال جميل رفاعي ، اشراف د . حسام السامرائي جامعة ام القرى بمكة المكرمة لعام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابه ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبع دي غويه .

- الخراج وصناعة الكتابه ، شرح وتعليق د . محمد حسين الزبيدي دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨١م .

القرطبي - ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي
الجامع لاحكام القرآن ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

القرطبي - غريب بن سعد الكاتب (ت ٣٦٩)
صلة تاريخ الطبرى ، مطبعة لايدن لعام ١٨٩٧م .

القزويني - زكريا بن محمد بن محمود
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

القلقشندى - ابو العباس احمد بن على (ت ٨٢١)
مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ط - عالم الكتب - بيروت ، طبعة معاده ومصوره لعام ١٩٨٠م .

- صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، نسخة مصوره عن الطبعة الاميرية .

القاضى عياض - ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى الاندلسى
الشفاء بتعريف حقوق المصطفي صلي الله عليه وسلم ، ط الاخيره ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

الكندى - ابى عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى
الولاة وكتاب القضاة ، هذبه وصححه رفن كست ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين / بيروت ١٩٠٨م ، مكتبة الحرم المكى .

الماوردى - ابى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى متوفى سنة ٤٥٠هـ ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، م . دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

الماوردي - تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، في اختلاف الملك وسياسة الملك ، تحقيق محيى هلال السرحان ، د . حسن الساعاني مكتبة الحرم .

مالك بن انس - بن مالك بن ابى عمار التيمى (ت ١٧٩)
الموطا - بشرح الزرقاني ، طبع بمصر عام ١٣٥٥هـ ، واحيانا بتحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقى ، مطبعة الحلبى القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

مؤلف مجهول - العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم ، مكتبة المثنى ببغداد
موجود فى مكتبة مركز البحث العلمى بمكة المكرمة .

المسعودى - ابى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط - دار الفكر - بيروت ، ط الخامسة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

المسعودى - التنبيه والاشراف ، دار صعب - بيروت .

المقدسى - المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥)
البدء والتاريخ ، ٦ اجزاء ، بعناية كلمان هوار ، ط/باريس ١٩٠٣م .

المقدسى ـ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر البناء
المقدسى (ت ٣٩٠)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبع باعتناء دى غويه ،
لايدن عام ١٩٠٦م .

المقريزى ـ الشيخ الامام تقى الدين احمد بن على بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزى
الخطط المقريزية ، " المسماة " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والآثار ، مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤هـ .

مسلم ـ ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى
صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ومكتبتها .

النسائى ـ السنن ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام
السندى ، الطبعة الاولى ١٣٤٨هـ ، دار الفكر ـ بيروت .

النويرى ـ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب
نهاية الارب في فنون الادب ، نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب .

الهرثمى ـ ابو سعيد الشعرانى الهرثمى (المتوفى بعد ٢٣٤هـ)
مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبد الرؤوف عون ، مطبعة مصر
نشر المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .

الهندى - علاء الدين على المتقى بن حسام الدين البرهان فوزى (ت ٩٧٥)
كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، ضبطه وفسر غريبه الاستاذ
الشيخ حسن رزق ، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الاستاذ صفوت
السقا ، مطبعة البلاغة بحلب ، الطبعة الاولى ١٣٩٠ - ١٩٧٠
المكتبة المركزية ٢٢٥ .

الواقدى - ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى
فتوح الشام ، ط/دار الجيل - بيروت .

اليعقوبى - احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب
العباسى المعروف باليعقوبى
تاريخ اليعقوبى ، دار صادر ودار بيروت للطباعة ١٣٧٩هـ -
١٩٦٠م ، مكتبة مركز البحث العلمى .

— مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم لورد ، ط/ دار الكتاب
الجديد - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

جـ ـ المراجع الحديثه والدوريات

ابراهيم فوءاد احمد على ـ الموارد المالية في الاسلام ، مكتبة الانجلـــــو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

ابو خليل ـ شوقى
هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، دار الفكـــــر الطبعة الاولى ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .

آدم متز ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى، نقله الى العربيـــــة محمد عبد الهادى ابو ريده ، دار الكتاب العربى ـ بيــــــروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

أسعد ـ الرائد الركن / بهاء الدين محمد أسعد ، ومعه الرائد / جمال يوسف الخلفات
العسكرية الاسلامية وقادتها العظام ، الطبعة الاولى عام ١٤٠١- ١٩٨١م ، مكتبة المنار ـ الاردن ـ الزرقاء .

البغدادى ـ اسماعيل باشا
هدية العارفين في اسماء الموءلفين واثار المصنفين ، مكتبـــــة المثنى ، بغداد ١٩٥٥م .

بروكلمان ـ كارل بروكلمان
تاريخ الادب العربى " الملحق " ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون الطبعة الرابعة / دار المعارف ١٩٧٧م .

باوزير ـ أحمد محمد العليمي
مرويات غزوة بدر ، مكتبة طيبة ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، موءسسة خليفة للطباعة ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ، الطبعة الثانية "بدون تاريخ "

جميل نخلة المدور ـ حضارة الاسلام في دار الاسلام ، المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م .

جهادية الفرغولي ـ التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الاول ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ـ كلية البنات ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

حسان علي حلاق ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الاموى ، دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصرى ، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السايسي والديني الثقافي والاجتماعي طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة لعام ١٩٧٥م .

الخطيب ـ عبد الكريم
عمر بن الخطاب " دراسة كاشفة وعبره بالغة " ، ط/ دار الفكر العربى ، الطبعة الاولى ١٩٧٨م .

الدورى ـ عبد العزيز عبد الكريم
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، بغداد ١٩٤٥م .

ـ العصر العباسي الاول ، مطبعة التفيض ـ بغداد ، طبعة عام ١٩٤٥م .

الراوى ـ ثابت اسماعيل الراوى
العراق في العصر الاموى من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ط/ جامعة بغداد ـ مطابع النعمان ـ النجف ، ط الثانية ١٩٧٠م .

الرفاعي ـ انور
الاسلام في حضارته ونظمه ، الادارية والسياسية والادبية والاجتماعية والاقتصادية والفنية ، ط/ دار الفكر ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م ، مكتبة الحرم المكى .

الرفاعي ـ أنور
النظم الاسلامية ، ط/ دار الفكر ١٩٧٣م - ١٣٩٣هـ .

الريس ـ محمد ضياء الدين
الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط/ دار الانصار بالقاهرة الطبعة الرابعة ١٩٧٧م .

الزبيدى ـ د . محمد حسين
الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجرى ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٧٠م .

الزركلي ـ خير الدين

الاعلام ،ط/ دار العلم للملايين ـ بيروت ،الطبعة الثالثة .

الزعبي ـ محمد عفيف

مختصر سيرة ابن هشام ،راجعه عبد الحميد الاحدب ،ط/مكتبة المعرفة / حمص ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

زلوم ـ عبد القوم

الاموال في دولة الخلافة ،ط/دار العلم للملايين ،الطبعة الاولى ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ .

السباعي ـ مصطفى

السيرة النبوية ـ دروس وعبر ،ط ـ دار الكتب العربية / الطبعة الاولى عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

سرور ـ د . محمد جمال الدين

تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى ،ط/ دار الفكر العربى ،الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ،المكتبة المركزية .

السامرائي ـ حسام الدين

الموءسسات الادارية في الدولة العباسية ،ط ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ،الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

الزراعة في العراق في القرن الثالث الهجرى " بالانجليزية "

مكتبة دار لبنان - مطبعة هايدل برغ عام ١٩٧٢م .

سعاد ماهر - البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، نشر دار المجمع العلمي /بجده - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

سهيل زكار - تاريخ العرب والاسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد ط - دار الفكر - بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

الشنقيطي - محمد الامين بن محمد المختار الجكني (ت ١٣٩٣هـ)
اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، المطابع الاهلية بالرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الصالح - د . صبحي الصالح ،
النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ، ط/ دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٨٢ .

طلس - محمد اسعد
الخلفاء الراشدون ، دار الاندلس - بيروت ، ط - الثانية ١٩٦٩م .

العدوى - د . ابراهيم احمد
النظم الاسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الاسلام والعصر الاموى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

العظم ـ رفيق
اشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة ،ط/دار الفكر العربى
الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

العلى ـ صالح احمد
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجرى
طبع ونشر ـ دار الطليعة بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

ـ مقالة العطاء في الحجاز ، مجلة المجمع العلمى العراقى سنة
١٣٩٠هـ ، المجلد ٢٠ .

عليه الجنزورى ـ الثغور البحرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية في
العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩م .

العمرى ـ أكرم ضياء ـ المجتمع المدنى في عهد النبوة " الجهاد ضد
المشركين " ، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

ـ المجتمع المدنى في عهد النبوة " خصائصه وتنظيماته الاولى "
ط/ المجلس العلمى بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة
الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

عون ـ عبد الروءوف
الفن الحربى في صدر الاسلام ، رسالة ماجستير / جامعة القاهرة
باشراف / محمد ضياء الدين الريس .

الغزالي ـ الشيخ محمد
فقه السيره ، ط ـ دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الثانية لعام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

فاروق عمر ـ العباسيون الاوائل ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٣م .

فتحي عثمان ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، طبع ونشر دار الكتاب العربي والدار القومية بمصر ١٩٦٦م .

فرج ـ محمد ـ المدرسة العسكرية الاسلامية ، ط/ دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية .

فيليب حتى ـ تاريخ العرب ، طبع ونشر دار الكشاف بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٥٤م - ١٣٧٣هـ .

قلعة جي ـ د . محمد رواس
موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، مكتبة الفلاح .

موسوعة فقه عثمان بن عفان ، مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ـ القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

كاستلان - جورج
تاريخ الجيوش ، ترجمة كمال الدسوقي ، تقديم وزيادة د . عبد الرحمن زكى ، الناشر مكتبة النهضة المصرية لعام ١٩٥٦م ، المكتبة المركزية بمكة .

الكتاني - عبد الحى
نظام الحكومه النبويه المسمي بالتراتيب الادارية ، الناشر / حسن جعنا ويطلب من محمد امين دبح - بيروت .

كحاله - عمر رضا كحاله
معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى - بيروت ، دار احياء التراث العربي بيروت .

الكرملي - مجلة لغة العرب - مجلد ٩ ، قسم الدوريات .

كوركيس عواد - مصادر التراث العسكري عند العرب ، ٣ اجزاء ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ، لعام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

محمد رضا - الفاروق عمر بن الخطاب ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .

محمود شيت خطاب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد المجلد ٢١ .

المعاضيري - عبد القادر
واسط في العصر الاموي ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه

الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دار الحرية للطباعة - بغداد

نعمان ثابت - الجندية في الدولة العباسية ، وقف على طبعه وراجعه
عبد الستار القرغولي وابراهيم الزهاوي ، مطبعة بغداد
١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

هارون - عبد السلام
تهذيب سيرة ابن هشام ، مطبعة المكتبة الاموية .

هيكل - محمد حسنين هيكل
الفاروق عمر ، ط دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، موجود
بمكتبة المركز البحث العلمي .